سير أعلام النبلاء

تصنيف
الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
(رحمه الله ٦٧٣-٧٤٨هـ)

خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتنى به
محمد أيمن الشبراوي
عفا الله عنه

الجزء الأول

دار الحديث
القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

اسم الكتـــاب : سير أعلام النبلاء

اسم المؤلـــف : الإمام شمس الدين الذهبي

القطـــــع : ١٧×٢٤سم

عدد المجـلدات : ١٨ مجلداً

سنة الطبـــع : ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

رقم الإيداع : ٥٨٠٠ / ٢٠٠٦م

الترقيم الدولى : ١- ١٤٣- ٣٠٠- ٩٧٧

6 222007 702891

دار الحديث

طبـــع . نشــــر . توزيـــع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون : ٥٨٩٩٤٠٩ / ٥٩١٨٧١٩ / ٥٩١٩٦٩٧ فاكس : ٥٩١٩٦٩٧

www.darelhadith.com E-mail: info@darelhadith.com

سير أعلام النبلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

• تقـــديم •

بقلم

محمد أيمن الشَّبراوى

إن الحمد للَّه نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** (١) ﴾ [النساء: ١]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** (٧٠) **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

فقد قدمت إلىَّ «دار الحديث» بالقاهرة كتاب [سير أعلام النبلاء] لمؤرخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، المولود سنة ثلاث وسبعين وستمائة والمتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة [٦٧٣ هـ- ٧٤٨ هـ]. وطلبت منى تحقيقه وخدمته الخدمة العلمية اللائقة بهذا السفر العظيم لتيسير النفع به، وتقريبه إلى جماهير القراء.

ولَمَّا كان دأبى وديدنى أن لا أشرع فى القيام بأىِّ عمل من الأعمال الدنيوية أو الدينية إلاَّ بعد القيام بأداء صلاة الاستخارة؛ فقد استخرت اللَّه- سبحانه وتعالى- لخدمة هذا الكتاب، وكان أن شرح اللَّه صدرى للقيام بهذا العمل، ويسَّر لى سبل تحقيقه وخدمته حتى أنهيت هذا الكتاب فى فترة زمنية ليست بالكبيرة نافت على السنة كنتُ أواصل فيها الليل بالنهار لإنجاز

هذا العمل على النحو الذى يرضى جماهير العلماء وطلاب العلم بَلْه المثقفين على مختلف مشاربهم وانتماءاتهم العلمية. وكان ذلك كله بتيسير من المولى الكريم المنان سبحانه وتعالى، ثمَّ بتذليل أصحاب «دار الحديث» السُّبُل لتيسير إخراجه للناس.

وهذا السفر العظيم الذى نقدمه لجماهير القراء يُعدُّ من أعظم كتب التراجم التى تناولت كافة العصور إلى عصر المؤلف. وقد ترجم لكثير من الأعلام فى مشارق الأرض ومغاربها، وشملت تراجم الخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء، والأطباء، والمحدثين، والفقهاء والنحاة، والشعراء، والزهاد، والفلاسفة، والمتكلمين إلاَّ أنه قد عُنى بالمحدثين، وآثرهم على غيرهم لأنه كان عظيم الإكبار والإجلال لهم فهم حملة العلم النبوى، وحراسه الذين يميزون بين صحيح الأحاديث من ضعيفها، ومقبولها من مردودها، فضلاً عن أن الكثير منهم من رواة الأحاديث، ودراسة أحوالهم، وبيان مواليدهم ووفياتهم، وشيوخهم وتلامذتهم. وآراء العلماء فيهم مما يترتب عليه دراسة أحوال الأسانيد والحكم عليها بالصحة أو بالضعف، ونحو ذلك.

وقد بلغت عدد التراجم للمترجمين فى كتابه (٥٩٦٤) ترجمة. وقد كرَّر بعض هذه التراجم. وقد ترجم فيه للأعلام منذ بزوغ فجر الإسلام إلى سنة (٧٣٩ هـ). وقد قسم كتابه إلى خمس وثلاثين طبقة. ولم يسر فيه على نسق واحد، فقد استوعبت الطبقة الأخيرة الخامسة والثلاثون ستة وثمانين عامًا. بينما كان متوسط الطبقات بين خمسة عشر وستة عشر عامًا. وبلغت بعض الطبقات تسع سنوات فقط مثل الطبقة السادسة عشرة. وقد ترجم الذهبى لبعض الملوك والأمراء وإخوتهم وأولادهم وذراريهم فى موضع واحد وإن لم يكونوا من نفس طبقاتهم ليجعل القارئ متابعًا للأحداث التى عادة ما تكون متصلة. وقد اتبع الذهبى أسلوبًا خاصًا فى صياغة الترجمة؛ فبدأ باسم المترجم ولقبه وكنيته ونسبته، ثم يذكر تاريخ مولده، ويذكر شيوخه، وتلامذته. ويذكر مؤلفاته وآثاره العلمية. ثم يذكر مكانته العلمية من خلال أقوال أهل العلم فيه، ثم يذكر تاريخ وفاته. وربما يذكر عدة نقولات فى تاريخ الوفاة ويرجح بينها. كما يذكر فى آخر الترجمة من مات مع المترجم له فى نفس السنة من الأعلام.

وفى كثير من التراجم يذكر الذهبى- رحمه اللَّه- بعض الأحاديث التى وردت من طريق صاحب الترجمة كما يورد بعض أعمال الملوك والخلفاء والأمراء والولاة من فتوحات وغيرها من أعمال. كما يورد نماذج من أشعار الشعراء، ومختارات نثرية من كلام الأدباء. وقد أطال

الذهبى تراجم بعض هؤلاء الأعلام حَسْب قيمتهم وشهرتهم بين العلماء أو منزلتهم ومكانتهم بين الناس الذين هم من بابته (*).

وقد أفرد الذهبى الجزأين الأول والثانى للسيرة النبوية، وتراجم الخلفاء الراشدين، ولم يُعد صياغتهما بل أحال على كتابه «تاريخ الإسلام» لتؤخذ منه، وتجعل مع كتاب سير أعلام النبلاء.

إن هذا الكتاب العظيم الذى ألفه الحافظ الذهبى وختم به حياته لحقيق بالإكبار والإجلال من كل العلماء المنصفين فى مختلف مجالات العلم والمعرفة؛ فجزاهُ اللّه عن العلم والعلماء أعظم الأجرُ والثواب.

وحقيقٌ بأمة فيها هذا الحشد الهائل من العلماء، والمؤرخين، والشعراء أن ينظر إليها بعين الإكبار والإجلال. إنَّها أمَّة عظيمة أنجبت علماء أضاءوا بعلمهم الطريق للبشرية، فلا جرم أن يكون هؤلاء العلماء مفخرة للعرب والمسلمين فى مختلف العصور والدهور.

ونظرًا لهذه المكانة السامقة التى تبوأها الكتاب فى المكتبة الإسلامية، فقد وضعتُ مقدمةً ضافية تكون بين يدى هذا الكتاب العظيم تبين: -

أولا: نشأة الذهبى وبيئته السياسية والدينية والعلمية.

ثانيًا: رحلاته فى طلب العلم.

ثالثًا: شيوخه.

رابعًا: تلامذته.

خامسًا: منزلته العلمية، وأقوال العلماء فيه.

سادسًا: من آراء الحافظ فى العقيدة والفقه والحديث.

سابعًا: تصانيفه وآثاره العلمية.

ثامنًا: منهجه فى كتابه.

(*) قال ابن السكيت وغيره: البابةُ عند العرب: الوَجْهُ، والباباتُ: الوُجوه. والمعنى: من الوجه الذى يريدُهُ ويصلُحُ له.

تاسعًا : أهمية كتاب السير بين كتب التراجم .

عاشرا : وفاته .

حادى عشر : نبذة عن محقق الكتاب .

ثانى عشر : منهجنا فى تحقيق الكتاب .

اللَّه- عزَّ وجلَّ- أسأل بأنى أشهد أنه اللَّه الذى لا إله إلاَّ هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن يتقبل منى هذا العمل وسائر أعمالى خالصة لوجهه، وألاَّ يجعل لأحد سواه فيها شيئًا، وأن يجعلها ثقيلةً ثقيلةً فى ميزان حسناتى. اللَّهم لا تعذب لسانًا يُخبر عنكَ، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدُلُّ عليك، ولا قدمًا تمشى إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك فبعزتك لا تدخلنى النار، فقد علم أهلها أنِّى كنتُ أذُبُّ عن دينك. وصلِّ اللَّهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* **

مصر- المنوفية- قويسنا

فى سحر ليلة تاسوعاء من محرم (١٤٢٧هـ)

الموافق يوم ٨ فبراير ٢٠٠٦م

كتبه

محمد أيمن الشَّبراوى

عفا اللَّه عنه بكرمه ومنِّه

■ **أولاً: نشأة الذَّهبى وبيئته السياسية والدينية والعلمية:**

بعد سقوط الشام فى قبضة هولاكو التترى، وخيانة ملوك الأيوبيين بمعاونتهم للتتار، كان ذلك فصل الختام لدولة الأيوبيين، وإعلانًا لتنازلهم عن حقوقهم فى الملك بعد أن تقاعسوا عن حماية ذلك الملك، وصار منطق الأحداث يحتم أن تزول دولة بنى أيوب ليرثهم فى ملكهم إمّا التتار وإمًّا المماليك، حسبما تقرر المعركة المنتظرة بين هاتين القوتين.

وفى الوقت الذى أثبتت الأحداث ضعف الأيوبين وعجزهم عن حماية المسلمين فى بلاد الشام من خطر التتار؛ إذا بالمماليك يظهرون على المسرح لينزلوا بالتتار ضربة كبرى فى موقعة عين جالوت سنة (١٢٦٠م)، وبذلك ظهر المماليك فى صورة القوى الكبرى فى الشرق التى استطاعت أن تحمى كيان أهل مصر والشام من ذلك الخطر الوثنى الرهيب.

ولا شك فى أن فشل الأيوبيين فى صد خطر التتار، ونجاح المماليك فى القضاء على ذلك الخطر، جاء بمثابة فصل الخطاب بين المماليك والأيوبيين، وخاتمة لحركة التنافس بين هاتين القوتين على مسرح الشام، بعد أن صار من الواضح أن قوة الأيوبيين المتداعية لن تستطيع بحال الصمود فى وجه قوة التتار.

وكان أن استطاعت جيوش المماليك بعد عين جالوت إجلاء التتار عن دمشق، وحماة، وحلب ومطاردتهم حتى أطراف بلاد الشام. ومعنى ذلك أن نفوذ المماليك امتد إلى بلاد الشام فجأة بعد عين جالوت.

وبعد أن استقر للماليك الأوضاع فى مصر والشام حرصوا على أن يظهروا أمام أهل مصر والشام فى صورة حماة المسلمين وزعمائهم فى حركة الجهاد ضد الصليبين. ولم يلبث سلاطين المماليك أن استأنفوا سياسة الأيوبيين بحيث أنه لم يكد يمضى على قيام دولة المماليك نحواً من أربعين سنة حتى تم طرد الصليبيين نهائيًا من بلاد الشام، وبذلك أصبحت لا توجد قوة تهيمن على بلاد الشام غير قوة المماليك.

وقسم بلاد الشام من الناحية الإدارية إلى ستة أقسام تسمَّى النيابات تخضع للحكومة المركزية فى القاهرة. وهذه النيابات هى نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة طرابلس، ونيابة حماة، ونيابة صفد، ونيابة الكرك. وقد كان هذا التقسيم ضروريًا؛ لأنه يتفق مع طبيعة بلاد الشام الجغرافية.

وكان فى كل نيابة من نيابات الشام أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة، مثلما كان الحال تمامًا فى مصر منذ أيام الظاهر بيبرس هذا فضلاً عن الوظائف الأخرى المتعددة التى وجدت فى كل نيابة من نيابات الشام والتى كان بعضها يتعلق بأرباب السيوف. والبعض الآخر يتعلق بأرباب القلم، والقسم الثالث يشغل الوظائف الدينية.

وعلى الرغم مما يتمتع به نواب النيابات الشامية من سلطان ونفوذ كبير إلاَّ أنهم كانوا متابعين لسلطنة المماليك فى القاهرة، وظل سلطان المماليك هو القوة الكبرى التى تسيطر على مصر والشام وتشرف إشرافًا تامًا على سير الأمور فى مختلف أرجاء الدولة المماليكية الواسعة.

ووجدت ببلاد الشام على عصر سلاطين المماليك عصبيات عنصرية مثل الأكراد والتركمان والأرمن كما وجدت ببلاد الشام فى ذلك العصر عصبيات عديدة مذهبية ودينية. من هذه العصبيات والطوائف: طائفة الكسروانيين، وهم أهل جبال كسروان، وكانوا من النصيرية والعلويين والمتأولة، وكانوا يقفون موقفًا عدائيًا من المماليك أثناء الصراع بين المماليك والصليبيين بالشام. ومن هذه العصبيات والطوائف: طائفة التنوخيين، وهم عشائر اعتنقت الدرزية وانتشروا فى جهات متفرقة فى لبنان، وظلوا يتأرجحون بين الولاء للصليبيين حينًا وللمسلمين أحيانًا كما تأرجحوا بين الولاء للمماليك من ناحية وخصوم المماليك من أيوبيين وتتار من ناحية أخرى. ومنهم طائفة الشهابيين الدروز الذين اشتركوا بنجاح فى قتال الصليبيين ثم التتار أثناء إغارتهم على بلاد الشام.

ومنهم طائفة الإسماعيلية ويعرفون أيضًا باسم الباطنية، وقد قاموا بدور مشهور فى تاريخ بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، ولم يتورعوا عن اغتيال كثير من الشخصيات الإسلامية والصليبية سواء. ولم يرض المماليك عن الباطنية بسبب شذوذهم المذهبى من ناحية، ثم بسبب موقفهم المائع بين الصليبيين والمسلمين من ناحية أخرى. لذلك فرض السلطان الظاهر بيبرس ضرائب باهظة على الهدايا التى اعتاد أن يبعث بها الصليبيون إلى شيخ الباطنية، وذلك إفسادًا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزًا لمن اكتفى شرهم بالهدية. كما كانت طائفة الإسماعيلية تدفع الجزية للسلطان الظاهر بيبرس، وكانوا يضيقون ذرعًا بما يحملونه إلى بيت المال من هذه الجزية. وكانوا يطلبون إنقاص هذا المال الذى يدفعونه. وكانت العلاقة سيئة بين السلطان وطائفة الإسماعيلية، ولكن ما لبث السلطان الظاهر أن استولى على حصون

الإسماعيلية ببلاد الشام واحداً بعد آخر حتى انتهى أمرهم ببلاد الشام، وأقطعهم السلطان بدلاً من قلاعهم الشامية بعض الجهات فى مصر ليعيشوا فيها.

لم تكن الشام فى عصر المماليك مجرد إقليم من أقاليم الدولة، وإنما كانت أهم من ذلك بكثير. لقد كانت بلاد الشام الجناح الأيمن الذى بدونه يتعذر على دولة المماليك الاحتفاظ بكيانها وتوازنها والثبات فى وجه الأخطار الأسيوية الضخمة التى هددت تلك الدولة حينًا من جانب الأيوبيين والتتار والصليبيين، وأحيانًا من جانب الأرمن والتركمان ثم العثمانيين. وهكذا أدرك سلاطين المماليك منذ أن أقاموا دولتهم فى مصر أنه لا بقاء لهم ولا لدولتهم إلاَّ فى ظل وحدة ترابط بين الشام ومصر تحت حكمهم، وتضمن لهم مراقبة التيارات العديدة التى يمكن أن تؤثر فى كيانهم[١].

لقد استطاعت دولة المماليك التى قامت فى مصر والشام سنة (١٢٥٠م) أن تثبت أنها أعظم قوة معاصرة فى الوطن العربى من المحيط إلى الخليج، فنظر إليها حكام وشعوب الدول الإسلامية والعربية نظرة إكبار وإجلال، فى حين نظرت إليها القوى الأخرى - خارج المحيطين العربى والإسلامى - نظرة خوف واحترام. وحَسْبُ دولة المماليك أنها استطاعت أن تواجه الأخطار الخارجية التى هددت الوطن العربى فى الشرق فى شجاعة وبأس فحمت الشام ومصر من خطر التتار، وطردت الصليبيين كلية من أرض الشام بل لاحقتهم فى مراكزهم القريبة مثل أرمينية الصغرى، وقبرص، ورودس هذا فضلاً عن أن نجاح سلاطين المماليك فى إحياء الخلافة العباسية فى مصر بعد سقوطها فى بغداد جعل لهم ولدولتهم مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى أجمع، إذْ جعلهم يبدون فى صورة الزعماء الحقيقيين للعالم الإسلامى أجمع بوصفهم حماة الخلافة المتمتعين ببيعتها[٢].

ذلك هو الواقع السياسى فى تلك الحقبة من الزمن فى الشام ومصر.

ولا جرم أن النشاط العلمى فى عصر المماليك قد ازدهر، وشجع بعض سلاطين المماليك العلم والعلماء. وقد وصف ابن تغرى بردى السلطان الظاهر بيبرس بأنه كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائدًا ويقول: «سماع التاريخ أعظم من التجارب»[٣].

(١) العصر المماليكى فى مصر والشام. الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (ص ٢٠٠ - ٢٢٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٣٣).

(٣) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (ج ٧ ص ١٨٢).

لقد رعى سلاطين المماليك النشاط العلمى، فأنشأوا المدارس، فضلاً عن المؤسسات الأخرى التى قامت أحيانًا بوظيفة المدارس مثل المساجد. والمعروف أن السلطان صلاح الدين عنى عناية خاصة بإنشاء المدارس وأنشأ بعض المدارس الشهيرة مثل المدرسة الناصرية والمدرسة الصلاحية والمدرسة القمحية. ولكن إذا كان صلاح الدين وخلفاؤهُ من بنى أيوب قد استهدفوا من إنشاء المدارس أن تكون قبل كل شيء مراكز لنشر المذهب السنى ومحاربة العقيدة الشيعية فى البلاد؛ فإن سلاطين المماليك أكثروا من إنشاء المدارس إظهارًا لشعور التقوى والزلفى من ناحية، وليتخذوا من المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم فى أيديهم، وتساعدهم على تدعيم مراكزهم فى أعين الشعب.

ومن المدارس العديدة التى أسسها سلاطين المماليك المدرسة الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر بيبرس الذى وضع أساسها سنة (١٢٦١م). وألحق بتلك المدرسة خزانة كتب جليلة تشتمل على مجموعة ضخمة من المراجع فى مختلف العلوم. كما أنشأ المماليك مدارس كثيرة فى بقاع كثيرة فى مصر والشام والحجاز.

ولقد كان النشاط الدينى فى عصر المماليك كان موجهًا لخدمة المذهب السنى ومحاربة المذهب الشيعى. وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها صلاح الدين الأيوبى ومن خلفه من سلاطين بنى أيوب لمحاربة الشيعة والتشيع فى مصر إلاَّ أن الكثير من آثار المذهب الشيعى ظلت قائمة فى عصر المماليك.

وقد لجأ سلاطين المماليك إلى استخدام العنف أحيانًا لكبت الشيعة. وأمر السلطان الظاهر بيبرس (١٢٦٧م- ٦٦٥هـ) باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ما عداها كما أمر بألاَّ يولى قاضى ولا تقبل شهادة أحد، ولا يرشح لإحدى وظائف الخطابة أو الإمامة أو التدريس ما لم يكن مقلدًا لأحد هذه المذاهب[١].

وفى عصر سلاطين المماليك انتشر التصوف انتشاراً واسعًا واتسع نطاقه، فساد الجهل والاعتقاد بالخرافات والترهات، وانتشرت الشركيات فذبحت الذبائح عند القبور، وقدمت النذور لأصحابها. واهتم المماليك بهؤلاء الصوفية، وكان لهم اعتقاد فيهم، فكان للظاهر بيبرس المتوفى سنة (٦٧٦هـ) شيخ اسمه الخضر بن أبى بكر بن موسى العدوى، كان صاحب

---

(١) الدُّرر الكامنة لابن حجر (ج٢ ص ٤٦).

حال، ونفس مؤثرة، وهمة إبليسية، وحال كاهنى، وكان الظاهر بيبرس يعظمه، ويزوره أكثر من مرة فى الأسبوع، ويطلعه على أسراره، ويستصحبه فى أسفاره لاعتقاده التام به[١].

وانتشرت الخرافات والخزعبلات والأباطيل، وساد تقديس هؤلاء المخرفين من الأشياخ.

فى هذه البيئة ولد الحافظ ومؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز سنة ثلاث وسبعين وستمائة. وأصله تركمانى، من أسرة تركمانية تنتهى بالولاء إلى بنى تيم.

وقد نشأ الذهبى - رحمه اللّه - فى عائلة علمية متدينة؛ فوالده أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبد اللّه التركمانى، الفارقى الأصل - وهى من أشهر مدن ديار بكر - ثم الدمشقى، شهاب الدين الذهبى. قال الحافظ فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٧٥- ٧٦):

والدى أحسن اللّه جزاءه وُلدَ سنة إحدى وأربعين وستمائة تقريبًا [٦٤١ هـ- ١٢٤٣م] وبرع فى دق الذهب وحصَّل منه ما أعتق منه خمس رقاب، وسمع الصحيح فى سنة ست وستين وستمائة [٦٦٦هـ- ١٢٦٧م] من المقداد القيسى، وحَجَّ فى أواخر عُمُره. وكان يقومُ من الليل، وتوفى فى آخر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وستمائة. [٦٩٧هـ- ١٥ مارس ١٢٩٨م] ليلة الجمعة وصلى عليه الخلق يؤُمُّهم قاضى القضاة ابن جماعة.

وكان جدّه عثمان بن قايماز بن عبد اللّه التركمانى الفارقى ثم الدمشقى نجارًا. قال الحافظ الذهبى عنه فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٤٣٦):

رجلٌ أميٌّ حسن اليقين باللّه- واللّه يغفر له- سمعت الشيخ أبا الحسن بن العطَّار يقول لى: كان جدُّك الفَخْر يسأل اللّه أن يتوفَّاهُ ليلة الجمعة، فأعطاه اللّه ذلك. قلتُ- أى الحافظ الذهبى-: شهدتُ دَفْنَه بسَفْح قاسيون عقيب الجمعة فى سنة ثلاث وثمانين [٦٨٣هـ- ١٢٨٤م]. وكان يرحمه اللّه يُدَمِّينى فى النطق بالراء فيقول: قُلْ «جَرَّة بَرّا جَرَّة جَوّا» وكثيرًا ما كنتُ أسمعُهُ يقول: يا مدبرى ولم أدْر. مات فى عشر السَّبعين، ومات أبوه الحاج قايماز فى سنة إحدى وستين وستمائة [٦٦١هـ- ١٢٦٣م] وقد أضرَّ ودخل فى الهرم وجاوز المائة بيسير.

وأمَّا خاله- وقد كان من مشايخه الذى أوردهم فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٧-

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى.

٢٨) وقال: - على بن سنْجر بن عبد اللَّه الموصلى ثم الدمشقى الذهبى، الحاج المبارك أبو إسماعيل خالى. مولده سَنة ثمان وخمسين وستمائة [٦٥٨هـ- ١٢٦٠م].

وسمع بإفادة مؤدِّبه ابن الخباز من أبى بكر الأنماطى، وبهاء الدين أيوب الحنفى، وست العرب الكندية وسمع معى ببعلبك من التاج عبد الخالق وجماعة. وكان ذا مروءة وكدّ على عياله وخوف من اللَّه. توفى فى الثالث والعشرين من رمضان سنة ست وثلاثين وسبعمائة [٧٣٦هـ- ١٣٣٦م].

وكان زوج خالته فاطمة، وهو من شيوخه الذين أوردهم فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٦٨) فقال- رحمه اللَّه: أحمد بن عبد الغنى بن عبد الكافى بن عبد الوهاب بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الذهبى ابن الحَرَستانى. مات بمصر سنة سبعمائة [٧٠٠هـ- ١٣٠٠م] فى عشر الستين، وهو زوج خالتى فاطمة، وكان حافظًا للقرآن كثير التلاوة.

وكانت عمَّته وهى من شيوخه التى أوردها فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٢٨٤- ٢٨٥): قال الحافظ- رحمه اللَّه-: ستّ الأهل بنت عثمان بن قايماز بن عبد اللَّه، أم محمد، مولدها فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة [٦٥٣هـ- ١٢٥٥م]، وهى أمِّى من الرضاعة.

أجاز لها ابنُ أبى اليُسْر، وجمال الدين بن مالك، وزهير بن عمر الزُّرْعى، وجماعة.

وسمعتْ من عمر بن القوَّاس، وغيره.

أقعدت مُدَّة وتُوُفِّيت سنة تسع وعشرين فى شعبان [٧٢٩هـ- ١٣٢٩م].

وكان شيخه ومؤدِّبه كما قال فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٥٢- ٥٣):

على بن محمد الحلبى علاء الدين البُصْبُص، مُؤدبى. كان من أحسن الناس خطًا وأخبرهم بتعليم الصبيان. أقمتُ فى مكتبه أعوام، وتعلم عنده خلائق، ولم يكن فى دينه بذاك. مات فى حدود سنة تسعين وستمائة [٦٩٠هـ- ١٢٩١م] عن نحو من ثمانين سنة. وأنشده مُؤدِّبه على بن محمد فى سنة اثنين وثمانين وستمائة [٦٨٢هـ- ١٢٨٣م] شعرًا لأبى محمد القاسم بن على الحريرى.

ثم اتجه الذهبى بعد ذلك إلى شيخ آخر، قال فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٣٣٩-

٣٤٠): مسعود بن عبد اللَّه الأغزازى المقرئ الصالح. لقَّننى جميع القرآن ثم جَرَّدت عليه نحوًا من أربعين ختمة، وقال لى إنه قرأ لأبى عمر على الشيخ زين الدين الزواوى. وكان خيِّرًا متواضعًا، لقِّنَ خَلْقًا. وكان إمام مسجد بالشَّاغور. مات فى سنة عشرين وستمائة [٦٢٠هـ-١٢٢٣م] وله ست وثمانون سنة.

ذلكم هى البيئة العلمية التى نشأ الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- فى أحضانها وترعرع فيها وشرب منها حتى اشتد عوده.

لقد بدأ الذهبى- رحمه اللَّه- فى طلب العلم فى سن الثانية عشرة، فتعلم القراءات. قال- رحمه اللَّه- فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ١٣٥) عن شيخه الذى درس عليه القراءات: إبراهيم بن داود بن ظافر بن ربيعة، شيخنا جمال الدين أبو إسحاق العسقلانى ثم الدمشقى الفاضلى الشافعى شيخ القراء.

مولده فى صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة [٦٢٢هـ- ١١٢٥م] وسمع من ابن الزّبيدى، وابن اللَّتى، والإرْبلى، ومن بعدهم، وصحب الشيخ علم الدين السَّخاوى مدَّة وجمع عليه بالسَّبْع سَبْع ختَم وانتفع به وتصَدَّر للإقراء بالتُّربة الصالحية بعد ابن أبى زهران ثم حصل له فالجٌ فكان يُقرئُ بمنزله، فقصدتُهُ فى سنة إحدى وتسعين وستمائة [٦٩١هـ-١٢٩١م] أنا، وابن بضحان، وابن غدير، وشمس الدين الزنْجبيلى. وشرع كلٌ منَّا فى الجمع الكبير- وهى القراءة الجامعة للروايات السبع- فانتهيتُ عليه إلى أواخر القصص، وأجاز لى مَرْوياته، وأنشدنا أشياء منها نونية السَّخاوى. وسمعت منه بعض شرح الشاطبية بسماعه من السخاوى.

كما قرأ أيضًا الجمع الكبير على شيخه إبراهيم بن غالى بن شاور البدوى الحميرى الشافعى المتوفى سنة (٧٠٨هـ) كما ذكر فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ١٤٨- ١٤٩).

كما قرأ أيضًا القراءات السبع على شيخه أبى عبد اللَّه بن جبريل المصرى قال الحافظ الحسينى فى «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص ٣٦): وقد جمع القراءات السبع على الشيخ أبى عبد اللَّه بن جبريل المصرى نزيل دمشق، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير لأبى عمرو الدَّانى، وكتاب حرز الأمانى لأبى القاسم الشاطبى.

لقد أصبح الحافظ الذهبى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره عالمًا فى القراءات، فأجازه

شيخ القراءات محمد بن أحمد بن خليل بن سعادة، قاضى القضاة شهاب الدين أبو عبد اللَّه الدمشقى الشافعى. فقال فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ١٤٤) عنه: هو إمام بارعٌ متفنن مُصنِّف حاو للفضائل. وُلد سنة ست وعشرين وستمائة [٦٢٦هـ- ١٢٢٩م]. وسمع من ابن اللَّتى، والسَّخاوى، وابن الصَّلاح، وغيرهم. وأجاز له خلق كثير. جلستُ بين يديه وسألنى عن غير ما مسألة من القراءات، فَمَنَّ اللَّه وأجَبْتُهُ، وشهد فى إجازتى من الحاضرين وأجاز لى مروياته. مات فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة [٦٩٣هـ- ١٢٩٤م].

واستمر الحافظ- رحمه اللَّه- فى دراسة علم القراءات، فتعلم من شيخه محمد بن جوهر ابن محمد بن مالك المقرئ المجوّد، أبى عبد اللَّه التَلَعْفَرى الصوفى المُلَقِّن المولود سنة خمس عشرة وستمائة [٦١٥هـ- ١٢١٨م]. وكان قد جَوَّد القرآن على أبى إسحاق بن وثيق الأندلسى كما صنَّف مقدمة فى التجويد كتبها الحافظ الذهبى عنه فى سنة إحدى وتسعين وستمائة [٦٩١هـ- ١٢٩٦م] كما درس القراءات السبع على شيخه محمد بن منصور بن موسى الإمام المقرئ النحوى شمس الدين أبى عبد اللَّه الحلبى الحاضرى الشافعى، أحد المتصدرين بالعادلية وبالجامع الأموى.

قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٩٠- ٢٩١): قرأ بجماعة، كتب على الكمال الضرير، والدَّهَّان. ولازم ابن مالك، وأخذ عنه جملة من العربية. قرأتُ عليه بالسَّبع أنا وابن غدير. مات فى صفر سنة سبعمائة [٧٠٠هـ- ١٣٠١م] وقد قارب السبعين.

لقد أصبح الحافظ الذهبى عالمًا فى القراءات، فترى الحافظ الإمام المقرئ محمد بن عبد العزيز الدمياطى ينزل له عن حلقته. قال الحافظ فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢١٨): أكملتُ على شيخنا الإمام المقرئ محمد بن عبد العزيز الدُّمياطى القراءات أنا، وابن غدير، والشيخ بدر الدين. وكان حسن الأخلاق طويل الروح، نزل لى عن حلقته فى مرضه الذى مات فيه سنة [٦٩٣هـ- ١٢٩٤م].

وطلب الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- الحديث وله ثمانى عشرة سنة فسمع بدمشق من عمر ابن القوَّاس، وأحمد بن هبة اللَّه بن عساكر، ويوسف بن أحمد الغَسُولى، وغيرهم.

وببعلبك من عبد الخالق بن علوان، وزينب بنت عُمر بن كندى، وغيرهما.

وبمصر من الأبْرقُوهِىّ، وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب، وشيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والحافظين أبى محمد الدِّمياطى، وأبى العباس بن الظاهرى، وغيرهم.

ولما دخل إلى شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، وكان المذكور شديد التَّحرِّى فى الإسماع، قال له: من أين جئت؟ قال: من الشام، قال: بمَ تُعْرَفُ؟ قال: بالذَّهبى، قال: من أبو طاهر الذَّهبى؟ فقال له: المُخَلِّص، فقال: أحسنتَ، فقال: مَن أبو محمد الهلالى؟ قال: سفيان بن عيينة، قال: أحسنتَ، اقرأ، ومكَّنه من القراءة عليه حينئذ إذْ رآهُ عارفًا بالأسماء.

وسمع بالإسكندريَّة من أبى الحسن على بن أحمد الغَرَّافىّ، وأبى الحسن يحيى بن أحمد ابن الصَّوَّاف، وغيرهما.

وبمكّة من التَّوْزَرى وغيره.

وبحلب من سُنْقُر الزّينىّ وغيره.

وبنابُلُسَ من العماد بن بَدْران.

وأجاز له أبو زكريا ابن الصَّيرفى، وابن أبى الخير، والقُطب ابن عَصْرون، والقاسم بن الإرْبلى.

وفى شيوخه كثرة، فلا نطيل بتعدادهم.

وسمع منه الجمعُ الكثير، وما زال يخدمُ هذا الفنَّ إلى أن رَسَخَتْ فيه قَدَمُه، وتَعبَ الليلَ والنهار وما تَعب لسانُهُ وقَلَمُهُ، وضُربت باسمه الأمثال، وسار اسمُهُ مسير الشمس، إلاَّ أنه لا يتقلَّص إذا نزل المطر، ولا يُدْبِر إذا أقبلت الليال.

وأقام بدمشق يُرحل إليه من سائر البلاد، وتُناديه السؤالات من كلِّ ناد، وهو بين أكنافها كَنَفٌ لأهلها، وشَرَفٌ تفتخر وتُزْهَى به الدنيا وما فيها، طَوْرًا تراها ضاحكةً عن تَبسُّم أزهارها وقهقهة غُدْرانها، وتارةً تَلْبَس ثوب الوقار والفخار، بما اشتملت عليه من إمامها المعدود فى سُكَّانها(١).

وقال الحافظ السيوطى فى «ذيله على تذكرة الحفاظ» (ص ٣٤٧- ٣٤٨): طلب الحديث وله ثمانى عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل وعنى بهذا الشأن، وتعب فيه، وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، وتلا بالسَّبع، وأذعن له الناس، حكى عن شيخ الإسلام أبى الفضل ابن حجر أنه قال: شربتُ ماءَ زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبى فى الحفظ... والذى أقوله: إن

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى (٩/ ١٠٢- ١٠٣).

المحدثين عيال الآن فى الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزِّى، والذهبى، والعراقى، وابن حجر.

■ **ثانيًا : رحلاته فى طلب العلم :**

رحل الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- وسمع الكثير من المشايخ كما ذكر فى «معجم شيوخه الكبير»، وغيره من كتبه؛ فرحل إلى بعلبك، وطرابلس، والكرك، ومصر، وبلبيس، والإسكندرية، ومكة، وغيرها فرحل إلى بعلبك، وسمع من شيخه سعد بن محمد بن على ابن يحيى بن عبد الصمد، أبى القاسم العلوى الحسينى كما قال فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٢٦٤).

كما سمع ببعلبك أيضًا من خاله أبى إسماعيل على بن سنْجر بن عبد اللَّه الموصلى ثم الدّمشقى الذّهبى المتوفى سنة (٧٣٦هـ) كما فى «معجم شيوخه الكَبير» (٢/ ٢٧- ٢٨).

وسمع من عمر بن يحيى بن أبى بكر بن طرخان أبى حفص المعرى ثم البعلبكى المتوفى سنة (٦٩٩هـ) كما قال فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٨١- ٨٢).

كما سمع من عبد القادر بن أبى الحسين على بن محمد بن الحسين اليونينى البعلى الحنبلى، كما فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٤٠٧).

كما رحل الحافظ إلى طرابلس، وسمع من شيخه على بن سليم بن ربيعة الأنصارى الأذرعى القاضى ضياء الدين، أبى الحسن الشافعى المتوفى سنة (٧٣١هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٧).

وسمع من شيخه على بن محمد بن سليمان بن حمائل المقدسى ثم الدمشقى المتوفى سنة (٧٣٧هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٤١).

ومن الشيخة فاطمة بنت محمد بن طرخان الصالحية، أم محمد المتوفاة سنة (٧٢٩هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ١١٣).

كما سافر- رحمه اللَّه- إلى الكرك، وسمع من شيخه عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد الحنبلى، وقال الحافظ الذهبى : قرأتُ عليه بالكرك شيئًا من صحيح مسلم عن ابن عبد الدائم، وكان شابًا فاضلاً مات بمصر سنة بضع وسبعمائة . قاله فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٥١).

وسمع أيضًا من شيخه عمر بن عبيد اللَّه بن الجمال أبي حمزة أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة (٧٣٣هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٧٧)، وسمع من شيوخ آخرين ذكرهم في «معجم شيوخه الكبير»، وتذكرة الحفاظ.

ورحل إلى مصر، وسمع بالقاهرة من الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي، المتوفى سنة (٧٠٥هـ) كما في تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٤٧٧- ١٤٧٩)، و«معجم شيوخه الكبير» (١/ ٤٢٤)، ومن أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن على الأبرقوهي، المتوفى سنة (٧٠١هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٧- ٣٨).

ومن عبد الرحيم بن عبد المحسن بن ضرغام، وغيره كما في «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٦٩). ورحل إلى الإسكندرية، وسمع من كثير مشايخها من أبرزهم تاج الدين أبي الحسن على بن أحمد بن عبد المحسن الهاشمي الحسيني الواسطي الغَرَّافي ثم الإسكندراني، شيخ دار الحديث النبيهية بالإسكندرية المتوفى سنة (٧٠٤هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ١٢- ١٣).

وسمع من: يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبيد اللَّه بن على بن عبد الباقي الصَّوَّاف الجُذامي الإسكندراني المالكي، المتوفى سنة (٧٠٥هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٣٦٧ و٣٩٣) ومن عبد الرحمن بن مكي كما في «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٣٢).

ومن عبد الرحمن بن مخلوف بن عبد الرحمن بن جماعة بن رجاء بن أبي القاسم الربعي الإسكندراني المتوفى سنة (٧٢٢هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٨٢- ٣٨٣).

ومن عبد الرحمن بن عبد الحليم الدُّكالي سحنون، المتوفى سنة (٦٩٥هـ) كما في «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٦٢- ٣٦٣).

كما رحل الحافظ- رحمه اللَّه- إلى بلبيس، وسمع من عدد من علمائها. فسمع من سليمان بن داود بن سليمان بن حمد بن كسا، وهو من أهل بلبيس، ويكنى أبا الربيع [٦١٨هـ- ٦٩٧هـ] كما في «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٢٦٩).

وقد حجَّ الحافظ الذهبي- رحمه اللَّه تعالى- سنة (٦٩٨هـ) كما ذكر في كتابه [تاريخ الإسلام]. وسمع من جملة من العلماء بمكة، وعرفة، ومنى، وغيرها. فسمع بعرفة وغيرها من شيخه عبد السلام بن عبد الخالق بن علوان، أبي سعيد البعلبكي المتوفى سنة (٧٠٣هـ).

وقال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٩٢) : قرأت عليه بعرفة وغيرها مجلس البطاقة . وسمع بمكة من عثمان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر التَّوْزَرى، ثم المصرى المالكى المقرئ المحدث المتوفى سنة (٧١٣هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٤٣٧).

ورحل إلى نابلس وسمع من جملة من علمائها من أبرزهم على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور أبى الحسن المقدسى، شيخ أهل نابلس، المتوفى سنة (٧٠٢هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٦٩) و(٢/ ٣١- ٣٢).

وسمع من الإمام عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن فرخان النابلسى الحنبلى المتوفى سنة (٦٩٨هـ) كما ذكره الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٣٤٧)، وكما فى «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص ٣٤).

وسمع من السَّيْف، وهو أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن الغابر النابلسى الحنبلى المتوفى سنة (٦٩٩هـ) كما فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٢٨١).

■ ثالثًا شيوخه :

من الشيوخ الذين عَوَّل عليهم الحافظ الذهبى - رحمه اللَّه- وتخرج بهم- وعدتهم ستة وثلاثون شيخًا، كل واحد منهم إمام حافظ ثقة مشهود له بالإتقان- ذكرهم الحافظ الذهبى فى نهاية كتابه القيم «تذكرة الحفاظ» (٤/ ص ١٥٠٠- ١٥٠٨) فقال- رحمه اللَّه تعالى- :

(١) ولقد انتفعت وتخرجت بشيخنا الإمام المحدث الحافظ الشهيد أبى الحسين على بن الشيخ الفقيه ببعلبك ولزمته نيفًا وسبعين يومًا وأكثرت عنه، وكان عارفًا بقوانين الرواية حسن الدراية جيد المشاركة فى الألفاظ والرجال، وانتقل إلى اللَّه- تعالى- فى رمضان سنة إحدى وسبع مائة عن إحدى وثمانين سنة، روى لنا عن ابن الزبيدى، وابن اللتى، ومكرم، وجعفر، وأبى نصر بن الشيرازى، وخلق، وكان صاحب رحلة وأصول وأجزاء وكتب ومحاسن. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٠).

(٢) ولزمت الشيخ الإمام المحدث مفيد الجماعة أبا الحسن على بن مسعود بن نفيس الموصلى وسمعت منه جملة، وكان دينًا خيرًا متصوفًا متعففًا قرأ ما لا يوصف كثرة، وحصل أصولاً كثيرة كان يجوع ويبتاعها، وسمع بمصر والشام عاش سبعين سنة، مات سنة أربع وسبع مائة، وظهر له نصف جزء سمعه من أبى القاسم بن رواحة. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٠).

(٣) وسمعتُ من مفيد الطلبة المحدث الإمام المتقن اللغوى صفى الدين محمود بن أبى بكر الأرموى ثم القرافى الصوفى، قرأ الكثير على المشايخ وكان فصيحًا فاضلاً كتب شيئًا كثيرًا وعنى بهذا الشأن وبرع فى علم اللسان وصنف، روى لنا عن النجيب الحرانى، والكمال بن عبد، ومات فى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة عن بضع وسبعين سنة رحمه اللّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٠- ١٥٠١).

(٤) وسمعت الصحيح بقراءة الإمام العالم الإمام الخطيب البليغ النحوى محدث الشام شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى. وكان فصيحًا مفوهًا عديم اللحن عذب القراءة له أنسة بالأسماء ومعرفة بالألفاظ، ويد فى العربية وتواضع وكيس، مات سنة خمس وسبع مائة عن خمس وسبعين سنة رحمه اللّه تعالى، روى لنا عن السخاوى- وهو أبو الحسن على بن محمد السخاوى- وجماعة وقرأ الكثير. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠١).

(٥) وسمعتُ الكثير بقراءة الإمام العالم الحافظ مفيد الآفاق مؤرخ العصر علم الدين أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن الحافظ زكى الدين البرزالى، وبفصاحته وحسن أدائه للحديث يضرب المثل مع الفضيلة والإتقان والتواضع، وحسن البشر، وكثرة الأصول، ولد سنة خمس وستين- يعنى بعد الست مائة- وأجاز له ابن عبد الدائم وطبقته وسمع من الشيخ شمس الدين وطبقته، وله فى الطلب بضع وخمسون سنة، ومعجمه فى مجلدات كبار. توفى مُحْرِمًا فى رابع ذى الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين- يعنى بعد السبع مائة- رحمه اللّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠١).

(٦) وسمعت مع الشيخ الإمام الفقيه المحدث النحوى بقية السلف شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى الفتح البعلبكى الحنبلى، وكان عالمًا بالفقه والنحو، وله اعتناء بالمعانى وبالرجال، سمع الكثير وكتب الأجزاء، وخرج وأفاد. روى لنا عن الفقيه اليونينى وابن عبد الدائم وطائفة، توفى سنة تسع وسبع مائة بالقاهرة غريبًا، رحمه اللّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠١).

(٧) وسمعت مع الإمام المحدث العابد مفيد الجماعة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن سامة، وكان معنيًا بهذا الشأن، فصيح القراءة، كثير الشيوخ، واسع الرحلة خيرًا متواضعًا، روى لنا عن ابن عبد الدائم، وسمع من أصحاب ابن طبرزذ وهلم جرا، مات فى سنة ثمان وسبع مائة عن ست وأربعين سنة، رحمه اللّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠١- ١٥٠٢).

(٨) وسمعت بمصر وعرفة مع الشيخ الإمام العالم المقرئ الحافظ المحدث مفيد الديار المصرية وشيخها قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبى ثم المصرى أحد من جرد العناية ورحل وتعب وحصل وكتب وأخذ عن أصحاب ابن طبرزذ فمن بعدهم، وصنَّف التصانيف، وظهرت فضائله مع حسن السمت والتواضع والتدين وملازمة العلم، مولده سنة أربع وتسعين وست مائة. وتوفى فى رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مائة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٢).

(٩) وسمعت من الشيخ العلامة الفرضى المحدث الصالح شمس الدين أبى العلاء محمد بن أبى بكر البخارى الحنفى، وكان أحد من عنى بهذا الشأن ورحل وكتب وألف، سمعت منه ووقف أجزاءهُ بالخانقاه. سمع من أبى الدثنة وطبقته ببغداد، ومن الفخر وطبقته بدمشق، ومن ابن خطيب المزة بمصر وسمع بالحرمين وبخارى وماردين وخراسان، وكان عالمًا متقنًا أنيق الكتابة، مات بماردين سنة سبع مائة عن ست وخمسين سنة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ١٥٠٢).

(١٠) وسمعت مع الإمام المفيد المحدث العدل الكبير شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم المهندس الصالحى الحنفى الشروطى ابن المهندس، وقد سمع الكثير من أصحاب ابن طبرزذ، وكتب العالى والنازل، ثم ارتحل بأخرة إلى مصر، ونسخ الكتب الكبار، وانتقى على جماعة، سمعنا منه، مولده فى سنة خمس وستين وست مائة، ومات فى شوال سنة ثلاث وثلاثين- أى وسبعمائة- رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٢).

(١١) وسمعت من الشيخ الإمام المحدث المفيد المقرئ بقيَّة السَّلف شيخ الحرم فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى ثم المصرى المالكى، وكان قارئ الطلبة بمصر دهراً، قرأ الكتب المطولة، وحصل الأصول، وتلا بالسبع على ابن وثيق، والكمال ابن شجاع، سمع سن ابن الجميزى، والسبط، فمن بعدهما حتى أنه أخذ عن ألف شيخ، توفى فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وسبع مائة بمكة عن ثلاث وثمانين سنة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٢- ١٥٠٣).

(١٢) وسمعت من الشيخ العلامة المحدث الحافظ الأديب البارع فتح الدين أبى الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الأندلسى الأصل المصرى، صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وسبعين فى آخرها وسمع من العز، وغازى، وخلائق، ولحق بدمشق ابن

المجاور، ومحمد بن مؤمن، وابن الواسطى وكتب بخطه المنسوب كثيرًا، وهو على حاله ثبت فيما ينقله بصير بما يحرره لم أسمع منه شيئًا، توفى فجاءة فى شعبان فى حادى عشرة سنة أربع وثلاثين وسبع مائة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٣).

(١٣) وسمعت الكثير مع الشيخ المحدث العالم المفيد شهاب الدين أبى العباس أحمد ابن مظفر ابن النابلسى سبط الحافظ زين الدين خالد، مولده خمس وسبعين، وسمع من زينب بنت مكى، والفخر البعلى، وابن بلبان، وابن الواسطى، والتاج عبد الخالق فمن بعدهم، وأفادنى أشياء، وكتبت عنه وشيوخه فوق السبع مائة شيخ، وله حظ من زعارة ونفور من الناس، واللَّه يسامحه فعليه مأخذ لذلك لكنه متثبت متقن، مات فى دمشق فى ربيع الأول سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٣).

(١٤) وسمعت من الشيخ الأديب العلامة البليغ المحدث المفيد علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندى الدمشقى كاتب ابن وداعة، ولد على رأس الأربعين وست مائة، وتلا بالسبع على العلم أبى القاسم، وسمع من ابن أبى الحسن، وإبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم، وخلق وكتب الأجزاء، وحصل، ثم تعانى الإنشاء، وخدم، وكان قليل الدين متهاونًا بالصلاة، فى عقيدته مقال إلاَّ أنه متثبت فيما ينقله علقت عنه، توفى سنة عشرة وسبع مائة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٣- ١٥٠٤).

(١٥) وسمعت من الشيخ المحدث المفيد الفاضل نجم الدين إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب الأنصارى ابن الخباز المؤدب المفيد أحد من أفنى عمره فى الرواية والكتابة، وأخذ عمَّن دبَّ ودرج، وحَصَّل الأصول، روى لنا عن الشيخ الضياء، وعبد الحق بن خلف، وخطه ردىء سقيم، وفهمه بطئ، واللَّه يسامحه. مات سنة ثلاث وسبع مائة عن أربع وسبعين سنة. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٤).

(١٦) وسمعت من الشيخ العالم المحدث شهاب الدين أحمد بن النضر بن بناء بن الدقوقى المصرى، وكان ممن نسخ الكثير وعنى بالسماع ولم ينجب، حدثنا عن ابن رواح، مات فى سنة خمس وتسعين وست مائة وهو فى عشر الثمانين، رحمه اللَّه. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٤).

(١٧) وسمعت من الشيخ الإمام المحدث المفيد بقية المشايخ ضياء الدين عيسى بن يحيى ابن أحمد السبتى، مات فى سنة ست وتسعين- أى وست مائة- عن ثلاث وثمانين سنة، عنى

بهذا الشأن مدة مديدة، وسمع بقراءته من ابن المجتلى وابن الصفراوى، وابن المقير، وطبقتهم. وليس بالمكثر ولا الماهر، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٤).

(١٨) وسمعت من الشيخ الإمام المحدث المفيد شرف الدين حسن بن على بن عيسى اللخمى بن الصيرفى، وكان قد طلب وحمل عن ابن رواح، والساوى، وابن قميرة. مات فى أواخر سنة تسع وتسعين وست مائة. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٤).

(١٩) وسمعت من الشيخ العالم المحدث المفتى بقية السلف أبى الحسن على بن إبراهيم ابن داود بن العطار الدمشقى الشافعى، صاحب الشيخ محيى الدين النواوى، وهو الذى استجاز لى ولأبى من ابن الصيرفى، وابن أبى الخير، وعدَّة. وكان صاحب معرفة حسنة، وأجزاء وأصول، خرجت له معجمًا فى مجلد. مات فى سنة أربع وعشرين وسبع مائة عن سبعين سنة مرض بالفالج سنين، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٤- ١٥٠٥).

(٢٠) وسمعت من الفقيه البارع المحدث الأديب نجم الدين موسى بن إبراهيم الشعراوى الحنبلى الشاهد، وكان قد قرأ الكتب الكبار، ودار على الشيوخ ونسخ الفوائد، وسمع من الحافظ الضياء، وإسماعيل بن مظفر، وقرأ على ابن عبد الدائم، وابن أبى عمر، وكان صاحب نوادر ودعابة وفضائل إلاَّ أنه كان يدمج الإسناد ويُهَيْنِمُهُ، مات سنة اثنتين وسبع مائة، وله ثمانٍ وسبعون سنة. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٥).

(٢١) وسمعت من المحدث العالم العدلى المفيد كاتب الحكم شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابونى روى عن أحمد بن على الدمشقى، والنجيب، وابن علاق، وابن أبى الخير، وخلق. ونسخ الأجزاء، وساد فى الشروط. مات بمصر فى سنة عشرين وسبع مائة عن ست وسبعين سنة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٥).

(٢٢) وسمعت من قاضى القضاة الإمام القدوة الزاهد المحدث شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك، وسمعت بقراءة جماعة أجزاء، وكان إمامًا فى الفقه والنحو من قضاة العدل، توفى فى سنة ست وعشرين وسبع مائة عن خمس وستين سنة بالمدينة النبوية شرفها اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٥).

(٢٣) وسمعت من الفقيه المحدث الزاهد البركة أبى الحسن على بن محمد التركى الختنى الشافعى، وقد تفقه وسمع الكثير وكتب الأجزاء، سمع من الفخر على، وطبقته. ومات كهلاً سنة سبع عشرة وسبع مائة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٥).

(٢٤) وسمعت من الإمام المحدث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراسانى الجوينى شيخ الصوفية، قدم علينا طالب حديث، وروى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيد الطوسى، وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة مليح الشكل مهيبًا دينًا صالحًا، وعلى يده أسلم غازان الملك. مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة وله ثمان وسبعون سنة، رحمه الله تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٦).

(٢٥) وسمعت من الشيخ العالم المحدث الصادق المرتضى شمس الدين محمد بن محمد بن حسن بن نباتة المصرى، وله عناية تامة بهذا الشأن ومعرفة، كتب الأجزاء وحصل، وروى عن غازى والعز الحرانى، وابن خطيب المزة، والطبقة، ومحاسنه كثيرة، وتواضعه حسن، وديانته متينة، ولد سنة ست وستين - أى بعد الست مائة - ومات سنة خمسين وسبع مائة كما فى الدرر الكامنة، رحمه الله تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٦).

(٢٦) وسمعت من الإمام المحدث الصادق مفيد الجماعة محب الدين عبد الله بن أحمد ابن المحب المقدسى الحنبلى، ولد سنة اثنتين وثمانين وست مائة، وسمع من ابن البخارى وطبقته، ثم طلب بنفسه، وكتب الكثير، وقرأ العالى والنازل، وأفاد الخاصة والعامة، وقد ألقى له المحبة فى النفوس لخيره وإخلاصه وصلاحه وفضله، توفى فى ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبع مائة، رحمه الله تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٦).

(٢٧) وسمعت من الشيخ المحدث العالم الرئيس زين الدين عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الدمشقى نزيل حلب ومحتسبها، ولد سنة ثلاث وستين وست مائة. وسمع من ابن بلبان، وابن شيبان، وابن البخارى. وفى الرحلة من ابن حمدان، والأبرقوهى. وكان ذكيًا كتب وتعب. خَرَّجتُ له معجمًا عن أزيد من خمس مائة نفس، مات غريبًا بمراغة فى سنة ست وعشرين وسبع مائة، رحمه الله. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٦).

(٢٨) وسمعت من المحدث العالم فخر الدين عثمان بن بلبان المقاتلى، سمع الكثير ورحل وكتب وتعب، وكان مزجى البضاعة، لكنه له ذكاء وفهم وعناية بالرواية. مات بمصر سنة سبع عشرة وسبع مائة وله اثنتان وأربعون سنة. روى عن عمر بن القواس وجماعة، رحمة الله عليهم. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٧).

(٢٩) وسمعت من المحدث المفتى الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الفخر البعلبكى الحنبلى، سمع من ابن البخارى، وابن الواسطى، ثم طلب بنفسه، وجمع وخرج وقرأ الكثير، وقرأ على كراسى عدَّة. وكان ديِّنا صيِّنا عالمًا. مات سنة اثنتين وثلاثين - أى وسبع مائة - عن بضع وأربعين سنة، رحمه اللَّه تعالى. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٧).

(٣٠) وسمعت من العلامة ذى الفنون وفخر الحفاظ قاضى القضاة تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى الشافعى، صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وثمانين وست مائة، وسمع من ابن الصَّوَّاف، والدمياطى، وبدمشق من أبى جعفر ابن الموازينى، والطبقة، [وكان جمّ الفضائل حسن الديانة صادق اللَّهجة، قوى الذكاء من أوعية العلم. مات سنة ست وخمسين وسبع مائة][١]. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٧).

(٣١) وسمعت من الشيخ الإمام المحدث مفيد الطلبة أمين الدولة محمد بن إبراهيم بن محمد الوانى الدمشقى، رئيس المؤذنين وابن رئيسهم، سمع من ابن الفراء، وأبى الفضل بن عساكر، وله فى طلب الحديث رحلة فى سنة سبع مائة، مولده سنة أربع وثمانين وست مائة وتوفى سنة خمس وثلاثين وسبع مائة. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٧).

(٣٢) وسمعت من الإمام المفتى المحدث صلاح الدين أبى سعيد خليل بن كيكلدى العلائى، سمع من القاضى تقى الدين سليمان وطبقته فأكثر وحصل وخرج وصنف، مولده سنة أربع وتسعين وست مائة. [وتوفى سنة إحدى وستين وسبع مائة][٢] وهو عالم بيت المقدس اليوم. تذكرة الحفاظ [٤/ ص ١٥٠٧ - ١٥٠٨].

(٣٣) وسمعت من الإمام الفقيه المحدث الزاهد القدوة بهاء الدين أبى محمد عبد اللَّه ابن محمد بن أبى بكر بن خليل المكى الشافعى، قرأ الفقه، والقراءات والأصول، والنحو، وعنى بالحديث، ورحل إلى ودمشق، وحلب، سمع بيبرس العديمى، والدشتى، والقاضى. مولده فى سنة أربع وتسعين وست مائة. سكن مصر وله جهات، ثم تزهد وتوحد وتعبد بالثغر. تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٨).

---

(١) ما بين الحاجزين مدرج ليس من كلام الذهبى لأنه توفى سنة (٧٤٨هـ) فأما ذكر الوفاة فحتمًا. وأمَّا ما قبله فلقوله «وكان» والله أعلم.

(٢) ما بين المعكوفين ملحق بعد المؤلف.

(٣٤) وسمعت من الفقيه المفتى المحدث ذى الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى الشافعى . ولد بعد السبع مائة أو فيها . وسمع من ابن الشحنة ، وابن الزراد ، وطائفة . وله عناية بالرجال ، والمتون ، والتفقه ، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم . [توفى سنة ٧٧٧][١] . تذكرة الحفاظ تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٨) .

(٣٥) وسمعت من المحدث العالم المفيد تقى الدين محمد ابن شيخنا سعد الدين بن سعد سمع من القاضى ، وأبيه ، وأبى بكر بن عبد الدائم ، وخلق ، وكتب ، ورحل ، وخرج وتميز [توفى سنة ٧٥٧][٢] . تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٨) .

(٣٦) وسمعت من الإمام الأوحد الحافظ ذى الفنون شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى ، ولد سنة خمس أو ست وسبع مائة ، وسمع من القاضى ، وابن عبد الدائم ، والمطعم ، واعتنى بالرجال ، والعلل ، وبرع ، وجمع وتصدَّى للإفادة ، والاشتغال فى القراءات ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، وله توسع فى العلوم ، وذهن سيَّال ، توفى فى شهر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبع مائة ، رحمة اللَّه عليهم أجمعين . تذكرة الحفاظ (٤/ ص ١٥٠٨) .

وقد أفاد الحافظ الذهبى - رحمه اللَّه تعالى - من شيخه جمال الدين أبى الحجاج يوسف ابن الزكى بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعى المزّى فى سماع الحديث ، وفى النظر ، وفى العلم . كما أفاد من شيخه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللَّه بن أبى القاسم بن تيمية الحرَّانى ، وسمع الحافظ الذهبى منه جملة من مصنفاته ، وجزء ابن عرفة ، وغير ذلك .

وقد أفاد الذهبى من شيوخ كثيرين ذكرهم فى كتابه «معجم شيوخه الكبير» ، وغيره من مؤلفاته ربوا على الألف شيخ . وقد أجازه كثير منهم فى الصغر وفى الكبر . وقد كان لرفقته ابن تيمية والحافظ المزّى ، ولقياه كثير من شيوخ وعلماء الحديث عظيم الأثر فى بناء شخصيته العلمية القوية التى ارتبطت بالحديث النبوى والمحدثين ارتباطًا وثيقًا ؛ فكان له الأثر النافع فى مؤلفاته خاصة التراجم التى كانت من أكثر مؤلفاته وأعماله التى أثرت المكتبة الإسلامية ، وكان من بعده من أهل العلم وطلابه عيال عليها .

(١ و٢) ما بين المعكوفين ملحق بعد المؤلف .

■ رابعًا تلامذته:

وقد تلقى عن الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- كثير من العلماء الحفاظ المشهود لهم بالفضل فى حياة الذهبى، وانتفعوا به كما جاء فى أقوالهم:

(١) فمنهم قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الشافعى. المتوفى سنة (٧٧١هـ) كان إمامًا بارعًا مُفْتنًا فى سائر العلوم، وله تصانيف شتى. قال فى كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (١/ ١٠١): «أستاذنا أبو عبد اللَّه التركمانى الذهبى بصرٌ لا نظير له، وكنزٌ هو الملجأ إذا نزلت المُعضلة إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنىً ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال فى كل سبيل، كأنما جُمعت الأمة فى صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يُخبر عنها إخبار من حضرها.. وهو الذى خرجنا فى هذه الصناعة، وأدخلنا فى عداد الجماعة، جزاه اللَّه عنَّا أفضل الجزاء وجعل حظه من غرفات الجنان متوفر الأجزاء، وسعده بداره طالعًا فى سماء العلوم، يُذعنُ له الكبير والصغير من الكتب، والعالى والنازل من الأجزاء.

وقال العلامة ابن العماد الحنبلى فى «شذرات الذهب» (٦/ ٢٢١): قدم دمشق مع والده فى جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وسمع بها من جماعة، وقرأ على الحافظ المزى ولازم الذهبى وتخرج به».

(٢) ومنهم العلامة قاضى القضاة كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد الزمْلكانى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة (٧٢٧هـ). كان إمامًا علامة بصيرًا بمذهبه وأصوله، قوى العربية صحيح الذهن فصيحًا أديبًا ناظمًا ناثرًا، وله مصنفات كثيرة، وقد أفتى وله نيِّف وعشرون سنة.

وقد قال- رحمه اللَّه- بعد أن طالع كتاب الحافظ الذهبى «تاريخ الإسلام»: هذا كتاب عليم اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيرًا من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة[1] النقلة، بل فقيه النظر، له دُرْبة بأقوال الناس، ومذاهب الأئمة من السلف والخلف وأرباب المقالات.

(١) كودنة: بلادة.

(٣) ومنهم الشيخ الحافظ تقى الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجْرس بن محمد ابن شافع السَّلامى المصرى الشافعى المتوفى سنة (٧٧٤هـ) بدمشق عن ستِّين سنة، وكان- رحمه اللَّه- إمامًا فى الحديث رحل البلاد وقد سمع من الحافظ الذهبى، رحمه اللَّه.

(٤) ومنهم الشيخ الإمام البارع الأديب المُفْتَنّ صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد اللَّه الألْبكى الصَّفَدى، الشاعر المشهور، المتوفى سنة (٧٦٤هـ) بدمشق، وكان إمامًا بارعًا كاتبًا ناثرًا شاعرًا، وديوانُ شعره مشهور بأيدى الناس وهو من المكثرين. وله مصنفات كثيرة فى التاريخ والأدب والبديع وغير ذلك. قال فى تاريخه المُسمَّى «الوافى بالوفيات» (٢/ ١٦٣): الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد اللَّه الذهبى: حافظ لا يجارى، ولافظ لا يُبارى. . . جمع الكثير ونفع الجم الغفير. وقد سمع من الحافظ- رحمه اللَّه- وانتفع به.

(٥) ومنهم الحافظ الناقد ذو التصانيف شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر الحسينى الدمشقى الشافعى، والمولود بدمشق سنة (٧١٥هـ) والمتوفى بدمشق فى يوم الأحد سلخ شعبان سنة (٧٦٥هـ). وقد سمع من الحافظ الذهبى وانتفع به أيَّما انتفاع، وله مؤلفات وتصانيف كثيرة.

(٦) ومنهم الإمام العالم الحافظ المؤرخ علم الدين أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن الحافظ زكى الدين البرزالى، المولود سنة (٦٦٥هـ)، والمتوفى سنة (٧٣٩هـ) وهو محرم. كان فصيحًا أديبًا يضرب به المثل مع فضله وتواضعه. وقد سمع من الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- وانتفع به.

(٧) ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى الدمشقى المتوفى سنة (٧٧٤هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة أعظمها تفسيره المشهور المعروف، وكتاب البداية والنهاية. وقد نشأ بدمشق وسمع من الحافظ الذهبى، وكثير من علمائها. وصفه الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» بالفقيه المفتى المحدث ذى الفضائل. وقال: خرج وألف وناظر وصنف وفسر، وكان من شيوخ الحافظ الذهبى، رحمه اللَّه، وقد سمع منه أيضًا.

(٨) ومنهم الإمام المفتى الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدى العلائى، المولود (٦٩٤هـ)، والمتوفى سنة (٧٦١هـ) له مصنفات كثيرة من أبرزها كتاب [جامع التحصيل فى أحكام المراسيل]، وهو من أجمع وأحسن ما ألف فى موضع الحديث المرسل. وهو من

شيوخ الحافظ الذهبى- رحمه اللّه- الذين ذكرهم فى «معجم شيوخه» ومن تلامذته الذين سمعوا منه، وأخذوا عنه، وانتفعوا به. وتولى تدريس الحديث بالناصرية، والأسدية، ودار الحديث الحمصية، كما ولى التدريس فى المدرسة الصَّلاحية بالقدس، ثم أضيف إليه تدريس الحديث بالتنكزية، كما تولى مشيخة دار الحديث السيفية.

(٩) ومنهم العلامة الحافظ محمد بن عبد الكريم الموصلى الأطرابلسى الشافعى المتوفى سنة (٧٦٤هـ) قال الحافظ ابن ناصر الدين فى «الرد الوافر» (ص ٦٦): لما قدم الحافظ محمد ابن محمد بن عبد الكريم دمشق سنة (٧٣٤هـ) إلى الحج، قال فى الحافظ الذهبى- رحمه اللّه:

ما زلتُ بالسمع أهواكم وما ذُكرت   أخباركم قط إلاَّ ملْتُ من طَرَب

وليس من عجب أن ملْتُ نَحْوَكُم   فالناسُ بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وقد تخرج بالحافظ الذهبى- رحمه اللّه- حفاظٌ كثيرون، لذا قال تلميذه الحافظ الحسينى فى «ذيله على تذكرة الحفاظ» (ص ٣٦): وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق.

■ **خامسًا: ثناء أهل العلم عليه:**

كان الحافظ الذهبى- رحمه اللّه- أمَّة وحده فى الحديث، والفقه، والعقيدة، وسائر العلوم الشرعية، وأثنى عليه كلٌّ من رآه ثناءً حسنًا نسوقُ بعضًا منه:

قال الصفدى: فى «الوافى بالوفيات» (٢/ ١٦٣):

الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد اللّه الذهبى حافظ لا يُجارى، ولافظ لا يُبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام فى تواريخهم والإلباس، ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصحُّ إلى الذهبى نسبته وانتماؤه، جمع الكثير ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفَّر بالاختصار مؤنة التطويل فى التأليف، وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى- رحمه اللّه- على تاريخه الكبير المسمَّى بـ «تاريخ الإسلام» جزءًا بعد جزء إلى أن أنهى مطالعته، وقال: هذا كتاب عليم، اجتمعت به، وأخذت عنه، وقرأتُ عليه كثيرًا من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة[1] النقلة، بل هو

---

(١) كودنة: بلادة.

فقيه النظر له دُربة بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات، وأعجبني منه ما يعاينه في تصانيفه من أنه لا يتعدَّى حديثًا يورده حتى يتبين ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن في رواته، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفايدة فيما يورده.

وقال الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي في «ذيله على تذكرة الحفاظ» (ص٣٥-٣٦):

مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة، وقد سار بجملة منها الركبان في أقطار البلدان، وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين، ولي مشيخة الظاهرية قديمًا، ومشيخة النفيسية، والفاضلية، والتنكزية، وأم الملك الصالح، ولم يزل يكتب وينتقي ويصنف حتى أضرَّ في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه اللَّه تعالى، وكان قد جمع القراآت السبع على الشيخ أبي عبد اللَّه بن جبريل المصري نزيل دمشق، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وكتاب حرز الأماني لأبي القاسم الشاطبي، وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق واللَّه- تعالى- يغفر له.

وقال الحافظ ابن حجر: شربتُ ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ.

وقال الحافظ السيوطي في «ذيله على تذكرة الحفاظ» (ص ٣٤٧- ٣٤٨):

الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الإسلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعة شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثم الدمشقي المقرئ. ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل، وعني بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، وتلا بالسبع، وأذعن له الناس. والذي أقوله إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المِزّي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر.

وقال تاج الدين السبكي في «الطبقات» (٩/ ١٠٠- ١٠١ و١٠٣):

اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ، بينهم عموم وخصوص: المِزّي، والبِرْزالي، والذهبي، والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهم في عصرنا، فأمَّا أستاذنا أبو عَبد اللَّه

التركمانى الذهبى بصرٌ لا نظير له، وكنزٌ هو الملجأ إذا نزلت المُعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنىً ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال فى كل سبيل، كأنما جُمعت الأمة فى صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يُخبر عنها إخبار من حضرها. وكان محطَّ رحال تغيبت، ومنتهى رغبات من تغيبت. تعمل المَطىُّ إلى جواره، وتضرب البُزْل المهَارى أكبادها فلا تبرحُ أو تُنْبل نحو داره. وهو الذى خرجنا فى هذه الصناعة وأدخلنا فى عداد الجماعة، جزاه اللَّه عنا أفضل الجزاء، وجعل حظه من غرفات الجنات مُوَفَّر الأجزاء، وسعده بدرًا طالعًا فى سماء العلوم، يُذعنُ له الكبير والصغير من الكتب، والعالى والنازل من الأجزاء. وسمع منه الجمع الكثير، ومازال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعبَ الليلَ والنهار وما تَعبَ لسانُهُ وقَلَمُهُ، وضُربت باسمه الأمثال، وسار اسمُه مسيرَ الشمس، إلاَّ أنه لا يتقلّص إذا نزَل المطر، ولا يُدبر إذا أقبلت اللّيال.

وأقام بدمشق يُرحلُ إليه من سائر البلاد، وتُناديه السُّؤالاتُ من كلِّ ناد، وهو بين أكنافها كَنَفٌ لأهليها، وشرفٌ تفتخر وتُزْهَى به الدنيا وما فيها، طَوْرًا تراها ضاحكةً عن تَبسُّم أزهارها، وقهقهة غُدْرانها، وتارةً تَلْبسُ ثوبَ الوَقار والفخار، بما اشتملت عليه من إمامها المعدود فى سكّانها.

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقى فى «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٤٣):

الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام، وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن عثمان الذهبى. . . وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه اللَّه.

وقال ابن ناصر الدين الدمشقى فى «الرد الوافر» (ص ٦٥) وما بعدها:

الشيخ الإمام الحافظ الهُمام مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين، شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد اللَّه التركمانى الفارقى الدمشقى ابن الذهبى الشافعى. . . كان آية فى نقد الرجال، عمدة فى الجرح والتعديل، عالمًا بالتفريع والتأصيل، إمامًا فى القراءات، فقيهًا فى النظريات، له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات، قائمًا بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف وله المصنفات المفيدة، والمختصرات الحسنة، والمصنفات السديدة، وقال شيخه وتلميذه علم الدين البرزالى المتوفى سنة (٧٣٩هـ):

رجل فاضل، صحيح الذهن. اشتغل ورحل، وكتب الكثير، وله تصانيف واختصارات مفيدة، وله معرفة بشيوخ القراءات.

■ **سادسًا: من آرائه في العقيدة، والفقه، والحديث:**

لقد كان الذهبي - رحمه اللَّه تعالى - واسع العلم جدًا غزير المعرفة فى كل العلوم الشرعية من عقيدة، وفقه، وحديث، وقراءات، وأصول، وغيرها؛ يظهر ذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة المتنوعة التى تتركز على الأخذ بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وفهمها على النحو الذى فهمه السلف الصالح، وترك ما يخالفها، وتنقية السنة المشرفة من الزغل الدخيل الذى وضعه الأفاكون وانتحله المبطلون وتجديد ما اندرس من معالم الدين القويم، وتحذير المسلمين من خرافات وترهات الصوفية التى شوهت جمال الدين وبهاءه، ونبذ التقليد الأعمى المقيت الخالى عن الدليل.

ولقد أبان الحافظ الذهبى - رحمه اللَّه - منهج أهل السنة والجماعة، وأبان الصراط المستقيم الذى يُعدُّ وسطًا بين المغالين من أهل التنطع والتشدد من الخوارج وبين المفرطين والمضيعين لهَدْى وسَنَن خير المرسلين من أهل الإرجاء وغيرهم.

لقد دعا الحافظ - رحمه اللَّه - إلى إثبات صفات اللَّه تعالى كما جاءت عن اللَّه ورسـول ﷺ دون تأويل أو تكييف أو تمثيل، يظهر ذلك من ردوده على أصحاب الأقوال الشاذة من الفرق والنحل التى تنكبت طريق خير المرسلين وصحابته الغر الميامين بعدم إمرار صفات اللَّه كما جاءت، وهذا مبثوث فى أقواله التى ذكرناها وحرصنا على أن ننقلها كما هى ليقف القارئ الكريم على علمه الجم الغزير، ومنافحته عن عقيدة أهل السنة والجماعة برد شبه الزيغ والارتياب لهاتيك الفرق التى تنكبت الطريق.

لقد كان الحافظ - رحمه اللَّه تعالى - رأسًا فى معرفة الحلال والحرام، وهذا واضحٌ جليٌّ من بيانه وردوده فى كثير من المسائل التى نقلناها من كلامه المبثوث فى هذا الكتاب ليعلم القارئ الكريم أن الحافظ - رحمه اللَّه - كان راسخ القدم فى علم الفقه، وأنه وصل فيه إلى مرتبة سنيَّة ودرجة عليَّه قلَّ أن يصل إليها عالم من علماء زماننا، وهذا واضح فى فتاويه الدقيقة السديدة، والتى لو عرضت على فقهاء زماننا لضلوا عن الحق وأخطاؤه.

لقد كان الحافظ - رحمه اللَّه تعالى - رأسًا فى علم التراجم والتاريخ سبق فيه من سلف، ولم يستطع اللحاق به من خلف؛ فترجم لكثير من الملوك، والأمراء، والوزراء، والأطباء،

والمحدثين، والفقهاء، والنحاة والشعراء، وأبان- رحمه اللَّه- زيغ وضلال بعض من ترجم لهم وانحرافهم عن سبيل الهدى والرشاد الذى كان عليه سيد الأولّين ﷺ وصحابته المكرمين فترك الحق واضحًا جليًا يتضح هذا من النقولات التى نقلناها من كلامه المبثوث فى كتابه هذا وسائر كتبه؛ ليعلم القارئ الكريم أن الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه تعالى- كان أمة وحده فى علم الاعتقاد، والحديث، والفقه، والاجتهاد. ولا غرو فقد تخرج من مدرسة شيخه العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ جمال الدين أبى الحجاج المزى، والحافظ العلامة عماد الدين إسماعيل بن كثير، والحافظ العلامة صلاح الدين أبى سعيد خليل بن كيكلدى العلائى، وغيرهم من أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى الذين ملأوا الدنيا علمًا وسارت بتآليفهم الركبان فى مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد آثرت وأنا أبين آراءَهُ العقدية والفقهية والحديثية أن أنقل كلامه بنصه وردوده على أهل الزيغ والارتياب ليعلم القارئ الكريم المنزلة السامقة التى وصل إليها علم هذا الرجل العظيم، وليكون منهجًا تعليميًا للعلماء وطلاب العلم فى بيان طرق أهل الزيغ والضلال فى طرح أفكارهم الزائفة الضالة وطريقة رد هذا الحافظ العلامة لهذا الزيغ والضلال، وإقامته للحق بنيانًا لا يندرس على أنقاض أباطيل أهل الضلال مشفوعًا بالأدلة الدَّامغة والبراهين الساطعة من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ الحجج التى نسف بها حجج أهل الضلال.

لقد آثرت أن أنقل كلام أهل الزيغ والضلال بقضِّه وقضيضه ليقف القارئ الكريم على الأباطيل والأراجيف التى يبثها هؤلاء المنحرفون الذين تنكبوا طريق الهدى ليفيد العلماء وطلاب العلم فى معرفة شبههم وزيغهم وظلالهم، فيكونوا على وعى وبصيرة بالمناهج الضالة الفاسدة الآسنة التى تعكر صفو الدين وبهاءه، وليرى العلماء وطلاب العلم علم هذا الحافظ الجليل الذى ينسف به هاتيك الترهات والأباطيل التى يبثها أهل الزيغ والضلال.

إن قلوب المحبين للحق ستحيا بقراءة آراء هذا الحافظ الجليل فى العقيدة، والفقه، والحديث، وردوده على أهل الزيغ والضلال التى أرسى بها قواعد الإسلام وأوضح بها مشكلات الأحكام، فصارت نبراسًا منيرًا يستضيئ به كلّ من يديُن بدين الإسلام، فدونك أيُها القارئ الكريم أقوال هذا الحافظ النحرير وردوده على أقوال وأفكار أهل الزيغ والضلال:

قال الذهبى- رحمه اللَّه تعالى- فى موضوع الفتنة التى حدثت بين الصحابة الكرام قال فى كتابه «السير» (٣/ ٢٧):

لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان. . . . وقال طلحة لعلقمة بن وقاص الليثى: يا علقمة! لا تلمنى، كنا أمس يدًا واحدة على من سوانا، فأصبحنا اليوم جيلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان منى شىء فى أمر عثمان، ممَّا لا أرى كفارته إلاَّ سفك دمى، وطلبه دمى» أخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٢).

فكيف عقَّب الذهبى - رحمه اللَّه تعالى - على قول طلحة؟! لقد أجاب بإجابة عالم بصير يُستشفى بها من وساوس الصدور، فقال - رحمه اللَّه تعالى:

قلت: الذى كان منه فى حقِّ عثمان تمغْفُلٌ وتأليب، فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نُصرته رضى اللَّه عنهما، وكان طلحة أوَّل من بايع عليًا، أرهقه قتلهُ عثمان، وأحضروه حتى بايع».

ولما قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد اللَّه بسهم وقع فى ركبته، عقَّب الذهبى - رحمه اللَّه - (٣/ ٢٨) بقوله:

«قلت: قاتل طلحة فى الوزر، بمنزلة قاتل علىّ».

ثم قال الذهبى فى آخر ترجمة طلحة بن عبيد اللَّه (٣/ ٣١):

«أعجبُ ما مرَّ بى قول ابن الجوزى فى كلام له على حديث قال: وقد خَلَّف طلحة ثلاث مئة حمل من الذهب»!

يقول محمد أيمن الشبراوى عفا اللَّه عنه: تعجب الذهبى من قول ابن الجوزى إشارة منه إلى كذب هذا القول، ولكنه كان لطيف العبارة - رحمه اللَّه تعالى - خاصة مع علماء الحديث الذى كان عظيم الإكبار لهم.

وثمة بصمات قوية تشير إلى براعته الفائقة فى علم الحديث فقال - رحمه اللَّه - فى «السير» (٣/ ٥٤- ٥٥) حين علَّق على حديث دخول عبد الرحمن بن عوف الجنة حَبْوًا؛ قال: وهو حديث منكر، وقال: إسناده واه. ثم عرَّج على المتن بقوله (٣/ ٥٥): وبكلٍّ حال فلو تأخَّر عبد الرحمن عن رفاقه للحسابِ، ودخل الجنة حَبْوًا على سبيل الاستعارة، وضرب المثل، فإن منزلته فى الجنة ليست بدون منزلة علىٍّ والزبير، رضى اللَّه عن الكلِّ.

ثم عرج على مناقب عبد الرحمن بن عوف (٣/ ٥٥) فقال: «ومن مناقبه أن النبى ﷺ شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذين قيل فيهم: «اعملوا ما شئتم»، ومن أهل هذه الآية

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقد صلى رسول اللَّه ﷺ وراءَهُ.

وتراهُ أخي القارئ يُنافحُ عن عبد الرحمن بن عوف في إتّهامه بأنه حابى عثمان بن عفان في اختياره خليفة للمسلمين؛ فقال- رحمه اللَّه تعالى- في أوْجز عبارة وأخصر بيان في كتابه «السير» (٣/ ٦٢): من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أولولاَّها ابن عمِّه، وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص».

فاللَّه اللَّه يا ذهبي فلقد كنت ذا عقل راجح، وفكر ناضح، وفقه متين في الدين.

وتراهُ يُنافحُ عن سيد الخلق ﷺ فيجيبُ عن سؤال هام وهو: هل شارك رسول اللَّه ﷺ أهل الجاهلية في أفعالهم قبل البعثة؟! فيُجلِّي شمائل الرسول قبل البعثة وبعدها فيقول- رحمه اللَّه- في كتابه «السير» (٣/ ٨٨):

ما زال المصطفى محفوظًا محروسًا قبل الوحي وبعده، ولو احتمل جواز أكله مما ذُبح على النُّصُب، فبالضرورة ندري أنه كان يأكل من ذبائح قريش قبل الوحي، وكان ذلك على الإباحة، وإنما توصف ذبائحهم بالتحريم بعد نزول الآية، كما أن الخمرة كانت على الإباحة إلى أن نزل تحريمها بالمدينة بعد يوم أحد، والذي لا ريب فيه أنه كان معصومًا قبل الوحي وبعده وقبل التشريع من الزنى قطعًا، ومن الخيانة، ومن الغدر، والكذب، والسكر، والسجود لوثن، والاستقسام بالأزلام، ومن الرذائل، والسفه، وبذاء اللسان، وكشف العورة، فلم يكن يطوف عريانًا، ولا كان يقف يوم عرفة مع قومه بمزدلفة، بل كان يقف بعرفة. وبكلِّ حال لو بدا منه شيء من ذلك، لما كان عليه تبعة، لأنه كان لا يعرف، ولكن رتبة الكمال تأبى وقوع ذلك منه ﷺ تسليمًا.

اللَّه اللَّه يا ذهبي فما أبرع هذا الكلام، وما أحسن هذا الفهم الذي يدُلُّ على عقل راجح، وفقه متين في الدين.

وتراهُ يُبين فضل سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة، ويبين عدل عمر بن الخطاب ونزاهته فيقول في «السير» (٣/ ٩١): لم يكن سعيد متأخرًا عن رتبة أهل

الشورى فى السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر - رضى اللَّه عنه- لئلاً يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه ختنه وابن عَمِّه، ولو ذكره فى أهل الشورى لقال الرافضى: حابى ابن عَمِّه، فأخرج منها ولده وعصبته، فكذلك فليكن العمل للَّه.

وتراهُ يُبيِّنُ فضل العشرة المبشرين بالجنة، وينعى على الرافضة الذين رفضوا التسعة، واعترفوا بفضل عليٍّ حَسْب، ويُبيِّنُ ذلك فى أوضح بيان فيقول فى «السير» (٣/ ٩٣): فهذا ما تيسَّر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمَّة فى الدنيا والآخرة، فأبعد اللَّه الرافضة ما أغواهم، وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم، وبخسوا التسعه حقهم (!) وافتروا عليهم بأنهم كتموا النَّص على أنه الخليفة؟ (!) فواللَّه ما جرى من ذلك شىء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بنى تيم، يتَّجر ويتكسب، لا لرغبة فى أمواله، ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك أيفعل هذا من له مسكة عقل؟! ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوفٍ من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة فى برء الرفض، فإنه داء مزمن، والهدى نور يقذفه اللَّه فى قلب من يشاء، فلا قوة إلا باللَّه.

وتراه يُنافحُ عن مسْطح بن أثاثة بأوجز عبارة وأخصر بيان؛ فقال فى «السير» (٣/ ١٢٠): إيَّاك يا جرى أن تنظر إلى مسطح بن أثاثة هذا البدرى شَذَرًا لهفوة بدت منه، فإنَّها قد غفرت، وهو من أهل الجنة، وإيَّاك يا رافضى أن تلوح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النَّص فى براءتها، فتجب لك النار.

ويُبيِّنُ أنَّ ضمَّة القبر لسعد بن مُعاذ ليست من عذاب القبر بأوجز بيان، فقال فى «السير» (٣/ ١٧٨):

إنَّ ضمَّة القبر لسعد بن معاذ ليست من عذاب القبر فى شىء، بل هو أمر يجده المؤمن، كما يجد ألم فقد ولده وحميمه فى الدنيا، وكما يجد من ألَم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله فى قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك، فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هى من

عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم، ولكن العبد التقى يرفق اللَّه به فى بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩].

وقال: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: ١٨]، فنسأل اللَّه تعالى العفو واللطف الخفى، ومع هذه الهزات، فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء- رضى اللَّه عنه- كأنك يا هذا تظنُّ أنَّ الفائز لا يناله هولٌ فى الدَّارين، ولا رَوْع، ولا ألم، ولا خوف، سل ربَّك العافية، وأن يحشرنا فى زمرة سعد.

ويسرد الأحداث ويبيِّنُها حَسْب ترتيب وقوعها، فقال فى «السير» (٣/ ٤٣٠): كان تزويجه ﷺ بعائشة إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة فى وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة فى شوال، بعد وقعة بدر، فما تزوج بكرًا سواها، وأحبَّها حبًا شديدًا كان يتظاهر به، بحيث أن عمرو بن العاص- وهو ممن أسْلَمَ سنة ثمان من الهجرة- سأل النبىَّ ﷺ: أىُّ الناس أحبُّ إليك يا رسول اللَّه؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها(١).

ويتكلم عن غَيرة عائشة من خديجة دون سائر أزواجه بأسلوب الفقيه الحاذق، فيقول فى «السير» (٣/ ٤٤٦): من أعجب شىء أن تغار عائشة- رضى اللَّه عنها- من خديجة وهى امرأة عجوز، توفيت قبل تزوج النبى ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها اللَّه من الغيرة من عدَّة نسوة يشاركنها فى النبى ﷺ فهذا من ألطاف اللَّه بها وبالنبى ﷺ لئلا يتكدَّر عيشهما، ولعلَّه إنَّما خفَّف أمر الغيرة عليها حبّ النبى ﷺ لها، وميله إليها، فرضى اللَّه عنها وأرضاها.

وتراهُ يُبيِّنُ مسألة رؤية النبىِّ ﷺ لربّه فى اليقظة والمنام بأخصر عبارة وأوجز بيان؛ فيقول فى «السير» (٣/ ٤٤٧): لم يأتنا نصٌّ جلىٌّ بأنَّ النبىَّ ﷺ رأى اللَّه تعالى بعينيه، وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم فى دينه السكوت عنها، فأمَّا رؤية المنام: فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة. وأمَّا رؤية اللَّه عيانًا فى الآخرة: فأمرٌ متيقن تواترت به النصوصُ، جمع أحاديثها: الدَّارقطنى، والبيهقى، وغيرهما.

ويبيِّنُ لفظة يا حميراء الواردة، ويُبيِّنُ أنه حديثٌ موضوع بأنصع بيان، فيقول فى «السير»

(١) صحيح: خرجته فى الجزء الثالث من هذا الكتاب بتعليقنا رقم (٩١٥) فراجعه ثمَّت.

(٣/ ٤٤٧ - ٤٤٨): قيل: إن كلَّ حديث فيه: يا حميراء، لم يصح، وأوْهَى ذلك تشميس الماء، وقول النبيِّ ﷺ لها: لا تفعلى يا حميراء، فإنه يورث البرص، فإنه خبر موضوع. والحمراء فى خطاب أهل الحجاز: هى البيضاء بشقرة، وهذا نادر فيهم، ومنه فى الحديث: رجل أحمر كأنه من الموالى، يريد القائل: أنه فى لون الموالى الذين سُبُوا من نصارى الشام والروم والعجم.

ثم إنَّ العرب إذا قالت: فلانٌ أبيض، فإنهم يريدون الحِنْطى اللون بحلية سوداء، فإن كان فى لون أهل الهند، قالوا: أسمر، وآدم، وإن كان فى سوادَ التكرور، قالوا: أسود وكذا كل من غلب عليه السَّوَاد، قالوا: أسْوَد أوْ شديد الأدْمة، ومن ذلك قوله ﷺ: بُعثتُ إلى الأحمر والأسود». فمعنى ذلك أن بنى آدم لا ينفكون عن أحد الأمرين، وكلّ لون بهذا الاعتبار يدور بين السواد والبياض الذى هو الحُمْرة.

ويبينُ طريقه السَّلَف فى الجمع بين التجارة والعبادة فيقول فى «السير» (٤/ ١٥): الأفضل الجمع بين التجارة، أمَّا ترك التجارة، ولزوم العبادة، فهو طريق جماعة من السَّلَف والصوفية، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف فى ذلك، فبعضهم يقوى على الجمع كالصِّدِّيق، وعبد الرحمن بن عوف، وكما كان ابن المبارك، وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة، وبعضهم يقوى فى بدايته، ثم يعجز، وبالعكس، وكلٌّ سائغ، ولكن لابدّ من النَّهضة بحقوق الزَّوجة والعيال.

ويُبيِّنُ بأسلوب النَّاقد الحاذق سبب كراهية الشيعة لأبى موسى فى أوْجز عبارة فيقول فى «السير» (٤/ ٤٧): لا ريب أنَّ غلاة الشيعة يبغضون أبا موسى - رضى اللَّه عنه - لكونه ما قاتل مع علىٍّ، ثم لما حكمه علىٌّ على نفسه عزله، وعزل معاوية، وأشار بابن عمر، فما انتظم من ذلك حال.

ويبيِّنُ كتابة المصحف من زيد بن ثابت بأمر أبى بكر، ثم بأمر عثمان بعبارة وجيزة وأسلوب حاذق؛ فيقول فى «السير» (٤/ ٧٣ - ٧٤): من جلالة زيد بن ثابت أنَّ الصِّدِّيق اعتمد عليه فى كتابة القرآن العظيم فى صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف، والرقاع، واحتفظوا بتلك الصُّحف مدَّة، فكانت عند الصِّدِّيق، ثم تسلمها الفاروق، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حفصة إلى أن ندب عثمان زيد بن ثابت، ونفرًا من قريش إلى كتابة هذا

المصحف العثمانى الذى به الآن فى الأرض أزيد من ألفى ألف نسخة، ولم يبق بأيدى الأمة قرآن سواه، ولله الحمد.

ويقول فى «السير» (٤/ ١٦٨):

يجوز كتمان بعض الأحاديث التى تحرك فتنةً فى الأصول أو الفروع، أو المدح والذم، أمَّا حديث يتعلّق بحلٍّ أو حرام؛ فلا يحلُّ كتمانُه بوجه، فإنه من البينات والهدى.

وقال فى «السير» (٤/ ١٧٠ - ١٧١):

كان عمر يقول: أقلّوا الحديث عن رسول اللَّه ﷺ وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهب لعمر وغيره.

فباللَّه عليك إذا كان الإكثار من الحديث فى دولة عمر كانوا يمنعون منه مع صدقهم، وعدالتهم، وعدم الأسانيد، بل هو غض لم يَشُبْ، فما ظَنُّك بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير فى زماننا، مع طول الأسانيد، وكثرة الوَهم والغلط، فبالحرى أن نزجر القوم عنه، فياليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف، بل يروون- واللَّه- الموضوعات، والأباطيل، والمستحيل فى الأصول والفروع والملاحم والزهد؛ نسأل اللَّه العافية.

فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه، وغَرَّ المؤمنين، فهذا ظالم لنفسه، جان على السنن والآثار، يستتاب من ذلك، فإن أناب وأقصر، وإلاَّ فهو فاسق، كفى به إثمًا أن يحدِّثَ بكلٍّ ما سمع، وإن هو لم يعلم فليتورع، وليستعن بمن يُعينُه على تنقية مروياته- نسأل اللَّه العافية- فلقد عمَّ البلاءُ، وشملت الغفلة، ودخل الداخل على المحدثين الذين يركن إليهم المسلمون، فلا عتبى على الفقهاء وأهل الكلام.

ثم تراه يُنافحُ عن الحافظ أبى هريرة- رضى اللَّه عنه- بأوضح حجة وأنصع بيان فيقول فى «السير» (٤/ ١٧٤):

قيل لابن عمر: هل تنكر ممَّا يحدّث به أبو هريرة شيئًا؟ فقال: لا، ولكنه اجترأ وجَبُنَّا فقال أبو هريرة: فما ذنبى إن كنت حفظت، ونسوا.

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: كان أبو هريرة يدلس!.

قلت - أى الحافظ الذهبى-: تدليس الصحابة كثير، ولا عيب فيه، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم، والصحابة كلهم عدول.

الثورى، عن منصور، عن إبراهيم قال: ما كانوا يأخذون من حديث أبى هريرة إلاَّ ما كان حديث جنة أو نار.

قلت - أى الذهبى -: هذا لا شىء، بل احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدَّبُ معه، ويقول: أفت يا أبا هريرة.
وانظر إلى هذا العلامة البارع كيف يحسبُ عمر أحد الصحابة الأعلام، فقال (٤/ ٢٣٠):

كان عمرو بن العاص أكبر من عمر بنحو خمس سنين، كان يقول: أذكر الليلة التى وُلد فيها عمر، وقد عاش بعد عمر عشرين عامًا، فينتج هذا أن مجموع عمره بضع وثمانون سنة، ما بلغ التسعين رضى اللَّه عنه.

وتراه يفسِّرُ سبب النهى عن كتابة غير القرآن ثم الإذن فى الكتابة بأوجز عبارة، وأخصر بيان بأسلوب العالم الحاذق؛ قال- طيب اللَّه ثرى قبره وأظله بسحائب مغفرته- فى كتابه العظيم «السير» (٤/ ٢٣٢- ٢٣٣):

كتب عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بإذن النبى ﷺ وترخيصه له فى الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن وسوَّغ ذلك ﷺ، ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة- رضى اللَّه عنه- على الجواز والإستحباب لتقييد العلم بالكتابة.

والظاهر أن النهى كان أوَّلاً لتتوفر هممهم على القرآن وحده، وليمتاز القرآن بالكتابة عمَّا سواه من السنن النبوية، فيؤمن اللبس، فلما زال المحذور واللبس، ووضح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس، أذن فى كتابة العلم واللَّه أعلم.

وقال فى: «السير» (٤/ ٢٣٥- ٢٣٦):

صحَّ أن رسول اللَّه ﷺ نازل عبد اللَّه بن عمرو ابن العاص فى قراءة القرآن إلى ثلاث ليال، ونهاهُ أن يقرأهُ فى أقل من ثلاث، وهذا كان فى الذى نزل من القرآن، ثم بعد هذا القول نزل ما بقى من القرآن. فأقل مراتب النهى أن تكره تلاوة القرآن كله فى أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلا فى أقلّ من ذلك. ولو تلا فى أسبوع، ولازم ذلك. لكان عملاً فاضلاً، فالدين اليسر، فواللَّه إن ترتيل سبع القرآن فى تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودُبُر المكتوبة والسحر، مع النظر فى العلم النافع والاشتغال به مخلصًا للَّه، مع الأمر

بالمعروف، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض فى جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب، واجتناب الكبائر وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدقة، وصلة الرحم، والتواضع، والإخلاص فى جميع ذلك، لشغل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء اللَّه المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب. فمتى تشاغل العابد بختمة فى كل يوم، فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه، ولا تدبر ما يتلوه.

هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتنى قبلت رخصة رسول اللَّه ﷺ. وكذلك قال له- عليه الصلاة والسلام- فى الصوم، وما زال يناقصه حتى قال له: «صم يومًا، وأفطر يومًا، صوم أخى داود- عليه السلام-»، وثبت أنه قال: «أفضل الصيام صيام داود». ونهى- عليه الصلاة والسلام- عن صيام الدهر. وأمر عليه الصلاة والسلام بنوم قسط من الليل، وقال: «لكنى أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

وكلٌّ من لم يلزم نفسه فى تعبده وأوراده بالسنة النبوية، يندم ويترهب ويسوء مزاجه ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، والحريص على نفعهم، وما زال ﷺ معلمًا للأمة أفضل الأعمال، وَآمِرًا بهجر التبتل والرهبانية التى لم يبعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلاَّ فى العشر الأخير، ونهى عن العزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم، إلى غير ذلك من الأوامر والنواهى. فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحبّ الأعمال إلى اللَّه- تعالى- أدومها وإن قل. ألهمنا اللَّه وإياكم حسن المتابعة وجنبنا الهوى والمخالفة.

وأورد فى «السير» (٥/ ٣٩١):

أيوب، عن عكرمة قال: إنما أنزل اللَّه متشابه القرآن لِيُضَلَّ به.

فتعقبه الحافظ الذهبى بقوله: قلت: هذه عبارة رديئة، بل إنما أنزله اللَّه- تعالى- ليهدى به المؤمنين، وما يضل به إلاَّ الفاسقين، كما أخبرنا- عز وجل- فى سورة البقرة.

وقال فى «السير» (٦/ ٥٨٧):

من أصول أهل القدر، فإن عندهم لا نجاة إلاَّ بعمل، فأما أهل السنة، فيحضُّون على الاجتهاد فى العمل، وليس به النجاة وحده دون رحمة اللَّه.

وقال فى «السير» (٥/ ٣٩٢):

قال مصعب بن عبد اللَّه الزبيرى: كان عكرمة يرى رأى الخوارج، فطلبه متولى المدينة، فتغيَّب عند داود بن الحصين حتى مات عنده.

فعقب الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- بقوله: قلت: ولهذا ينفرد عنه داود بأشياء تستغرب، وكثير من الحفاظ عدوا تلك الإفرادات مناكير، ولاسيما إذا انفرد بها مثل ابن إسحاق ونحوه.

وقال فى «السير» (٥/ ٤٨٦):

عمرو بن شعيب ثقة فى نفسه، وروايته عن أبيه، عن جده إمَّا منقطعة أو مرسلة، ولا ريب أن بعضها من قبيل المسند المتصل، وبعضها يجوز أن تكون روايته وجادة أو سماعًا، فهذا محل نظر واحتمال، ولسنا ممن نعد نسخة عمرو، عن أبيه، عن جده من أقسام الصحيح الذى لا نزاع فيه من أجل الوجادة، ومن أجل أن فيها مناكير، فينبغى أن يتأمل حديثه، ويتحايد ما جاء منه منكرًا، ويروى ما عدا ذلك فى السنن والأحكام محسنين لإسناده، فقد احتج به أئمة كبار، ووثقوه فى الجملة، وتوقف آخرون قليلاً، وما علمت أن أحدًا تركه.

وقال فى «السير» (٤/ ٢٠٧):

كان بين الطائفتين من أهل صفِّين ما هو أبلغ من السَّب، فإن صحَّ شىءٌ، فسبيلنا الكف والاستغفار للصحابة، ولا نحبُّ ما شجر بينهم، ونعوذ باللَّه منه، ونتولى أمير المؤمنين عليّا.

وقال (٦/ ١٠٦):

كان الناس فى الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل سنة: وهم أولوا العلم، وهم محبون للصحابة، كافّون عن الخوض فيما شجر بينهم؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأمم. ثم شيعة: يتوالون، وينالون ممن حاربوا عليّا، ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة. ثم نواصب: وهم الذين حاربوا عليّا يوم صفين، ويقرون بإسلام علىٍّ وسابقيه، ويقولون: خذل الخليفة عثمان. فما علمت فى ذلك الزمان شيعيّا كفّر معاوية وحزبه، ولا ناصبيّا كفّر عليّا وحزبه بل دخلوا فى سبٍّ وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون

الصحابة، ويبرؤون منهم جهلاً وعدوانًا، ويتعدّون إلى الصدِّيق قاتلهم اللَّه. وأمَّا نواصب وقتنا فقليل، وما علمت فيهم من يكفر عليّا ولا صحابيّا.

وقال في «السير» (٧/ ٥٧ - ٥٨):

من سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان، فإن فيه شيئًا من تشيع، فمن نطق فيه بغَضٍّ وتنقُّص، وهو شيعي جلد يؤدب، وإن ترقى إلى الشيخين بذم، فهو رافضي خبيث، وكذا من تعرض للإمام عليٍّ بذم، فهو ناصبي يُعزَّر، فإن كفره فهو خارجي مارق، بل سبيلنا أن نستغفر للكل، ونحبهم، ونكفّ عما شجر بينهم.

ثم قال في «السير» (٧/ ٢٥٢):

التشيع الذي لا محذور فيه- إن شاء اللَّه- إلاَّ من قبيل الكلام فيمن حارب عليّا- رضي اللَّه عنه- من الصحابة، فإنه قبيح يؤدب فاعله، ولا نذكر أحدًا من الصحابة إلاَّ بخير، ونترضى عنهم، ونقول هم طائفة من المؤمنين بغت على الإمام عليٍّ، وذلك بنصِّ قول المصطفى- صلوات اللَّه عليه- لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[(١)]. فنسأل اللَّه أن يرضى عن الجميع، وألاَّ يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين. ولا نرتاب أن عليّا أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق رضي اللَّه عنه.

وقال في «السير» (٦/ ٢١٠):

هشام بن عروة حجة مطلقًا، ولا عبرة بما قاله الحافظ أبو الحسن بن القطان من أنه هو وسهيل بن أبي صالح اختلطا وتغيرا، فإن الحافظ قد يتغير حفظه إذا كبر، وتنقص حدة ذهنه، فليس هو في شيخوخته كهو في شبيبته، وما ثمَّ أحد بمعصوم من السهو والنسيان، وما هذا التغير بضار أصلاً، وإنما الذي يضر الاختلاط، وهشام فلم يختلط قط، هذا أمر مقطوع به، وحديثه محتج به في «الموطأ»، و«السنن». فقول ابن القطان: إنه اختلط، قول مردود مرذول فأرني إمامًا من الكبار سلم من الخطأ والوهم.

فهذا شعبة، وهو في الذروة، له أوهام، وكذلك معمر، والأوزاعي، ومالك، رحمة اللَّه عليهم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩١٥) (٧٠)، وأحمد (٥/ ٣٠٦ و٣٠٦- ٣٠٧) وراجع تخريجنا له في المصدر المشار إليه.

وقال الحافظ فى «السير» (٣/ ٢٢٦):

لم يصح الخبر الذى أعلم فيه رسول اللَّه ﷺ العباس أن الخلافة تؤول إلى ولده. ولكن آل العباس كان الناس يحبونهم، ويحبون آل علىّ، ويودّون أن الأمر يؤول إليهم، حبًا لآل رسول اللَّه ﷺ، وبغضًا فى آل مروان بن الحكم، فبقوا يعملون على ذلك زمانًا حتى تهيأت لهم الأسباب، وأقبلت دولتهم، وظهرت من خراسان.

ثم قال الحافظ - رحمه اللَّه -: فرحنا بمصير الأمر إليهم، ولكن - واللَّه - ساءنا ما جرى؛ لما جرى من سيول الدماء، والسبى، والنهب - فإنا للَّه وإنا إليه راجعون - فالدولة العادلة مع الأمن وحقن الدماء، ولا دولة عادلة تنتهك دونها المحارم، وأنى لها العدل؟ بل أتت دولة أعجمية خراسانية جبَّارة، ما أشبه الليلة بالبارحة.

وقال فى «السير» (٦/ ٢٦٧):

لا ريب أن ابن إسحاق فى «مغازيه» قد كثر وطوَّل بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة، حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شىء كثير من الصحيح، لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح ورواية ما فاته. وأمَّا «مغازى موسى بن عقبة»، فهى فى مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلى زيادة بيان، وتتمة.

وقد أحسن فى عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقى فى تأليفه المسمَّى بكتاب «دلائل النبوة».

وقد لخصتُ أنا الترجمة النبوية. والمغازى المدنية فى أوَّل «تاريخى الكبير»، وهو كامل فى معناه إن شاء اللَّه.

فما أعظم الذهبى هذا الناقد الحاذق.

وقال فى «السير» (٦/ ٤١١):

قال الوليد بن مسلم: سألتُ الأوزاعى، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جريج: لمن طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسى غير ابن جريج، فإنه قال: طلبته للناس.

فعقب الذهبى الناقد البصير بقوله: قلت: ما أحسن الصِّدْق، واليوم تسأل الفقيه الغَبىَّ: لمن طلبت العلم؟ فيبادر، ويقول: طلبته للَّه، ويكذب، إنما طلبه للدنيا، وياقلة ما عرف منه.

وقال أيضًا فى «السير» (٦/ ٥٧٠):

قال عون بن عمارة: سمعت هشامًا الدستوائى يقول: والله ما أستطيع أن أقول إنى ذهبت يومًا قط أطلب الحديث، أريد به وجه الله عز وجل.

فعقب الذهبى الناقد (٦/ ٥٧٠- ٥٧١) بقوله:

قلت: والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، وصاروا أئمةً يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص فى أثناء الطريق، كما قال مجاهد، وغيره: طلبنا هذا العلم، ومالنا فيه كبير نيَّة، ثم رزق الله النيَّة بعد. وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلاَّ لله، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بنيَّة صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليُثْنى عليهم، فلهم ما نووا. قال عليه الصلاة والسلام: «من غزا ينوى عقالاً، فله ما نوى». وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم، ولا لهم وقع فى النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العلم، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا القيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًا لهم، فما هؤلاء بعلماء!.

وبعضهم لم يتق الله فى علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئًا كبيراً، وتضلعوا منه فى الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصُهم فى العلم والعمل. وتلاهم قوم انتموا إلى العلم فى الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نَزْر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدُر فى أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخًا يقتدى به فى العلم، فصاروا همجًا رعاعًا، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبًا مثمنةً، يخزنها، وينظر فيها يومًا ما، فيُصَحِّفُ ما يُورده، ولا يقرره. فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالمٌ، ولا رأيتُ عالمًا.

وقال الحافظ فى «السير» (٧/ ٧٣):

علامة المخلص الذى قد يحبُّ شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب فى ذلك، لا يحرَدُ ولا يُبرِّئ نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم اللَّه من أهدى إلىَّ عيوبى، ولا يكن معجبًا بنفسه؛ لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه يشعر، فإن هذا داءٌ مُزْمن.

وقال فى «السير» (٦/ ٤٨٠):

قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر قال: كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير اللَّه، فيأبى عليه العلم حتى يكون للَّه.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: نعم يطلبه أولاً، والحامل له حبّ العلم، وحب إزالة الجهل عنه، وحبّ الوظائف، ونحو ذلك، ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه، ولا صدق النية، فإذا علم، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها، أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم. وعلامة ذلك: أنه يُقصر من الدَّعاوى وحبّ المناظرة، ومن قصد التكثر بعلمه، ويزرى على نفسه، فإن تكثر بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان، فبعدًا له.

وقال فى «السير» (٦/ ٤٣٧- ٤٣٨):

روى مِسْعَر، عن ابن عون قال: ذكرُ الناس داءٌ، وذكرُ اللَّه داوءٌ.

وتعقبه الذهبى بقوله: إى واللَّه، فالعجبُ منّا، ومن جهلنا، كيف ندع الدَّواء، ونقتحم الدَّاء؟ قال اللَّه تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)**﴾ [الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهيأ ذلك إلاَّ بتوفيق اللَّه، ومن أدْمن الدعاء، ولازم قرع الباب، فتح له.

وقال الحافظ الذهبى عن أبى الفرج بن الجوزى: ما علمتُ أن أحدًا صنَّف ما صنَّف هذا الرجل. وقال يومًا فى مناجته: إلهى لا تعذِّب لسانًا يُخبرُ عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدلُّ عليك، ولا قدمًا تمشى إلى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك فبعزتك لا تدخلنى النار، فقد علم أهلها، أنِّى كنتُ أذُبُّ عن دينك. نقله عن الذهبى ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب (٤/ ٣٣١).

وقال الذهبي في «السير» (٦/ ٤١٢):

كان ابن جريج يروى الرواية بالإجازة، وبالمناولة، ويتوسع في ذلك، ومن ثم دخل عليه الداخل في رواياته عن الزهري، لأنه حمل عنه مناولة، وهذه الأشياء يدخلها التصحيف، ولاسيما في ذلك العصر، لم يكن حدث في الخط بعد شكل ولا نقط.

ثم قال: قال أبو غسان زُنَيْج: سمعت جريراً الضَّبي يقول: كان ابنُ جُريج يرى المتعة، تزوَّج بستين امرأة (!) وقيل: إنه عهد إلى أولاده في أسمائهن، لئلا يغلط أحدٌ منهم يتزوج واحدة مما نكح أبوه بالمتعة (!).

ثم قال: في «السير» (٦/ ٤١٣):

قال محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم: سمعتُ الشافعي يقول: استمتع ابنُ جُريج بتسعين امرأة، حتى إنه كان يحتقن في الليل بأوقية شيرج، طلبًا للجماع.

وقال- رحمه اللَّه- (٦/ ٤٩٦):

لسنا ندَّعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدرٌ، لا عبرة به، ولاسيما إذا وثَّق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف. ومحمد بن إسحاق ومالك بن أنس كلٌ منهما قد نال من صاحبه، لكن أثرَّ كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، وأمَّا في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلاَّ فيما شذَّ فيه، فإنه يُعدُّ منكرًا هذا الذي عندي في حاله، واللَّه أعلم.

وقال في «السير» (٦/ ٥١٨):

قال محمد بن عبد اللَّه بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال حجاج ابن أرطاة: لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: لعن اللَّه هذه المروءة، ما هي إلاَّ الحمق والكبر كيلا يزاحمه السُّوقة (!) وكذلك تجد رؤساء وعلماء يصلون في جماعة في غير صف، أو تُبسطُ له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مسلم، فإنا للَّه.

وقال في «السير» (٦/ ٥٣٠):

كره طائفة من العلماء قراءة حمزة، لما فيها من السكت، وفرط المد، واتباع الرسم والإضجاع- أي الإمالة- وأشياء، ثم استقر اليوم الاتفاق على قبولها، وبعضٌ كان حمزة لا يراه.

وقال (٦/ ٥٦٢):

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أقدم لقيا للكبار من مالك، ولكن مالكًا أوسع دائرةً في العلم، والفتيا، والحديث والاتقان منه بكثير.

ثم قال (٦/ ٥٦٣): قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث: «البيعان بالخيار» فقال: يستتاب، فإن تاب، وإلاَّ ضربت عنقه. ثم قال أحمد: هو أورع وأقول بالحق من مالك.

فتعقبه الذهبي (٦/ ٥٦٤) بقوله:

قلت: لو كان ورعًا كما ينبغي، لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث، لأنه رآه منسوخًا. وقيل: عمل به، وحمل قوله: «حتى يتفرقا» على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث، وفي كل حديث له أجر ولابد، فإن أصاب، ازداد أجرًا آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحرورية- أي الخوارج- وبكل حال: فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه، فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة في زمانهما- رضي اللَّه عنهما- ولم يسندها الإمام أحمد، فلعلها لم تصح.

وقال في «السير» (٨/ ٢٧٦- ٢٧٨):

كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوىً وعصبية، لا. يلتفت إليه، بل يطوى، ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة، وقتالهم رضي اللَّه عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين، والكتب، والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع، وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيُّه وإخفاؤه، بل إعدامه، لتصفو القلوب وتتوفَّر على حبِّ الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك مُتعيِّن عن العامة، وآحاد

العلماء، وقد يرخص فى مطالعة ذلك خلوةً للعالم المنصف، العَرِىّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا اللَّه- تعالى- حيث يقول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر: ١٠]، فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم، وجهاد مَحَّاء، وعبادة مُمَحِّصة، ولسنا ممن يغلو فى أحد منهم، ولا ندَّعى فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضل من بعض، ونقطع بأنَّ أبا بكر وعمر أفضل الأمة، ثم تتمة العشرة المشهود لهم بالجنة، وحمزة، وجعفر، ومعاذ، وزيد، وأمهات المؤمنين، وبنات نبينا ﷺ، وأهل بدر، مع كونهم على مراتب، ثم الأفضل بعدهم مثل أبى الدرداء، وسلمان الفارسى، وابن عمر، وسائر أهل بيعة الرضوان، الذين رضى اللَّه عنهم بنص آية سورة الفتح. ثم عموم المهاجرين والأنصار، كخالد بن الوليد، والعباس، وعبد اللَّه بن عمرو، وهذه الحلبة، ثم سائر من صحب رسول اللَّه ﷺ وجاهد معه، أو حَجَّ معه، أو سمع منه- رضى اللَّه عنهم أجمعين- وعن جميع صواحب رسول اللَّه ﷺ المهاجرات، والمدنيات، وأم الفضل، وأم هانئ الهاشمية، وسائر الصحابيات.

فأما ما تنقله الرافضة، وأهل البدع فى كتبهم من ذلك، فلا نعرج عليه، ولا كرامة، فأكثره باطل، وكذب، وافتراء فدأب الروافض رواية الأباطيل، أَوْرَدّ ما فى الصِّحاح والمسانيد، ومتى إفاقة من به سُكر؟! ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم فى بعض، وتحاربوا، وجرت أمور لا يمكن شرحها فلا فائدة فى بثها، ووقع فى كتب التواريخ، وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة، والعاقل خصم نفسه، ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، ولحوم العلماء مسمومة، وما نقل من ذلك لتبيين غلط العالم، وكثرة وهمه، أو نقص حفظه، فليس من هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف.

وإمامنا الشافعى فبحمد اللَّه ثبت فى الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف بالاتقان، متين الديانة، فمن نال منه بجهل وهوىً، ممن علم أنه منافس له، فقد ظلم نفسه، ومقَتَتْهُ العلماء، ولاح لكلِّ حافظ تخامله، وجرَّ الناس برجله، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته واتقانه، وهم أهل الحل والعقد، قديمًا وحديثًا، فقد أصابوا، وأجملوا، وهُدُوا وَوُفِّقوا.

وأما أئمتنا اليوم، وحُكَّامنا، فإذا أعدموا ما وُجد من قدح بهوىً، فقد يقال: أحسنوا وَوُفِّقُوا، وطاعتهم فى ذلك مفترضة، لما قد رأوه من حَسم مادة الباطل والشر.

وبكلٍّ حال فالجُهَّال والضُّلاَّل، قد تكلموا فى خيار الصحابة، وفى الحديث الثابت: «**لا أحد أصبر على أذىً يسمعه من اللَّه، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليرزقهم ويُعافيهم**»(١).

وقد كنتُ وقفتُ على بعض كلام المغاربة فى الإمام الشافعى- رحمه اللَّه- فكانت فائدتى من ذلك تضعيف حال من تعرَّض إلى الإمام، وللَّه الحمد.

ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر، وخالف أقرانه من المالكية، وَوَهَّى بعض فروعهم بدلائل السنة، وخالف شيخه فى مسائل، تألموا منه، ونالوا منه، وجرت بينهم وحشة، غفر اللَّه للكل. وقد اعترف الإمام سُحْنُون، وقال: لم يكن فى الشافعى بدعة. فصدق واللَّه، فرحم اللَّهُ الشَّافعى، وأين مثل الشافعى واللَّه فى صدقه، وشرفه، ونُبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه رحمه اللَّه تعالى.

وقال فى «السير» (٨/ ٢٧٨- ٢٧٩):

قال الحافظ أبو بكر الخطيب فى مسألة الاحتجاج بالإمام الشافعى، فيما قرأت على أبى الفضل بن عساكر، عن عبد العزيز بن محمد، أخبرنا يوسف بن أيوب الزاهد، أخبرنا الخطيب قال: سألنى بعض إخواننا بيان علة ترك البخارى الرواية عن الشافعى فى «الجامع»؟ وذكر أن بعض من يذهب إلى رأى أبى حنيفة ضعف أحاديث الشافعى، واعترض باعتراض البخارى عن روايته، ولولا ما أخذ اللَّه على العلماء فيما يعلمونه ليُبيِّنُنه للناس، لكان أولى الأشياء الإعراض عن اعتراض الجهال، وتركهم يعمهون. وذكر لى من يشار إليه خلو كتاب مسلم وغيره من حديث الشافعى فأجبته بما فتح اللَّه علىَّ: ومثلُ الشافعى من حُسدَ، وإلى ستر معالمه قُصد، ويأبى اللَّه إلا أن يتم نورهُ، ويظهر من كل حق مستورة، وكيف لا يُغبط من حاز الكمال، بما جمع اللَّه له من الخلال اللواتى لا يُنكرها إلاَّ ظاهر الجهل، أو ذاهب العقل. ثم أخذ الخطيب يعدد علوم الإمام ومناقبه، وتعظيم الأئمة له وقال:

أبى اللَّهُ إلاَّ رفعَهُ وعُلُوَّه   وليس بما يُعْليه ذُو العرش واضعُ

إلى أن قال: والبخارى هذَّب ما فى «جامعه» غير أنه عدل عن كثير من الأصول، إيثاراً للإيجاز.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤)، وقد خرجته بإسهاب فى الموضع المشار إليه فراجعه ثمَّت.

قال إبراهيم بن معقل: سمعتُ البخاري يقول: ما أدخلتُ في كتابي «الجامع» إلاَّ ما صحَّ، وتركتُ من الصحاح لحال الطول.

فترك البخاري الاحتجاج بالشافعي، إنما هو لا لمعنى يوجب ضعفه، لكن غني عنه بما هو أعلى منه، إذْ أقْدمُ شيوخ الشافعي: مالك، والدَّراوَرديّ، وداود العطار، وابن عيينة، والبخاري لم يدرك الشافعيّ، بل لقي من هو أسنّ منه كعُبيد اللَّه بن موسى، وأبي عاصم، ممن رووا عن التابعين، وحدَّثه عن شيوخ الشافعي عدَّة فلم يرأن يروي عن رجل، عن الشافعي، عن مالك.

فإن قيل: فقد روى عن المُسْندي، عن معاوية بن عمرو، عن الفزاري، عن مالك، فلاشك أن البخاري سمع هذا الخبر من أصحاب مالك، وهو في «الموطأ» فهذا ينقض عليك؟!

قلنا: إنه لم يرو حديثًا نازلاً وهو عنده عال، إلاَّ لمعنى ما يجده في العالي، فأمَّا أن يورد النازل وهو عنده عال لا لمعنى يختص به، ولا على وجه المتابعة لبعض ما اختلف فيه، فهذا غير موجود في الكتاب، وحديث الفزاري فيه بيان الخبر، وهو معدوم في غيره، وجوَّده الفزاري بتصريح السماع.

ثم سردَ الخطيب ذلك من طرق عدَّة، قال: والبخاري يتبع الألفاظ بالخبر في بعض الأحاديث، ويراعيها، وإنا اعتبرنا روايات الشافعي التي ضمَّنها كُتُبه، فلم نجد فيها حديثًا واحدًا على شرط البخاري أغرب به، ولا تفرد بمعنى فيه يشبه ما بيناه. ومثل ذلك القول في ترك مسلم إياه لإدراكه ما أدرك البخاري من ذلك وأمَّا أبو داود، فأخرج في «سننه» للشافعي غير حديث، وأخرج له الترمذي، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم.

ثم سرد الخطيب فضلاً في ثناء مشايخه وأقرانه عليه، ثم سرد أشياء في غمز بعض الأئمة، فأساء ما شاء- أعني غامِزهُ.

وقال في «السير» (١١/ ٣٠٠- ٣٠١):

قال الشيخ محيي الدين النواوي: لابن المنذر من التحقيق في كتبه ما لا يُقاربه فيه أحد، وهو في نهاية من التمكن من معرفة الحديث، وله اختيار فلا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، بل يدور مع ظهور الدليل.

وعقب الحافظ الذهبى بقوله : قلت : ما يتقيد بمذهب واحد إلاَّ من هو قاصر فى التمكن من العلم، كأكثر علماء زماننا، أو من هو متعصب، وهذا الإمام من حملة الحجة، جار فى مضمار ابن جرير، وابن سريج وتلك الحلبة رحمهم اللَّه.

وقال فى «السير» (٧/ ١٧٦- ١٧٨):

من التزم بتقليد إمام، فإن له مخالفة إمامه إلى إمام آخر، حجته فى تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، ولا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه، عمل به من أيِّ مذهب كان، ومن تتبَّع رخص المذاهب، وزلات المجتهدين، فقد رقَّ دينه، كما قال الأوزاعى أو غيره: من أخذ بقول المكيين فى المتعة، والكوفيين فى النبيذ، والمدنيين فى الغناء، والشاميين فى عصمة الخلفاء، ونكاح التحليل بمن توسَّعَ فيه، وشِبْه ذلك، فقد تعرض للانحلال، فنسأل اللَّه العافية والتوفيق.

ولكن شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفًا فى الفقه، فإذا حفظه، بحثه وطالع الشروح، فإن كان ذكيًّا، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة، فليراقب اللَّه، وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه والمعصوم من عصمه اللَّه.

فالمقلدون صحابة رسول اللَّه ﷺ بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين كعلقمة، ومسروق، وعبيدة السلمانى، وسعيد بن المسيب، وأبى الشعثاء، وسعيد بن جبير، وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه، وعروة، والقاسم، والشعبى، والحسن، وابن سيرين، وإبراهيم النخعى. ثم كالزهرى، وأبى الزناد، وأيوب السختيانى، وربيعة، وطبقتهم.

ثم كأبى حنيفة، ومالك، والأوزاعى، وابن جريج، ومعمر، وابن أبى عروبة، وسفيان الثورى، والحمادين، وشعبة، والليثى، وابن الماجشون، وابن أبى ذئب. ثم كابن المبارك، ومسلم الزنجى، والقاضى أبى يوسف، والهِقْل بن زياد، ووكيع، والوليد بن مسلم، وطبقتهم.

ثم كالشافعى، وأبى عُبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبى ثور، والبويطى، وأبى بكر بن أبى شيبة. ثم كالمزنى، وأبى بكر بن الأثرم، والبخارى، وداود بن على، ومحمد بن نصر المروزى، وإبراهيم الحربى، وإسماعيل القاضى.

ثم كمحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي عباس بن سريج، وأبي بكر بن المنذر، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الخلال.

ثم من بعد هذا النمط تناقص الاجتهاد، ووضعت المختصرات، وأخذ الفقهاء إلى التقليد من غير نظر في الأعلم، بل بحسب الاتفاق، والتشهي، والتعظيم، والعادة، والبلد. فلو أراد الطالب اليوم أن يتمذهب في المغرب لأبي حنيفة، لعسر عليه، كما لو أراد أن يتمذهب لابن حنبل ببخاري وسمرقند، لصعب عليه، فلا يجيء منه حنبلي، ولا من المغربي حنفي، ولا من الهندي مالكي وبكل حال: فإلى فقه مالك المنتهي، فعامَّة آرائه مسددة، ولو لم يكن له إلاَّ حسم مادة الحيل، ومراعاة المقاصد لكفاه.

ومذهبه قد ملأ المغرب والأندلس، وكثيرًا من بلاد مصر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبصرة وبغداد، والكوفة، وبعض خراسان.

وكذلك اشتهر مذهب الأوزاعي مدَّة وتلاشى أصحابه، وتفانوا. وكذلك مذهب سفيان وغيره ممن سمَّينا ولم يبق اليوم إلاَّ هذه المذاهب الأربعة. وقلَّ من ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلاً عن أن يكون مجتهداً وانقطع أتباع ثور بعد الثلاث مائة، وأصحاب داود إلاَّ القليل، وبقي مذهب جرير إلى ما بعد الأربع مائة.

وللزيدية مذهب في الفروع بالحجاز وباليمن، لكنه معدود في أقوال أهل البدع، كالإمامية، ولا بأس بمذهب داود، وفيه أقوال حسنة، ومتابعة للنصوص، مع أن جماعة من العلماء لا يعتدون بخلافه، وله شذوذ في مسائل شانت مذهبه.

وأمَّا القاضي عياض، فذكر ما يدل على جواز تقليدهم إجماعًا، فإنه سمَّى المذاهب الأربعة، والسفيانية والأوزاعية، والداودية. ثم إنه قال: فهؤلاء الذين وقع إجماع الناس على تقليدهم، مع الاختلاف في أعيانهم، واتفاق العلماء على اتباعهم، والاقتداء بمذاهبهم، ودرس كتبهم، والتفقه على مآخذهم، والتفريع على أصولهم، دون غيرهم ممن تقدمهم أو عاصرهم؛ للعلل التي ذكرناها.

وصار الناس اليوم في الدنيا إلى خمسة مذاهب، فالخامس: هو مذهب الداودية. فحقٌّ على طالب العلم أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليحصل على مذهبه. وها نحن نبين أن مالكًا- رحمه اللَّه- هو ذلك؛ لجمعه أدوات الإمامة، وكونه أعلم القوم.

ثم وجه القاضي دعواه، وحسَّنها، ونمَّقها، ولكن ما يعجز كل واحد من حنفى، وشافعى، وحنبلى، وداودى عن ادّعاء مثل ذلك لمتبوعه، بل ذلك لسان حاله، وإن لم يَفُهْ به.

ثم قال القاضى عياض: وعندنا- ولله الحمد- لكل إمام من المذكورين مناقب تقضى له بالإمامة.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: ولكن مالكًا هذا الإمام الذى هو النجم الهادى قد أنصف، وقال قولاً فصلاً، حيث يقول: كل أحد يُؤخذ من قوله، ويترك إلاَّ صاحب هذا القبر ﷺ.

ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهًا، وسعة علم، وحسن قصد، فلا يسعه التزام بمذهب واحد فى كل أقواله، لأنه قد تبرهن له مذهب الغير فى مسائل ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها إمامه، بل يعمل بما تبرهن ويقل الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهى والغرض. لكنه لا يفتى العامة إلاَّ بمذهب إمامه، أو ليصمت فيما خفى عليه دليله.

قال الشافعى: العلم يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وابن عيينة.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: بل وعلى سبعة معهم، وهم: الأوزاعى، والثورى، ومعمر، وأبو حنيفة، وشعبة، والحمادان.

وقال فى «السير» (١٠/ ٢٧٣- ٢٧٤):

للعلماء قولان فى الاعتداد بخلاف داود بن على الظاهرى، فمن اعتدَّ بخلافهم قال: ما اعتدادنا بخلافهم لأن مفرداتهم حجة، بل لتحكى فى الجملة، وبعضها سائغ، وبعضها قوى، وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شىء من قبيل مخالفة الإجماع الظنى، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعى، ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدهم فى مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها، بل يقول: هؤلاء فى خير العوام، أو هم كالشيعة فى الفروع، ولا نلتفت إلى أقوالهم، ولا ننصب معهم الخلاف، ولا يعتنى بتحصيل كتبهم، ولا ندل مستفتيًا من العامة عليهم، وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين أدبناهم، وعزرناهم، وألزمناهم بالغسل جزمًا.

قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى: قال الجمهور: إنهم يعنى نفاة القياس- لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء.

ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادى عن أبى على بن أبى هريرة، وطائفة من الشافعية: أنه لا اعتبار بخلاف داود، وسائر نفاة القياس فى الفروع دون الأصول.

وقال إمام الحرمين أبو المعالى: الذى ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكرى القياس لا يعدّون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواترًا، لأن معظم الشريعة صادر عن الاجتهاد، ولا تفى النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام.

فعقب الذهبى (١٠/ ٢٧٤) بقوله:

قلت: هذا القول من أبى المعالى أدّاه إليه اجتهاده، وهم فأدّاهم اجتهادهم إلى نفى القول بالقياس، فكيف يردُّ الاجتهادُ بمثله، وندرى بالضرورة أن داود كان يقرئ مذهبه، ويناظر عليه، ويفتى به فى مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا فى منعه من بثه، وبالحضرة مثل إسماعيل القاضى شيخ المالكية، وابنى الإمام أحمد، وأبى العباس أحمد بن محمد البرتى شيخ الحنفية، وأحمد بن أبى عمران القاضى، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربى، بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم بن أصبغ: ذاكرت الطبرى- يعنى ابن جرير- وابن سُريج، فقلت لهما: كتاب ابن قتيبة فى الفقه أين هو عندكما؟ قالا: ليس بشىء، ولا كتاب أبى عُبيد، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعى، وداود، ونظرائهما.

وقال الذهبى (١/ ٢٧٥) قلت:

لا ريب أن كل مسألة انفرد بها داود وقطع ببطلان قوله فيها، فإنه هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عَضَّدها نصٌّ وسبقَه إليها صاحبٌ أو تابعٌ، فهى من مسائل الخلاف فلا تُهدر.

وقال- رحمه اللَّه- فى «السير» (٥/ ٣٩٣):

اليمين بالطلاق فى الغضب من نزغات الشيطان فلا يقع بذلك طلاق.

وقال فى «السير» (١١/ ١٧١- ١٧٢):

حكى أبو على التُّنُوخى فى «النشوار» له، عن عثمان بن محمد السلمى قال: حدثنى ابن منجو القائد قال: حدثنى غلام لابن المُزَوَّق قال: اشترى مولاى جارية، فزوجنيها،

فأحببتها وأبغضتني حتى ضجرتُ، فقلتُ لها: أنت طالق ثلاثًا، لا تخاطبيني بشيء إلاَّ قلت لك مثله، فكم أحتملك؟! فقالت في الحال: أنْتَ طالقٌ ثلاثًا فأبْلَسْتُ فدُللتُ على محمد بن جرير، فقال لي: أقم معها بعد أن تقول لها: أنت طالقٌ ثلاثًا إن طلّقتُك. فاستحسن هذا الجواب. وذكره شيخ الحنابلة ابنُ عقيل، وقال: وله جواب آخر: أن يقول كقولها سواء: أنتَ طالق ثلاثًا- بفتح التاء- فلا يحنث.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: وما كان يلزمها أن يقول لها ذلك على الفور، فله التمادي إلى قبل الموت.

فكيف عقَّب العلامة الذهبي على هذه الواقعة؟! لقد عقَّب بجواب يُنبئُ عن حذْقه ورسوخ قدمه في علم الفقه، فقال- رحمه اللَّه تعالى- (١١/ ١٧٢):

قلت: ولو قال: أنت طالق ثلاثًا، وقصد الاستفهام أو عنى أنها طالق من وثاق، أو عنى الطَّلْق لم يقع طلاق في باطن الأمر.

وله جواب آخر على قاعدة مراعاة سبب اليمين ونيَّة الحالف، فما كان عليه أن يقول لها ما قالته، إذ من المعلوم بقرينة الحال استثناء ذلك قطعًا، لأنه ما قصد إلاَّ أنها إذا قالت له ما يُؤذيه أن يؤذيها بمثله، ولو جاوبها بالطَّلاق لسُرَّت هي، ولتأذَّى هو، كما استثنى من عموم قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، بقرينة الحال أنها لم تُؤتَ لحيةً ولا إحليلاً. ومن المعلوم استثناؤه بالضرورة التي لم يقصدها الحالف قط لو حلف: لا تقولي لي شيئًا إلاَّ قلت لك مثله، أنها لو كفرت وسبَّت الأنبياء فلم يجاوبها بمثل ذلك لأحسن. ثم يقول طائفة من الفقهاء: إنه لم يحنث إلاَّ أن يكون- والعياذ باللَّه- قصد دخول ذلك في يمينه.

وأما على مذهب داود بن علي الظاهري، وابن حزم، والشيعة، وغيرهم، فلا شيء عليه، ورأوا الحلف والأيمان بالطلاق من أيمان اللغو، وأن اليمين لا تنعقد إلا باللَّه.

وذهب إمام في زماننا إلى من حلف على حض أو منع بالطلاق، أو العتاق، أو الحج، ونحو ذلك فكفارته كفارة يمين، ولا طلاق عليه.

هكذا أجاب العلامة الحاذق على هذه الواقعة المُشكلة فرحم اللَّه إمامنا العلامة الحافظ الذهبي.

وقال فى «السير» (١٢/ ٥٠٤):

ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة، فيقع فى الهجران المحرم، وربما أفضى إلى التكفير والسعى فى الدم، وقد كان أبو عبد اللَّه بن مندة وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده، وشغَّب على أحمد بن عبد اللَّه الحافظ، بحيث أن أحمد اختفى.

وقال فى «السير» (١٥/ ١٦٧- ١٦٨):

الإمام إذا كان له عقل جيد، ودين متين صلح بن أمر الممالك، فإن ضعف عقله، وحسنت ديانته حمله الدين على مشاورة أهل الحزم، فتسدَّدت أموره، ومشت الأحوال، وإن قلَّ دينه، ونبل رأيه، تعبت البلاد والعباد، وقد يحمله نبل رأيه على إصلاح ملكه ورعيته للدنيا، لا للتقوى، فإن نقص رأيه، وقلَّ دينه وعقله، كثر الفساد، وضاعت الرَّعيَّة، وتعبوا به، إلاَّ أنه يكون فيه شجاعة، وله سطوة وهيبة فى النفوس، فينجبر الحال، فإن كان جبانًا، قليل الدين، عديم الرأى، كثير العسف، فقد تعرض لبلاء عاجل، وربما عزل وسجن إن لم يقتل، وذهبت عنه الدنيا، وأحاطت به خطاياه، وندم- واللَّه- حيث لا يغنى الندم،

ونحن آيسون اليوم سن وجود إمام راشد من سائر الوجوه (!)، فإن يسَّر اللَّه للأئمة بإمام فيه كثرة محاسن وفيه مساوئ قليلة، فمن لنا به، اللَّهم فأصلح الراعى والرعيَّة، وارحم عبادك ووفقهم، وأيِّد سلطانهم وأعنه بتوفيقك. هكذا يرسم العلامة الذهبى سياسة الحاكم الراشد الذى يتقى اللَّه، فينصلح به حال البلاد والعباد.

وقال فى «السير» (٦/ ٥٧٩):

قال أبو أسامة: سمعت مسعر بن كدام يقول: إن هذا الحديث يصُدُّكم عن ذكر اللَّه، وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟

فعقب الذهبى عليه بقوله: قلت: هذه مسألة مختلف فيها: هل طلب العلم أفضل، أو صلاة النافلة والتلاوة الذكر؟ فأمَّا من كان مخلصًا للَّه فى طلب العلم، وذهنه جيد، فالعلم أوْلى، ولكن مع حظ من صلاة وتعبد، فإن رأيته مُجدًا فى طلب لاحظ له فى القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق فى حسن نيته، وأمَّا من كان طلب الحديث والفقه غيَّةً ومحبَّةً نفسانيةً، فالعبادة فى حقِّه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل، وهذا تقسيم فى الجملَة، فقلَّ- واللَّه- من رأيتُهُ مُخلصًا فى طلب العلم. دعنا من هذا كله، فليس طلب الحديث اليوم على

الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم، بل اصطلاح وطلب أسانيد عالية، وأخذ عن شيخ لا يعى، وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم، أو لرضيع يبكى، أو لفقيه يتحدَّث مع حدث، أو آخر ينسخ وفاضلهم مشغول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنعاس، والقارئ إن كان له مشاركة، فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما فى الجزء، سواء تصحف عليه الاسم، أو اختبط المتن، أو كان من الموضوعات. فالعلم عن هؤلاء بمعزل، والعمل لا أكادُ أراهُ، بل أرى أمورًا سيئة، نسأل اللَّه العفو.

وهكذا يرسم الحافظ الذهبى طريق الإخلاص فى طلب العلم، ويوضح بأوجز عبارة وأخصر بيان أولوية طلب العلم على صلاة النافلة والتعبد لمن امتلأ قلبه بالإخلاص، وكانت نيته للَّه سبحانه. فى طلب الحديث.

وقال (٧/ ٤٤٧):

النبيذ الذى هو نقيع التمر، ونقيع الزبيب، ونحو ذلك، والفُقاع حلال شربه، وأمَّا نبيذ الكوفيين الذى يسكر كثيره، فحرام الإكثار منه عند الحنفية، وسائر العلماء، وكذلك يحرم يسيره عند الجمهور، ويترخص فيه الكوفيون، وفى تحريمه عدَّة أحاديث.

وقال فى «السير» (٧/ ٢٥٨):

روى أبو عمر الضرير، عن أبى عوانة قال: دخلت على همَّام بن يحيى، وهو مريض أعوده، فقال لى: يا أبا عوانة ادْعُ اللَّه أن لا يُميتنى حتى يبلغ ولدى الصغار.

فقلتُ: إن الأجل قد فرغ منه، فقال لى: أنت بعد فى ضلالك.

فعقب الحافظ الذهبى بقوله: قلتُ بئس المقال هذا، بل كلُّ شىء بقدر سابق، ولكن وإن كان الأجل قد فرغ منه، فإن الدعاء بطول البقاء قد صَحَّ. دعا الرسول ﷺ لخادمه أنس بطول العمر، واللَّه يمحو ما يشاء ويثبت. فقد يكون طول العمر فى علم اللَّه مشروطًا بدعاء مجاب، كما أن طيران العمر قد يكون بأسباب جعلها من جور وعسف، و«لا يَرُدُّ القضاء إلاَّ الدعاء»، والكتاب الأول فلا يتغير.

وقال فى «السير» (١٠/ ٣٨٥):

قال محمد بن إسماعيل الترمذى: من شبَّه اللَّه بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف اللَّه به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا.

فعقب الذهبي بقوله: قلتُ: أراد أن الصفات تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وفي ذاته المقدسة، فكذلك صفاته لا مثل لها، إذْ لا فرق بين القول في الذات والقول في الصفات، وهذا هو مذهب السلف.

وقال في «السير» (٩/ ٢٧):

قال نعيم بن حماد: من شبَّه اللَّه بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ولا رسوله تشبيه.

فعقب الحافظ الذهبي بقوله: قلت: هذا الكلام حق، نعوذ باللَّه من التشبيه، ومن إنكار أحاديث الصفات، فما يُنكرُ الثابت منها مَنْ فَقُه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمون: تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أوَّلها السلف، ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها كما جاءت.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشكلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، إنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف- عز وجل- لم نره، ولا أخبرنا أحدٌ أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ- تعالى اللَّه عن ذلك- فكذلك صفاته المقدسة، نُقرُّ بها ونعتقد أنَّها حقٌّ، ولا نمثلها أصلاً ولا نتشكَّلها.

قال محمد بن مخلد العطار، حدثنا الرمادي، سألت نعيم بن حماد عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قال معناه: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال (٧/ ٣٧٩):

الجهمية يقولون: إن الباري- تعالى- في كلّ مكان، والسلف يقولون: إن علم الباري في كلِّ مكان، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، يعني بالعلم، ويقولون: إنه على عرشه استوى، كما نطق به القرآن والسنة.

قال الأوزاعي، وهو إمام وقته: كنا- والتابعون متوافرون- نقول إن اللَّه تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته، ومعلوم عند أهل العلم من الطوائف أن مذهب

السلف إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف، ولا تشبيه ولا تكييف، فإن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات المقدسة. وقد علم المسلمون أن ذات البارى موجودة، لا مثل لها، وكذلك صفاته- تعالى- موجودة، لا مثل لها.

وقال فى «السير» (٩/ ١٢٢):

قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبا معمر الهُذَلى يقول: من زعم أن اللَّه لا يتكلم، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يرضى، ولا يغضب، فهو كافر، إن رأيتموه واقفًا على بئر، فألقوه فيها، بهذا أدين اللَّه عز وجل.

وعن أبى معمر للقطيعى قال: آخر كلام الجهمية: أنه ليس فى السماء إله (!).

فعقب الذهبى بقوله: قلت: بل قولهم: إنه- عز وجل- فى السماء وفى الأرض، لا امتياز للسماء وقول عموم أمة محمد ﷺ: إن اللَّه فى السماء، يطلقون ذلك وفق ما جاءت النصوص بإطلاقه ولا يخوضون فى تأويلات المتكلمين، مع جزم الكل بأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقال فى «السير» (١١/ ٢٣٠) قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ، سمعت ابن خزيمة يقول: من لم يُقرّ بأن اللَّه على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فيئًا.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: من أقرَّ بذلك تصديقًا لكتاب اللَّه، ولأحاديث رسول اللَّه ﷺ وآمن به مفوضًا معناهُ إلى اللَّه ورسوله. ولم يخض فى التأويل ولا عمق، فهو المسلم المتبع، ومن أنكر ذلك، فلم يدر بثبوت ذلك فى الكتاب والسنة، فهو مقصر واللَّه يعفو عنه، إذْ لم يوجب اللَّه على كل مسلم حفظ ما ورد فى ذلك، ومن أنكر ذلك بعد العلم، وقفا غير سبيل السلف الصالح، وتمعقل على النص، فأمره إلى اللَّه، ونعوذ باللَّه من الضلال والهوى.

وكلام ابن خزيمة هذا- وإن كان حقًا- فهو فج، لا تحتمله نفوسُ كثير من متأخرى العلماء.

وقال فى «السير» (١٠/ ٣٩٩):

من كلام عثمان بن سعيد الدارمى- رحمه اللَّه- فى كتاب «النقض» له: اتفقت الكلمة من المسلمين أن اللَّه- تعالى- فوق عرشه، فوق سماواته.

فعقب الذهبي بقوله: قلتُ: أوْضَح شيء في هذا الباب قوله- عز وجل: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** (٥)﴾ [طه: ٥]، فَلْيُمَرّ كما جاء، كما هو معلوم من مذهب السلف، وينهى الشخص عن المراقبة، والجدال وتأويلات المعتزلة ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ**﴾

[آل عمران: ٥٣]

وقال في «السير» (٩/ ٣١٣):

ورد عن إسحاق بن راهويه: أن بعض المتكلمين قال له: كفرتُ برب ينزلُ من سماء إلى سماء. فقال: آمنتُ برب يفعل ما يشاء.

فعقب الذهبي بقوله: قلت هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صحَّت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن اللَّه ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك محاولةً للرد على اللَّه ورسوله، أوْحَوْمًا على التكييف أو التعطيل.

وقال في «السير» (١١/ ٢٤٣): قال أبو العباس السراج: من لم يقر بأن اللَّه- تعالى- يعجب، ويضحك، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: من يسألني فأعطيه»، فهو زنديق، كافر يُستتابُ، فإن تاب، وإلاَّ ضُربت عنقه، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: لا يكفر إلاَّ إن علم أن الرسول ﷺ قاله، فإن جحد بعد ذلك، فهذا معاند- نسأل اللَّه الهدى- وإن اعترف إن هذا حق، ولكن لا أخوض في معانيه، فقد أحسن، وإن آمن، وأوّل ذلك كلَّه، أو تأوَّل بعضه، فهو طريقة معروفة.

وقال في «السير» (٨/ ٥٠٨):

عن العباس الدّوري سمعت أبا عبيد القاسم بن سلاّم- وذكر الباب يروى فيه الرؤية، والكرسي موضع القدمين[١]، وضحك ربنا، وأين كان ربنا[٢]- فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها،

---

(١) حسن: راجع تخريجنا له في الجزء الثامن بتعليقنا رقم (٥٨٨).

(٢) حسن: راجع تخريجنا له في الجزء الثامن بتعليقنا (٥٨٩).

ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نُفسِّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يُفسِّرُه.

فعقَّب الذهبى (٨/ ٥٠٨- ٥٠٩) بقوله:

قلت: قد فسَّر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم، وما أبقوا ممكنًا، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً، وهى أهم الدين، فلو كان تأويلها سائغًا أو حتمًا، لبادروا إليه، فعلم قطعًا أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق، ولا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت إقتداءً بالسلف، معتقدين أنها صفات اللَّه- تعالى- استأثر اللَّه بعلم حقائقها، ولأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلَّغ، وما تعرض لتأويل، مع كون البارى قال: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]، فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، واللَّه يهدى من يشاءُ إلى صرط مستقيم.

وقال فى «السير» (١٢/ ١٨٦):

قال أبو إسماعيل الأنصارى: سمعتُ يحيى بن عمار الواعظ، وقد سألته عن ابن حبان، فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحدّ للَّه، فأخرجناه.

فعقَّب الذهبى (١٢/ ١٨٦) بقوله:

قلت: إنكاركم عليه بدعة أيضًا، والخوض فى ذلك مما لم يأذن به اللَّه، ولا أتى نصٌ بإثبات ذلك ولا نفيه، و«**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[1]، وتعالى اللَّه أن يحدّ أو يوصف إلاَّ بما وصف به نفسه، أو علمه رسله بالمعنى الذى أراد بلا مثل ولا كيف ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ⑪﴾ [الشورى: ١١].

وقال (٧/ ٢١٩):

قال أبو عبيد: ما أدركنا أحدًا يفسر أحاديث الصفات، ونحن لا نفسرها.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: قد صنَّف أبو عبيد كتاب «غريب الحديث» وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبدًا، ولا فسَّر منها شيئًا، وقد أخبر بأنه ما لحق أحدًا يفسرها،

(١) صحيح: راجع تخريجنا له فى الجزء الثانى عشر بتعليقنا رقم (٢٤٧).

فلو كان- واللَّه- تفسيرها سائغًا، أو حتمًا، لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب، فلما لم يتعرضوا لها بتأويل وأقروها على ماوردت عليه، علم أن ذلك هو الحق الذى لا حَيْدَةَ عنه.

وقال فى «السير» (٧/ ٢٠٩):

كانت الأهواء والبدع خاملة فى زمن الليث، والأوزاعى، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما فى زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق، وأبى عبيد، فظهرت البدعة، وامتحن أئمة الأثر ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة، ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء أيضا بالمعقول، فكان الجدال، واشتد النزاع، وتولدت الشبه، نسأل اللَّه العافية.

هذه هى عقيدة شيخ الإسلام العلامة الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- فى صفات اللَّه- عز وجل، وهى عقيدة أهل السنة والجماعة التى كان عليها سلف الأمة الصحابة- رضى اللَّه عنهم- ومن تابعهم خير القرون. وها هو يرد على من قال أن الإيمان مخلوق والقرآن مخلوق، يرد على هذه الأقوال المنحرفة بأنْصَع بيان وأشفى حُجة:

قال فى «السير» (١٠/ ٢١٥):

ورد علىَّ كتاب من ناحية شيراز أن فَضْلَك الصائغ قال بناحيتهم: إن الإيمان مخلوق. فبلغنى أنهم أخرجوه من البلد بأعوان.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: هذه من مسائل الفضول، والسكوت أولى، والذى صحَّ عن السلف وعلماء الأثر أن الإيمان قول وعمل، وبلا ريب أن أعمالنا مخلوقة، لقوله- تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، فَصَحَّ أن بعض الإيمان مخلوق. وقولنا: لا إله إلا اللَّه، فمن إيماننا، فتلفظنا بها أيضًا من أعمالنا. وأمَّا ماهية الكلمة الملفوظة، فهى غير مخلوقة، لأنها من القرآن، أعاذنا اللَّه من الفتن والهوى.

وقال (١٠/ ٢٧١- ٢٧٢):

قال أحمد بن كامل القاضى، أخبرنى أبو عبد اللَّه الوراق: أنه كان يورق على داود بن على، وأنه سمعه يسأل عن القرآن، فقال: أما الذى فى اللوح المحفوظ: فغير مخلوق، وأما الذى هو بين الناس فمخلوق.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: هذه التفرقة والتفصيل ما قالها أحدٌ قبله، فيما علمت، وما زال المسلمون على أن القرآن العظيم كلام اللَّه ووحيه وتنزيله، حتى أظهر المأمون القول: بأنه مخلوق، وظهرت مقالة المعتزلة، فثبت الإمام أحمد بن حنبل، وأئمة السنة على القول: بأنه غير مخلوق، إلى أن ظهرت مقالة حسين بن على الكرابيسى، وهى: أن القرآن كلام غير مخلوق، وأن ألفاظنا به مخلوقة، فأنكر الإمام أحمد ذلك، وعدَّه بدعة، وقال: من قال لفظى بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن فهو جهمى. وقال أيضًا: من قال: لفظى بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع. فزجر عن الخوض فى ذلك من الطرفين.

وأما داود فقال: القرآن محدث. فقام على داود خلق من أئمة الحديث، وأنكروا قوله وبدَّعوه، وجاء من بعده طائفة من أهل النظر، فقالوا: كلام اللَّه معنىً قائم بالنفس، وهذه الكتب المنزلة دالة عليه، ودققوا وعمقوا، فنسأل اللَّه الهدى واتباع الحق، فالقرآن العظيم، حروفه ومعانيه وألفاظه كلام ربّ العالمين، غير مخلوق، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة، قال النبى ﷺ: **«زينوا القرآن بأصواتكم»**.

ولكن لما كان الملفوظ لا يستقل إلاَّ بتلفظنا، والمكتوب لا ينفك عن كتابة، والمتلو لا يسمع إلاَّ بتلاوة قال، صعب فهم المسألة وعسر إفراز اللفظ الذى هو الملفوظ من اللفظ الذى يعنى به التلفظ، فالذهن يعلم الفرق بين هذا وبين هذا، والخوض فى هذا خطر- نسأل اللَّه السلامة فى الدين- وفى المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولاسيما فى هذه الأزمنة المزمنة.

وقال فى «السير» (٧/ ١٣٨):

نهى عليه الصلاة والسلام أن يبنى على القبور، ولو انْدَفَن الناس فى بيوتهم، لصارت المقبرة والبيوت شيئًا واحدًا، والصلاة فى المقبرة فمنهى عنها نهى كراهة أو نهى تحريم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«أفضل صلاة الرجل فى بيته إلاَّ المكتوبة»**(١).

فناسب ذلك ألاَّ تتخذ المساكن قبورًا.

وأمَّا دفنه فى بيت عائشة- صلوات اللَّه عليه وسلامه- فمختص به، كما خصَّ ببسط قطيفة تحته فى لحده، وكما خصَّ بأن صلوا عليه فرادى بلا إمام، فكان هو إمامهم حيًا وميتًا فى

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٧٣١)، ومسلم (٧٨١) وقد خرجته فى المصدر المشار إليه.

الدنيا والآخرة، وكما خصَّ بتأخير دفنه يومين، ويكره تأخير أمته، لأنه هو أمنَ عليه التغير، بخلافنا، ثم إنهم أخروه حتى صلُّوا كلهم عليه، داخل بيته، فطال لذلك الأمر، ولأنهم ترددوا شطر اليوم الأول فى موته، حتى قدم أبو بكر الصديق من السُّنْح، فهذا كان سبب التأخير.

ويرد الحافظ- رحمه اللَّه- ببيان ناصع وجواب ساطع على ترهات الصوفية وأباطيلهم وعلى أهل الحلول والاتحاد منهم:

قال فى «السير» (٩/ ٥٥٠):

متى رأيت الصوفى مكبًا على الحديث، فثق به، ومتى رأيته نائيًا عن الحديث، فلا تفرح به، لاسيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوف على ترهات الصوفية، ورموز الباطنية نسأل اللَّه السلامة كما قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوكُ وأحبار سوءٍ ورهبانها

وقال فى «السير» (١١/ ٢١١):

قال السُّلَمى: وحُكى عن الحلاج أنه رؤى واقفًا فى الموقف، والناس فى الدعاء وهو يقول: أنزهك عما قرفك به عبادك، وأبرأ إليك مما وحدك به الموحدون (!) (!)

فعقب الذهبى- رحمه اللَّه- (١١/ ٢١١- ٢١٢) بقوله:

قلت: هذا عين الزندقة، فإنه تبرأ مما وحد اللَّه به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة، فهل وحدوه تعالى إلاَّ بكلمة الإخلاص التى قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قالها من قلبه، فقد حرم ماله ودمه**». وهى: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، فإذا برئ الصوفى منها، فهو ملعون زنديق، وهو صوفى الزِّى والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفى الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة فى أيام النبى ﷺ منتسبون إلى صحبته وإلى ملته، وهم فى الباطن من مردة المنافقين، قد لا يعرفهم نبى اللَّه ﷺ ولا يعلم بهم قال اللَّه- تعالى-: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ**﴾ [التوبة: ١٠١]، فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه فى المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الاسلام بعده- عليه السلام- على العلماء من أمته، فما ينبغى لك يافقيه أن تبادر إلى

تكفير المسلم. إلاَّ ببرهان قطعى، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زغله، وأنهتك باطنه وزندقته، فلا هذا ولا هذا، بل العدل أن من رآه المسلمون صالحًا محسنًا، فهو كذلك، لأنهم شهداء للَّه فى أرضه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجرًا أو منافقًا أو مبطلاً، فهو كذلك، وأنَّ من كان طائفة من الأمة تُضلِّله، وأن طائفة من الأمة تثنى عليه وتبجله، وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحط عليه، فهو ممن ينبغى أن يعرض عنه، وأن يفوض أمره إلى اللَّه، وأن يستغفر له فى الجملة؛ لأن إسلامه أصلى بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريح، ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين.

ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم، مؤمنهم وفاسقهم، وسنيهم ومبتدعهم- سوى الصحابة- لم يجمعوا على مسلم بأنه سعيد ناج، ولم يجمعوا على مسلم بأنه شقى هالك، فهذا الصديق فرد الأمة، قد علمت تفرقهم فيه، وكذلك عمر، وكذلك عثمان، وكذلك على، وكذلك ابن الزبير، وكذلك الحجاج، وكذلك المأمون، وكذلك بشر المريسى، وكذلك أحمد بن حنبل، والشافعى، والبخارى، والنسائى، وهلم جرا من الأعيان فى الخير والشر إلى يومك هذا، فما من إمام كامل فى الخير، إلاَّ وثم أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمُّونه، ويحطُّون عليه، وما من رأس فى البدعة والتجهم والرفض إلاَّ وله أناس ينتصرون له، ويذبُّون عنه، ويدينون بقوله بهوىً وجهل، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل، المتصفين بالورع والعلم.

فتدبر- يا عبد اللَّه- نحلة الحلاج الذى هو من رؤوس القرامطة، ودعاة الزندقة، وأنْصفْ، وتَورَّع، واتق ذلك، وحاسب نفسك، فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للاسلام، محب للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نحلته، وإن تبرهن لك- والعياذ باللَّه- أنه كان- والحالة هذه- محقًا هاديًا مهديًا فجدد إسلامك، واستغث بربك أن يوفقك للحق، وأن يثبت قلبك على دينه، فإنما الهدى نورُ اللَّه يقذفه اللَّه فى قلب عبده المسلم، ولا قوة إلاَّ باللَّه، وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رُمى به، أرَحْتَ نفسك، ولم يسألك اللَّه عنه أصلاً.

وقال فى «السير» (١٢/ ١٧- ١٨):

سُئل عبد اللَّه بن منازل الزاهد عن شيخ الصُّوفية أبى إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسينى زاهد الجبل، فقال: هو حُجَّة اللَّه على الفقراء، وأهل المعاملات والآداب.

وعن إبراهيم قال: من أراد أن يتعطَّل ويتبطَّل، فليلزم الرُّخَص.

وقال: علمُ الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة.

فعقب الذهبي - رحمه اللَّه تعالى - (١٢/ ١٨) بقوله:

قلت: صدقت واللَّه، فإن الفناء والبقاء من تُرَّهات الصوفية، أطلقه بعضهم، فدخل من بابه كلُّ إلحادي وكلُّ زنديق، وقالوا: ما سوى اللَّه باطل فانٍ، واللَّه تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثم شيء غيره.

ويقول شاعرهم:

وما أنت غير الكون بل أنت عينُه

ويقول آخر:

* وما ثمَّ إلاَّ اللَّه ليس سواه *

فانظر إلى هذا المروق والضلال، بل كلُّ ما سوى اللَّه محدث موجود، قال اللَّه - تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ [الفرقان: ٥٩].

وإنما أراد قدماء الصوفية الفناء نسيان المخلوقات، وتركها، وفناء النفس عن التشاغل بما سوى اللَّه، ولا يسلم إليهم هذا أيضًا، بل أمرنا اللَّه ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها، وتعظيم خالقها، قال - تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال - تعالى: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [يونس: ١٠١]، وقال - عليه السلام -: «**حُبِّب إليَّ النساء والطيب**»(١).

وقال: «**كأنك علمتَ حبَّنا للحم**».

وكان يحبُّ عائشة، ويحبُّ أباها، ويحبُّ أسامة، ويُحبُّ سِبْطَيه، ويُحبُّ الحلواء

(١) حسن: أخرجه النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ٢٨)، وقد خرجته في الجزء الثاني عشر بتعليقنا رقم (١٩) فراجعه ثمَّت.

والعسل، ويحبُّ جبل أحد، ويحبُّ وطنه، ويحبُّ الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغنى المؤمن عنها قط.

وقال فى «السير» (١٢/ ٢٨):

قال الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد بن الأعرابى البصرى الصوفى: علم المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجوده، ولا لذوقه. إلى أن قال: - ولقد أحسن فى المقال-: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك إذْ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

فعقب الذهبى - رحمه اللَّه- (١٢/ ٢٨- ٢٩):

قلت: إى واللَّه، دقَّقوا وعمَّقوا، وخاضوا فى أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا الوجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلاَّ مجرد خطرات ووساوس، وما تفوَّه بعباراتهم صدِّيق ولا صاحب، ولا إمام من التابعين. فإن طالبتهم بدعاويهم مقتول، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن، والحديث بعين البُعْد، وقلت: مساكين محجوبون فلا حول ولا قوة إلا باللَّه.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن اللَّه، ولزوم تقوى اللَّه، والجهاد فى سبيل اللَّه، والتأدّب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فاللَّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

والعالم إذا عَرِىَ من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفى إذا عَرى من علم السنة، زل سواء السبيل.

وقد كان ابن الأعرابى من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئًا من اصطلاحات القوم إلاَّ بحجة.

وقال في «السير» (١٢/ ١١٦):

قال الخُلدىُّ شيخ الصوفية أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير: مضيتُ إلى عباس الدُّورى، وأنا حدث، فكتبت عنه مجلسًا، وخرجت فلقيني صوفى، فقال: أيش هذا؟ فأريته فقال: ويحك، تدعُ علمَ الخِرَق، وتأخذُ علم الورق (!) ثم خرق الأوراق، فدخل كلامه فى قلبى، فلم أعد إلى عباس، ووقفت بعرفة ستّا وخمسين وقفة.

فعقب الذهبى بقوله: ماذا إلاَّ صوفى جاهل يمزق الأحاديث النبوية، ويحض على أمر مجهول، فما أحوجه إلى العلم.

وقال في «السير» (٩/ ٣٣٦):

قال أبو زُرعة: أملى علىَّ أحمد بن عاصم الحكيم: الناس ثلاث طبقات: مطبوع غالب، وهم المؤمنون فإذا غفلوا، ذكروا، ومطبوع مغلوب، فإذا بصروا، أبصروا ورجعوا بقوة العقل، ومطبوع مغلوب غير ذى طباع، ولا سبيل إلى رَدِّ هذا بالمواعظ.

فعقب الذهبى بقوله: قلتُ: فما الظن إذا كان واعظ الناس من هذا الضرب عبد بطنه وشهوته، وله قلب عَرِىٌّ من الحزن والخوف، فإن انضاف إلى ذلك فسق مكين، أو انحلال من الدين، فقد خاب وخسر، ولابد أن يفضحه اللَّه تعالى.

وقال في «السير» (٩/ ٣٤٩):

قال أحمد بن حنبل فى هشام بن عمار: أنه طياش لأنه بلغه أنه قال فى خطبته: «الحمد للَّه الذى تجلى لخلقه بخلقه».

فعقب الذهبى بقوله: هذه الكلمة لا ينبغى إطلاقها، وإن كان لها معنى صحيح، لكن يحتج بها الحلولى والاتحادى، وما بلغنا أنه- سبحانه وتعالى- تجلَّى لشيىء إلاَّ بجبل الطور فصَيَّرَهُ دكًا. وفى تجلِّيه لنبيينا ﷺ اختلاف أنكرته عائشة وأثبته ابن عباس.

وقال في «السير» (١٠/ ٥٠):

قال ابن عيينة: غضبُ اللَّه داء لا دواء له.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: دواؤهُ كثرة الاستغفار بالأسحار، والتوبة النصوح.

ويُبيِّنُ الحافظ الذهبى فساد مذهب الفلاسفة ويحذر من كتبهم بأوْجَز عبارة وأخصر بيان:

قال فى «السير» (١٤/ ٢٧٠):

قد ألَّف أبو حامد محمد بن محمد الشافعى الغزالى فى ذم الفلاسفة كتاب «التهافت» وكشف عوارهم، ووافقهم فى مواضع ظنًا منه أن ذلك حق، أو موافق للملَّة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر فى كتاب «رسائل إخوان الصفا» وهو داء عُضال، وجَرَبٌ مُرْد، وسمٌّ قتالٌ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلاَّ وقعتم فى الحيرة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة باللَّه، وليبتهل إلى مولاه فى الثبات على الإسلام، وأن يُتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، واللَّه الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له وينجو، إن شاء اللَّه.

وقال فى «السير» (١٢/ ١٨٥):

قال أبو إسماعيل عبداللَّه بن محمد الأنصارى مؤلف كتاب «ذم الكلام»: سمعت عبد الصمد بن محمد، سمعتُ أبى يقول: أنكروا على أبى حاتم ابن حبان قوله: «النبوة»: «العلم والعمل»، فحكموا عليه بالزندقة، وهُجر، وكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله.

فعقب الذهبى- رحمه اللَّه- (١٢/ ١٨٥- ١٨٦) بقوله:

قلت: هذه حكاية غريبة، وابن حبان فمن كبار الأئمة، ولسنا ندعى فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التى أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغى، لكن يعتذر عنه، فتقول: لم يرد حصر المبتدأ فى الخبر، ونظير ذلك قوله- على الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**». ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجًا، بل بقى عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج. وكذا هذا ذكر مهم النبوة، إذ من أكمل صفات النبى كمال العلم والعمل، فلا يكون أحد نبيًا إلاَّ بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبيًا، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى، لا حيلة للعبد فى اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدنى والعمل الصالح.

وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفر، ولا يريدهُ أبو حاتم أصلاً، وحاشاه، وإن كان فى تقاسيمه من الأقوال، والتأويلات البعيدة، والأحاديث المنكرة، وعجائب، وقد اعترف أن «صحيحه» لا يقدر على الكشف منه إلاَّ من حَفَظَه، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدها منه إلاَّ من يحفظه.

وقال فى «السير» (١١/ ٣٢١):

قال واعظ بلخ أبو عبد اللَّه محمد بن الفضل بن العباس البلخى: ذهاب الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم.

فعقب الذهبى - رحمه اللَّه - بقوله: قلت: هذه نعوت رؤوس العرب والترك وخلق من جهلة العامة، فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدعة، لوُفِّقوا، ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لا أهل الحيل والمكر - لسَعدوا، بل يُعرضون عن التعلم تيهًا وكسلاً، فواحدة من هذه الخلال مُردية، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنك إذا انضم إليها كبرٌ، وفجور، وإجرام وتجهرم على اللَّه؟! نسأل اللَّه العافية.

وقال فى «السير» (١١/ ٣٩٣):

قال زاهر بن أحمد السَّرخسى: لما قرُب حضور أجل أبى الحسن الأشعرى فى دارى ببغداد، دعانى فأتيته، فقال: أشهد على أنى لا أكفر أحدًا من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبادات.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية فى أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدًا من الأمة، ويقول: قال النبى ﷺ: **«لا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمن»**[1]، فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم.

هذه هى عقيدة الحافظ العلامة شمس الدين الذهبى رحمه اللَّه، وهى عقيدة أهل السنة والجماعة التى كان عليها سلف الأمة الصحابة العظماء ومن تابعهم رضى اللَّه عنهم أجمعين. ثم يبين أن النبى ﷺ لا يبلى - وكذا سائر الأنبياء - وأنه عاش أميًا ومات أميًا.

قال فى «السير» (٧/ ٥٧٠):

النبى ﷺ لا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن - وما زال - أطيب ريحًا من المسك، وهو حى فى لحده، حياة مثله فى البرزخ التى هى أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب: ﴿**أَحْيَاءٌ عِندَ**

(١) صحيح: راجع تخريجنا له فى الجزء الحادى عشر بتعليقنا رقم (٤٤٠).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف. ومن ذلك اجتماع آدم وموسى لما احتج عليه موسى، وحجة آدم بالعلم السابق، كان اجتماعهما حقًا، وهما في عالم البرزخ، وكذلك نبينا ﷺ أخبر أنه رأى في السموات آدم، وموسى، وإبراهيم، وإدريس، وعيسى، صلى اللَّه وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى، هذا كله حق، والذي منهم لم يذق الموت بعد، هو عيسى عليه السلام.

فما زال نبينا طيبًا مطيبًا، وإن الأرض محرم عليها أكل أجساد الأنبياء، وهذا شيء سبيله التوقيف، وما عنف النبي ﷺ الصحابة- رضي اللَّه عنهم- لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟!- يعني: قد بليت- فقال: «**إن اللَّه حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

وقال في «السير» (١١/ ١١٦):

عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة، عن أبيه قال: ما مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب(١).

فعقب الذهبي (١١/ ١١٦- ١١٨) بقوله:

قلت: لم يرد أنه ﷺ كتب شيئًا، إلاَّ ما في «صحيح البخاري» من أنه يوم صلح الحديبية كتب اسمه «محمد بن عبد اللَّه»(٢).

واحتج بذلك القاضي أبو الوليد الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبدَّعُوهُ حتى كفرَّه بعضهم. والخطب يسير، فما خرج عن كونه أميًا بكتابة اسمه الكريم، فجماعة من الملوك ما علموا من الكتابة سوى مجرد العلامة، وما عدهم الناس بذلك كاتبين، بل هم أميون، فلا عبرة، بالنادر، وإنما الحكم للغالب، واللَّه- تعالى- فمن حكمته لم يلهم نبيه تعلم الكتابة، ولا قراءة الكتب حسمًا لمادة المبطلين، كما قال- تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)**﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ومع هذا فقد افتروا وقالوا: ﴿**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ**﴾ [الفرقان: ٥]، فانظر إلى قِحَة

---

(١) ضعيف: في إسناده مجالد، وهو ابن سعيد، أجمعوا على ضعفه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٨)، ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المعاند، فمن الذى كان بمكة وقت المبعث يدرى أخبار الرسل والأمم الخالية؟ ما كان بمكة أحد بهذه الصفة أصلاً. ثم ما المانع من تعلم النبى ﷺ كتابة اسمه واسم أبيه مع فَرْط ذكائه، وقوة فهمه، ودوام مجالسته لمن يكتب بين يديه الوحى والكتب إلى ملوك الطوائف، ثم هذا خاتمة فى يده، ونقشه: محمد رسول اللَّه[١].

فلا يظن عاقل أنه- عليه السلام- ما تعقَّل ذلك، فهذا كله يقتضى أنه عرف كتابه اسمه واسم أبيه، وقد أخبر اللَّه بأنه- صلوات اللَّه عليه- ما كان يدرى ما الكتاب ثم علمه اللَّه ما لم يكن يعلم، ثم الكتابة صفة مدح، قال- تعالى: ﴿**الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴿٥﴾**﴾ [العلق: ٤- ٥]، فلما بلغ الرسالة، ودخل الناس فى دين اللَّه أفواجًا، شاء اللَّه لنبيه أن يتعلم الكتابة النادرة التى لا يخرج بمثلها عن أن يكون أميًا، ثم هو القائل: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**»[٢] فصدق إخباره بذلك، إذا الحكم للغالب، فنفى عنه وعن أمته الكتابة والحساب لندور ذلك فيهم وقلته، وإلاَّ فقد كان فيهم كُتَّابُ الوحى وغير ذلك، وكان فيهم من يحسب، وقال- تعالى: ﴿**وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾ [الإسراء: ١٢].

ومن علمهم الفرائض، وهى تحتاج إلى حساب وعَوْل، وهو- عليه السلام- فينفى عن الأمة الحساب، فعلمنا أن المنفى كمال علم ذلك ودقائقه التى يقوم بها القبط والأوائل، فإن ذلك ما لم يحتج إليه دين الإسلام ولله الحمد.

فإن القبط عمقوا فى الحساب والجبر، وأشياء تُضيِّعُ الزمان وأرباب الهيئة تكلموا فى سير النجوم والشمس والقمر، والكسوف والقران[*] بأمور طويلة لم يأت الشرع بها، فلما ذكر ﷺ الشهور ومعرفتها، بين أن معرفتها ليست بالطرق التى يفعلها المنجم وأصحاب التقويم، وأن ذلك لا نعبأ به فى ديننا، ولا نحسب الشهر بذلك أبدًا، ثم بيّن أن الشهر بالرؤية فقط، فيكون تسعًا وعشرين، أو بتكملة ثلاثين، فلا نحتاج مع الثلاثين إلى تكلف رؤية.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٨٧٥)، ومسلم (٢٠٩٢) (٥٦) وقد خرجته فى الجزء الحادى عشر بتعليقنا رقم (١٠٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) (١٥) وقد خرجته فى الجزء الحادى عشر بتعليقنا رقم (١٠٧) فراجعه ثمَّت.

(*) القران: يعنى قران الكواكب.

وأما الشعر فنزهه اللَّه- تعالى- عن الشعر، قال- تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ**﴾[يس: ٦٩]، فما قال الشعر مع كثرته وجودته فى قريش، وجريان قرائحهم به، وقد يقع شىء نادر فى كلامه- عليه السلام- موزونًا، فما صار بذلك شاعرًا قط، كقوله:

أنا النبىُّ لا كذب   أنا ابنُ عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلاَّ إصبعٌ دميتِ   وفى سبيل اللَّه ما لقيت

ومثل هذا قد يقع فى كتب الفقه والطب وغير ذلك مما يقع اتفاقًا، ولا يقصده المؤلف ولا يشعر به، أفيقول مسلم قط: إن قوله- تعالى: ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ**﴾ [سبأ: ١٣]، هو بيت؟! معاذ اللَّه وإنما صادف وزنًا فى الجملة، واللَّه أعلم.

وقال فى «السير» (١٣/ ٢٠٨):

المشركون والكتابيون وغيرهم عرفوا اللَّه- تعالى- بمعنى أنهم لم يجحدوه، وعرفوا أنه خالقهم، قال- تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ١٠] فهؤلاء لم ينكروا البارئ، ولا جحدوا الصانع، بل عرفوه، وإنما جهلوا نعوته المقدسة، وقالوا عليه ما لا يعلمون، والمؤمن فعرف ربه بصفات الكمال، ونفى عنه سمات النقص فى الجملة، وآمن بربه، وكف عما لا يعلم، فبهذا يتبين لك أن الكافر عرف اللَّه من وجه، وجهله من وجوه، والنبيون عرفوا اللَّه تعالى، وبعضهم أكمل معرفة للَّه، والأولياء فعرفوه معرفةً جيدةً، ولكنها دون معرفة الأنبياء، ثم المؤمنون العالمون بعدهم، ثم الصالحون دونهم. فالناس فى معرفة ربهم متفاوتون، كما أن إيمانهم يزيد وينقص، بل وكذلك الأمة فى الإيمان بنبيهم والمعرفة له على مراتب، فأرفعهم فى ذلك أبو الصديق مثلاً، ثم عدد من السابقين، ثم سائر الصحابة، ثم علماء التابعين، إلى أن تنتهى المعرفة به والإيمان به إلى أعرابى جاهل وامرأة من نساء القرى، ودون كذلك وذلك القول فى معرفة الناس لدين الإسلام.

وقال فى «السير» (٨/ ١٤٥):

قال هارون بن عبد اللَّه الحمَّال: ما رأيتُ أخشع للَّه من وكيع، وكان عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى روَّاد أخشع منه.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: خشوع وكيع مع إمامته فى السنة، جعله مقدمًا، بخلاف خشوع هذا المرجئ- عبد المجيد عبد العزيز عفا اللَّه عنه- أعاذنا اللَّه وإياكم من مخالفة السنة، وقد كان على الإرجاء عدد كثير من علماء الأمّة، فهلاً عدَّ مذهبًا، وهو قولهم: أنا مؤمن حقًا عند اللَّه الساعة مع اعترافهم بأنهم لا يدرون بما يموت عليه المسلم من كفر أو إيمان، وهذه قوله خفيفة، وإنما الصعب من قول غلاة المرجئة: أن الإيمان هو الاعتقاد بالأفئدة، وأن تارك الصلاة والزكاة، وشارب الخمر، وقاتل الأنفس، والزانى، وجميع هؤلاء يكونون مؤمنين كاملى الإيمان، ولا يدخلون النار، ولا يعذبون أبدًا. فردوا أحاديث الشفاعة المتواترة، وجسَّروا كلَّ فاسق وقاطع طريق على الموبقات نعوذ باللَّه من الخذلان.

وقال الذهبى فى «السير» (١١/ ٣١٢):

كلُّ من أحبَّ الشيخين فليس بغال، بلى من تعرض لهما بشىء من تنقص، فإنه رافضىٌّ غال، فإن سبَّ، فهو من شرار الرافضة، فإن كفَّر، فقد باء بالكفر، واستحق الخزى.

وقال فى «السير» (١٢/ ٤١٩):

ليس تفضيل علىٍّ برفض، ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعلى ذى فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان فى العلم والجلالة، ولعلهما فى الآخرة متساويان فى الدرجة، وهما من سادة الشهداء- رضى اللَّه عنهما- ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علىٍّ، وإليه نذهب والخَطْب فى ذلك يسير، والأفضل منهما- بلا شك- أبو بكر وعمر، من خالف فى ذا فهو شيعى جلد، ومن أبغض الشيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافضى مقيت، ومن سبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامى هدى فهو من غلاة الرافضة، أبعدهم اللَّه.

وقال فى «السير» (١٣/ ٢٣١):

قال ابن حزم: الإمامية كلُّهم على أنَّ القرآن مُبدَّل، وفيه زيادة ونقص سوى المُرتضى، فإنه كفَّر من قال ذلك، وكذلك صاحباه أبو يعلى الطوسى، وأبو القاسم الرازى.

فعقب الذهبى بقوله: وفى تواليف المرتضى- أبى طالب على بن حسين بن موسى- سَبُّ أصحاب رسول اللَّه ﷺ فنعوذ باللَّه من علم لا ينفع.

هكذا يتبرأ الحافظ الذهبى - رحمه اللَّه- من سبِّ الصحابة الكرام، وممن بدَّل القرآن، وهذه هى عقيدة أهل السنة والجماعة، وما كان عليه سلف الأمة قد أبانها الحافظ فى أقواله المبثوثة فى هذا الكتاب العظيم وفى ردوده على أهل الزيغ والضلال بيانًا ساطعًا يستضىء به كلّ باحث عن الحق.

لقد كان الحافظ الذهبى - رحمه اللَّه- رأسًا فى علوم الحديث، وألف فيها كتبًا كثيرة اعتمد عليها كثير من العلماء إلى يومنا هذا، وكانت له آراء حديثية هامة تهم كل عالم ومشتغل بهذا العلم الشريف، وهذه الأقوال والآراء مبثوثة فى كتابه «السير»، وسائر كتبه، نذكر بعض هذه الأقوال والآراء ليستضىء بها كلّ مشتغل بهذا العلم الجليل، وليقف القارئ على هذه المكانة السنية التى تبوأها هذا الحافظ الجليل حتى أصبح يُشار إليه بالبنان بين أكابر علماء الحديث، فدونك أيُّها القارئ الكريم هذه الأقوال والآراء:

قال فى «السير» (٧/ ١١٥):

قال جماعة سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول فى قوله: ﴿**لا ترْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ [الحجرات: ٢]، قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصوت عليه فى حياته، إذا قرئ حديثه وجب عليك أن تنصت له، كما تنصت للقرآن يعمر.

وقال فى «السير» (٩/ ٧):

ينبغى للمحدث أن لا يشهر الأحاديث التى يتشبث بظاهرها أعداء السنن من الجهمية، وأهل الأهواء، والأحاديث التى فيها صفات لم تثبت، فإنك لن تحدث قومًا. بحديث لا تبلغه عقولهم، إلاَّ كان فتنةً لبعضهم، فلا تكتم العلم الذى هو علم، ولا تبذله للجهلة الذين يشغبون عليك، أو الذين يفهمون منه ما يضرهم.

وقال فى «السير» (٩/ ٢٢):

قال على - رضى اللَّه عنه-: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. وقد صحَّ أن أبا هريرة كتم حديثًا كثيرًا ممَّا لا يحتاجه المسلم فى دينه، وكان يقول: لو بثثته فيكم لقطع هذا البلعوم. وليس هذا من باب كتمان العلم فى شىء، فإن العلم الواجب يجب بثُّه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذى فى فضائل الأعمال مما يصحّ إسناده يتعين نقله ويتأكد

نشره، وينبغى للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه، ولا ينبغى أن يدخل فيه إلاَّ خواص العلماء.

والعلم الذى يحرم تعلمه ونشره: علم الأوائل، وإلهيات الفلاسفة، وبعض رياضتهم- بل أكثره- وعلم السحر، والسِّيمياء، والكيمياء، والشَّعْبذة، والحيل، ونشر الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطَّال المختلفة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجناب النبوى، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر، ومن ابتُلى بالنظر فيها للفُرجه والمعرفة من الأذكياء فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر اللَّه- تعالى- وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية فى الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت فى الصفات، لا يحل بثها إلاَّ للتحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها، فحسن، اللَّهم فاحفظ علينا إيماننا ولا قوة إلا باللَّه.

وقال فى «السير» (٧/ ٤٥٨):

أكثر الأئمة على التشديد فى أحاديث الأحكام، والترخيص قليلاً، لا كل الترخيص فى الفضائل والرقاق، فيقبلون فى ذلك ما ضعف إسناده لا ما اتُّهم رُواته، فإن الأحاديث الموضوعة والأحاديث الشديدة الوهن، لا يلتفتون إليها، بل يروونها للتحذير ير منها، والهتك لحالها، فمن دلَّسها، أو غطَّى تبيانها، فهو جان على السنة، خائن للَّه ورسوله، فإن كان يجهل ذلك، فقد يعذر بالجهل، ولكن سلوا أهل الذِّكر إنْ كنتم لا تعلمون.

وقال فى «السير» (١٢/ ١٦٨):

كان الحفاظ يطلقون لفظة «ثقة» على الشيخ الذى سماعه بقراءة متقن، وإثبات عدل، وترخصوا فى تسميته بالثقة، وإنما الثقة فى عرف أئمة النقد كانت تقع على العدل فى نفسه، المتقن لما حمله، الضابط لما نقل، وله فهم ومعرفة بالفن، فتوسع المتأخرون.

وقال فى «السير» (١٠/ ٣٤١):

قال محمد بن بركة الحلبى: سمعت عثمان بن خرزاذ يقول: يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عدمت واحدة فهى نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل فى الحذق، فالذى يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيّا ذكيّا، نحويًا لغويًا زكيًا حييًا، سلفيًا، يكفيه أن يكتب بيده مائتى مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد، وأن لا يفتُر من طلب العلم إلى الممات، بنية خالصة وتواضع، وإلاَّ فلا يَتَعَنَّ.

وقال فى «السير» (٩/ ١٢٩- ١٣٠):

نحنُ لا ندَّعى العصمة فى أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صوابًا، وأنْدرهم خطأ، وأشدّهم إنصافًا، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتَّفقوا على تعديل أو جرح، فتمسك به، واعضض عليه بناجذيك، ولا تتجاوزه، فتندم، ومن شذَّ منهم، فلا عبرة به، فخلٍّ عنك العناء، وأعط القوس باريها، فواللَّه لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر، ولئن خطب خاطب من أهل البدع، فإنما هو بسيف الإسلام، وبلسان الشريعة، وبجاه السنة، وباظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ فنعوذ باللَّه من الخذلان.

وقال فى «السير» (١٠/ ١٠٤):

من نظر فى كلام البخارى فى الجرح والتعديل علم ورعه فى الكلام فى الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا. وقلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث حتى إنه قال: إذا قلت: فلان فى حديثه نظر، فهو متَّهم واهٍ. وهذا معنى قوله: لا يحاسبنى اللَّه أنى اغتبت أحدًا، وهذا هو واللَّه غاية الورع.

قال محمد بن أبى حاتم الوراق: سمعته- يعنى: البخارى- يقول: لا يكون لى خصم فى الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك فى كتاب «التاريخ» ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية لم نقله من عند أنفسنا، قال النبى ﷺ: «**بئس مولى العشيرة**» يعنى حديث عائشة[(١)] وسمعته يقول: ما اغتبتُ أحدًا قطّ منذ علمتُ أن الغيبة تضر أهلها. وقال الحافظ فى «الميزان» (١/ ٦): نقل ابن القطان أن البخارى قال: كلُّ من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحلُّ الرواية عنه.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٣٨)، والحميدى (٢٤٩)، والبخارى (٦٠٥٤) و(٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) (٧٣) وغيرهم وقد خرجته فى الموضع المشار إليه، فراجعه ثمَّت.

وقال فى «السير» (٧/ ٥٨٣):

كان يحيى بن سعيد القطان متعنتًا فى نقد الرجال، فإذا رأيته قد وثق شيخًا، فاعتمد عليه، أمَّا إذا لين أحدًا، فتأنَّ فى أمره حتى ترى قول غيره فيه، فقد لين مثل إسرائيل، وهمام، وجماعة. احتج بهم الشيخان، وله كتاب فى «الضعفاء» لم أقف عليه، ينقل منه ابن حزم وغيره، ويقع كلامه فى سؤالات على، وأبى حفص الصيرفى، وابن معين له.

وقال فى «الميزان» (١/ ٦١):

لا يلتفت إلى قول الأزدى، فإن فى لسانه فى الجرح رهقًا.

وقال الذهبى فى «الميزان»: لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف، ولا على تضعيف ثقة.

وقال فى «السير» (٨/ ٣٦٥):

كل تغير يوجد فى مرض الموت، فليس بقادح فى الثقة، فإن غالب الناس، يعتريهم فى المرض الحاد نحو ذلك، ويتم لهم وقت السياق وقبله أشدَّ من ذلك، وإنما المحذور أن يقع الاختلاط بالثقة، فيُحَدِّث فى حال اختلاطه بما يضطرب فى إسناده، أو متنه، فيخالف فيه.

وقال فى «السير» (٩/ ٣١٤):

كل أحد يتعلل قبل موته غالبًا ويمرض، فيبقى أيام مرضه متغير القوة الحافظة، ويموت إلى رحمة اللَّه على تغيره، ثم قبل موته بيسير يختلط ذهنه، ويتلاشى علمه، فإذا قضى زال بالموت حفظه، فكان ماذا؟ أفبمثل هذا يلين عالم قط؟! كلا واللَّه.

وقال الحافظ فى «السير» (٧/ ١١٥):

المدلس داخل فى قوله- تعالى: ﴿**وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ [آل عمران: ١٨٨]. قلت: والمدلس فيه شىء من الغش، وفيه عدم نصح للأمة، لاسيما إذا دلس الخبر الواهى يوهم أنه صحيح، فهذا لا يحل بوجه، بخلاف باقى أقسام التدليس، وما أحسن قول عبد الوارث بن سعيد: التدليس ذل.

وقال فى «السير» (٩/ ٣١٣):

قال أبو عبد اللَّه الحاكم: إسحاق، وابن المبارك، ومحمد ابن يحيى هؤلاء دفنوا كتبهم.

فعقب الذهبي (٩/ ٣١٤) بقوله:

قلت: هذا فعله عدَّة من الأئمة، وهو دالٌّ أنهَّم لا يرون نقل العلم وجادة فإن الخط قد يتصحف على الناقل، وقد يمكن أن يزاد في الخط حرف، فيغير المعنى، ونحو ذلك. وأمَّا اليوم فقد اتسع الخرق، وقل تحصيل العلم من أفواه الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوطة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى.

وقال في «السير» (٩/ ٣٢٦):

قال مطين: أوصَى أبو كريب محمد بن العلاء بكتبه أن تدفن، فدفنت.

فعقب الذهبي (٩/ ٣٢٧) بقوله:

قلت: فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها، ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحفاظ، أو أن أصوله كان فيها مقاطيع وواهيات ما حدث بها أبدًا، وإنما انتخب من أصوله ما رواه وما بقي، فرغب عنه، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام. فلهذا ونحوه دفن- رحمه اللَّه- كتبه.

وقال في «السير» (٦/ ٥٩٤):

قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا أبو اليمان قال: دخلنا على شعيب بن أبي حمزة حتى احتضر، فقال: هذه كتبي، فمن أراد أن يأخذها، فليأخذها، ومن أراد أن يعرض، فليعرض، ومن أراد أن يسمع، فليسمعها من ابني، فإنه سمعها مني.

فعقب عليه الذهبي (٦/ ٥٩٥) بقوله:

قلت: فهذا يدُلُّك على أن عامة ما يرويه أبو اليمان عنه بالإجازة، ويعبر عن ذلك: بأخبرنا، وروايات أبي اليمان عنه ثابته في «الصحيحين»، وذلك بصيغة: أخبرنا. ومن روى شيئًا من العلم بالإجازة عن مثل شعيب بن أبي حمزة، في اتقان كتبه وضبطه، فذلك حجة عند المحققين، مع اشتراط أن يكون الراوي بالإجازة ثقة، ثبتًا أيضًا، فمتى فقد ضبط الكتاب المجاز، واتقانه، وتحريره، أو اتقان المجيز أو المجازله، انحطَّ المروي عن رتبة الاحتجاج به. ومتى فقدت الصفات كلها، لم تصح الرواية عند الجمهور.

وشعيب- رحمه اللَّه- فقد كانت كتبه نهاية في الحسن، والاتقان، والإعراب، وعرف

هو ما يجيز ولمن أجاز، بل رواية كتبه بالوجادة كاف فى الحجة، وفى رواية أبى اليمان عنه بذلك دليل على إطلاق: أخبرنا فى الإجازة كما يتعاناه فضلاء المحدثين بالمغرب، وهو ضرب من التدليس، فإنه يوهم أنه بالسماع. واللَّه أعلم.

وقال فى «السير» (٦/ ٥٧١):

القدرى، والمعتزلى، والجهمى، والرافضى إذا علم صدقه فى الحديث وتقواه، ولم يكن داعيًا إلى بدعته، فالذى عليه أكثر العلماء قبول روايته، والعمل بحديثه، وترددوا فى الداعية، هل يؤخذ عنه؟ فذهب كثير من الحفاظ إلى تجنب حديثه، وهجرانه. وقال بعضهم: إذا علمنا صدقه، وكان داعية، ووجدنا عنده سنةً تفرد بها، فكيف يسوغ لنا ترك تلك السنة؟ فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذن بأن المبتدع إذا لم تُبحْ بدعته خروجه من دائرة الإسلام، ولم تُبحْ دمه، فإن قبول ما رواه سائغ. وهذه المسألة لم تتبرهن لى كما ينبغى، والذى اتضح لى منها: أن من دخل فى بدعة، ولم يعدّ من رؤوسها، ولا أمعن فيها، يقبل حديثه، كما مثل الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين بقتادة، وهشام الدستوائى، وسعيد بن أبى عروبة، وعبد الوارث، وغيرهم، وهم يقولون بالقدر وهم ثقات، وحديثهم فى كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم.

وقال فى «السير» (١٢/ ٣٨٥):

كان أبو القاسم عبد العزيز بن عبد اللَّه الدَّاركى الشافعى يتهم بالاعتزال وكان رُبَّما يختار فى الفتوى، فيقال له فى ذلك، فيقول: ويحكم (!) حدَّث فلان عن فلان، عن رسول اللَّه ﷺ بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعى وأبى حنيفة.

فعقب الذهبى- رحمه اللَّه- بقوله: هذا جيد، لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمام من نظراء الإمامين مثل مالك، أو سفيان، أو الأوزاعى، وبأن يكون الحديث ثابتًا سالمًا من علة، وبأن لا يكون حجة أبى حنيفة والشافعى حديثًا صحيحًا معارضًا للآخر. أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكبه سائر أئمة الاجتهاد، فلا، كخبر: فإن شرب فى الرابعة فاقتلوه»، وكحديث: «لعن اللَّه السارق، يسرق البيضة، فتقطع يده».

وقال فى «السير» (١١/ ٨٣):

قال أبو سعيد بن يونس فى «تاريخه» كان أبو عبد الرحمن النسائى إمامًا حافظًا ثبتًا.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: هذا أصح، فإن ابن يونس حافظ يقظ، وقد أخذ عن النسائى، وهو به عارف. ولم يكن أحد فى رأس الثلاث مائة أحفظ من النسائى، وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبى داود، ومن أبى عيسى، وهو جار فى مضمار البخارى، وأبى زرعة إلاَّ أن فيه قليل تشيع وانحراف عن خصوم الإمام على كمعاوية، وعمرو، واللَّه يسامحه.

وقد صنف «مسند على» وكتابًا حافلاً فى الكنى، وأمَّا كتاب: «خصائص على» فهو داخل فى «سننه الكبير»، وكذلك كتاب «عمل اليوم والليلة»، وهو مجلد، وهو جملة من «السنن الكبير» فى بعض النسخ، وله كتاب «التفسير» فى مجلد، وكتاب «الضعفاء»، وأشياء، والذى وقع لنا من «سننه» هو الكتاب «المجتبى» منه، انتخاب أبى بكر بن السنى، سمعته ملفقًا من جماعة سمعوه من ابن باقا بروايته عن أبى زرعة المقدسى سماعًا لمعظمه، وإجازة لفوت له محدد فى الأصل. قال أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمد الدونى، قال أخبرنى القاضى أحمد بن الحسين الكار حدثنا ابن السنى، عنه.

وقال فى «السير» (٨/ ٣٦٣- ٣٦٤):

ما فوق عفان أحد فى الثقة، وقد تناكد الحافظ ابن عدى بإيراده فى كتاب «الكامل» لكنه أبدى أنه ذكره ليذُبَّ عنه، فإن إبراهيم بن أبى داود قال: سمعت سليمان بن حرب يقول: أترى عفان كان يضبط عن شعبة، واللَّه لو جهد جهده أن يضبط عنه حديثًا واحدًا ما قدر عليه، كان بطيئًا رديء الفهم.

ثم قال ابن عدى: عفان أشهر وأوثق من أن يقال فيه شيء، ولا أعلم له إلاَّ أحاديث مراسيل عن حماد بن سلمة وغيره، وصلها، وأحاديث موقوفة رفعها، وهذا مما لا ينقصه، فإن الثقة قد يهم، وعفان كان قد رحل إليه أحمد بن صالح من مصر كانت رحلته إليه خاصة دون غيره.

وقال فى تذكرة الحفاظ (ص ٩٧٩): كلمة المفيد أوَّل ما استعملت لقبًا فى هذا الوقت قبل الثلاث مائة، والحافظ أعلى من المفيد فى العرف، كما أن الحجة فوق الثقة.

وقال فى «السير» (١٠/ ٥١٢):

ما زلنا نسمع بهذا «التفسير» الكبير لأحمد على ألسنة الطلبة وعمدتهم حكاية ابن المنادى

هذه، وهو كبير قد سمع من جده وعباس الدُّورى، ومن عبد اللَّه بن أحمد، لكن ما رأينا أحدًا أخبرنا عن وجود هذا «التفسير»، ولا بعضه أو كراسة منه، ولو كان له وجود، أو لشىء منه لنسخوه، ولا عْتنى بذلك طلبة العلم، ولحصلوا ذلك، ولنقل إلينا، ولا شتهر، ولتنافس أعيان البغداديين فى تحصيله، ولنقل منه ابن جرير فمن بعده فى تفاسيرهم، ولا- واللَّه- يقتضى أن يكون عند الإمام أحمد فى التفسير مائة ألف وعشرون ألف حديث، فإن هذا يكون فى قدر «مسنده» بل أكثر بالضعف، ثم الإمام أحمد لو جمع شيئًا فى ذلك، لكان يكون منقحًا مهذبًا عن المشاهير، فيصغر لذلك حجمه، ولكان يكون نحوًا من عشرة آلاف حديث بالجهْد، بل أقل.

ثم الإمام أحمد كان لا يرى التصنيف، وهذا كتاب «المسند» له لم يصنفه هو، ولا رتبه، ولا اعتنى بتهذيبه، بل كان يرويه لولده نسخًا وأجزاءًا ويأمره: أن أضع هذا فى مسند فلان، وهذا فى مسند فلان، وهذا التفسير لا وجود له، وأنا اعتقد أنه لم يكن، فبغداد لم تزل دار الخلفاء، وقبة الإسلام، ودار الحديث، ومحلة السنن، ولم يزل أحمد فيها معظمًا فى سائر الأعصار، وله تلامذة كبار، وأصحاب أصحاب، وهلم جرا إلى الأمس حين استباحها جيش المغول، وجرت بها من الدماء سيول، وقد اشتهر ببغداد «تفسير» ابن جرير، وتزاحم على تحصيله العلماء، وسارت به الركبان، ولم نعرف مثله فى معناه، ولا ألف قبله أكبر منه، وهو فى عشرين مُجلَّدَةً، وما يحتمل أن يكون عشرين ألف حديث، بل لعله خمسة عشر ألف إسناد، فخذه، فعُدَّه إن شئت.

وقال فى «السير» (٧/ ١١٦):

لا أعلم بين العلماء نزاعًا فى أن حماد بن زيد من أئمة السلف، ومن أتقن الحفاظ وأعدمهم غلطًا على سعة ما روى رحمه اللَّه.

وقال فى «السير» (٧/ ١٠٧):

كان حماد بن سلمة بحرًا من بحور العلم، وله أوهام فى سعة ما روى، وهو صدوق، حجة- إن شاء اللَّه- وليس هو فى الإتقان كحماد بن زيد، وتحايد البخارى إخراج حديثه، إلاَّ حديثًا خرجه فى الرقاق، فقال: قال لى أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبى، ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن. ومسلم روى له فى الأصول، عن ثابت وحميد، لكونه خبيرًا بهما.

وقد عقد الحافظ فصلاً فى غاية الأهمية فى التمييز بين الحمادين، حماد بن زيد، وحماد ابن سلمة، والسفيانين سفيان الثورى، وسفيان بن عيينة لن يجده الباحث فى مكان غير هذا الكتاب، فقال- رحمه اللَّه- فى السير» (٧/ ١١٨):

فصل: اشترك الحمادان فى الرواية عن كثير من المشايخ، وروى عنهما جميعًا جماعة من المحدثين فربما روى الرجل منهم عن حماد، لم ينسبه، فلا يعرف أيُّ الحمادين هو إلاَّ بقرينة، فإن عرى السند عن القرائن، وذلك قليل لم نقطع بأنه ابن زيد، ولا أنه ابن سلمة، بل نتردد، أو نقدره ابن سلمة، ونقول: هذا الحديث على شرط مسلم، إذْ مسلم قد احتج بهما جميعًا.

فمن شيوخهما معًا: أنس بن سيرين، وأيوب، والأزرق بن قيس، وإسحاق بن سويد، وبرد بن سنان، وبشر بن حرب، وبهز بن حكيم، وثابت، والجعد أبو عثمان، وحميد الطويل، وخالد الحذاء، وداود بن أبى هند، والجُريرى، وشعيب بن الحبحاب، وعاصم بن أبى النَّجُود، وابن عون، وعبيد اللَّه بن أبى بكر بن أنس، وعبيد اللَّه بن عمر، وعطاء بن السائب، وعلى بن زيد، وعمرو بن دينار، ومحمد بن زياد، ومحمد بن واسع، ومطر الوراق، وأبو جمرة الضبعى، وهشام بن عروة، وهشام بن حسان، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ويحيى بن عتيق، ويونس بن عبيد.

وحدَّث عن الحمادين: عبد الرحمن بن مهدى، ووكيع، وعفان، وحجاج بن منهال، وسليمان بن حرب وشيبان، والقعنبى، وعبد اللَّه بن معاوية الجمحى، وعبد الأعلى بن حماد، وأبو النعمان عارم، وموسى بن إسماعيل- لكن ماله عن حماد بن زيد سوى حديث واحد- ومؤمل بن إسماعيل، وهدبة، ويحيى بن حسان، ويونس بن محمد المؤدب، وغيرهم.

والحفاظ المختصون بالإكثار، وبالرواية عن حماد بن سلمة: بهز بن أسد، وحبان بن هلال، والحسن الأشيب، وعمر بن عاصم.

والمختصون بحماد بن زيد، الذين ما لحقوا ابن سلمة، فهم أكثر وأوضح: كعلى بن المدينى، وأحمد بن عبدة، وأحمد بن المِقْدام، وبشر بن معاذ العقدى، وخالد بن خداش، وخلف بن هشام، وزكريا بن عدى، وسعِيد بن منصور، وأبى الربيع الزهرانى، والقواريرى، وعمرو بن عوف، وقتيبة بن سعيد، ومحمد بن أبى بكر المُقَدَّمى، ولُوَين، ومحمد بن عيسى ابن الطباع، ومحمد بن عُبيد بن حساب، ومُسدد، ويحيى بن حبيب، ويحيى بن يحيى التميمى، وعدة من أقرانهم.

فإذا رأيت الرجل من هؤلاء الطبقة قد روى عن حماد وأبهمه، علمت أنه ابن زيد، وأن هذا لم يدرك حماد بن سلمة، وكذا إذا روى رجل ممن لقيهما، فقال: حدثنا حماد، وسكت، نظرت فى شيخ حماد من هو؟ فإن رأيته من شيوخهما على الاشتراك، ترددت، وإن رأيته من شيوخ أحدهما على الاختصاص والتفرد، عرفته بشيوخه المختصين به، ثم عادة عفان لا يروى عن حماد بن زيد إلاَّ وينسبه، وربما روى عن حماد بن سلمة فلا ينسبه، وكذلك يفعل حجاج بن منهال، وهُدْبة بن خالد، فأمَّا سليمان بن حرب، فعلى العكس من ذلك، وكذلك عارم يفعل، فإذا قالا: حدثنا حماد، فهو ابن زيد، ومتى قال موسى التَّبوذَكى: حدثنا حماد، فهو ابن سلمة، فهو راويته واللَّه أعلم.

ويقع مثل هذا الاشتراك سواءً فى السفيانين، فأصحاب سفيان الثورى كبار قدماء، وأصحاب ابن عيينة صغار، لم يدركوا الثورى، وذلك أبين، فمتى رأيت القديم قد روى، فقال حدثنا سفيان، وأبهم، فهو الثورى، وهم كوكيع، وابن مهدى، والفريابى، وأبى نُعيم. فإن روى واحد منهم عن ابن عيينة بيَّنه، فأما الذى لم يلحق الثورى، وأدرك ابن عيينة، فلا يحتاج أن ينسبه، لعدم الإلباس، فعليك بمعرفة طبقات الناس.

وقال فى «السير» (١٠/ ٣٧٤):

عن ابن ماجه قال: عَرضتُ هذه «السُّنن» على أبى زُرعة الرازى، فنظر فيه، وقال: أظن إن وقع هذا فى أيدى الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها، ثم قال: لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثًا، مما فى إسناده ضعف، أو نحو ذا.

فعقب الذهبى بقوله: قلت: قد كان ابن ماجه حافظًا ناقدًا صادقًا، واسع العلم، وإنما غض من رتبة «سننه» ما فى الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات، وقول أبى زرعة- إن صَحَّ- فإنما عنى بثلاثين حديثًا؛ الأحاديث المطروحة الساقطة، وأما الأحاديث التى لا تقوم بها حجة فكثيرة، لعلها نحو الألف.

وقال فى «السير» (١٠/ ١٧٩):

ليس فى «صحيح مسلم» من العوالى إلاَّ ما قلَّ، كالقعنبى عن أفلح بن حميد، ثم حديث حماد بن سلمة، وهمام، ومالك، والليث، وليس فى الكتاب حديث عال لشعبة، ولا للثورى، ولا لإسرائيل، وهو كتاب نفيس كامل فى معناه، فلما رآهُ الحفاظ أُعجبوا به، ولم

يسمعوه لنزوله، فعمدوا إلى أحاديث الكتاب، فساقوها من مروياتهم عالية بدرجة وبدرجتين، ونحو ذلك، حتى أتوا على الجميع هكذا، وسموه: «المستخرج على صحيح مسلم». فعل ذلك عدة من فرسان الحديث، منهم: أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني- وزاد فى كتابه متونًا معروفة بعضها لين- والزاهد أبو جعفر أحمد بن حمدون الحيرى، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه، وأبو حامد أحمد بن محمد الشاركى الهروى، وأبو بكر محمد بن عبد اللَّه بن زكريا الجوْزَقى، والإمام أبو على الماسَرْجسى، وأبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأصبهانى، وآخرون لا يحضرنى ذكرهم الآن.

وقال فى «السير» (١٠/ ١٨١):

مسلم بن الحجاج- لحدة فى خلقه- انحرف عن البخارى، ولم يذكر له حديثًا، ولا سمَّاه فى «صحيحه»، بل افتتح الكتاب بالحط على من اشترط اللَّقى لمن روى عنه بصيغة: عن، وادَّعى الإجماع فى أن المعاصرة كافية، ولا يتوقف فى ذلك على العلم بالتقائهما، ووبخ من اشترط ذلك. وإنما يقول ذلك أبو عبد اللَّه البخارى، وشيخه على بن المدينى، وهو الأصوب الأقوى. وليس هذا موضع بسط هذه المسألة.

وقال فى «السير» (١٠/ ١٨٢):

قال الحاكم: أراد مسلم أن يخرج «الصحيح» على ثلاثة أقسام، وعلى ثلاث طبقات من الرواة، وقد ذكر هذا فى صدر خطبته، فلم يُقدَّر له إلاَّ الفراغ من الطبقة الأولى، ومات. ثم ذكر الحاكم مقالة هى مجرد دعوى. فقال: إنه لا يذكر من الأحاديث إلاَّ ما رواه صحابى مشهور له راويان ثقتان فأكثر، ثم يرويه عنه أيضًا راويان ثقتان فأكثر، ثم كذلك من بعدهم. فقال أبو على الجيانى: المراد بهذا أن هذا الصحابى أو هذا التابعى قد روى عنه رجلان، خرج بهما عن حدِّ الجهالة.

قال القاضى عياض: والذى تأوله الحاكم على مسلم من اخترام المنية له قبل استيفاء غرضه إلاَّ من الطبقة الأولى، فأنا أقول: إنك إذا نظرت فى تقسيم مسلم فى كتابه الحديث على ثلاث طبقات من الناس على غير تكرار، فذكر أن القسم الأوَّل حديث الحفاظ، ثم قال: إذا انقضى هذا، أتبعته بأحاديث من لم يوصف بالحذق والإتقان. وذكر أنهم لاحقون بالطبقة

الأولى، فهؤلاء مذكورون فى كتابه لمن تدبر الأبواب. والطبقة الثانية: قوم تكلم فيهم قوم، وزكاهم آخرون، فخرج حديثهم عمَّن ضُعِّف أو اتُّهم ببدعة، وكذلك فعل البخارى.

ثم قال القاضى عياض: فعندى أنه أتى بطبقاته الثلاث فى كتابه، وطرح الطبقة الرابعة.

فعقب الذهبى (١٠/ ١٨٢ - ١٨٣) بقوله:

قلت: بل خرَّج حديث الطبقة الأولى، وحديث الثانية إلاَّ النَّزْر القليل مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية. ثم خرج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة فى الشواهد والاعتبارات والمتابعات، وقلَّ أن خرج لهم فى الأصول شيئًا، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة فى «الصحيح»، لجاء الكتاب فى حجم ما هو مرة أخرى، ولنزل كتابه بذلك الاستيعاب عن رتبة الصحة، وهم كعطاء بن السائب، وليث، ويزيد بن أبى زياد، وأبان بن صمعة، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وطائفة أمثالهم، فلم يُخرِّج لهم إلاَّ الحديث بعد الحديث إذا كان له أصل، وإنما يسوق أحاديث هؤلاء، ويكثر منها أحمد فى «مسنده»، وأبو داود، والنسائى، وغيرهم. فإذا انحطُّوا إلى إخراج أحاديث الضعفاء الذين هم أهل الطبقة الرابعة، اختاروا منها، لم يستوعبوها على حسب آرائهم واجتهاداتهم فى ذلك.

وأمَّا أهل الطبقة الخامسة، كمن أجمع على اطِّراحه وتركه لعدم فهمه وضبطه، أو لكونه متهمًا، فيندر أن يخرج لهم أحمد، والنسائى. ويورد لهم أبو عيسى فيبينه بحسب اجتهاده، لكنه قليل. ويورد لهم ابن ماجه أحاديث قليلة ولا يبين واللَّه أعلم. وقلَّ ما يورد منها أبو داود، فإن أورد بيَّنه فى غالب الأوقات.

وأما أهل الطبقة السادسة: كغلاة الرافضة، والجهمية الدعاة، وكالكذابين والوضاعين، وكالمتروكين المهتوكين، كعمر بن الصُّبْح، ومحمد بن المصلوب، ونوح بن أبى مريم، وأحمد ابن الجُويبارى، وأبى حذيفة البخارى، فما لهم فى الكتب حرف، ما عدا عمر، فإن ابن ماجه خرج له حديثًا واحدًا[١] فلم يصب. وكذا خرج ابن ماجه للواقدى حديثًا واحدًا، فدلس اسمه وأبهمه[٢].

(١ و٢) راجع تعليقنا رقم (١٨٦) و(١٨٧) فى الجزء العاشر (ص ١٨٣).

وقال فى «السير» (٩/ ٢٨٤):

فى الصحيحين أحاديث قليلة فى «المسند»، لكن قد يقال: لا ترد على قوله، فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول: أن ما وجد فيه أن يكون حجة، ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة فى بحر. وفى غضون «المسند» زيادات. جمة لعبد اللَّه بن أحمد.

وقال الحافظ فى «السير» (١٤/ ٢٧٦):

كتاب «إحياء علوم الدين» لأبى حامد الغزالى فيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائف الحكماء ومنحرفى الصوفية، نسأل اللَّه علمًا نافعًا، تدرى ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسَّره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهيٌ عنه، قال- عليه الصلاة والسلام: «**من رغب عن سنتى فليس منى**»[1] فعليك يا أخى بتدبر كتاب اللَّه، وبإدمان النظر فى «الصحيحين» و«سنن النسائى»، و«رياض النواوى» و«أذكاره»، تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير فى متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه باللَّه. اللَّهم اهدنا إلى صراطك المستقيم.

وقال فى «السير» (١٤/ ٢٧٧):

قال أبو الفرج ابن الجوزى: صنف أبو حامد «الإحياء» وملأه بالأحاديث الباطلة، ولم يعلم بطلانها، وتكلم على الكشف، وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللواتى رآهن إبراهيم أنوار هى حجب اللَّه عز وجل، ولم يُردْ هذه المعروفات (!). وهذا من جنس كلام الباطنية، وقد ردَّ ابن الجوزى على أبى حامد فى كتاب «الإحياء» وبيَّن خطأه فى مجلدات، سمَّاهُ كتاب «الأحياء».

وقال فى «السير» (١٢/ ١٨٧):

قرأت بخط الحافظ الضياء فى جزء علّقهُ مآخذ على كتاب ابن حبان فقال فى حديث أنس

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، والنسائى (٦/ ٦٠)، وأحمد (٣/ ٢٤١ و٢٥٩ و٢٨٥) من حديث أنس بن مالك.

في «الوصـال»[١] : فيه دليل على أن الأخبار التي فيها وضع الحجر على بطنه من الجوع كلها بواطيل، وإنما معناها الحُجَر، وهو طرف الرداء، إذ اللّه يطعم رسولَه، وما يغني الحجر من الجوع[٢].

فعقب الذهبي بقوله: قلت: فقد ساق في كتابه حديث ابن عباس في خروج أبي بكر وعمر من الجوع، فلقيا النبي ﷺ فأخبراه. فقال: «**أخرجني الذي أخرجكما**» فدلّ على أنه كان يطعم ويسقى في الوصال خاصة.

وقال في حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لرجل: «**أصُمْتَ من سرر شعبان شيئًا؟ قال: لا. قال: إذا أفطرت فصم يومين**»[٣]. فهذه لفظه استخبار، يريد الإعلام بنفي جواز ذلك. كالمنكر عليه لو فعله، كقوله لعائشة: «**تسترين الجدر**»[٤]، وأمره بصوم يومين من شوال، أراد به انتهاء السرار. وذلك في الشهر الكامل والسرار في الشهر الناقص يوم واحد.

ثم قال (١٢/ ١٨٨): قلنا لو كان منكرًا عليه لما أمره بالقضاء.

وقال في «السير» (٧/ ٥٩٩):

وهم أبو حاتم حيث حكى أن البخاري تكلم في أبي تميلة، ومشى على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي. ولم أر ذكرًا لأبي تميلة في كتاب «الضعفاء» للبخاري، لا في الكبير ولا الصغير. ثم إن البخاري قد احتج بأبي تميلة، وقد كان محدث مرو مع الفضل بن موسى السِّيناني.

وقال في «السير» (٨/ ١٥):

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا حرملة: سمعت ابن وهب يقول: نذرتُ أني كلما

---

(١) هو: ما ورد عن أنس- رضي الله عنه- قال: واصل رسول الله ﷺ في أوَّل شهر رمضان فواصل ناسٌ من المسلمين فبلغه ذلك فقال: لو مُدَّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً، يدعُ المتعمقون تعمقهم، إنكم لستم مثلي، (أو قال) إني لستُ مثلكم، إنِّي أظل يطعمني ربي ويسقيني» أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤)، وراجع تخريجنا له في الموضع المشار إليه.

(٢) قد ثبت وضع ﷺ الحجر على بطنه من الجوع عند البخاري (٤١٠١)، وأحمد (٣/ ٣٠٠) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٨٣) ومسلم (١١٦١) من حديث عمران بن حصين.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧)، ومسلم (٢١٠٧).

اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويتُ أني كلما اغتبتُ إنسانًا أن اتصدَّق بدرهم، فمن حُبِّ الدراهم تركت الغيبة.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: هكذا- والله- كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع وعبد الله حجة مطلقًا، وحديثه كثير في الصحاح، وفي دواوين الإسلام، وحسبك بالنسائي وتعنته في النقد حيث يقول: وابن وهب ثقة، ما أعلمه روى عن الثقات حديثًا منكرًا.

ثم قال الذهبي (٨/ ١٥- ١٦):

قلت: أكثر في تواليفه من المقاطيع والمعضلات، وأكثر عن ابن سمعان وبابته، وقد تمعقل بعض الأئمة على ابن وهب في أخذه للحديث، وأنه كان يترخص في الأخذ، وسواء ترخص ورأى ذلك سائغًا، أو تشدد، فمن يروى مائة ألف حديث، ويندُرُ المنكر في سعة ما روى فإليه المنتهى في الإتقان.

وقال في «السير» (١٣/ ٣٦٥):

تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غزيرة الفوائد، قلَّ من جوَّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر، فينبغي للعالم أن يعتني بهؤلاء سيما «سننه الكبير» وقد قدم قبل موته بسنة أو أكثر إلى نيسابور، وتكاثر عليه الطلبة، وسمعوا منه كتبه، وجُلبت إلى العراق والشام والنواحي، واعتنى بها الحافظ أبو القاسم الدمشقي وسمعها من أصحاب البيهقي، ونقلها إلى دمشق هو وأبو الحسن المرادي.

وبلغنا عن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني قال: ما من فقيه شافعي إلاَّ وللشافعي عليه منَّة إلاَّ أبا بكر البيهقي، فإن المنَّة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبًا يجتهد فيه، لكان قادرًا على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل مما صحَّ فيها الحديث.

* *

■ **سابعًا تصانيفه:**

صنَّف - رحمه اللَّه - تصانيف كثيرة فى مختلف العلوم، واختصرًا كثيرًا من تآليف المتقدمين والمتأخرين، وكتب علمًا كثيرًا. وقد سار بجملة من هذه المصنفات الركبان فى أقطار البلدان، فمن هذه المصنفات:

١ - تاريخ الإسلام، وهو مطبوع متداول.

٢ - سير أعلام النبلاء، وهو هذا الذى بين يديك.

٣ - دول الإسلام. وهو مطبوع بحيدر أباد.

٤ - الإشارة إلى وفيات الأعيان، والمنتقى من تاريخ الإسلام.

٥ - الإعلام بوفيات الأعلام.

٦ - العباب فى التاريخ.

٧ - العبر فى خبر من غبر، وهو مطبوع بالكويت بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، والدكتور فؤاد السيد.

٨ - تجريد أسماء الصحابة، وهو مطبوع بحيدر أباد، وطبقات أخرى.

٩ - تذكرة الحفاظ.

١٠ - المعين فى طبقات المحدثين. وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد زينهم البدوى. وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور همام سعيد.

١١ - الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة. وهو مطبوع متداول.

١٢ - الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم. وهو مطبوع بالقاهرة.

١٣ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال. وهو مطبوع متداول.

١٤ - المغنى فى الضعفاء. وهو مطبوع متداول.

١٥ - المشتبه فى معرفة ما يشتبه ويتصحَّف من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب مما اتفق وضعًا واختلف نطقًا، وهو مطبوع متداول.

١٦- أخبار قضاة دمشق .

١٧- معجم الشيوخ الكبير وهو مطبوع بمكتبة الصديق بالطائف .

١٨- معجم شيوخه الأوسط .

١٩- معجم شيوخه الصغير .

٢٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . وهو مطبوع بالقاهرة .

٢١- المرتجل فى الكنى . أورده كارل برو كلمان فى «تاريخ الأدب العربى» (٢/ ٥٩) .

٢٢- هالة البدر فى عدد أهل بدر .

٢٣- ترجمة السِّلَفى- وهو المحدث أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى المتوفى سنة (٥٧٦ هـ) .

٢٤- ترجمة الشافعى .

٢٥- ترجمة مالك بن أنس .

٢٦- ترجمة الشيخ الموفق . وهو أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن قدامة المقدسى ، صاحب كتاب [المغنى] المتوفى سنة (٦٢٠هـ) .

٢٧- كسر وثن رتْن- وهو رتْن الهندى ، شيخ دجال كذاب ظهر بعد الستمائة فادَّعى الصحبة ومات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

٢٨- بيان زغل العلم والطلب . وهو مطبوع متداول .

٢٩- جزء فى فضل آية الكرسى .

٣٠- كتاب فى أحاديث الصفات .

٣١- جزء فى الشفاعة .

٣٢- كتاب العرش- أورده كارل بروكلمان فى «تاريخ الأدب العربى» (١/ ٤٧) .

٣٣- العلو للعلى الغفار . وهو مطبوع متداول .

٣٤- الكبائر . وهو مطبوع متداول .

٣٥- مسألة دوام النار .

٣٦- مسألة الغيبة .

٣٧- مسألة الوعيد .

٣٨- كتاب اللباس .

٣٩- كتاب الوتر .

٤٠- كتاب تحريم أدبار النساء .

٤١- جزء فى صلاة التسبيح .

٤٢- جزء فى دعاء المكروب .

٤٣- التعزية الحسنة بالأعزة .

٤٤- كشف الكُربة عند فقد الأحبة .

٤٥- الموقظة فى علم مصطلح الحديث . وهو مطبوع متداول .

٤٦- منية الطالب لأعز المطالب .

٤٧- طرق أحاديث النزول .

٤٨- كتاب الزيادة المضطربة .

٤٩- العذب السلسل فى الحديث المرسل .

٥٠- كتاب التمسك بالسنة . وهو مما اختصره من كتب المتقدمين .

٥١- التلخيص من كتاب المستدرك على الصحيحين للحافظ أبى عبد اللَّه الحاكم، رحمه اللَّه . وهو مطبوع بهامش مستدرك الحاكم .

٥٢- مختصر سنن البيهقى الكبرى . وهو مطبوع .

٥٣- مختصر المحلى .

٥٤- مختصر الزهد للبيهقى .

٥٥- مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

٥٦- مختصر سلاح المؤمن فى الأدعية المأثورة لابن الإمام وهو أبو الفتح محمد بن محمد ابن على المصرى المتوفى سنة (٧٤٥هـ).

٥٧- مختصر الفاروق فى الصفات لشيخ الإسلام الأنصارى.

٥٨- مختصر القدر للبيهقى.

٥٩- مختصر المدخل إلى كتاب السنن للبيهقى.

٦٠- مختصر وفيات الأعيان لابن خلكان.

٦١- مختصر الضعفاء لابن الجوزى.

٦٢- مختصر تاريخ دمشق.

٦٣- كتاب النبلاء فى شيوخ السنة. وهو مختصر من كتاب [المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الأئمة النَّبل] لابن عساكر.

٦٤- المنتقى من مسند عبد بن حميد.

٦٥- المنتقى من مسند أبى عوانة.

٦٦- منتقى الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر.

■ **ثامنًا منهجه فى كتابه:**

قسم الحافظ كتاب السير إلى خمس وثلاثين طبقة فى أربعة عشر مجلدًا، ولم يسر فيه على نسق واحد، فالطبقة الثالثة والثلاثون تمتد من سنة (٦١٨ هـ) وهى سنة وفاة ابن راجح الجماعيلى الحنبلى إلى سنة (٦٣٥ هـ) وهى سنة وفاة مُكْرَم بن محمد بن حمزة بن أبى الصقر. فاستوعبت هذه الطبقة سبعة عشر عامًا.

وأما الطبقة الرابعة والثلاثون فبدأت من سنة (٦٣٦ هـ) وهى سنة وفاة أبى الفضل جعفر ابن على الهمدانى إلى سنة (٦٥٢ هـ) وهى سنة وفاة ابن عَلاَّن القيس الدمشقى. وقد استوعبت ستة عشر عامًا.

أما الطبقة الخامسة والثلاثون فبدأت من سنة (٦٥٣ هـ) وهى سنة وفاة إسماعيل بن حامد القوصى إلى سنة (٧٣٩ هـ). وهى سنة رؤية الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- لقليج قان ولد المعز عند قاضى القضاة تقى الدين السُّبكى. فاستوعبت هذه الطبقة ستة وثمانين عامًا. بينما امتدت

الطبقة التاسعة عشرة من سنة (٣٣٤ هـ) وهى سنة وفاة الوزير العادل على بن عيسى بن داود ابن الجراح، وحتى سنة (٣٤٣ هـ)، وهى سنة وفاة أبى العباس محمد بن إسحاق الضِّبعى، فاستوعبت هذه الطبقة تسع سنوات حَسْب.

وقد تناولت هذه الطبقات الخمس والثلاثون جميع العصور من أوَّل عصر الصحابة إلى عصر المؤلف.

وقد بلغت عدد تراجم المترجمين (٥٩٦٤) ترجمة، وقد كرر بعض هذه التراجم، وقد ترجم فيها لجميع الأعلام فى مشارق الأرض ومغاربها من ملوك، وخلفاء، وأمراء، ووزراء، وأطباء، ومحدثين، وفقهاء، ونحاة، وشعراء، وزهاد، وفلاسفة، ومتكلمين غير أن اهتمامه الأكبر كان بالمحدثين الذى عنى بهم أيَّما عناية، فقد كان- رحمه اللَّه- شديد الإجلال والإكبار لهم، ولا غَروَ فهم الذين يُنافحون عن السنة المشرفة، ومعرفة تراجم هؤلاء المحدثين وبيان شيوخهم وتلامذتهم، وكلام العلماء عليهم جرحًا وتعديلاً مما يُساعد فى دراسة الأسانيد، والحكم عليها بما يليق بها من صحة أو ضعف ونحوه.

كما جعل الحافظ الصحابة طبقة واحدة، لكنه قسم الصحابة إلى قسمين؛ قسم كبار الصحابة، وقسم لصغار الصحابة، لكنه وضع تراجم العشرة المبشرين بالجنة فى مقدمة تراجم الصحابة. ولم يرتب بقية الصحابة تبعًا للحوادث الزمنية؛ فجعل الحافظ الذهبى تراجم أمهات المؤمنين وبنات رسول اللَّه ﷺ فى مواضع متتالية- ليكون القارئ على علم بسيرهم- لكنه وضع ترجمة أم المؤمنين سودة بنت زمعة التى تزوجها رسول اللَّه ﷺ بعد خديجة- رضى اللَّه عنها- وضعها بعد ترجمة جويرية، ووضع ترجمة عائشة فى إثر ترجمة خديجة- رضى اللَّه عنهما- فلم يرتب التراجم على الأحداث الزمنية، ولم يسر على نسق خاص فى ترتيب تراجم الصحابة، رضى اللَّه عنهم.

وقسم الحافظ- رحمه اللَّه تعالى- التابعين إلى ست طبقات؛ طبقة كبراء التابعين، وتبدأ من مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية المتوفى سنة (٦٥ هـ) وتنتهى فى سنة (٩٣ هـ) وهى السنة التى توفى فيها صفوان بن محرز.

ثم الطبقة الثانية من التابعين: وتبدأ بأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، والمتوفى سنة (٩٤ هـ) والتى امتدت إلى سنة (١٠٧ هـ)، وهى السنة التى مات فيها الشاعر الفحل كُثَيِّر عزَّة.

ثم الطبقة الثالثة من التابعين ؛ والتى بدأها بمعاوية بن قُرَّة، المتوفَّى سنة (١١٣ هـ)، والتى امتدت إلى سنة (١٢٧ هـ) والتى مات فيها أبو إسحاق عمرو بن عبد اللَّه السَّبيعى .

أما الطبقة الرابعة من التابعين ؛ والتى بدأها بمنصور بن المعتمر، المتوفى سنة (١٣٣ هـ)، وامتدت إلى سنة (١٥٠ هـ) والتى توفى فيها حبيب المعلم .

ثم الطبقة الخامسة من التابعين ؛ والتى بدأها بجعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب، والمتوفى سنة (١٢٨ هـ)، وامتدت إلى سنة (١٥٦ هـ)، والتى توفى فيها عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى .

أما الطبقة السادسة من التابعين ؛ وهى طبقة صغار التابعين، والتى بدأها بسعيد بن أبى عروبة، والمتوفى فى سنة (١٥٦ هـ)، وامتدت إلى سنة (١٦١ هـ)، وهى السنة التى توفى فيها يزيد بن إبراهيم التسترى، أبو سعيد البصرى .

والملاحظ أنه لم يرتب التراجم فى الطبقات على سنة الوفاة، فتراه مثلاً ينهى الطبقة الرابعة بحبيب المعلم، المتوفى سنة (١٥٠ هـ)، ويبدأ الطبقة الخامسة بجعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب المتوفى سنة (١٢٨ هـ) .

وقد جمع الحافظ- رحمه اللَّه- بين الإخوة والأقارب فى طبقة واحدة، فجمع فى الطبقة الثانية من التابعين بين أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، المتوفى سنة (١٠٤ هـ)، وأخيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، المتوفى سنة (٩٦ هـ) . لكنه وضع ترجمة أبى سلمة بن عبد الرحمن قبل ترجمة أخيه إبراهيم بن عبد الرحمن، وبين وفايتهما ثمانى سنوات، وكان الأولى أن يقدم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الذى توفى قبل أخيه أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، والذى تأخر عنه فى الوفاة، فلم يراع سنة الوفاة بينهما .

كما فى الطبقة الثامنة والعشرين بين أخوين، وهما الملك شهاب الدين أبى القاسم محمود بن تاج الملوك بورى بن الأتابك طُغتكين الذى قتل فى سنة (٥٣٣ هـ)، وأخيه جمال الدين أبى المظفر محمد الذى توفى بعد أخيه بعشرة أشهر .

كما يجمع الحافظ بين الآباء والأبناء فى طبقة واحدة، وإن تباعدت سنى وفاتهم، ففى الطبقة الثلاثين وضع ترجمة قاضى القضاة أبى طالب روح بن أحمد بن محمد بن أحمد الحديثى البغدادى المتوفى سنة (٥٧٠ هـ) وأعقبه بابنه أبى المعالى عبد الملك بن روح، المتوفى

سنة (٥٧٠ هـ)، وبين قاضي القضاة كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد اللَّه بن القاسم بن مُظفَّر بن الشَّهْرزوري الموصلي، المتوفى سنة (٥٧٢ هـ) وابنه قاضي القضاة أبي حامد محمد، المتوفى سنة (٥٨٦ هـ) مع التباعد بين سنتي وفاتيهما.

وفي الطبقة الثلاثين أيضًا جمع بين أبي المحامد حماد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الصفاري، المتوفى سنة (٥٧٦ هـ)، وأبيه العلامة ركن الدين أبي إسحاق إبراهيم، ولم يذكر له الحافظ سنة وفاة. وقد وضع ترجمتيهما متتاليتين.

وفي الطبقة الثلاثين أيضًا جمع بين السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، المتوفى سنة (٥٨٩ هـ)، وجمعه مع بنيه في تراجم متتالية، وهم أبو الفتح عماد الدين عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، المتوفى سنة (٥٩٥ هـ)، وابنه الفاضل أبو الحسن علي بن يوسف، المتوفى سنة (٦٢٢ هـ)، وابنه الظاهر سلطان حلب، غياث الدين أبو منصور، غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، المتوفى سنة (٦١٣ هـ). وقد جمع الحافظ بينهم مع تباعد سني وفاتهم ووفاة أبيهم السلطان صلاح الدين.

ثم ذكر الحافظ أخا السلطان صلاح الدين في نفس الطبقة، وهو صاحب اليمن سيف الإسلام، طُغْتكين بن أيوب بن شاذي، المتوفى في شوال سنة (٥٩٣ هـ).

لقد كان الذهبي ذا علمٍ ثرٍّ في كتابة التراجم، ولا غَرْوَ فهو الذي ألَّف تاريخ الإسلام الذي حوى تراجم كثيرة، وتذكرة الحفاظ، والعبر، وميزان الاعتدال، وغيرها من كتب التراجم، فكان- رحمه اللَّه- موسوعة معرفية في هذا العلم، وكان من بعده من العلماء وطلاب العلم عيال على هذه الكتب التي أثْرت المكتبة الإسلامية، وأغنت العلماء في مجال طالما يحتاجون إليه في دراساتهم الحديثية والتاريخية. ولطالما بحثت عن ترجمة لأحد العلماء أو رواة الأحاديث فلم أجدها في كتب متداولة، وأقف على طلبتي في «السير»، فلا ريب أنه كتاب واسع استوعب كثيراً من تراجم الأعلام؛ ملوك، وخلفاء، وأمراء، وولاة، ووزراء، وأطباء، ومحدثين، وفقهاء، ونحاة، وشعراء، وزهاد، وفلاسفة، ومتكلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لكنه عنى أيَّما عناية بتراجم المحدثين الذي كان عظيم الإجلال والإكبار لهم، فهم الذين يحمون بيضة الإسلام، وينافحون عن حياض السنة المشرفة المصدر الثاني للتشريع، ودراسة تراجم هؤلاء المحدثين، ومعرفة شيوخهم وتلامذتهم وكلام العلماء عليهم جرحًا وتعديلاً ممَّا يعوزُه كلُّ دارسٍ للأسانيد؛ لكي يقف على درجة الحديث من صحة أو ضعف وغيره.

وقد اعتنى الحافظ الذهبي- رحمه اللَّه- بنقد المترجمين، والرد على بعض الأخطاء والانحرافات العقدية والفقهية والحديثية يراه القارئ الكريم في ردوده المبثوثة في تراجم الكتاب. وقد ذكرت مبحثًا خاصًا في هذه التقدمة لآرائه العقدية والفقهية والحديثية، وذكرت بعضًا من أقوال المترجمين وتعقب الحافظ الذهبي لهم، وردِّه عليهم بالأدلة النقلية والعقلية التي يقيم بها الحجة ساطعة على مخالفيه مما يدُلُّ على رسوخ قدمه في العلوم الشرعية وتمكنه فيها.

وقد اعتنى الحافظ أيضًا بنقد المترجمين من رواة الأحاديث فيورد كلام علماء الجرح والتعديل في الرجل المترجم له، وقد يرجِّح رأيًا على آخر في الرجل ويدلل عليه؛ فيقول الحافظ- رحمه اللَّه- في «السير» (٦/ ٥٦٣): قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث «البيعان بالخيار» فقال: يستتاب، فإن تاب، وإلاَّ ضربت عنقه، ثم قال أحمد: هو أورع وأقول بالحق من مالك.

فتعقبه الذهبي (٦/ ٥٦٤) بقوله:

قلت: لو كان ورعًا كما ينبغي، لما قال هذا الكلام القبيح في حقٍّ إمام عظيم، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث، لأنه رآه منسوخًا. وقيل: عمل به، وحمل قوله: «**حتى يتفرقا**» على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث، وفي كل حديث له أجر ولابد، فإن أصاب، ازداد أجرًا آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحرورية- أي الخوارج- وبكل حال: فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه، فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة في زمانهما- رضي اللَّه عنهما- ولم يسندها الإمام أحمد، فلعلها لم تصح.

وقال في «السير» (٦/ ٥٦٧):

قال عثمان الدارمي: قلت ليحيى: ما حال ابن أبي ذئب في الزهري؟ فقال: ابن أبي ذئب ثقة.

فعقب الذهبي بقوله: قلت: هو ثقة مرضي، وقد قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: سألت عليًا عنه، فقال: كان عندنا ثقة، وكانوا يوهنونه في أشياء رواها عن الزهري. وسئل عنه أحمد، فوثقه، ولم يرضه في الزهري.

وتراه يرجح بين راو حافظ، وراو آخر من معاصريه، فقال في «السير» (٧/ ١٠٧): كان حماد بن سلمة بحرًا من بحور العلم، وله أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق، حجة- إن شاء اللَّه- وليس هو في الإتقان كحماد بن زيد، وتحايد البخاري إخراج حديثه إلاَّ حديثًا خرجه في الرقاق، فقال: قال لي أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي. ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن. ومسلم روى له في الأصول، عن ثابت وحميد، لكونه خبيرًا بهما.

ثم عقد الحافظ الذهبي- رحمه اللَّه- فصلاً في «السير» (٧/ ١١٨) وهو في غاية الأهمية لكلِّ علماء الحديث وطلابه في التمييز بين الحمادين: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وفي التمييز بين السفيانين: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة. وهذا يبين سعة علمه- رحمه اللَّه- وعلو كعبه في علوم الحديث.

كما انتقد الحافظ- رحمه اللَّه- بعض علماء الجرح والتعديل في توثيق الرجال وتجريحهم فقال- رحمه اللَّه- في «السير» (٧/ ٥٨٣): كان يحيى بن سعيد القطان متعنتًا في نقد الرجال، فإذا رأيته قد وثق شيخًا، فاعتمد عليه، أمَّا إذا ليَّن أحدًا، فتأنَّ في أمره حتى ترى قول غيره فيه، فقد لين مثل إسرائيل، وهمام، وجماعة احتج بهم الشيخان.

وقال في «الميزان» (١/ ٦١):

لا يلتفت إلى قول الأزدي، فإنَّ في لسانه في الجرح رهقًا.

وقال في «السير» (٧/ ٥٩٩):

وَهِمَ أبو حاتم حيث حكى أن البخاري تكلم في أبي تميلة، ومشى على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي. ولم أر ذكرًا لأبي تميلة في كتاب «الضعفاء» للبخاري لا في الكبير ولا الصغير. ثم إنَّ البخاري قد احتج بأبي تميلة، وقد كان محدث مرو مع الفضل ابن موسى السِّيناني.

ويبين الحافظ- رحمه اللَّه- متى يرد حديث المختلط، فيقول- رحمه اللَّه تعالى- في «السير» (٨/ ٣٦٥): كلُّ تغير يوجد في مرض الموت، فليس بقادح في الثقة، فإن غالب الناس يعتريهم في المرض الحاد نحو ذلك، ويتم لهم وقت السياق وقبله أشدّ من ذلك، وإنما المحذور أن يقع الاختلاط بالثقة، فيحدث في حال اختلاطه بما يضطرب في إسناده، أو متنه، فيخالف فيه.

وانتقد- رحمه اللَّه- أحاديث فى «المسند» لم ترد فى «الصحيحين» فقال فى «السير» (٩/ ٢٨٤): فى الصحيحين أحاديث قليلة ليست فى «المسند»، لكن قد يقال: لا ترد على قوله، فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول: أن ما وجد فيه أن يكون حجة، ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة فى بحر. وفى غضون «المسند» زيادات جمة لعبد اللَّه بن أحمد.

وينتقد الأحاديث التى وردت فى كتاب «إحياء علوم الدين» لأبى حامد الغزالى؛ فقال فى «السير» (١٤/ ٢٧٦): كتاب «إحياء علوم الدين» لأبى حامد الغزالى فيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب، ورسوم، وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرفى الصوفية، نسأل اللَّه علما نافعًا.

وتراه ينتقد أحاديث سنن ابن ماجه؛ فقال فى «السير» (١٠/ ٣٧٤): قد كان ابن ماجه حافظًا ناقدًا صادقًا، واسع العلم، وإنما غضَّ من رتبة «سننه» ما فى الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات. وفيه أحاديث لا تقوم بها حجة نحو الألف.

وكثيرًا ما يورد الحافظ- رحمه اللَّه تعالى- فى تراجم علماء الحديث ورواته أحاديث رووها بأسانيد لأنفسهم، فيعقب الحافظ عليها فيقول مثلاً: إسناده واه، أو إسناده ضعيف، أو إسناده صحيح، ونحو ذلك. وقد وقع هذا كثيرًا فى تراجم رواة الأحاديث ولا يترك الحافظ هاتيك الأحاديث دون نقد لها، أو حكم على أسانيدها فكثيرًا ما يقول: هذا حديث صحيح، أو ضعيف، أو موضوع.

وهذا وفق ما يراه من حال هاتيك الأحاديث التى سبر حالها، فقال- رحمه اللَّه- فى «السير»: (٣/ ٤٤٧- ٤٤٨): قيل: إن كلَّ حديث فيه يا حميراء، لم يصح، وأوهى ذلك تشميس الماء، وقول النبى ﷺ لها: لا تفعلى يا حميراء، فإنه يورث البرص، فإنه خبر موضوع.

لذا فقد قال الشيخ كمال الدين ابن الزَّمْلكانى- رحمه اللَّه: أعجبنى منه ما يعانيه فى تصانيفه من أنه لا يتعدَّى حديثًا يورده حتى يتبين ما فيه من ضعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن فى رواته، وهذا لم أر غيره يراعى هذه الفايدة فيما يورده. وأورد هذا الحافظ صلاح الدين الصفدى، تلميذ الذهبى فى كتابه «الوافى بالوفيات» (٢/ ١٦٣).

ويبين بلسان وقلم الناقد الحاذق أن كلام الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، فيقول- رحمه اللَّه- في «السير» (٦/ ٤٩٦): لسنا ندَّعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر. ولا من الكلام بنفسٍ حادٍّ فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر، لا عبرة به، ولاسيما إذا وثّق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف.

ومحمد بن إسحاق، ومالك بن أنس كل منهما قد نال من صاحبه، لكنه أثرَّ كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، وأمَّا في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلاَّ فيما شذَّ فيه، فإنه يُعدُّ منكرًا.

هكذا يبيِّنُ قلمه ولسانه عن موهبة نقدية تنبئ عن علم ثرٍّ في الجرح والتعديل، وسائر علوم الحديث، وهي انتقادات منصفة ليس فيها حَيْف أو انحرافٍ عن الجادَّة.

وقد أطال الحافظ- رحمه اللَّه- بعض تراجم الأعلام وقصَّر بعضًا آخر، وذلك حسب حال المترجم ومنزلته العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية، وقد اتبع منهجًا خاصًا في صياغة الترجمة فيذكر لقب المترجم وكنيته واسمه ونسبته، ثم يذكر تاريخ ولادته، وشيوخه، وتلاميذه، كما يذكر مؤلفاته وآثاره العلمية، ثم يذكر مكانتة العلمية من خلال أقوال العلماء فيه، ثم يذكر تاريخ الوفاة، وربما يذكر عدة أقوال في تاريخ وفاة المترجم، ويرجح بينها. ويذكر من مات مع هذا المترجم في هذه السنة من الأعلام.

■ **تاسعًا: أهمية كتاب السير بين كتب التراجم:**

لا جرم أن كتاب سير أعلام النبلاء من أعظم كتب التراجم التي حوت قدرًا كبيرًا من تراجم الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها خلفاء، وملوك، وأمراء، ووزراء، وأطباء، ومحدثين، وفقهاء، ونحاة، وشعراء، وزهاد، وفلاسفة، ومتكلمين. أوْعَب فيها الحافظ- رحمه اللَّه تعالى- تراجم حقبة كبيرة من الزمن ربت على السبعمائة عام من عصر الصحابة- رضي اللَّه عنهم- إلى عصره الذي عاش فيه، وهي موسوعة معرفية هامة ينهل منها كلُّ المتخصصين في التاريخ، والحديث، والنحو، والشعر، والفلسفة، وعلم الكلام، وغيرها من المعارف.

وهذا الكتاب الفذ يُعدُّ تصويرًا صادقًا لما كانت عليه الأمة الإسلامية من تقدم وازدهار فى كافة العلوم المعرفية، فهؤلاء هم علماء الأمة، ومؤرخوها، وشعراؤها الذين لا يزالون مفخرةً للعرب والمسلمين فى مختلف العصور، فما وجد هذا الحشد الهائل من العلماء، والمؤرخين، والنحاة، والشعراء، وغيرهم فى أمة من الأمم.

وهؤلاء هم الملوك والأمراء الذين فتحوا البلاد، ونافحوا عن المقدسات، قد سطر التاريخ بطولاتهم بأحرف من نور يستضىء بسيرتهم أبناء الأمة الإسلامية من ملوك، ورؤساء، وعلماء. فلا جرم أن يكونوا مفخرة للعرب والمسلمين فى مختلف الدهور والعصور.

إن هذا الكتاب الفذ بهذا الحشد الهائل من العلماء، والمؤرخين، والشعراء لخير شاهد على أن أمة أنجبت هذا الحشد الكبير لهى أمة تقدِّمُ العلم والمعرفة، وهى حقيقة بأن يُنظر إليها بعين الإجلال والإكْبار.

ولا جرم أن هذا الكتاب بهذا الحجم الضخم من التراجم سيكون مقصد كلّ متعلم وباحث عن المعرفة، فإذا أراد التوسع فى سيرة أىِّ علم من الأعلام، فسيجد طلْبته ومقصده فى هذا الكتاب، وإذا لم يجد ترجمة فى الكتب المتداولة فسيجدها فى هذا الكتابَ العظيم.

إن هذا الكتاب العظيم بهذه التراجم الكثيرة، والتى توسَّع فيها عن تراجم «تاريخ الإسلام» بأخباره الكثيرة، ومادته العلمية الثَّرَّة لهو حقيق بإجلال وإكبار كلِّ العلماء على مختلف تخصصاتهم العلمية. فرحم اللَّه عالمنا الحافظ الذهبى الذى ختم حياته بهذا المؤلف العظيم رحمة واسعة، وحشرنا فى زمرته إنه سميع مجيب كريم جواد.

■ **عاشراً وفاته:**

قال تلميذُ الأديب العلامة الشيخ صلاح الدين أبو الصفاء الصَّفدى فى كتابه «الوافى بالوفيات» (٢/ ١٦٥): أخبرنى العلامة قاضى القضاة تقى الدين السُّبكى الشافعى قال: عُدتُ الحافظ شمس الدين الذهبى ليلة مات، فقلتُ له: كيف تجدك؟ قال: فى السِّياق. وكان قد أضرَّ- رحمه اللَّه تعالى- قبل موته بأربع سنين أو أكثر بماء نزل فى عينيه، فكان يتأذَّى ويغضب إذا قيل له: لو قَدحْتَ هذه لرجع إليك بصرك. ويقولُ: ليس هذا بماء، وأنا أعرف بنفسى؛ لأننى ما زال بصرى ينقص قليلاً قليلاً إلى أن تكامل عدمه. ثم سأله: أدَخل وقتُ المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصَلِّ العصر؟ فقال: بلى ولكن لم أصلِّ المغرب إلى الآن، ثم

سأله الشيخ تقى الدين على السُّبْكى- رحمه اللَّه- عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاهُ بذلك، ففعلَهُ، ومات بعد العشاء قبل نصف الليل[(١)] ليلة الإثنين ثالث ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مائة بدمشق، بالمدرسة المنسوبة لأمِّ الصالح، فى قاعة سكَنه-، وصُلِّى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر فى جامع دمشق، ودفن بباب الصغير. وحضر الصلاة عليه تلميذه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على السبكى- صاحب «طبقات الشافعية الكبرى»- وقال فى «الطبقات» (٩/ ١٠٦): أنشدنا شيخنا الذهبى، من لفظه لنفسه[(٢)]:

تولَّى شبابى كأن لم يكُنْ ... وأقبلَ شيبٌ علينا تَوَلَّى
ومن عَاينَ المُنْحنى والنَّقَى ... فما بعدَ هذين إلاّ المُصَلَّى

ثم قال الشيخ عبد الوهاب بن على السُّبْكى تاج الدين: وأنشدنا لنفسه، وأرسلها معى إلى الوالد رحمه اللَّه، وهى فيما أراهُ آخر شعرٍ قالهُ، لأن ذلك كان فى مرض موته، قبل موته بيومين أو ثلاثة.

قال الحافظ الذهبى- رحمه اللَّه- فى آخر شعر قاله- يمدحُ به تقى الدين على السبكى، والد تاج الدين عبد الوهاب صاحب الطبقات:

تقىَّ الدين يا قاضى المَمالكْ ... ومَنْ نحنُ العَبيدُ وأنتَ مالكْ
بلَغْتَ المجْدَ فى دين ودُنيا ... ونلْتَ من العُلُوم مَدَى كمالكْ
ففى الأحكام أقْضَانًا علىٌّ ... وفى الخُدَّام مع أنس بن مالكْ
وكابْنِ مَعين فى حفظ ونَقْد ... وفى الفُتْيا كَسفيان ومالكْ
وفَخْرِ الدِّين فى جَدَلٍ وبَحْثٍ ... وفى النَّحوْ المُبِّرد وابنِ مالكْ
وتَسْكنُ عند رضْوان قريبًا ... كما زُحْزحْتَ عن نيران مالكْ
تَشَفَّعْ فى أناسٍ فى فراء ... لتكسُوَهُمْ ولو من رأس مالكْ
لتُعْطَى فى اليمين كتابَ خَيْرٍ ... ولا تُعْطَى كتَابَكَ فى شمالكْ

ورثاه تقى الدين على السبكى، فقال:

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى (٩/ ١٠٥- ١٠٦).

(٢) البيتان فى: شذرات الذهب (٦/ ١٥٥)، وذيول تذكرة الحفاظ (٣٧).

لما قضى شيخنا وعالمنا ... ومات فى التاريخ والنَّسَبِ
قلتُ عجيبٌ وحُقَّ ذا عجبًا ... كيف تَخَطَّى البِلَى إلى الذَّهب

ورثاه صلاح الدين الصفدى، فقال:

أشمسُ الدين غبْتَ وكلّ شمس ... يغيبُ وزال عنَّا ظلّ فَضْلك
وكَم ورَّخْتَ أنتَ وفاة شخص ... وما ورَّخْتَ قط وفاة مثْلك

ورثاه تاج الدين عبد الوهاب بن على السُّبكى بقصيدة مطلعها:

منْ للحديث وللسَّارينَ فى الطَّلب ... من بعْد مَوْت الإمام الحافظ الذَّهبى
مَنْ للرِّواية للأخبار ينشرُها ... بين البَريَّة من عُجْم ومن عَرَب
مَنْ للدِّراية . والآثار يحْفظْها ... بالنَّقد من وَضْع أهل الغَىِّ والكَذب
مَنْ للصِّناعة يدْرى حَلَّ مُعْضلها ... حتى يُريكَ جلاءَ الشَّكِّ والرِّيَب
مَنْ للجماعة أهل العلْم تُلْبِسُهُمْ ... أعلامُهُ الغُرُّ من أبْرادها القُشُب
مَنْ للتَّخاريج يُبْديها ويَدْخُلُ فى ... أبوابها فاتحًا للمُقْفَل الأشب
من فى القراآت بين الناس نافعُهُمْ ... وعاصمٌ ركْنَها فى الجَحْفل اللَّجب
من للخطابة لَمَّا لاحَ يَرْفُلُ فى ... ثَوْب السَّواد كبدرٍ لاحَ فى سُحُب(١)

ومن هذه القصيدة:

وإنْ تَغبْ ذاتُ شمس الدّين لا عَجَبٌ ... فأىُّ شمس رأيناها ولم تَغب
هو الإمامُ الذى روَّتْ روايتُهُ ... وطبَّق الأرضَ من طُلاَّبه النُّجُب
مُهذَّبُ القَول لاعىٌّ ولَجْلَجَةٌ ... مُثَبَّتُ النَّقْل سامى القَصْد والحَسَب
ثَبْتٌ صدُوقٌ خبيرٌ حافظٌ يَقظٌ ... فى النَّقل أصْدقُ أنباءً من الكُتُب
كالزُّهْر فى حَسَبٍ والزَّهر فى نَسَبٍ ... والنَّهْر فى حَدَبٍ والدَّهْر فى رُتَبٍ(٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى (٩/ ١٠٩).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١١٠ - ١١١).

وقد ترك الذهبي أولاداً ثلاثة كانوا من العلماء، وهم:

١- ابْنته أم سلمة: سمعت مع أبيها من عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن حمد، أبى محمد الصَّالحى السمسار ومطعِّم الأشجار، المتوفى سنة [٧١٩ هـ- ١٣٢٠م]، قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٨٦): «قلت: وسمعه معى ولداى عبد اللَّه وأم سَلْمى». وقد أجاز لها ولوالدها شيخ المستنصرية الإمام العالم المحدِّث الصادق الخَيِّرُ رشيد الدّين أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن عمر بن أبى القاسم البغدادى، المتوفى سنة (٧٠٧ هـ-١٣٠٧م] كما قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٠٤) أجاز لنا مروياته غير مرَّة أوَّلها فى سنة خمس وتسعين وستمائة [٦٩٥ هـ- ١٢٩٦م] وأجاز لبنتى أم سلمة. وقد كان انفرد بأجزاء عوالى الأول الكبير من المخلَّصات، وجزء ابن كرامة، وتاسع الجَعْديات، والأطعمة للدَّارمى، والأوَّل من عوالى ابن البطر، وجزء ابن محمش، وجزء ابن بالويه، والخامس والسادس من حديث ابن صاعد، وجزء ابن المنذر، ودرجات التائبين، ولُمع ابن السراج فى التصوف.

٢- ابنُهُ أبو هريرة، عبد الرحمن: قرأ هو ووالده على عمَّة الحافظ الذّهبى: ستّ الأهل بنت عثمان بن قايماز بن عبد اللَّه، أم محمد المتوفّاة سنة [٧٢٩ هـ- ١٣٢٩م] كما قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٢٨٥).

وسمع هو ووالده الحافظ الذهبى من عبد المحسن بن إبراهيم بن خولان الصالحى، المتوفى سنة [٧٢٢ هـ] كما قال فى «معجم شيوخه الكبير» (١/ ٤١٦).

وسمع مع أبيه من فاطمة بنت الإمام القدوة عز الدين إبراهيم بن عبد اللَّه بن محمد بن أحمد الصالحية الحنبلية، قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ١٠٢): «روت لنا نسخة أبى مُسْهِر، وجزء الفُراتى، سمعهما معى ابنى عبد الرحمن».

وسمع مع أبيه من محمد بن أحمد الزَّرَّاد الحريرى الصالحى، المتوفى سنة [٧٢٦ هـ= ١٣٢٦م]. قال الحافظ فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ١٧٠): سمعت منه مع ولَدى عبد الرحمن جزء ابن عرفة، وجزء ابن فيل، والبطاقة، والجمعة، ونسخة إبراهيم بن سعد، وجزء الفراتى، ونسخة أبى مُسْهر، وجزء الكسائى، ومعه من الذكر لابن فارس، وفضائل معاوية، وفوائد نصر، وجزء ابن الفرات، والعلم لأبى خيثمة.

وأجاز له الشيخ محمد بن عبد الحميد بن عبد اللَّه بن خلف، أبو الفضل القرشى المصرى المؤدّب، المتوفى سنة [٧١٦ هـ= ١٣١٦م] كما قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٠٦).

وسمع مع والده من الشيخ محمد بن على بن سالم بن رضوان المزّى، أبى عبد اللَّه المؤذّن النَّجّار، المتوفى سنة [٧٢٢ هـ= ١٣٢٢م]، قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٢٣٨- ٢٣٩):

سمعت منه مع ابنى عبد الرحمن جزء ابن فيل، ونسخة إبراهيم بن سعد، والجمعة، وجزء البطاقة.

توفى ابنه أبو هريرة عبد الرحمن سنة (٧٩٩ هـ) كما قال الحافظ ابن حجر فى «الدرر الكامنة» (٢/ ٤٤٩). وعاش نيِّفًا وثمانين سنة كما فى «معجم الشيوخ الكبير» (١/ ٤١٦).

٣- ابنه أبو الدرداء عبد اللَّه: سمع مع أبيه من الشيخ عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن حمد، أبى محمد الصالحى السمسار فى العقار ومطعِّم الأشجار، المتوفى سنة [٧١٩ هـ= ١٣٢٠م] كما قال الحافظ الذهبى فى «معجم شيوخه الكبير» (٢/ ٨٦):

قلت: وسمعه معى ولداى عبد اللَّه وأم سَلْمى. مات عبد اللَّه بن الحافظ الذهبى فى ذى الحجة سنة (٧٥٤ هـ) كما قال الحافظ ابن حجر فى «الدرر الكامنة» (٢/ ٣٩٢).

* *

■ **حادى عشر :**

ترجمة موجزة عن مُحَقِّق الكتاب محمد أيمن الشبراوى ، عفا اللَّه عنه .

● **مولده ونسبه ونشأته :**

هو أبو يَعْلَى القويسنى السَّلَفى ، محمد أيمن بن عبد اللَّه بن حسن بن محمد الشَّبْراوى . ولد سنة [١٣٧٦ هـ= ١٩٥٥م] فى مدينة الجيزة المصرية التى كان يعمل بها والده موظفًا بالبريد . وهو منسوب إلى مدينة قويسنا- بمحافظة المنوفية المصرية .

● **مشايخه :**

١- الشيخ مقبل بن هادى الوادعى ، مُحدِّث اليمن وعالمها ، المتوفى فى جمادى الأولى سنة (١٤٢٢ هـ) له مصنَّفات مشهورة فى علم الحديث .

٢- العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، رحمه اللَّه تعالى ، والمتوفى فى رجب (١٤٢٠ هـ) ، وهو مُحدِّث الشام ، له مُصنَّفات وتآليف مشهورة كثيرة منها سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، وكتاب إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل ، وكتب كثيرة .

٣- الأديب الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة ، ومدير المسجد الأقصى بوزارة الأوقاف الأردنية ، وإمام مسجد صلاح الدين- عمان الأردن .

● **تلامذته :**

تتلمذ على يده كثير من طلبة العلم فى علم الحديث الذى شرح أصوله مرات عديدة ، كما شرح أصول الفقه لبعض طلاب العلم . وقرأ عليه تلامذة كثيرون فى مصر وخارجها . منهم من كان يبحث فى الدراسات العليا فى كلية الشريعة قسم الحديث ، وأفاد كثيراً من طلاب العلم فى بحوثهم وفى رسائلهم فى الماجستير والدكتوراة خاصة فى علم الحديث الذى حاز فيه قصب السبق ، ولم ير فيه مثل نفسه تحت أديم سماء مصر .

❊ ❊

● **مصنفاته** :

له مصنفات كثيرة، وتحقيقات، وفهارس علمية لكثير من كتب السنة طُبِعَ أغلبها بلبنان ومصر، من هذه الكتب :

١- الأرائكُ المصنوعة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تأليف له فى ثلاث مجلدات، كلُّ مجلد يتضمن أربعمائة حديث، والمجلدات الثلاث تتضمن (١٢٠٠) حديث كلها أحاديث مشهورة تدور على ألسنة الخطباء والوعاظ والمتكلمين فى إذاعات القرآن الكريم، وقد استوعب طرق هذه الأحاديث، وتكلم على هذه الطرق جرحًا وتعديلاً بإسهاب، وحكم على كلِّ حديث بما يليق بحاله، وليس فيها حديث واحد ذكره الشيخ الألبانى إلاَّ عدة أحاديث يسيرة انتقدها عليه من مخالفة فى حكم، أو زيادة علة أغفل الكلام عليها الشيخ الألبانى- رحمه اللَّه- أو زيادة مصادر عزو لم يعزُ إليها الشيخ رحمه اللَّه. وقد طبع المجلد الأول من هذه المجلدات الثلاث بمكتبة الدعوة بالأزهر سنة [١٤٢٠ هـ= ٢٠٠٠م]، يسَّر اللَّه طبع بقية هذه المجلدات، وأكثر النفع بها، وجعلها فى ميزان حسناته بكرمه ومنِّه إنه سميع مجيب كريم جواد.

٢- أين اللَّه؟ هل هو فى كلِّ مكان؟! هى رسالة ألفها فى إثبات علو اللَّه- تعالى- عرشه فوق سماواته، وضمَّنه مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وردَّ فيها على ثمان شبه من شبه القائلين بأنَّ اللَّه فى كلِّ مكان تعالى اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا. وكل هذه الشبه مما تلهج بها ألسنة الخالفين المخالفين. وقد دحض هذه الشبه بالدليل. وهو مطبوع متداول.

٣- داءُ الرِّياء القاتل وعلاجُهُ النَّاجعُ، كتاب ألَّفه فى بيان داء الرياء، وعلاماته، وأنواعه، ودوافعه، وعلاجه من اثنى عشر طريقة، وهو مطبوع متداول.

٤- النِّفاق وأثره السَّيئُ فى الأمَّة، كتاب ألَّفَهُ ليقف المسلمون على خطورة هذا الدَّاء العضال، وقسَّمهُ إلى مقدمة وخمسة مباحث تضمنت: معنى النفاق لغة وشرعًا، وصفات المنافقين، وأخطار النفاق والمنافقين، وكيف يعامل المؤمنون المنافقين، والعلاج الناجع للنفاق، وأتبع هذه المباحث الخمسة بخاتمة تُعدُّ زُبْدةُ البحث وخلاصته. وهو مطبوع متداول.

٥- أحكام الصيام، أوعب فيه جميع أحكام الصيام، وردَّ فيه على شبه القائلين بإخراج زكاة الفطر نقودًا، ودحض حجتهم من ستة وجوه، وهو مطبوع بدار العقيدة بالإسكندرية.

٦- الشقاء والسعادة في ضوء الكتاب والسنة، كتاب ألَّفَهُ لبيان حقيقة السعادة ومصادرها، والشقاء وأسبابه، وقد قسَّمهُ إلى مقدمة، أربعة مباحث تتضمن: معنى السعادة لغةً وشرعًا، وأسباب وهمية لحصول السَّعادة، وأسباب الشقاء وعدم السعادة، وأسباب السعادة، وذَيَّله بخاتمة. وهو مطبوع بدار العقيدة بالإسكندرية.

٧- بغية المُستفيد في تحقيق وتخريج تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، وهو مطبوع في مجلد كبير ضخم مع كتاب تيسير العزيز الحميد ط. عالم الكتب بيروت- لبنان سنة [١٤١٩ هـ= ١٩٩٩م].

٨- منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية، ط. دار الحديث، ويقع في ثمانية أجزاء، وفي أربع مجلدات. خرَّج فيها أحاديثه، وعَلَّق عليه بتعليقات نافعة، وقدَّم له بمقدِّمة ضافية، تكلم فيها بإسهاب عن سبعة عشر أصلاً من أصول الشيعة الإمامية. وتُعَدُّ هذه المقدمة مرجعًا لمن أراد معرفة أصول الشيعة الإمامية.

٩- تراجم الخلفاء الراشدين، تأليف محمد رضا. قدَّم فيه للكتاب وخرج فيه ما ورد فيه من أحاديث تخريجًا علميًا دقيقًا، وصدَّر كلَّ حَديث بما يناسبه من حكم، وضبط نصَّه، وعلَّق عليه بما يفيد العامة بلْه الخاصة من العلماء وطلاب العلم، وهو مطبوع بدار الحديث بالقاهرة سنة [١٤٢٥ هـ= ٢٠٠٤م].

١٠- سير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، خرَّج فيه جميع أحاديث الكتاب الذي يقع في ستة عشر مجلدًا، غير الفهارس العلمية الدقيقة له، وقد حكم على كل حديث بما يناسبه من صحة، أو ضعف، وغيره. وذكر مصادر كلِّ ترجمة من تراجم الكتاب التي بلغت (٥٩٦٤) ترجمة، ترجم فيها الذهبي لجميع الأعلام في مشارق الأرض ومغاربها من ملوك، وخلفاء، وأمراء، ووزراء، وأطباء، ومحدثين، وفقهاء، ونحاة، وشعراء، وزهاد، وفلاسفة، ومتكلمين. وقدَّم للكتاب بمقدمة ضافية تُعَدُّ مرجعًا كبيرًا، وترجمة واسعة للحافظ الذهبي رحمه

اللَّه، تضمنت نشأة الذهبى، وبيئته السياسة، والدينية، والعلمية، ورحلاته فى طلب العلم، وشيوخه، وتلامذته، ومنزلته العلمية، وأقوال العلماء فيه، وآراءَهُ وأقواله فى العقيدة والفقه والحديث، وتصانيفه وآثاره العلمية، ومنهجه فى كتابه السير، وأهمية كتاب السير بين كتب التراجم، وبيان تاريخ وفاته، ومن ترك من أولاد. فجاءت ترجمة ضافية لا يستغنى عنها كل باحث أو طالب علم. وهو هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ غفر اللَّه لمؤلفه، ومحققه، ومن قام على طبعه ونشره وهو مطبوع بدار الحديث بالقاهرة سنة [١٤٢٧ هـ= ٢٠٠٦م].

١١- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تأليف الحافظ السيوطى، حققه وخرَّج أحاديثه. ط. دار الحديث القاهرة سنة [١٤٢٣ هـ= ٢٠٠٢م].

١٢- الجواب الباهر فى زُوَّار المقابر، لابن تيمية، خرَّج أحاديثه، وعَلَّق عليه. ط. دار الجيل- بيروت- لبنان سنة [١٤١٧ هـ= ١٩٩٧م].

١٣- مكان رأس الحسين، لابن تيمية، خرَّج أحاديثه وعلق عليه. ط. دار الجيل، بيروت- لبنان سنة [١٤١٧ هـ= ١٩٩٧].

١٤- السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، لابن تيمية. ط. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان سنة [١٤٠٩ هـ= ١٩٩٨م] خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه.

١٥- شرح العقيدة الواسطيَّة، لابن تيمية شرح الشيخ خليل هراس، خرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه، وقدَّم له بمقدمة هامة، وشرح ما فيه من غريب الألفاظ، وزوَّر له فهارس علمية شاملة أوْعَبت كلَّ ما فى الكتاب.

١٦- فتح المغيث بترتيب ما فى سنن النسائى من الأثر والحديث. ط. دار الجيل بيروت- لبنان سنة [١٤١١ هـ= ١٩٩١م]. وط. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان سنة [١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م].

١٧- فهرس مسند الحميدى. مطبوع مع مسند الحميدى بدار الكتب العلمية سنة [١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م].

١٨- هداية المحتار إلى ترتيب كشف الأستار عن زوائد البزَّار، ط. دار الجيل بيروت لبنان سنة (١٤١١ هـ= ١٩٩١م]. وط. دار الكتب العلمية سنة [١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م].

١٩- السرر الموضوعة في ترتيب الآلئ المصنوعة، ط. دار الجيل - بيروت - لبنان سنة [١٤١٧ هـ= ١٩٩٧م].

٢٠- الروض الباسم في ترتيب السنة لابن أبي عاصم. ط. دار الجيل بيروت لبنان سنة [١٤١٧ هـ= ١٩٩٧م].

٢١- فهارس صحيح ابن خزيمة. ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة [١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م].

٢٢- فهرس تفسير ابن كثير. دار الجيل بيروت لبنان. وقد أعدَّهُ بطريقتين فرتبه على أوائل أطراف الأحاديث، ورتبه على مسانيد الرواة، وأحال فيها القارئ إلى رقم الآية، واسم السورة التي يوجد بها الحديث، لينتفع كل من يتملك أيَّ طبعةٍ من تفسير ابن كثير.

وكتب أخرى كثيرة تخرج له قريبًا قريبًا تقبل اللَّه منه بأسمائه وصفاته، وجعلها في ميزان حسناته ثقيلةً ثقيلةً، وأكثر النفع بها بكرمه ومنِّه وسَعَةَ فضله. وجزى اللَّه خيرًا كلَّ من ساهم في نشرها بالقول أو الفعل.

❊ ❊

■ ثانى عشر: منهجنا فى تحقيق الكتاب:

١ - عَوَّلْتُ فى تحقيق هذا الكتاب على النسخة الخطيَّة الموجودة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة المحروسة تحت رقم عام (١٢١٩٥) حديث، والمصورة عن الأصل الموجود بمكتبة أحمد الثالث باستنبول رقم [٢٩١٠- ١٣]، وتقع فى إحدى عشر مجلداً. وقد بلغت عدد لوحات كل مجلد من هذه المجلدات الإحدى عشرة على التوالى: (٢٥٢، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩٢، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٨٨، ٣١٩) لوحةً عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول. وكلُّ لوحة تحتوى على صفحتين، متقابلتين. ومتوسط سطور كل صفحة (٢٤) أو (٢٥) سطرًا، وعدد كلمات السطر (١٤) كلمة. وكتب على هذه الأجزاء تاريخ نسخها؛ فالجزء الرابع كتب عليه: تم الفراغ من نسخه فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. وأمَّا الجزء العاشر فكتب عليه: كان الفراغ منه ليلة الأحد لعشر خلون من شهر رجب سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. وأما الجزء الحادى عشر فقد كتب عليه: تم الفراغ من نسخه ليلة الإثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ذى الحجة سنة (٧٤١ هـ) وهى أوَّل نسخة نسخت من خط المصنف. وأمَّا الجزء الثانى عشر فكتب على الصفحة الأخيرة منه: كان الفراغ من كتابته ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الأولى سنه اثنتين وأربعين وسبعمائة والحمد للَّه وحده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما الجزء الثالث عشر فقد كتب ناسخه على الصفحة الأخيرة: تم الجزء الثالث عشر من سير أعلام النبلاء للشيخ الإمام العالم العامل الحجة الناقد البارع جامع أشتات الفنون مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فسَح اللَّه فى مدَّته وهى أول نسخة نُسخت من خط المصنف وقُوبلت على حَسْب الإمكان وكان الفراغ منه لليلتين خلتا من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة والحمد للَّه وحده وصلى اللَّه على محمد.

فالواضح أن هذه النسخة كتبت فى حياة المؤلف من نسخة مكتوبة بخطه، والخط فى جميع الأجزاء واحد، لكنه لم يبين اسم الناسخ كما هو معتاد فى كتابة الناسخ لاسمه حين الفراغ من النسخ. لكن بوجه عام فالنسخة مكتوبة بخط جيد مقروء، وفى بعض صفحاتها تضبيب طولى، وهو نادر فيها مما لا يكاد يخلو منه مخطوط. وقد اعتمدت على بعض النسخ المطبوعة وكان أضبطها طبعة مؤسسة الرسالة.

٢ - رجعتُ إلى كتب السنن والمسانيد والمعاجم وبعض المصادر التى أخذ عنها المؤلف، وعارضتُ عليها، ما أورَدَهُ من أحاديث وآثار وأقوال، وهو شيء كثير، وعدد كبير، وقد أصلحتُ ما وقع فيه من خطأ.

٣ - ضبطت النَّص ونسَّقْتُهُ تنسيقًا يُعين على قراءته، وفهمه، وضبطت ما أشكل من أسماء الرواة والأعلام وكناهم، كما ضبطت المواضع والبلدان والمبهمات والغريب حتى تقرأ على نحو صحيح صائب معتمدًا على أوثق وأفضل المصادر التى بينت ذلك أفضل بيان.

٤ - نبَّهتُ على ما ظهر لى من تصحيفات وقعت فى الطبعة المذكورة التى اعتمدتُ عليها.

٥ - قُمتُ بدراسة الأحاديث والآثار التى ذكرها المؤلف، وصدَّرتُ كلَّ حديث بما يُناسبه من صحة أو ضعف وغيره. وقد أحيل القارئ إلى مراجعة الحديث والكلام عليه بإسهاب فى بعض كتبى مثل: الأرائك المصنوعة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، أو بغية المستفيد فى تحقيق وتخريج تيسير العزيز الحميد، أو منهاج السنة النبوية لابن تيمية بتخريجنا وتعليقنا، أو الجواب الباهر فى زوَّار المقابر بتخريجنا وتعليقنا، وغيرها من كتبى.

٦ - ذكرت مصادر ترجمة كل علم من الأعلام ليرجع إليها من رامَ زيادة، وقد قصدت فيها استيعاب المصادر، وذلك حَسْب ما تيسَّر لى منها.

٧ - شرحت الغوامض من المصطلحات والمبهمات والغريب، وعرفت ببعض الأماكن والبلدان، كما عرَّفتُ ببعض الأعلام من أصحاب النحل، أو ممن وردوا بالأسانيد، ليكون الكتاب سهلاً ميسورًا أمام القارئ.

٨ - قَدَّمتُ للكتاب بمقدمة ضافية بينتُ فيها: نشأة الذهبى وبيئته السياسية والدينية والعلمية، ورحلاته فى طلب العلم، وشيوخه، وتلامذته، ومنزلته العلمية وأقوال العلماء فيه، وآراءه فى العقيدة والفقه والحديث، وتصانيفه وآثاره العلمية، ومنهجه فى كتابه. كما بينتُ أهميَّة كتاب السير بين كتب التراجم، وبيَّنْتُ تاريخ وفاته، ومن ترك من أولاد، فجاءت ترجمة ضافية للحافظ الذهبى لا يستغنى عنها أيّ باحث أو طالب علم.

٩ - زوَّرْتُ فهرسًا لكلِّ جزء بأسماء المترجمين على ترتيب المؤلف، وفهرسًا آخر على نسق حروف المعجم، ثم زوَّرتُ فهرسًا عامًا لجميع أجزاء الكتاب يشتمل على فهرس بجميع المترجمين على حروف المعجم، وفهرس للأحاديث والآثار، وفهرس للأشعار الواردة فى الكتاب وقد بذلتُ الجهد والوُسع فى تحقيق هذا الكتاب العظيم على النحو الذى يرضى جماهير العلماء وطلاب العلم. أسأل اللَّه- عز وجل- بأسمائه وصفاته أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه، ومحققه، وناشره وكل سن ساعد على نشره أو الإفادة منه بالقول أو الفعل. وصلِّ اللَّهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وتسليمًا ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد.

* * *

كتبه : أبو يعلى

محمد أيمن الشَّبراوى

عفا اللَّه عنه بكرمه ومنِّه

صور المخطوطة

الطاغية قال فهل لك أن تقبل رأسه وقدم بالأسارى على عمر فأخبره [illegible]
[illegible] على كل مسلم أن تقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ بتقبيل رأسه [illegible]
[illegible] ابن عمر [illegible] أنا أهل [illegible] أسروا ابن حذافة فأمر به
[illegible] ثم جعلنا له في بيت معه الخمر ولحم الخنزير [illegible]
[illegible] فاطلعوا عليه [illegible] فإن أخرجته [illegible]
أخرجه فقال له ما منعك أن تأكل وتشرب قال أما أن الضرورة قد كانت
أحلتها لي ولكن [illegible] أن أشمتك بالإسلام قال قبل رأسي وأخلي لك
[illegible] قال أما هذا فنعم فقبل رأسه فخلى له [illegible]
[illegible] ابن حذافة [illegible]
[illegible] ثلاثين [illegible]
[illegible] في أحكام ابن [illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] من أسلم [illegible] له الخلاص من خلود النار [illegible]
[illegible] أن تكون قد خضع للإسلام [illegible]
[illegible] على دين صحيح [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] ابن حذافة [illegible] رضي الله عنهم [illegible]

أبو رافع

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] العباس [illegible]
[illegible] الفضل بن عبيد الله [illegible]
[illegible] وروى عنه علي بن الحسين [illegible]
[illegible] خلافة علي [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من القسم الثاني من الجزء الثالث ميكروفيلم ٣٨٥٥٨

بالكوفة سنوات رضي الله عنه وصح انه اوصى الى علي فكان على ...
لوالدي ابي رافع وهم ... قال بكير بن الاشج احسبت انه كان ثبطا ○
شعبة عن الحكم عن ابن ابي رافع عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
رجلا على الصدقة فقال لابي رافع اصحبني كيما تصيب منها قال لا حتى استأذن
رسول الله فاستأذنته فقال يا ابا رافع ان مولى القوم من انفسهم وانا لا تحل
لنا الصدقة قال سليمان بن يسار قال ابو رافع لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكني جئت فنزلت فجاء فنزل ○

صهيب

ابن سنان ابو يحيى النمري من النمر بن قاسط ويعرف بالرومي لانه اقام في الروم
مدة وهو من اهل الجزيرة سبي من قرية نينوى من اعمال الموصل وقد كان ابوه
او عمه عاملا لكسرى ثم انه جلب الى مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي
التيمي ويقال بل هرب فاتى مكة وحالف ابن جدعان كان من كبار السابقين البدريين
حدث عنه بنوه حبيب وزياد وحمزة وسعيد بن المسيب وكعب الحبر وعبد الرحمن
ابن ابي ليلى واخرون روى احاديث معدودة خرجوا له في الكتب وكان فاضلا
وافر الحرمة له عدة اولاد ولما طعن عمر استنابه على الصلاة بالمسلمين الى ان
يتفق اهل الشورى على امام وكان موصوفا بالكرم والسماحة رضي الله عنه
مات بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين وكان ممن اعتزل الفتنة واقبل على
شأنه رضي الله عنه قال الحافظ ابن عساكر صهيب بن سنان بن مالك ويقال خالد بن
عبد عمرو بن عقيل بن عامر ابو يحيى ويقال ابو غسان النمري البدري المهاجر
روى عنه بنوه وابن عمر وجابر وابن المسيب وعبيد بن عمير وابن ابي ليلى وعروة
... عثمان وصيفي وحمزة وسعد وعباد وحبيب وصالح ومحمد وذكر ابن
سعد نسبه الى اسلم بن اوس مناة من النمر بن قاسط من ربيعة حليف عبد الله
ابن جدعان التيمي القرشي وامه سلمى بنت قعيد وكان رجلا احمر شديد الحمرة ليس
بالطويل ولا بالقصير ... تنسبه الى النمر ... ابا وجد اخرين وكان ...

الصفحة الثانية من القسم الثاني من الجزء الثالث ميكروفيلم ٣٨٥٥٨

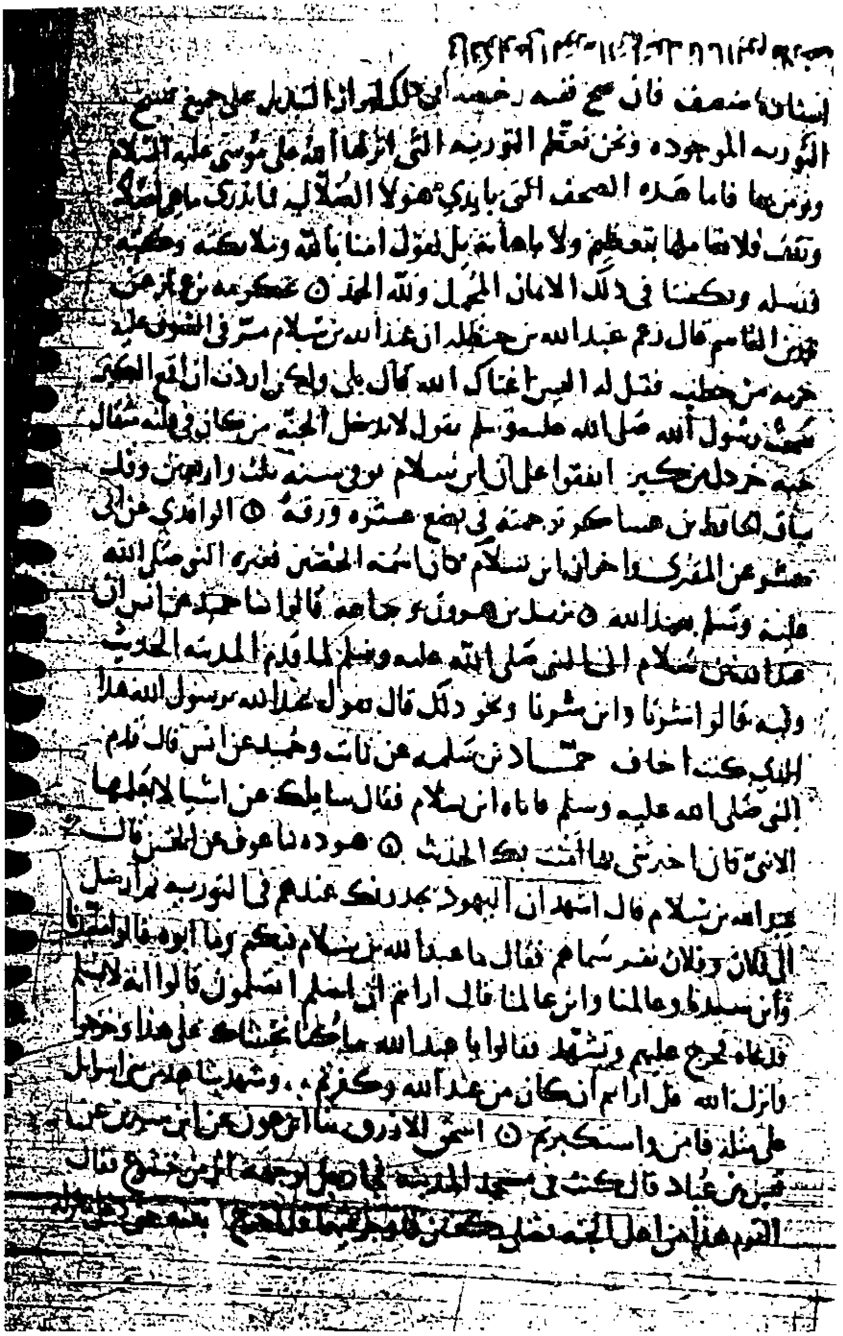

[illegible]
[illegible] مصحف فان صح فيه رخصة ان تكلم ازالة التبديل على جميع نسخ
التوراة الموجودة ونحن نعظم التوراة التي انزلها الله على موسى عليه السلام
ونؤمن بها فاما هذه الصحف التي بايدي هؤلاء الضلال فما ندري ما هي اصلاً
ونقف فلا نعاملها بتعظيم ولا باهانة بل نقول آمنا بالله وملائكته وكتبه
ورسله ويكفينا في ذلك الايمان المجمل ولله الحمد ٥ عكرمة بن عمار عن
[illegible] الشامي قال زعم عبد الله بن حنظلة ان عبد الله بن سلام مر في السوق عليه
حزمة من حطب فقيل له اليس اغناك الله قال بلى ولكن اردت ان اقمع الكبر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة خردل من كبر اتفقوا على ان ابن سلام توفي سنة ثلث واربعين وله
[illegible] هاهنا في تاريخ ابن عساكر ترجمة في بضع عشرة ورقة ٥ الواقدي عن ابي
[illegible] عن المقبري [illegible] ان ابن سلام كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله ٥ يزيد بن هرون وجماعة قالوا انا حميد عن انس ان
عبد الله بن سلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة الحديث
وفيه قالوا اشرنا وابن شرنا ونحو ذلك قال [illegible] عبد الله [illegible] رسول الله [illegible]
[illegible] حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن انس قال لما [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم اتاه ابن سلام فقال سائلك عن اشيا لا يعلمها
الا نبي [illegible] الحديث ٥ هوذة [illegible] عن انس قال
عبد الله بن سلام قال اشهد ان اليهود [illegible] في التوراة [illegible]
[illegible] فقال يا عبد الله بن سلام [illegible]
وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا قال ارايتم ان اسلم اتسلمون قالوا انه لا يسلم
فلما خرج عليهم وتشهد قالوا يا عبد الله [illegible] على هذا [illegible]
وانزل الله قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم ٥ [illegible] ابن عون عن ابن سيرين عن [illegible]
قيس بن عباد قال كنت في مسجد المدينة فجاء رجل [illegible] خشوع فقال
القوم هذا من اهل الجنة [illegible]

الصفحة قبل الأخيرة من القسم الثاني من الجزء الثالث رقم ميكروفيلم ٣٨٥٥٨

الصفحة الأولى من القسم الثاني للجزء الرابع ميكروفيلم ٤٠٧١٩

سالم بن نوح حمزة بن ربيعة النضر بن شميل بشر بن السري الأشيب معروف الكرخي

ابو قرة الحنفي خالد بن عبد الرحمن مجاهد بن الوليد اسباط بن محمد حماد بن مسعدة

يزيد بن هارون [illegible] تمت طبقة على ذات الملتين وشبابة عاشره . حماد بن هشام

ابو النضر هاشم بن القاسم محمد بن شعيب الطيالسي سعيد بن عامر معلى الرضا زيد بن الحباب

العوفي عمر بن [illegible] الاشجعي روح بن عبادة الهيثمي خالد بن ...

الجعفري بشر بن عمر الوليد ... البرساني محمد بن يوسف محمد بن ... ابو داود

عثمان بن عبد الجبار عمر بن ... عمر بن هارون ازهر بن ايوب بن سويد ابو سفيان الحميري

سلم بن سليمان معلى بن منصور ... الوليد بن القاسم جعفر بن عون ازهر بن سعد

نصر بن حريز ابو ... حجاج بن محمد عبد الله بن بكر عبد الوهاب بن عطاء الواقدي

العبدي محمد بن ... العطار يونس ابن ابي المؤدب يعلى بن عبيد ابو حذيفة ابو عاصم

حفص ابن ابي فديك ابو علي الحنفي ابو بكر الحنفي محمد بن جعفر يعقوب ابن ابراهيم

اخو سعد بن ابراهيم ابو زيد الانصاري ابو عبد المقرئ مكي ... يحيى القطان

شعيب بن عبد العزيز ... الزيات عبد العزيز ابن ابي رزمة يحيى ... بشر بن بكر

ابن كناسة محمد بن ... شبابة عبد الصمد قراد بقية ابن الوليد مليح الادلبي

يحيى بن آدم الانصاري محمد بن كثير الرقي خلف بن ابي ... الفضل ابن زياد ابو النضر

مكي عبد الله بن موسى عثمان محمد بن فارس الأشيب منصور ابن سلمة الزبيري عبد الله بن مسلمة

الصفحة الثانية من القسم الثاني للجزء الرابع ميكروفيلم ٤٠٧١٩

ورحمه الله غفر لهم. رواه يونس بن محمد وغيره عن الحسن. قال ابن سعد: أنا
صالح المري عن يونس قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع، فقام
إليه ابنه فقال: يا أبه قد غممتنا فهل رأيت شيئا؟ قال: هي نفسي لم أصب بمثلها.
قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس فدخل عليه رجل بعد
العصر فقال: مات الحسن. فترحم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام فما
تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه. قلت: وما
عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مائة يوم. قال ابن علية: مات الحسن في رجب
سنة عشر ومائة. وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة.
قلت: مات في أول رجب، وكانت جنازته مشهودة، صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة
فشيعه الخلق وازدحموا عليه حتى إن صلاة العصر لم تقم في الجامع. ويروى أنه
أغمي عليه ثم أفاق فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم. قلت:
اختلف النقاد في الاحتجاج بنسخة الحسن عن سمرة، وهي نحو من خمسين حديثا،
وقد ثبت سماعه من سمرة، وذكر أنه سمع منه حديث العقيقة. وقال عفان:
نا همام عن قتادة حدثني الحسن عن هياج بن عمران البرجمي أن غلاما له أبق فجعل
عليه إن قدر عليه أن يقطع يده، فلما قدر عليه بعثني إلى عمران فسألته فقال:
أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحث في خطبته على الصدقة وينهى
عن المثلة، فليكفر عن يمينه ويتجاوز عن غلامه. قال: وبعثني إلى سمرة فقال:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة
فليكفر عن يمينه ويتجاوز عن غلامه. قال قائل: إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما
يقول فيه الحسن عن فلان وإن كان مما قد ثبت لقيه فيه لفلان المعين، لأن الحسن
معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء، فيبقى في النفس من ذلك، فإننا وإن ثبتنا
سماعه من سمرة يجوز أن يكون لم يسمع منه غالب النسخة التي عن سمرة والله

سعيد

ابن أبي الحسن يسار البصري أخو الحسن البصري من ثقات التابعين حدث

الصفحة قبل الأخيرة من الجزء الرابع

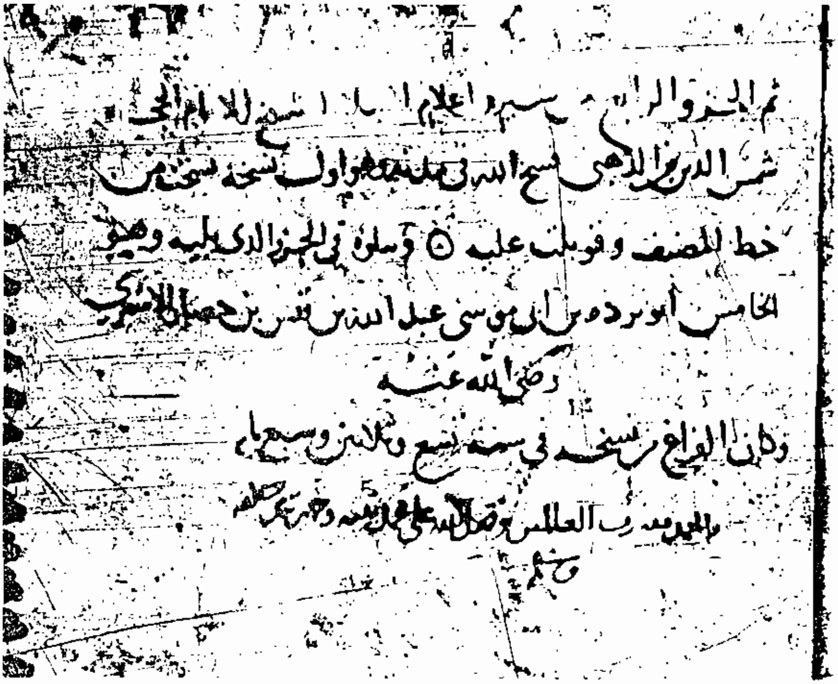

تم الجزء الرابع من سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام الحافظ
شمس الدين الذهبي فسح الله في مدته وهو أول نسخة نسخت من
خط المصنف وقوبلت عليه ويتلوه في الجزء الذي يليه وهو
الخامس أبو بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري
رضي الله عنه
وكان الفراغ من نسخه في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه وآله وصحبه
وسلم

الصفحة الأخيرة من الجزء لرابع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
أسماء الذين راموا الخلافة

الصفحة الأولى من الجزء السادس ميكروفيلم ٤٠٩٠٤

عن وكيع عن سفيان عن يحيى بن سعيد وحدثنا [illegible]
لنا عاليا بدرجتين وهذا الحديث من جملة ما استفاد يحيى بن سعيد
[illegible] ونقله ٥ عارم عن حماد قال قيل لهشام بن عروة سمعت [illegible]
يقول كذا وكذا قال لا ولكن حدثني العدل الرضي الأمين على
نفسي عندي يحيى بن سعيد أنه سمعه من أبي قال النسائي يحيى
ابن سعيد ثقة ثبت ٥ وقال العجلي كان قاضيا على الحيرة وثقه
يزيد بن هرون يروي عنه مائة وستين حديثا قال القطان وأبو
عبيد وأحمد وعدة مات سنة ثلث وأربعين ومائة وقال يزيد بن هرون
وابن بكير والفلاس سنة أربع ٥ قال أبو القاسم بن منده طرق
حديث يحيى بن سعيد عن محمد بن إبرهيم التيمي عن علقمة بن وقاص
عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال
بالنيات رواه عنه إبرهيم بن طهمان وإبرهيم بن آدم وإبرهيم
بن [illegible] الهلالي وإبرهيم بن محمد أبو إسحق الفزاري وإبرهيم
بن أبي يحيى المدني وإبرهيم بن ضرمة المدني وإبرهيم بن محمد بن حجاج
وإبرهيم بن زكريا المعلم الضرير وإبرهيم بن أبي الربيع وإبرهيم بن
عبد الحميد الحنفي وإبرهيم بن معقل بن جمع وإسمعيل بن علية
وإسمعيل بن عياش وإسمعيل بن القاسم أبو العتاهية ثم قال وإسمعيل
بن زكريا الخلقاني وإسمعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت
وإسمعيل بن زياد وإسمعيل بن ثابت بن مجمع وإسحق بن الربيع العطار
[illegible] عن أبي حصين وأبان بن يزيد وأسيد بن القاسم الكاتب
[illegible] وأبو الربيع أشعث بن سعيد السمان وأسباط بن
[illegible] وأسامة بن حفص وأيوب بن واقد الكوفي وأيوب
[illegible] بن أبان وبكر بن خنيس [illegible] وبكير بن عمرو المغازي
[illegible] بن زياد الجزري وثوبة بن سعد العنزي أبو الأسد
[illegible] سليمان الكوفي وثور بن يزيد وثابت بن كثير وجعفر

الصفحة قبل الأخيرة من الجزء السادس ميكروفيلم ٤٠٩٠٤

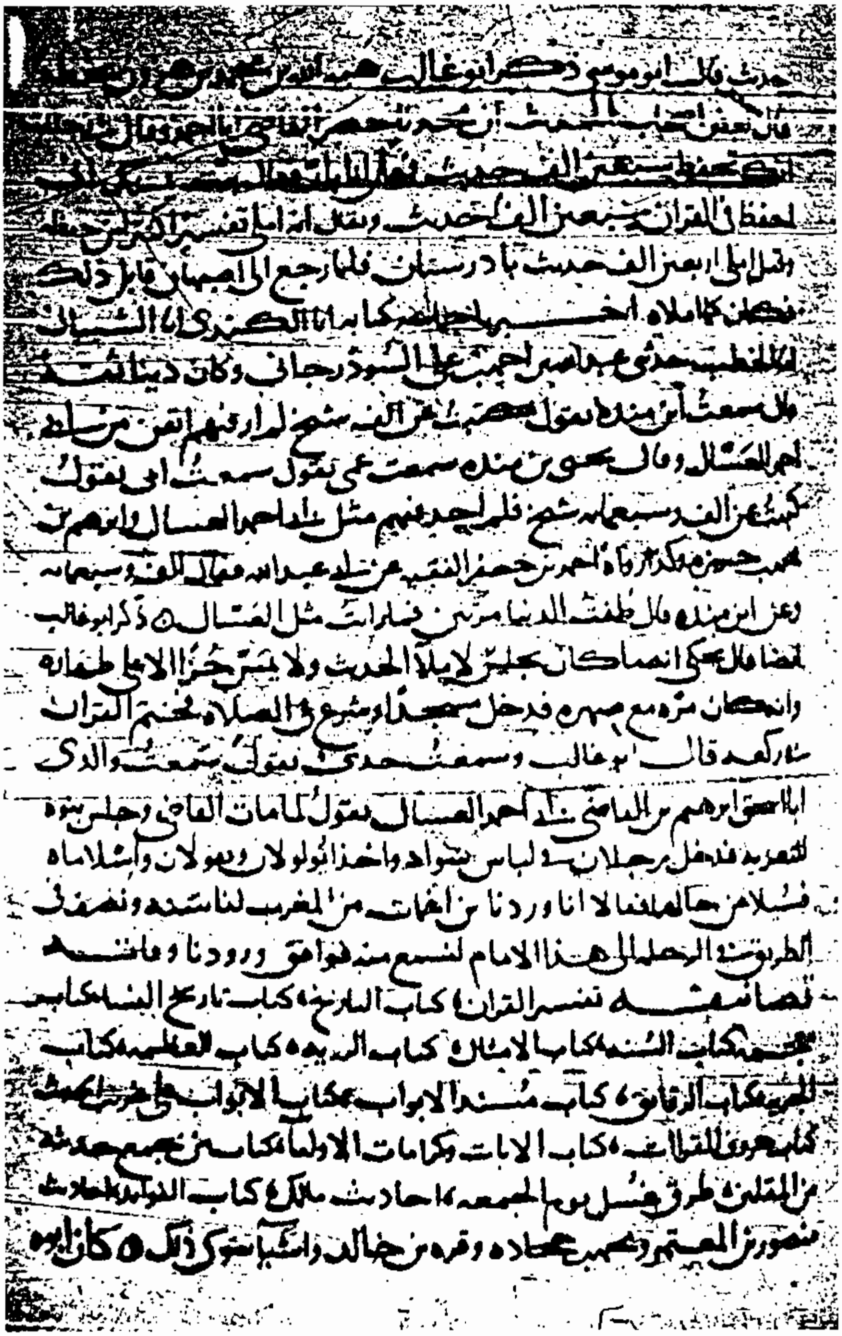
حدث قال ابو موسى ذكر ابو غالب [illegible]
قال بعض اصحاب الحديث ان محمد بن نصر [illegible]
[illegible] سبعين الف حديث [illegible]
لحفظ في القران سبعين الف حديث ويقال انه املى تفسير اكثر من [illegible]
[illegible] اربعين الف حديث بادرستان فلما رجع الى اصبهان [illegible] ذلك
[illegible] املاه [illegible] انا الكنزي انا [illegible]
[illegible] الخطيب حدثني [illegible] على السوذرجاني وكان دينا ثقة
قال سمعت ابن منده يقول [illegible] عن الف شيخ لم ار فيهم اتقن من
[illegible] العسال وقال يحيى بن منده سمعت عمي يقول سمعت ابي يقول
كتبت عن الف وسبعمائة شيخ فلم اجد فيهم مثل [illegible] العسال [illegible]
[illegible] رواه احمد بن جعفر النقيب [illegible] عبد الله [illegible] الف وسبعمائه
وعن ابن منده قال طفت الدنيا مرتين فما رايت مثل العسال ذكر ابو غالب
ايضا قال [illegible] انما كان يجلس لاملاء الحديث ولا [illegible] الا [illegible]
وانه كان مره مع [illegible] فدخل مسجدا وشرع في الصلاة [illegible] القران
[illegible] قال ابو غالب وسمعت [illegible] يقول سمعت والدي
ابا [illegible] ابراهيم بن [illegible] العسال يقول لما مات القاضي وجلس بنوه
للتعزيه فدخل رجلان [illegible] لباس سواد واخذا [illegible] ويقولان واسلاماه
[illegible] انا وردنا [illegible] من المغرب [illegible]
الطريق [illegible] الرحلة الى هذا الامام لنسمع منه [illegible] ورودنا [illegible]
تصانيفه تفسير القران كتاب التاريخ كتاب تاريخ [illegible] كتاب
[illegible] كتاب السنه كتاب الامثال كتاب [illegible] كتاب العظمه كتاب
[illegible] كتاب الرقائق كتاب مسند الابواب كتاب الابواب [illegible]
[illegible] كتاب الاباء وكرامات الاولياء [illegible]
[illegible] يوم الجمعه [illegible] كتاب [illegible]
منصور بن المعتمر [illegible] وقره بن خالد [illegible] ذلك [illegible]

الصفحة الأولى من القسم الثاني من الجزء العاشر رقم ميكروفيلم ٤٠٦٦٦

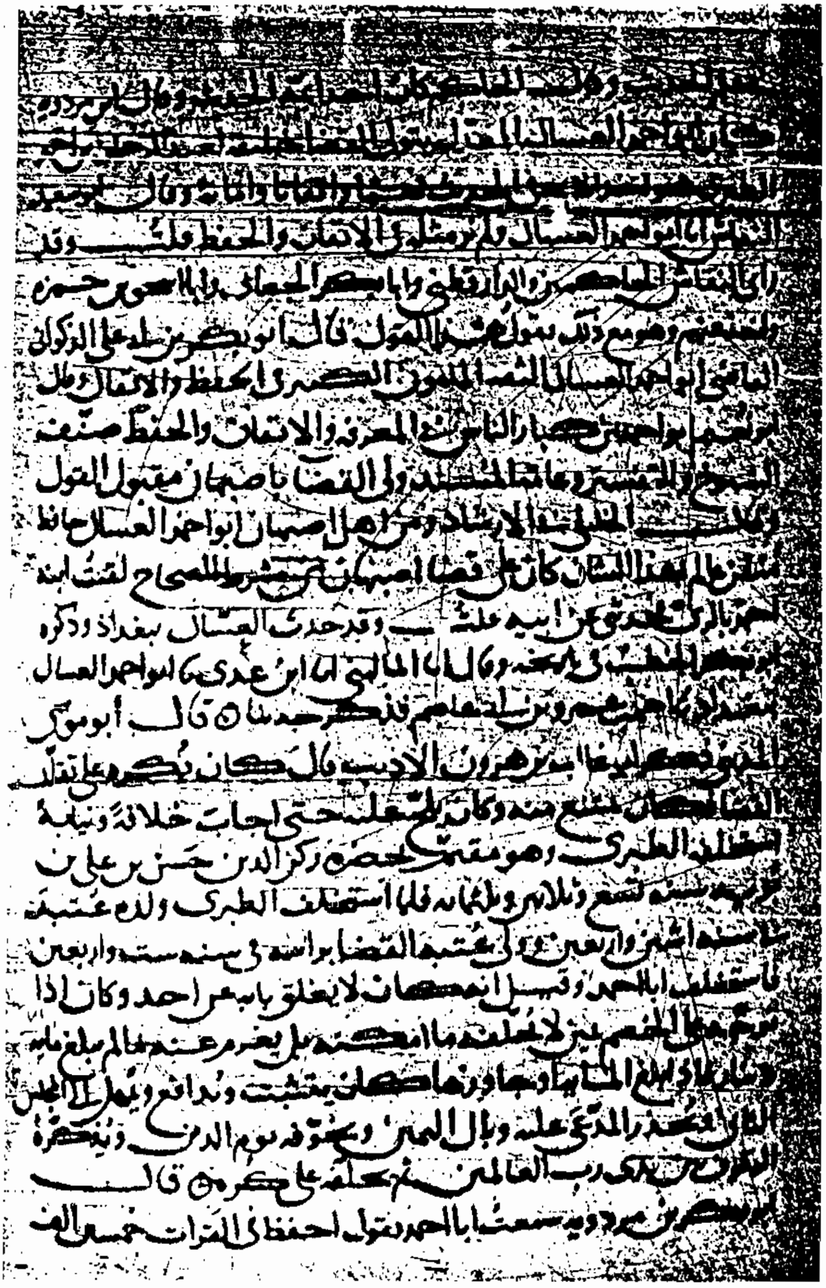

صفحة من الجزء العاشر رقم ميكروفيلم ٤٠٦٦٦

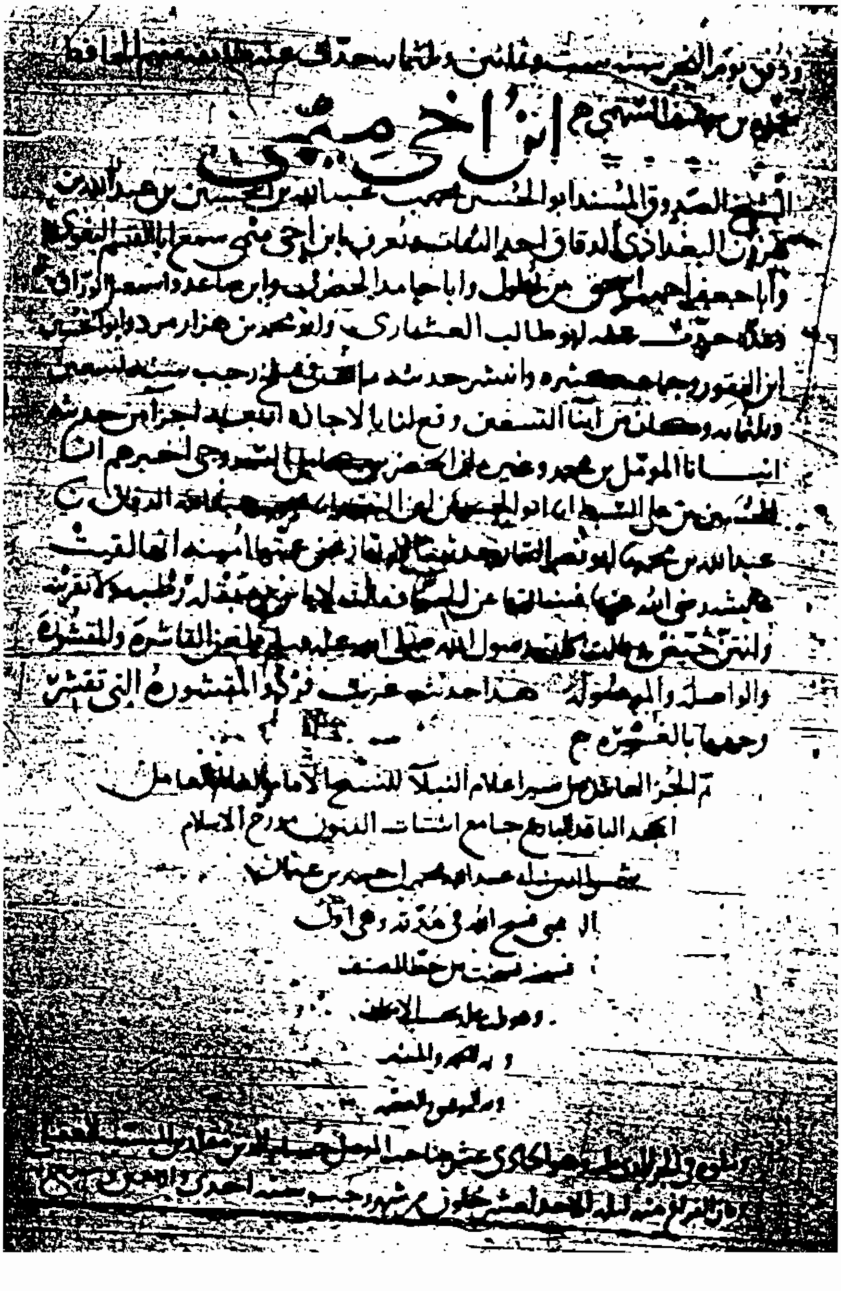
ودفن يوم الجمعة ... سنة ست وثلاثين ... [illegible]

[illegible]

ابن أخي ميمي

الشيخ الصدوق المسند ابو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن [illegible] البغدادي الدقاق احد الثقات يعرف بابن اخي ميمي سمع ابا القاسم البغوي وابا جعفر احمد بن اسحق بن البهلول وابا حامد الحضرمي وابن صاعد واسمعيل الوراق وعدة حدث عنه ابو طالب العشاري وابو محمد بن هزارمرد وابو الغنائم ابن المأمون وجماعة كثيرة [illegible] مات في رجب سنة تسعين [illegible] وقد وقع لنا [illegible] بالاجازة [illegible]

انبأنا المؤمل بن محمد وغيره [illegible] اخبرهم انا [illegible] عبد الله بن محمد [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] والواصلة والمستوصلة هذا حديث غريب [illegible]

تم الجزء العاشر من سير اعلام النبلاء للشيخ الامام العلامة [illegible] جامع اشتات الفنون مؤرخ الاسلام شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان [illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من الجزء العاشر رقم ميكروفيلم ٤٠٦٦٦

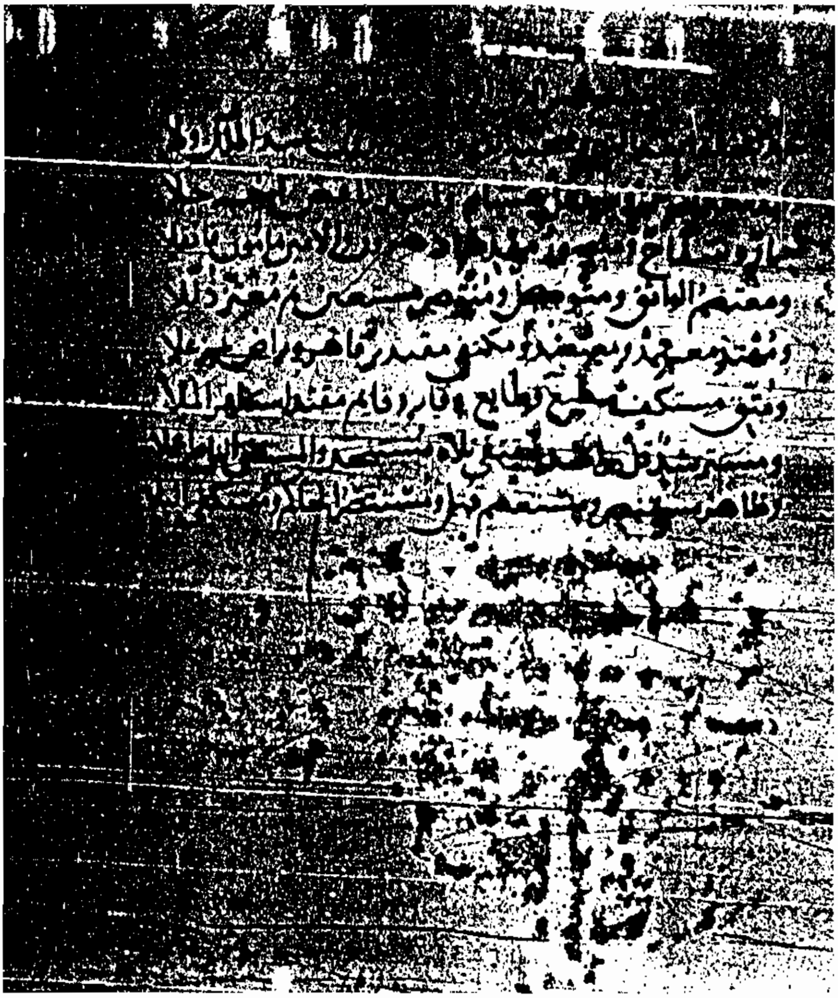

الصفحة الأخيرة من الجزء العاشر رقم ميكروفيلم ٤٠٦٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

صاحب الموصل

حسام الدولة المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي أخوه أبو الذواد

محمد بن المسيب على الموصل سنة ثمانين وثلاثمائة وزوج بنته بولد عضد الدولة ومات

سنة سبع وثمانين فتملك بعده وكان عاقلا سائسا خبيرا

الطوسي

الإمام الحافظ أبو الفضل نصر بن ... بن يعقوب الطوسي العطار

الصفحة الأولى من الجزء الحادي عشر رقم ميكروفيلم ٤١٠٢٤

ابن موسى نا شيبة بن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] وعلمهم [illegible]
ثوابهم وعن موقفهم قال الاعراف ولسوا في الجنة قلنا وما الاعراف قال
حائط الجنة تجري فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار هذا
حديث منكر جدا

ابن بكير

الامام المحدث الحافظ المفيد [illegible] ابو عبدالله الحسين بن احمد بن عبد الله
ابن بكير البغدادي الصيرفي سمع ابا جعفر بن البختري واسمعيل الصفار وعدة
ابن السماك والنجاد وطبقتهم حدث عنه ابن شاهين وهو من شيوخه وابو الطيب
الواسطي وعبيد الله الازهري وابو القاسم التنوخي وابو الحسن بن المهتدي [illegible]
قال الازهري [illegible] كتب [illegible] الوراق
والدارقطني قال الازهري [illegible] وبين يديه اجزا [illegible]
[illegible] ابو بكر
[illegible]
حفظا [illegible] وكان ثقة [illegible]
قال [illegible]
[illegible] المقاطيع [illegible] ابن بكير [illegible]
وعاش [illegible] رحمه الله

ابن ابي زيد

الامام العلامة القدوة الفقيه عالم اهل المغرب ابو محمد عبدالله بن ابي زيد
القيرواني المالكي ويقال له مالك الصغير وكان احد من برز في العلم والعمل
قال القاضي عياض حاز رياسة الدين والدنيا ورحل اليه من الاقطار [illegible]
[illegible] لاحد [illegible] البلاد [illegible]
تفقه بفقها القيروان وعول على ابي بكر بن اللباد واخذ عن محمد بن مسرور الحجام

الصفحة الثانية من الجزء الحادي عشر رقم ميكروفيلم (٤١٠٢٤)

الصفحة الثانية من الجزء الحادي عشر رقم ميكروفيلم ٤١٠٢٤

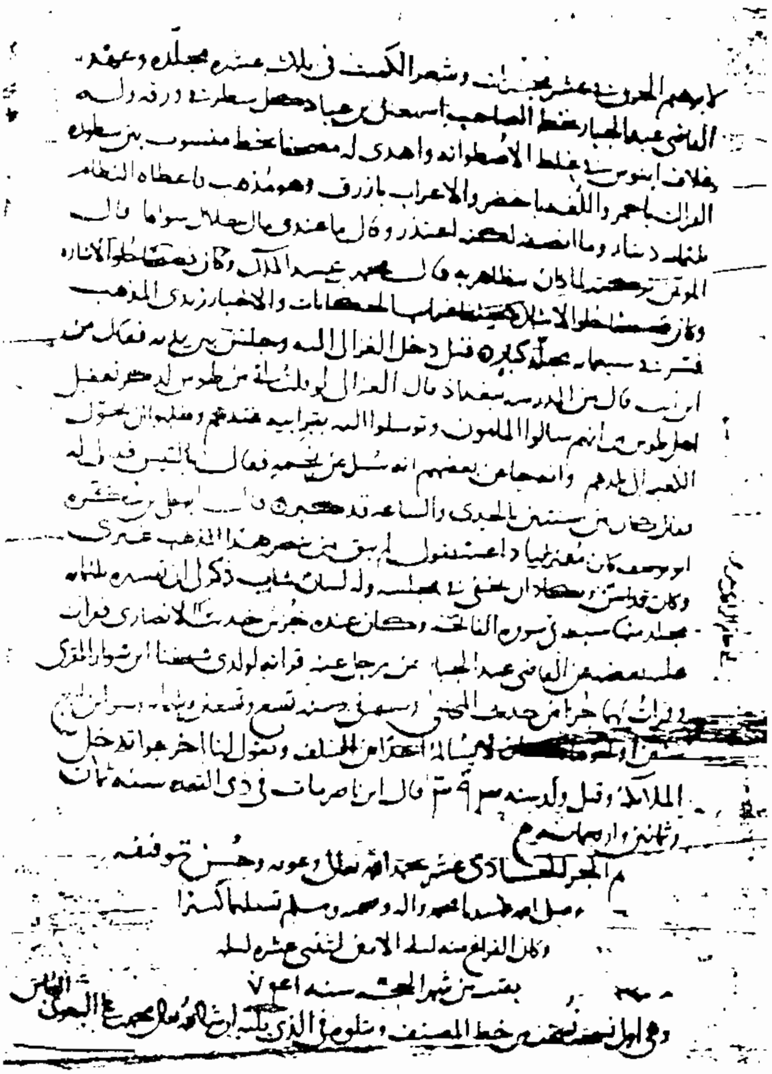
م الجزء الحادي عشر بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الصفحة الأخيرة من الجزء الحادي عشر

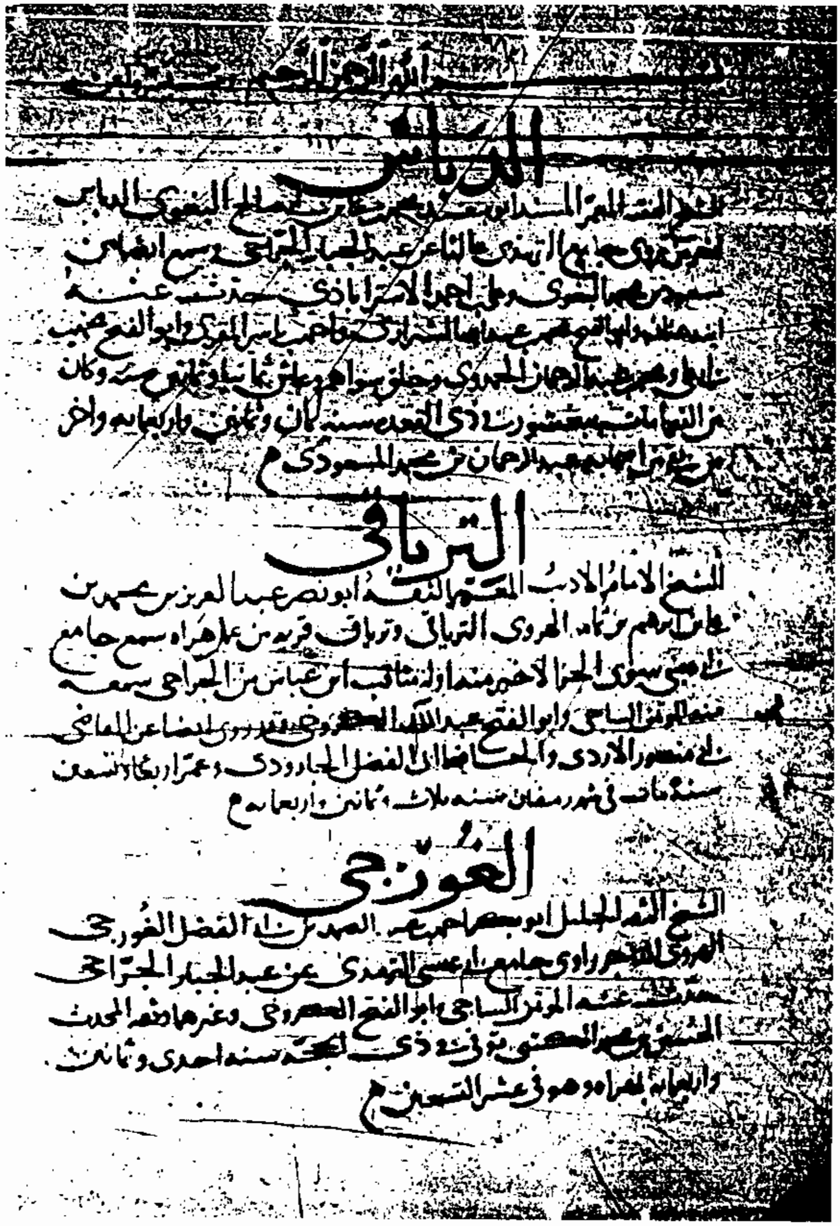

الدباس

الشيخ الثقة المعمر المسند ابو سعد محمد بن [illegible] الصالح الصوفي الدباس
[illegible] جامع ابي عيسى الترمذي عن عبد الجبار الجراحي وسمع [illegible]
[illegible] الازدي [illegible] الاسداباذي حدث عنه
[illegible] وابو الفتح [illegible]
[illegible] وعاش [illegible] وثمانين سنة وكان
[illegible] ذي القعدة سنة [illegible] وثمانين واربعمايه واخر
من [illegible] عبد الرحمن بن محمد المسعودي م

الترياقي

الشيخ الامام الاديب المعمر الثقة ابو نصر عبد العزيز بن محمد بن
علي بن ابراهيم بن ثمامة الهروي الترياقي وترياق قرية من عمل هراة سمع جامع
ابي عيسى سوى الجزء الاخير منه وابتداوه مناقب ابن عباس من الجراحي سمعه
منه المؤتمن الساجي وابو الفتح عبد الملك الكروخي [illegible] ايضا عن القاضي
ابي منصور الازدي والحافظ ابي الفضل الجارودي وعمر [illegible] بضعا وتسعين
سنة مات في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين واربعمايه م

الغورجي

الشيخ الثقة الجليل ابو بكر احمد بن عبد الصمد بن ابي الفضل الغورجي
الهروي [illegible] راوي جامع ابي عيسى الترمذي عن عبد الجبار الجراحي
حدث عنه المؤتمن الساجي وابو الفتح الكروخي وغيرهما [illegible]
[illegible] توفي في ذي الحجة سنة احدى وثمانين
واربعمايه بهراة وهو في عشر التسعين م

الصفحة الأولى من الجزء الثاني عشر رقم ميكروفيلم ٣٦٦٥٩

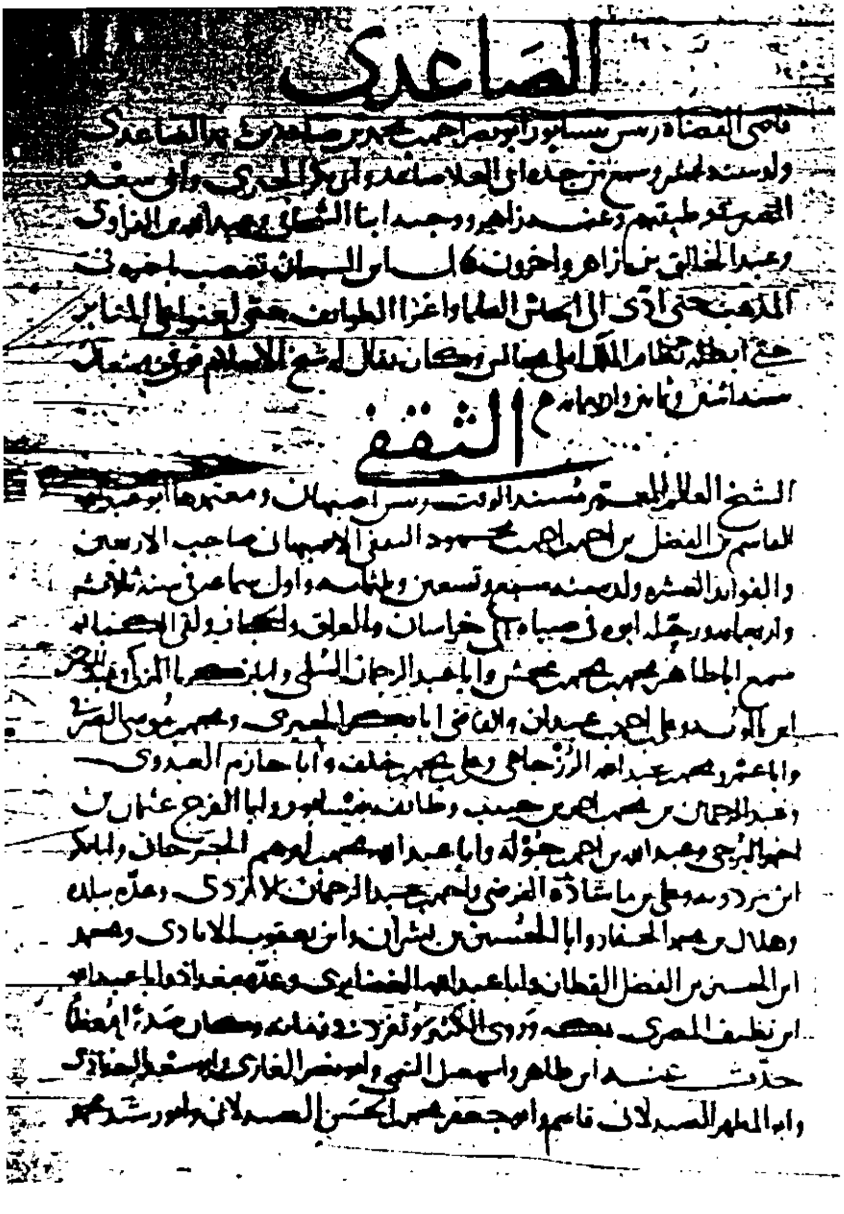

الصاعدي

قاضي القضاة رئيس نيسابور أبو نصر أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد الصاعدي
ولد سنة عشر وسمع من جده أبي العلاء صاعد وأبي بكر الحيري وأبي سعيد
الصيرفي وطبقتهم وعنه زاهر ووجيه ابنا الشحامي ومحمد بن الفضل الفراوي
وعبد الخالق بن زاهر وآخرون كان لسان السلطان تعصب لأهل
المذهب حتى أدى إلى إهانة العلماء وإغراء الطوائف حتى لعنوا على المنابر
حتى أبطله نظام الملك ... وكان يقال له شيخ الإسلام توفي في شعبان
سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

الثقفي

الشيخ العالم المعمر مسند الوقت رئيس أصبهان ومعتمدها أبو عبد الله
القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود السيد الأصبهاني صاحب الأربعين
والفوائد العشرة ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وأول سماعه في سنة ثلاث
وأربعمائة ورحل أبوه به صبيا إلى خراسان والعراق والحجاز ولقي الحفاظ
سمع أبا طاهر محمد بن محمد بن محمش وأبا عبد الرحمن السلمي وأبا نصر المزكي وأبا بكر
ابن أبي الحسن علي بن أحمد عبدان والقاضي أبا نصر الحيري ومحمد بن موسى الصيرفي
وأبا عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهي وعلي بن محمد بن خلف وأبا حازم العبدوي
وعبد الرحمن بن محمد بن حبيب وطائفة بنيسابور وأبا الفرج عثمان بن
أحمد البرجي ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن جولة وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الجرجاني وأبا بكر
ابن مردويه وعلي بن ماشاذة الفرضي وأحمد بن عبد الرحمن الأزدي وعدة ببلده
وهلال بن محمد الحفار وأبا الحسين بن بشران وابن يعقوب الإيادي ومحمد
ابن الحسين بن الفضل القطان وأبا عبد الله الغضائري وعدة ببغداد وأبا عبد الله
ابن نظيف الفراء بمصر يروي الكثير وتفرد في زمانه وصار مسند أصبهان
حدث عنه ابن طاهر وإسماعيل التيمي وأبو نصر الغازي وأبو سعد البغدادي
وأبو المطهر الصيدلاني قاسم وأبو جعفر محمد بن الحسن الصيدلاني وأبو رشيد محمد

الصفحة الثانية من الجزء الثاني عشر ميكروفيلم رقم ٣٦٦٥٩

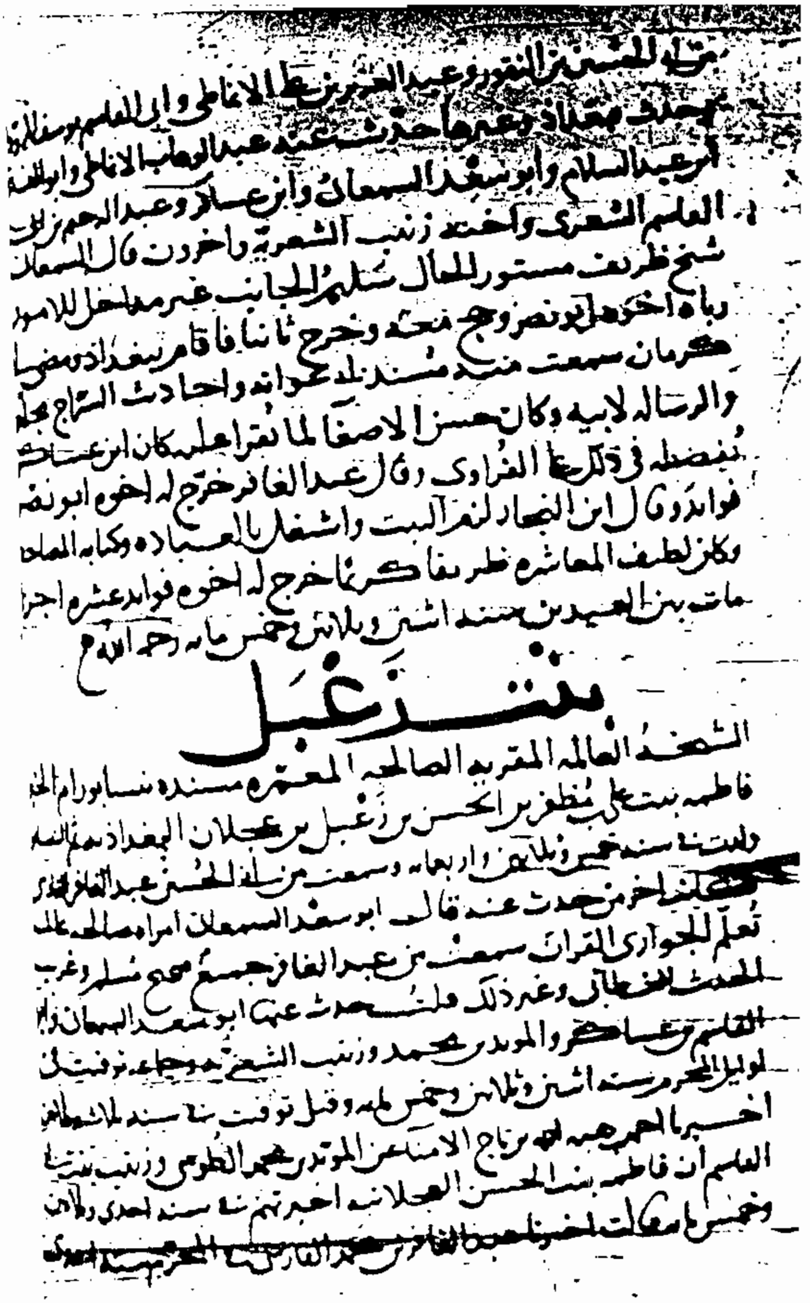

ثنا الشيخ ابو المنصور عبد الخير بن [illegible] الانماطي وابو القاسم بن [illegible]
محمد بن معاذ وغيرهما وحدث سمع منه عبد الوهاب الانماطي وابو [illegible]
ابو عبد السلام وابو سعد السمعاني وابن عساكر وعبد الرحيم بن
ابي القاسم الشعري واخته زينب الشعرية واخرون قال السمعاني
شيخ ظريف مستور الحال سليم الجانب غير متدخل للامور
رباه اخوه ابو نصر وخرج معه وخرج ثانيا فاقام ببغداد ومضى
كرمان سمعت منه مسند ابي عوانة واحاديث السراج بحلب
والرسالة لابيه وكان يحسن الاصغا لما نقرا عليه كان ابن عساكر
يفضله في ذلك على الفراوي وقال عبد الغافر خرج له اخوه ابو نصر
فوائد وقال ابن النجار لزم البيت واشتغل بالعبادة وكتابة المصاحف
وكان لطيف المعاشرة ظريفا كيسا خرج له اخوه فوائد عشرة اجزاء
مات بين العيدين سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة رحمه الله

بنت زغبل

الشيخة العالمة المقرية الصالحة المعمرة مسندة نيسابور ام الخير
فاطمة بنت علي بن مظفر بن الحسن بن زغبل بن عجلان البغدادية ثم النيسابورية
ولدت سنة خمس وثلاثين واربعمائة وسمعت من ابي الحسين عبد الغافر الفارسي
وكانت اخر من حدث عنه قال ابو سعد السمعاني امراة صالحة عالمة
تعلم الجواري القران سمعت من عبد الغافر جميع صحيح مسلم وغريب
الحديث للخطابي وغير ذلك قلت حدث عنها ابو سعد السمعاني وابو
القاسم بن عساكر والمؤيد بن محمد وزينب الشعرية [illegible] توفيت في
اول المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة وقيل توفيت سنة ثلاث
اخبرنا احمد رحمه الله [illegible] الامام [illegible] المؤيد بن محمد الطوسي وزينب بنت
[illegible] ان فاطمة بنت الحسن [illegible] اخبرتهم سنة احدى وثلاثين
[illegible]
[illegible]

صفحة من أواخر الجزء الثاني عشر رقم ميكروفيلم ٣٦٦٥٩

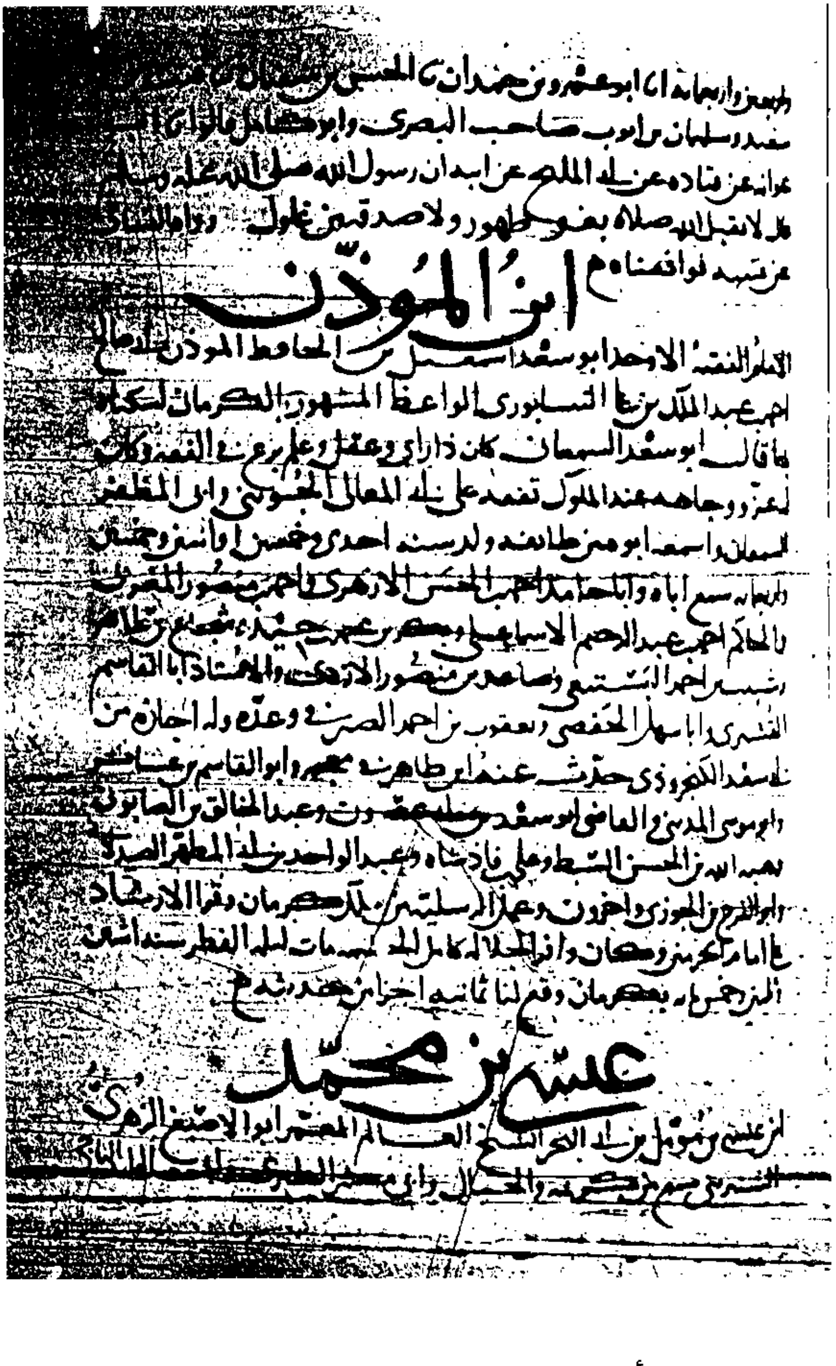
وسمع وأجاز له أبو عمرو بن حمدان والحسن بن سفيان
سعد وسليمان بن أيوب صاحب البصري وأبو ...
عن أنس عن قتادة عن أبي المليح عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول ...
عن شعبة فوافقناه

ابن المؤذن

الإمام الثقة الأوحد أبو سعد إسماعيل بن الحافظ المؤذن أبي صالح
أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري الواعظ المشهور بالكرماني لسكناه
بها قال أبو سعد السمعاني كان ذا رأي وعقل وعلم ... النعمة وكان
له عز وجاه عند الملوك تفقه على ... أبي المعالي الجويني وأبي المظفر
السمعاني ...
...
...
القشيري ...
...
...
...

عيسى بن محمد

ابن عيسى بن مؤمل بن ... الشيخ العالم المعمر أبو الأصبغ الزهري
...

الصفحة قبل الأخيرة من الجزء الثاني عشر رقم ميكروفيلم ٣٦٦٥٩

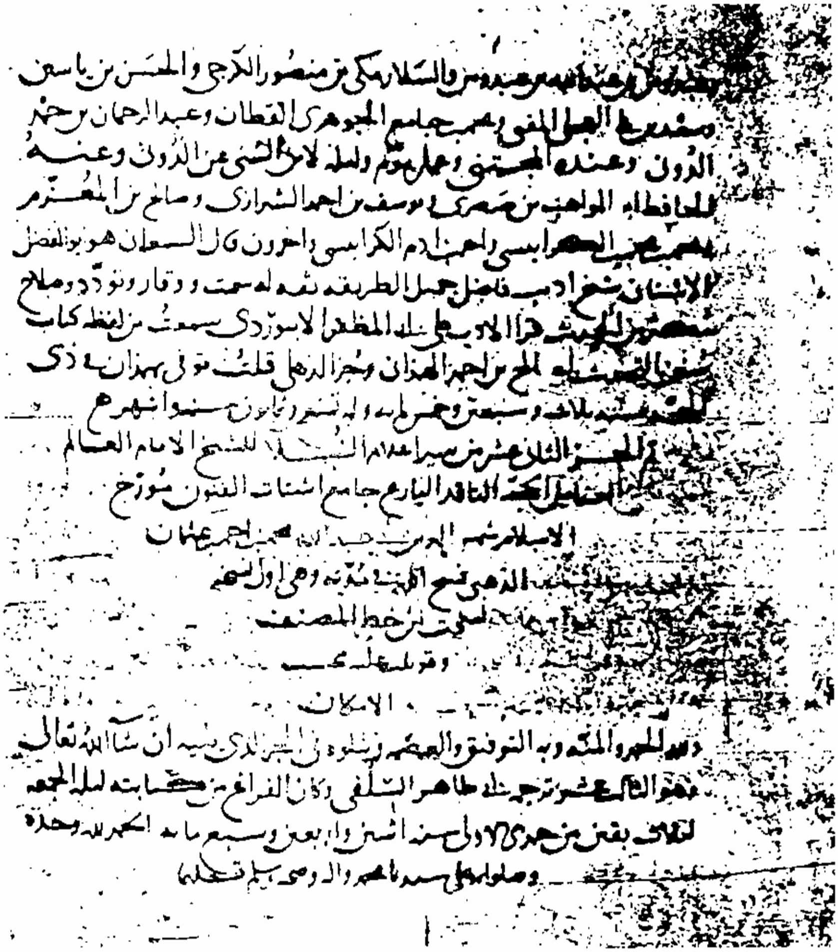

[illegible] مكي بن منصور الكرجي والحسن بن ياسين
[illegible] القطان وعبد الرحمن بن حمد
الدوني وعنده المستوفي [illegible] من الدوني وعنه
الحافظ [illegible] يوسف بن أحمد الشيرازي وصالح بن [illegible]
[illegible] الكرابيسي وآخرون قال السمعاني هو أبو الفضل
الأصبهاني شيخ أديب فاضل جميل الطريقة ثقة له سمت ووقار وتودد وصلاح
[illegible] المظفر الأبيوردي سمعت من لفظه كتاب
[illegible] الهمذاني وجزء الذهلي قلت توفي بهمذان في ذي
[illegible] ثلاث وستين وخمس [illegible] سنوات أشهر
آخر الجزء الثاني عشر من سير أعلام النبلاء للشيخ الإمام العالم
الحافظ الحجة الناقد البارع جامع أشتات الفنون مؤرخ
الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
[illegible] الذهبي فسح الله في مدته [illegible]
[illegible] نقلت من خط المصنف
وقوبل [illegible]
[illegible] الإملاء [illegible]
[illegible] ويتلوه [illegible] إن شاء الله تعالى
[illegible] الثالث عشر ترجمة طاهر السلفي وكان الفراغ من كتابته ليلة الجمعة
[illegible] الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة الحمد لله وحده
وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني عشر

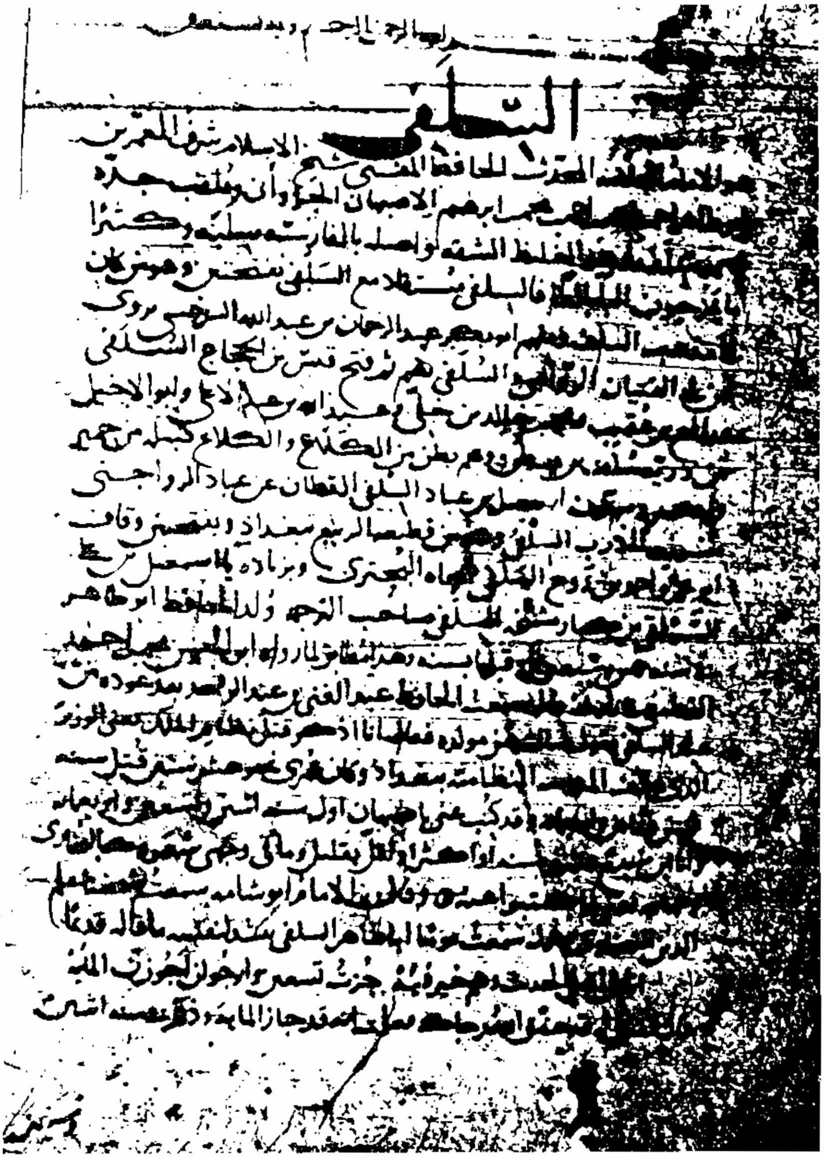
السلفي

الصفحة الأولى من الجزء الثالث عشر رقم ميكروفيلم ٣٦٨١٣

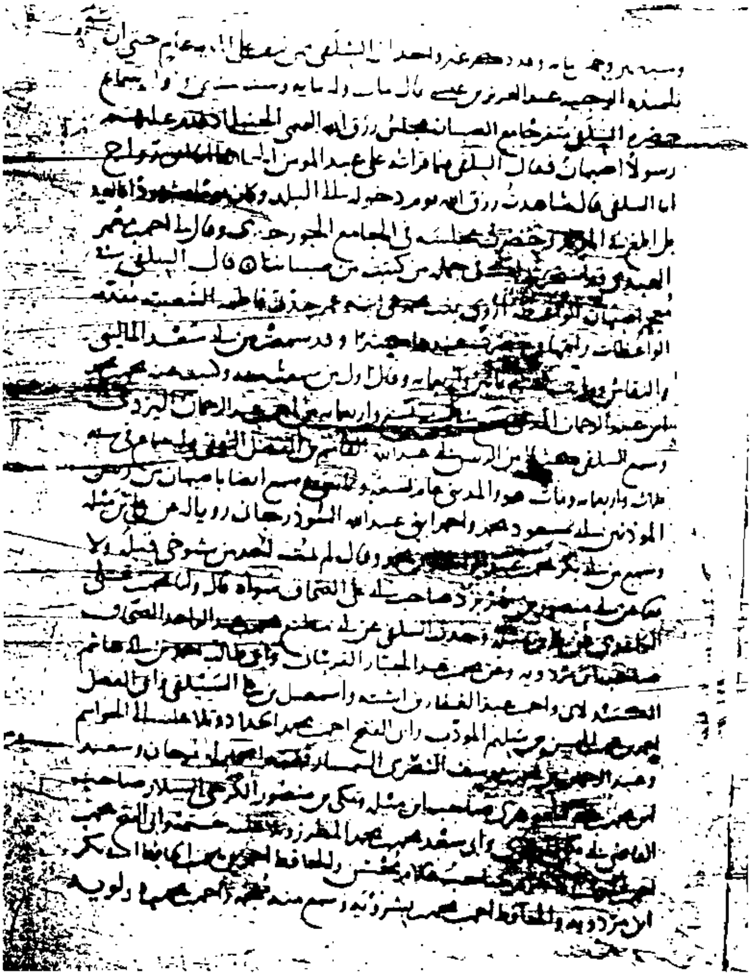

الصفحة الثانية من الجزء الثالث عشر رقم ميكروفيلم ٣٦٨١٣

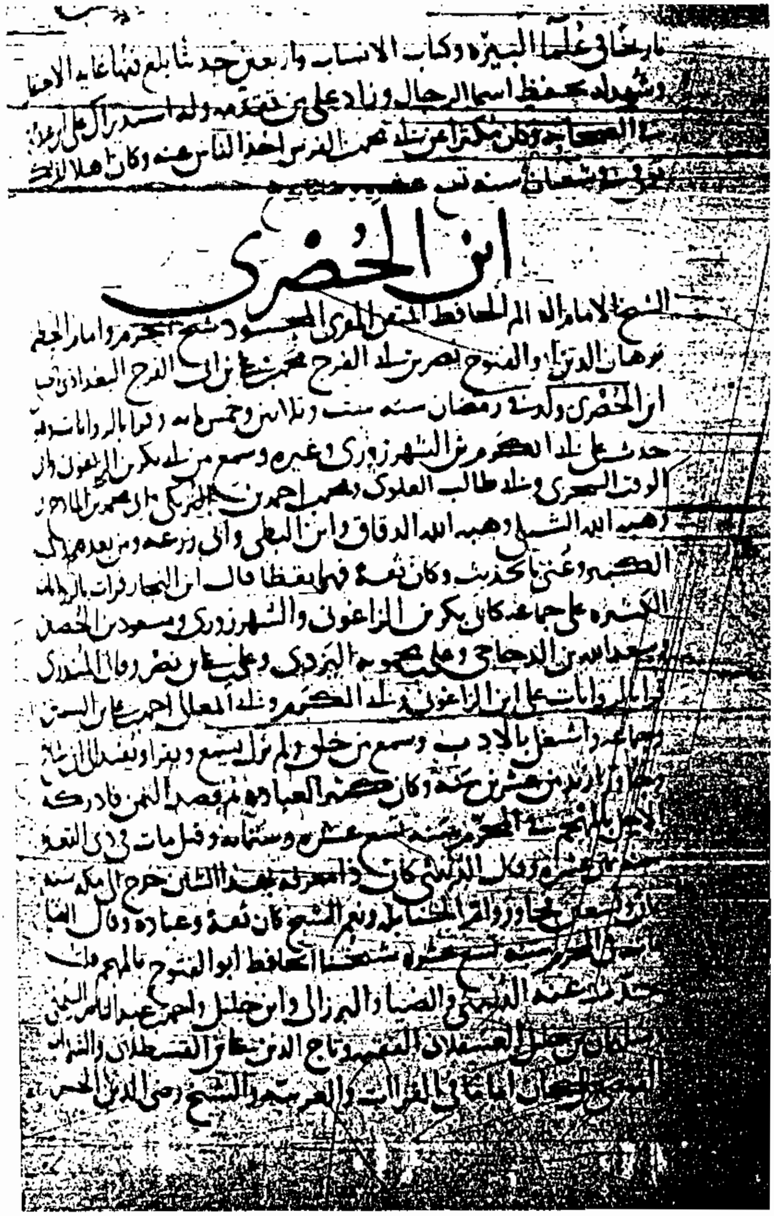
تاريخا في علماء [illegible] وكتاب الانساب واربعين حديثا بلغ فيها غاية الا[illegible]
وشهد له بحفظ اسماء الرجال وزاد على من تقدمه وله [illegible]
[illegible]
[illegible] سنة [illegible]

ابن الحصري

الشيخ الامام [illegible] الحافظ [illegible] شيخ الحرم وامام الحطيم
برهان الدين ابو الفتوح نصر بن ابي الفرج محمد بن علي بن ابي الفرج البغدادي ثم
ابن الحصري ولد في رمضان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقرا بالروايات [illegible]
[illegible] ابي الكرم [illegible] الشهرزوري وغيره وسمع من ابي بكر بن الزاغوني وابي
الوقت السجزي وابي طالب [illegible] احمد بن [illegible]
وهبة الله الشبلي وهبة الله الدقاق وابن البطي وابي زرعة ومن بعدهم [illegible]
[illegible] وعني بالحديث وكان ثقة فهما متقنا قال ابن النجار قرات بالروايات
الكثيرة على جماعة كابي بكر بن الزاغوني والشهرزوري ومسعود بن الحصين
[illegible] بن الدجاجي [illegible] بن نصر [illegible]
[illegible] بالروايات على ابن الزاغوني [illegible] الكرم [illegible]
[illegible] واشتغل بالادب وسمع من خلق ولم يزل يسمع ويقرا [illegible]
[illegible] من عشرين سنة وكان [illegible] العبادة [illegible]
[illegible] سنة تسع عشرة وستمائة [illegible] مات في [illegible]
[illegible] كان ذا معرفة [illegible] خرج الى مكة سنة
[illegible] وكان ثقة وعبادة [illegible]
[illegible] سنة [illegible] شيخنا الحافظ ابو الفتوح [illegible]
[illegible] الدبيثي والضياء والبرزالي وابن خليل [illegible]
[illegible] تاج الدين [illegible] القسطلاني [illegible]
[illegible] في القراءات والعربية الشيخ رضي الدين [illegible]

صفحة من القسم الثاني من الجزء الثالث عشر رقم ميكروفيلم ٣٥٥٠٥

ابن قدامه

الشيخ الامام المقدسي ...

ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه بن مقدام بن نصر المقدسي ...

ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني مولده ...

صفحة من القسم الثاني من الجزء الثالث عشر رقم ميكروفيلم ٣٥٥٠٥

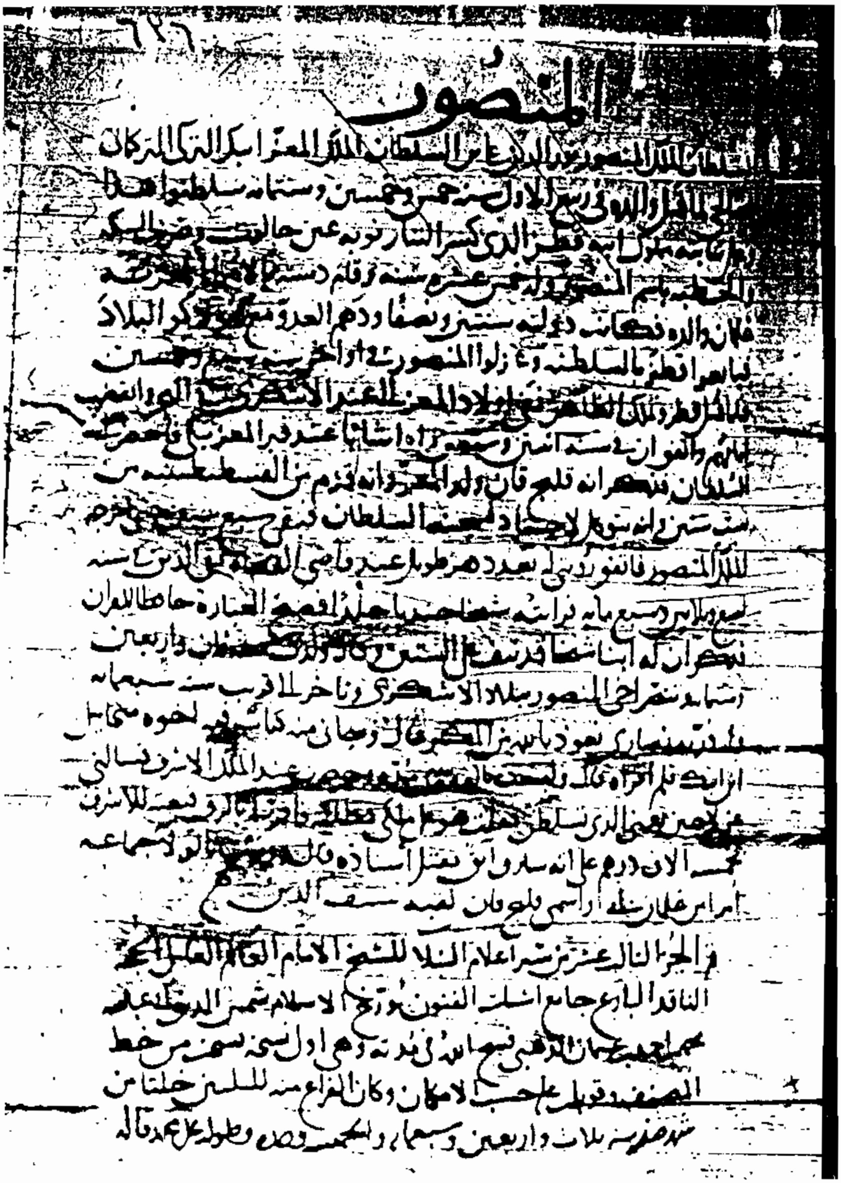
١٢٦

المنصور

السلطان الملك المنصور ... ابن السلطان الملك المعز أيبك التركي ...

تم الجزء الثالث عشر من سير أعلام النبلاء للشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الناقد البارع جامع أشتات الفنون مؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي نفع الله به ... وهي أول نسخة نسخت من خط المصنف وقوبلت بحسب الإمكان وكان الفراغ منه ... من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة والحمد لله وحده ...

الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث عشر رقم ميكروفيلم ٣٥٥٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

• ذُكْرُ نَسَبِ سَيِّدِ البَشَرِ •

محمد رسول اللَّه ﷺ أبو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين

هو محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة، بن هاشم واسمه عمرو، ابن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصى واسمه زيد، بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مدركة، واسمه عامر، بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم- صلى اللَّه عليهما وعلى نبينا وسلم- بإجماع الناس.

لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء[1]، فقيل: بينهما تسعة آباء، وقيل: سبعة، وقيل مثل ذلك عن جماعة. لكن اختلفوا فى أسماء بعض الآباء، وقيل: بينهما خمسة عشر أبا، وقيل: بينهما أربعون أبا وهو بعيد، وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك.

وأما عروة بن الزبير، فقال: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تَخَرُّصًا.

وعن ابن عباس قال: بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أبا، قاله هشام ابن الكلبى النسابة، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس، ولكن هشام وأبوه متروكان[2].

وجاء بهذا الإسناد أن النبى ﷺ كان إذا انتهى إلى عدنان أمسك ويقول:

---

(١) النسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم مختلف فيه، وأما من النبى ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه. وروى الطبرانى بإسناد جيد عن عائشة قالت: استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان» كذا قال الحافظ فى «الفتح» (٦/ ٥٢٨- ٥٢٩).

(٢) هشام بن محمد بن السائب الكلبى، أبو المنذر الأخبارى النَّسَّابة العلامة، روى عن أبيه أبى النَّضْر الكلبى المُفسر. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سَمَر ونَسَب، ما ظننتُ أن أحدًا يحدِّث عنه. وقال الدارقطنى وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضى، ليس بثقة، وأما أبوه؛ فهو محمد بن السائب الكلبى، أبو النضر الكوفى المُفسِّر النَّسَّابة الأخبارى. قال البخارى: أبو النضر الكلبى تركه يحيى وابن مهدى، وقال الدارقطنى وجماعة: متروك، وقال الجوزجانى وغيره كذاب. لذا فالأثر ضعيف جدًا.

«كذب النسَّابون» قال اللَّه تعالى: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) ﴾ [الفرقان: ٣٨][(٣)]

وقال أبو الأسود يتيم عروة: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وكان من أعلم قريش بأنسابها وأشعارها يقول: ما وجدنا أحدًا يعلم ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم[(٤)].

قال هشام ابن الكلبي: سمعت من يقول: إن معدًا كان على عهد عيسى ابن مريم، عليه السلام.

وقال أبو عمر بن عبد البر: كان قوم من السلف منهم عبد اللَّه بن مسعود، ومحمد بن كعب القرظي، وعمرو بن ميمون الأودي إذا تلوا: ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٩]، قالوا: كذب النَّسّابون. قال أبو عمر: ومعنى هذا عندنا على غير ما ذهبوا إليه، وإنما المعنى فيها واللَّه أعلم: تكذيب من ادعى إحصاء بني آدم. واما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

والذي عليه أئمة هذا الشأن أنه: عدنان بن أُدَد بن مقوِّم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ابن آزر، واسمه تارح، ابن ناحور بن ساروح ابن راعو بن فالخ بن عيبر ابن شالَخَ بن أرْفَخشذ بن سام بن نوح- عليه السلام- بن لامك بن مَتُّوشَلَخ ابن خَنُوخ، وهو إدريس- عليه السلام- بن يَرَد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث ابن آدم أبي البشر- عليه السلام- قال: وهذا الذي اعتمده محمد بن إسحاق في السيرة[(٥)]، وقد اختلف أصحاب ابن إسحاق عليه في بعض الأسماء.

---

(٣) ضعيف جدًا: أخرجه ابن سعد (١/ ٥٦)، وفيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبوه، وهما متروكان كما علمت.

وفيه أبو صالح باذام، مولى أم هانئ، فإنه ضعيف، مدلس. فهذه ثلاث علل في هذا الإسناد.

(٤) حسن: أخرجه ابن سعد (١/ ٥٨) في طبقاته قال أخبرنا خالد بن خداش، أخبرنا عبد اللَّه بن وهب، قال أخبرني ابن لهيعة، عن أبي الأسود قال سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: يقول: فذكره.

قلت: إسناده حسن، عبد اللَّه بن لهيعة، صدوق، وقدروى عنه عبد اللَّه بن وهب، وهو من أعدل من روى عنه، فأمنَّا شرًا اختلاطه. وأبو الأسود، يتيم عُروة، هو محمد بن عبد الرحمن النوفلي، الأسدي المدني، ثقة، من صغار التابعين، روى له الجماعة.

(٥) ذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢١) ط. دار الحديث بتحقيق جمال ثابت، ومحمد محمود، وسيد =

قال ابن سعد: الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل(٦).

وروى سَلَمَة الأبرش، عن ابن إسحاق هذا النسب إلى يشجُب سواء، ثم خالفه فقال: يشجب بن يانش بن ساروغ بن كعب بن العوّام بن قيذار بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهم السلام.

وقال ابن إسحاق: يذكرون أن عُمْرَ إسماعيل مائة وثلاثون سنة، وأنه دُفنَ في الحجر مع أمه هاجر.

وقال عبد الملك بن هشام: حدثني خلاد بن قُرَّة بن خالد السدوسي، عن شيبان بن زهير، عن قتادة، قال: إبراهيم خليل اللَّه هو ابن تارح بن ناحور بن أشرع بن أرغو بن فالخ ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن مَتُّوشَلَخ بن هنوخ بن يَرَد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم.

وروى عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن مُنَبِّه، أنه وجد نسب إبراهيم- عليه السلام- في التوراة: إبراهيم بن تارح بن ناحور بن شروغ بن أرغو بن فالَغ بن عابر شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متشالخ بن خنوخ، وهو إدريس، بن يارد بن مهلاييل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم(٧).

وقال ابن سعد: حدثنا هشام ابن الكلبي، قال: علمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ محمد، الطيب المبارك ولد عبد اللَّه بن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قُصَي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن مَعَدِّ بن عدنان(٨).

= إبراهيم ووقع في هذا الطبقة [ابن ساروغ] بدل [ابن ساروح]. وأثبته المحققون كما في المنتظم» (١/ ٢٥٨).

(٦) ذكره ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٨) وقال: الأمر عندنا على الانتهاء إلى معدّ بن عدنان، ثم الإمساك عمًّا وراء ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم.

(٧) ضعيف جدًا: فيه عبد المنعم بن إدريس اليماني، مشهور قصاص، ليس يُعتمد عليه، تركه غير واحد؛ وأفصح أحمد بن حنبل فقال: كان يكذبُ على وهب بن مُنَبِّه وقال البخاري: ذاهبُ الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره.

(٨) ضعيف جدًا: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٥- ٥٦)، آفته هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبوه؛ فهما متروكان كما أسلفنا الكلام عليهما قريبًا.

قال أبى : وبين مَعَدّ وإسماعيل نيف وثلاثون أبًا، وكان لا يسميهم ولا يُنْفذُهم.

قلت : وسائر هذه الأسماء أعْجميَّة، وبعضها لا يمكن ضبطه بالخط إلا تقريبًا.

وقد قيل فى قوله- تعالى : ﴿ **وَفَصِيلَته الَّتِى تُؤْوِيهِ** ﴿١٣﴾ ﴾ [المعارج: ١٣]، فصيلة النبى ﷺ بنو عبد المطلب أعمامه وبنو أعمامه، وأما فخذه فبنو هاشم. قال: وبنو عبد سناف بطنه، وقريش عمارته، وبنو كنانة قبيلته، ومُضَر شَعْبه.

قال الأوزاعى : حدثنى شداد أبو عمار، قال: حدثنى واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيلَ، واصطفى قريشًا من كنانةَ، واصطفى هاشمًا من قريشٍ، واصطفانى من بنى هاشمٍ**». رواه مسلم[٩].

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد سناف بن زُهْرَة بن كِلاب، فهى أقرب نسبا إلى كِلاب من زوجها عبد اللَّه برجل.

* *

(٩) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧)، ومسلم (٢٢٧٦)، والترمذى (٣٦٠٥) و(٣٦٠٦) من طرق عن الأوزاعى، به.

• مولده المبارك ﷺ •

أخبرنا أبو المعالى أحمد بن إسحاق، قال: أخبرنا أحمد بن أبى الفتح، والفتح بن عبد اللَّه، قالا: أخبرنا محمد بن عمر الفقيه، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد ابن النقور، قال: أخبرنا على بن عمر الحربى، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الصوفى، قال: حدثنا يحيى ابن معين، قال: حدثنا حجاج بن محمد، قال: حدثنا يونس بن أبى إسحاق، عن أبيه، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: «أن النبى ﷺ وُلدَ عام الفيل»(١٠). صحيح.

وقال ابن إسحاق: حدثنى المطلب بن عبد اللَّه بن قيس بن مَخْرَمة، عن أبيه، عن جده قيس بن مخرمة بن عبد المطلب، قال: «وُلدْتُ أنا ورسول اللَّه ﷺ عام الفيل. كنا لدَيْن»(١١) أخرجه الترمذى، وإسناده حسن.

وقال إبراهيم بن المنذر الحزامى: حدثنا سليمان النوفلى، عن أبيه، عن محمد بن جُبَير ابن مطعم، قال: وُلدَ رسول اللَّه ﷺ عام الفيل، وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة، وبُنىَ البيت على رأسَ خمس وعشرين سنة من الفيل. وتنبأ رسول اللَّه ﷺ على رأس أربعين سنَة من الفيل.

---

(١٠) حسن لغيره: أخرجه ابن سعد (١/ ١٠١)، والبزار (٢٢٦) كشف الأستار، والحاكم (٢/ ٦٠٣)، والطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ١٢٤٣٢)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ٧٥- ٧٦) من طريق حجاج بن محمد، به.

قلت: إسناده ضعيف، فيه محمد بن إسحاق، مدلس، وقد عنعنه لكن الحديث يرتقى للحسن لغيره بالطريقين الآتيين كما فى التعليق الآتى.

(١١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ٢١٥)، والترمذى (٣٦١٩)، والحاكم (٢/ ٦٠٣)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ٧٦- ٧٧)، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (٨٥) من طرق عن ابن إسحاق، عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، به.

قلت: إسناده ضعيف، آفته المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة المطلبى، فإنه مجهول، لذا قال الحافظ فى «التقريب»: مقبول أى عند المتابعة، وقد توبع. وأما محمد بن إسحاق فقد صرَّح بالتحديث عند الترمذى وغيره. وأخرجه ابن سعد (١/ ١٠١) من طريق حُكيم بن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه عن قيس بن مخرمة، به.

قلت: إسناده ضعيف، آفته محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، فإنه مجهول؛ لذا قال الحافظ فى «التقريب» «مقبول» أى عند المتابعة، وقد توبع بالطريق الأول، فالحديث حسن. بمجموع الطريقين.

أمَّا حُكيم بن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، فهو صدوق كما قال الحافظ فى «التقريب». وقيس ابن مخرمة، هو ابن المطلب بن عبد مناف المطلبى المكى، صحابى، كان أحد المؤلفة، ثم حسن إسلامه.

وقال شباب العُصْفُرى(١٢) : حدثنا يحيى بن محمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، قال: حدثنى الزبير بن موسى، عن أبى الحويرث، قال: سمعت قباث بن أشيم يقول: «أنا أسن من رسول اللَّه ﷺ وهو أكبر منى، وَقفتْ بى أمى على روث الفيل مَحيلا أعقله، ووُلِدَ رسول اللَّه ﷺ عام الفيل». يحيى هو أبو زُكير، وشيخه وشيخه متروك الحديث.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهابلا قال: بعث اللَّه محمداً ﷺ على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة، وكان بين مبعثه وبين أصحاب الفيل سبعون سنة. كذا قال.

وقد قال إبراهيم بن المنذر وغيره: هذا وهم لا يشك فيه أحد من علمائنا. إن رسول اللَّه ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل.

وقال يعقوب القُمّى، عن جعفر بن أبى المغيرة، عن ابن أبزى، قال: كان بين الفيل وبين مولد رسول اللَّه ﷺ عشر سنين. وهذا قول منقطع.

وأضعف منه ما روى محمد بن عثمان بن أبى شيبة، وهو ضعيف قال: حدثنا عقبة بن مُكْرَم، قال: حدثنا السيب بن شريك، عن شعيب بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: حُملَ برسول اللَّه ﷺ فى عاشوراء المحرم، وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضَان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل(١٣). وهذا حديث ساقط كما ترى.

وأوهى منه ما يروى عن الكلبى - وهو متهم ساقط - عن أبى صالح باذام، عن ابن عباس، قال: وُلدَ رسول اللَّه ﷺ قبل الفيل بخمس عشرة سنة. قد تقدم ما يبين كذب هذا القول عن ابن عباس بإسناد صحيح.

قال خليفة بن خياط: المجمع عليه أنه ولد عام الفيل.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا محمد بن حسن، عن عبد السلام بن عبد اللَّه، عن معروف ابن خَرَّبوذ، وغيره من أهل العلم، قالوا: وُلدَ رسول اللَّه ﷺ عام الفيل، وسميت قريش «آل اللَّه» وعظُمت فى العرب. ولد لاثنتى عشرةَ ليلة مضت من ربيع الأول، وقيل: من رمضان يوم الإثنين حين طلع الفجر.

---

(١٢) شباب العُصْفُرى، هو خليفة بن خيَّاط بن خليفة بن خياط الإمام الحافظ العلامة الأخبارى، أبو عمرو العُصْفُرى البصرى، ويُلقب بشَبَاب، صاحب «التاريخ» وكتاب «الطبقات»، وغير ذلك. ترجم له المصنف فى كتابه هذا [السير] برقم ترجمة عام (١٩١٨)، وبتعليقنا رقم (٤٠١) فى المجلد السابع فراجعها ثمَّت إذا رُمْت زيادة.

(١٣) ضعيف جداً: وفيه أيضًا المسيب بن شريك. قال أحمد: تركه الناس. وقال مسلم وجماعه: متروك.

وقال أبو قتادة الأنصارى: سأل أعرابى رسول اللَّه ﷺ فقال: ما تقول فى صوم يوم الإثنين؟ قال: «**ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه وفيه أوحى إلىَّ**»(١٤). أخرجه مسلم.

وقال عثمان بن عبد الرحمن الوَقَّاصى، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب وغيره، أن رسولَ اللَّه ﷺ ولد فى ليلة الاثنين من ربيع الأول عند ابهرار النهار(١٥).

وروى ابن إسحاق قال: حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى ابن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، قال: حدثنى من شئت من رجال قومى، عن حسان بن ثابت، قال: إنى واللَّه لغلام يَفَعَة، إذ سمعت يهوديا وهو على أطُمة(١٦)، يشرب يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه، قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد الذى يُبْعَث به الليلة.

وقال ابن لَهيعة، عن خالد بن أبى عمران، عن حَنَش، عن ابن عباس، قال: ولد نبيكم ﷺ يومَ الإثنين ونُبِّىء يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، وفَتَحَ مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين، وتوفى يوم الإثنين(١٧). رواه أحمد فى مسنده، وأخرجه الفسوى فى تاريخه.

وقال شيخنا أبو محمد الدمياطى فى «السيرة» من تأليفه، عن أبى جعفر محمد بن على، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ يوم الإثنين لعشر ليال خلوان من ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل قَبل ذلك فى النصف من المحرم(١٨).

---

(١٤) صحيح: أخرجه مسلم (١١٦٢) (١٩٧) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن غَيْلان بن جرير، سمع عبد الله بن معبد الزِّمَّانى، عن أبى قتادة الأنصارى، به.

(١٥) ضعيف: لإرساله.

(١٦) الأطُمُ بالضم: الأبنية المرتفعة كالحصون. وجمعه آطام.

(١٧) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٢٧٧)، والطبرانى (١٢٩٨٤)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٧/ ٢٣٣ و٢٣٤) من طريق عبد الله بن لهيعة، به.
قلت: إسناده ضعيف، آفته عبد الله بن لهيعة، أجمعوا على ضعفه لسوء حفظه بعد احتراق كتبه. لكن يغنى عنه حديث أبى قتادة الأنصارى المتقدم وفيه: أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الإثنين؟ قال: ذاك يومٌ وُلدتُ فيه، ويومٌ بُعثتُ أو أنزلَ علىَّ فيه.
ويغنى عنه أيضًا ما رواه البخارى (١٣٨٧) عن عائشة أن أبا بكر قال لها فى أىِّ يوم تُوُفِّى رسول الله ﷺ؟ قالت: يوم الإثنين. قال: فأىُّ يوم هذا؟ قالت: يومُ الإثنين.

(١٨) ضعيف: لإرساله، أبو جعفر محمد بن على، هو أبو جعفر الباقر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من صغار التابعين، فبينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز تنقطع دونها أعناق المطى.

وقال أبو معشر نجيح : ولد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

قال الدمياطى : والصحيح قول أبى جعفر ، قال : ويقال : إنه ولد فى العشرين من نيسان .

وقال أبو أحمد الحاكم : ولد بعد الفيل بثلاثين يومًا . قاله بعضهم : قال : وقيل بعده بأربعين يومًا .

قلت : لا أبعد أن الغلط وقع من هنا على من قال ثلاثين عاما أو أربعين عامًا ، فكأنه أراد أن يقول يومًا فقال عامًا .

وقال الوليد بن مسلم ، عن شعيب بن أبى حمزة ، عن عطاء الخراسانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عبد المطلب : ختن النبى ﷺ يوم سابعه ، وصنع له مأدبة وسماه محمدًا(١٩) .

وهذا أصح مما رواه ابن سعد : أخبرنا يونس بن عطاء المكى ، قال : حدثنا الحكم بن أبان العدنى ، قال حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس قال : ولد النبى ﷺ مختونًا مسرورًا ، فأعجب ذلك عبد المطلب وحَظِىَ عنده وقال : ليكونَنَّ لابنى هذا شأن(٢٠) .

تابعه سليمان بن سلمة الخبائرى ، عن يونس ، لكن أدخل فيه بين يونس والحكم : عثمان ابن ربيعة الصُّدَائى .

قال شيخنا الدمياطى : ويروى عن أبى بكرة ، قال : خَتَنَ جبريلُ رسولَ اللَّه ﷺ لما طهر قلبه(٢١) .

قلت : هذا منكر .

---

(١٩) ضعيف: فيه الوليد بن مسلم ، مدلس ، يدلس تدليس التسوية ، وقد عنعنه .

(٢٠) منكر : أخرجه ابن سعد (١/ ١٠٣) قال أخبرنا يونس بن عطاء المكى ، به .

وأورده ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٢/ ٢٦٩- ٢٧٠) ثم قال فى إثره بعد أن ذكر طرقًا له : «وقد ادَّعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر (!) وفى هذا كله نظر .

ومعنى مختونًا : أى مقطوع الختان . ومسرورًا : أى مقطوع السُّرَّة من بطن أمه .

(٢١) منكر : أورده الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٢/ ٢٧٠) ط . دار الحديث وقال قد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصرى ، حدثنا على بن محمد المدائنى السلمى ، حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زيادة ، عن أبيه ، عن أبى بكرة : أن جبريل ختن النبى ﷺ حين طهر قلبه» .

وقال ابن كثير فى إثره : وهذا غريب جدًا .

● أسماءُ النَّبيِّ ﷺ وكُنْيَتُه ●

الزُّهرى، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إن لى أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو اللّه بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب**»(٢٢). قال الزهرى: والعاقب: الذى ليس بعده نبى. متفق عليه. وقال الزُّهرى: وقد سماه اللّه رؤوفًا رحيمًا.

وقال حماد بن سلمة، عن جعفر بن أبى وَحْشية، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا الماحى، والخاتم، والعاقب**»(٢٣). وهذا إسناد قوى حسن.

وجاء بلفظ آخر، قال: «**أنا أحمد، ومحمد، والمُقَفِّى، والحاشر، ونبى الرحمة، ونبى الملحمة**»(٢٤).

وقال عبد اللّه بن صالح: حدثنا الليث، قال: حدثنى خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن عقبة بن مسلم، عن نافع بن جبير بن مطعم: أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: أتحصى أسماء رسول اللّه ﷺ التى كان جُبَير يَعدُّها؟ قال: نعم، هى ستة: محمد، وأحمد، وخاتم، وحاشر، وعاقب، وماحى.

فأما حاشر فَبُعث مع الساعة نذيرا لكم، وأما عاقب فإنه عَقَّب الأنبياء، وأما ماحى فإن اللّه محا به سيئات مَن اتَّبَعه.

---

(٢٢) **صحيح**: أخرجه عبد الرزاق (١٩٦٥٧)، والحميدى (٥٥٥)، وابن أبى شيبة (١١/ ٤٥٧)، وأحمد (٤/ ٨٠ و٨٤)، وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٠٥)، والبخارى (٣٥٣٢) و(٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، والترمذى (٢٨٤٠)، وفى «الشمائل» (٣٥٩) والدارمى (٢/ ٣١٧- ٣١٨) والطحاوى فى «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٥٠)، والآجرى فى «الشريعة» (ص٤٦٢)، والطبرانى فى «الكبير» (١٥٢٠- ١٥٣٠)، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (١٩)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (١/ ١٥٢- ١٥٣ و١٥٣ و١٥٤)، والبغوى (٣٦٢٩) و(٣٦٣٠) من طرق عن الزهرى، به.

(٢٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٨١ و٨٤) من طريق حماد بن سلمة، به.

(٢٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٤) من طريق المسعودى، ومسلم (٢٣٥٥) من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة، عن أبى عُبيدة، عن أبى موسى الأشعرى قال: كان رسول الله ﷺ يُسمِّى لنا نفسه أسماءً فقال: أنا محمد، وأحمد، والمُقفِّى، والحاشر، ونبى التوبة، ونبيُّ الرحمة».

وقوله: «المقفى» قال شمر: هو بمعنى العاقب. وقال ابن الأعرابى: هو المتبع للأنبياء. يقال: قفوته أقفوه وقفيته أقفيه، إذا اتبعته. وقافية كل شىء آخره.

وقال عمرو بن مُرة، عن أبى عبيدة، عن أبى موسى الأشعرى، قال: كان رسول اللهﷺ يسمى لنا نفسه أسماءً: فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمُقفّى، ونبى التوبة، والملحمة**». رواه مسلم(٢٥).

وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن النبىﷺ مرسلاً، قال: «**أيها الناس إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»(٢٦).

ورواه زياد بن يحيى الحسانى، عن سُعَيْر بن الخِمس، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة موصولاً.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال وكيع، عن إسماعيل الأزرق، عن ابن عمر، عن ابن الحنفية، قال: يس محمدﷺ.

وعن بعضهم، قال: لرسول اللهﷺ فى القرآن خمسة أسماء: محمد، وأحمد، وعبد الله، ويس، وطه.

وقيل: طه، لغة لعَكٍّ، أى: يا رجل، فإذا قلت لعكّىٍّ: يا رجل، لم يلتفت، وإذا قلت له: طه، التفت إليك. نقل هذا الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، والكلبى متروك. فعلى هذا القول لا يكون طه من أسمائه.

وقد وصفه الله تعالى فى كتابه فقال: رسولاً، ونبيًا أميًا، وشاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، ورؤوفًا رحيمًا، ومذكرًا، ومدثرًا، ومزملاً، وهاديًا، إلى غير ذلك.

---

(٢٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٥٥). وراجع تخريجنا السابق.

(٢٦) حسن لغيره: أخرجه ابن سعد (١/ ١٩٢) أخبرنا وسميع بن الجراح، به.

وله شاهد عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: «إنما أنا رحمة مهداة».

أخرجه البزار (٢٣٦٩) كشف الأستار، والطبرانى فى «الصغير» (١/ ٩٥)، و«الأوسط» (٢٩٨١)، وابن الأعرابى فى «معجمه»، والحاكم (١/ ٣٥)، والقضاعى فى «الشهاب» (١١٦٠) من طريق أبى الخطاب زياد بن يحيى، عن مالك بن سُعير، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، به. ومالك بن سعير، صدوق فالإسناد حسن.

ومن أسمائه: الضحوك، والقَتَّال. جاء في بعض الآثار عنه ﷺ أنه قال: «**أنا الضحوك أنا القَتَّال**».

وقال ابن مسعود: حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق (٢٧)، وفي التوراة فيما بلغنا أنه حرز للأميين، وأن اسمه المتوكل (٢٨).

ومن أسمائه: الأمين. وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته. ومن أسمائه: الفاتح، وقُثَم.

وقال على بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب، فقالوا: قول أبي طالب في النبي ﷺ:

وشــــقَّ له من اســـمه ليُجلَّهُ فَذُو العرش محمود وهذا محمد

وقال عاصم بن أبي النَّجُود، عن أبي وائل، عن عبد اللَّه، قال: لقيت رسول اللَّه ﷺ في بعض طرق المدينة، فقال: «**أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا نبيُّ الرحمة، ونبيُّ التوبة، والمقفيِّ، وأنا الحاشرُ، ونبيُّ الملحمة**» (٢٩) قال: المقفِّي الذي ليس بعده نبي. رواه الترمذي في «الشمائل» وإسناده حسن، وقد رواه حماد بن سلمة، عن عاصم، فقال: عن زر، عن حذيفة نحوه.

ويروى بإسناد واهٍ عن أبي الطُّفَيل، قال: قال النبي ﷺ لي عشرة أسماء، فذكر منها الفاتح، والخاتم.

قــلـــت: وأكثر ما سقنا من أسمائه صفات له لا أسماء أعلام، وقد تواتر أن كنيته أبو القاسم.

---

(٢٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، به.

(٢٨) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)، والبخاري (٢١٢٥) من طريق فُلَيح حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار قال لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكِّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق، ولَا يدفع بالسَّيئة السَّيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضَهُ الله حتّى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الله ويُفتحُ بها أعينٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غُلْفٌ».

(٢٩) حسن: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٦٠). وعاصم بن أبي النجود صدوق حسن الحديث.

قال ابن سيرين، عن أبى هريرة، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**تَسَمُّوا باسمى، ولا تَكْتَنُوا بكُنْيَتى**». متفق عليه(٣٠).

وقال محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا تجمعوا اسمى، وكُنيتى، أنا أبو القاسم، اللّه يعطى وأنا أقْسِم**»(٣١).

وقال ابن لَهيعة، عن عقيل، عن الزهرى، عن أنس، قال: لما وُلد إبراهيم ابن النبى ﷺ من مارية كاد يقع فى نفسه منه، حتى أتاه جبريل - عليه السلام - فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. ابن لهيعة ضعيف.

* *

---

(٣٠) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٦)، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٧١)، وأحمد (٢/ ٢٤٨ و٢٦٠ و٢٧٠ و٣٩٢ و٤٩١ و٤٩٩)، والبخارى (٣٥٣٩) و(٦١٨٨)، ومسلم (٢١٣٤)، وأبو داود (٤٩٦٥)، وابن ماجه (٣٧٣٥)، والدارمى (٢/ ٢٩١- ٢٩٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٢٩٥)، وفى «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٤٣)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٣٠٨)، وفى «الآداب» (٦١٣)، والبغوى (٣٣٦٣) من طرق عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة، به.

وورد عن أنس بن مالك: عند أحمد (٣/ ١١٤ و١٢١ و١٨٩)، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٧١)، والبخارى (٢١٢٠) و(٣٥٣٧)، وفى «الأدب المفرد» (٨٣٧) و(٨٤٥)، ومسلم (٢١٣١)، والترمذى (٢٨٤٤)، وأبو يعلى (٣٧٨٧) و(٣٨١١)، والبيهقى (٩/ ٣٠٨ و٣٠٩)، والبغوى (٣٣٦٤) من طرق عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، به.

(٣١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٣)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٨٤٤)، والترمذى (٢٨٤١) من طريق محمد بن عجلان، به.

قلت: إسناده حسن، محمد بن عجلان، صدوق كما قال الحافظ فى «التقريب».

• ذِكْر مَا وَرَدَ فى قصَّةِ سَطِيح •

وخمود النيران ليلة المولد وانشقاق الإيوان

قال ابن أبى الدنيا وغيره: حدثنا على بن حرب الطائى، قال: أخبرنا أبو أيوب يعلى بن عمران البَجَلى، قال: حدثنى مخزوم بن هانىء المخزومى، عن أبيه، وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة، قال: لما كانت الليلة التى وُلِدَ فيها رسول اللَّه ﷺ ارتجس إيوان كسرى(٣٢)، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بُحَيرة ساوة(٣٣)، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبذان(٣٤) إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا(٣٥) قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى من شأن إيوانه فصبر عليه تَشَجُّعًا، ثم رأى أن لا يستر ذلك عن وزرائه ومرازبته(٣٦)، فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم، فلما اجتمعوا عنده، قال: أتدرون فيم بعثتُ إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك، فبينا هم على ذلك أوردَ عليهم كتابٌ بخمود النار، فازداد غمًا إلى غمة، فقال الموبذان: وأنا قد رأيت- أصلح اللَّه الملك- فى هذه الليلة رؤيا، ثم قص عليه رؤياه فقال: أى شىء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حدث يكون فى ناحية العرب، وكان أعلمهم فى أنفسهم، فكتب كسرى عند ذلك: «من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد، فَوَجِّه إلىَّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه. فوجَّه إليه بعبد المسيح بن حَيَّان ابن بُقَيلة الغسانى، فلما قدم، عليه قال له: هل لك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليسألنى الملك فإن كان عندى علم وإلا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بما رأى، فقال: علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سَطِيح، قال: فائته فسله عما سألتك وائتنى بجوابه، فركِب حتى أتى على سطيح وقد أشفى على الموت، فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جوابا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

---

(٣٢) ارتجس إيوانُ كسرى: أى اضطرب وتحرَّك حركة سُمِعَ لها صوتٌ.

(٣٣) غاضَت بُحَيرة ساوة: أى غار ماؤها وذهب.

(٣٤) الموبذان: قاضى القضاة.

(٣٥) الخيل العراب المُعْربة: قال الكسائى: المُعْرب من الخيل: الذى ليس فيه عِرْقُ هجين. والأنثى مُعْربة؛ وإبل عرابٌ كذلك، وقد قالوا: خيلٌ أعرُبٌ، وإبلٌ أعْرُبٌ.

(٣٦) المرازبة: من الفُرس مُعَرَّبٌ، الواحدُ مَرْزُبان بضم الزاى، وهو الفارس الشُّجاع، المُقدَّم على القوم دون الملك.

أصَمُّ أم يسمعُ غطْريفُ[٣٧] اليمن ... أم فاد فازْلَمَّ[٣٨] به شأوُ العَنَنْ
يا فاصلَ الخُطّة أعْيَتْ مَنْ ومن ... أتاك شيخُ الحىِّ من آل سَنَنْ
وأمُّهُ من آل ذئب بن حَجَنْ ... أزرقُ بَهْمُ النّاب صرَّار الأذُنْ
أبْيَضُ فضفاضُ الرِّداء والبَدَنْ ... رسولُ قَيْلِ العُجْم يَسْرى للوَسَنْ
يَجُوبُ فى الأرض عَلَنْدَاة[٣٩] شُجُنْ[٤٠] ... ترفُعنى وجن[٤١] وتَهوى بى وَجَنْ
لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْبَ الزَّمَنْ ... كأنَّما حُثْحثَ من حضْنَىْ ثَكَن[٤٢]
حتى أتى عارى الجآجى والقَطَنْ ... تَلُفُّهُ فى الريح بَوْغَاء[٤٣] الدِّمَن[٤٤]

فقال سطيح: عبد المسيح، جاء إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، قد قطعت دجلة، وانتشرت فى بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهَراوة، وفاض وادى السَّمَاوة، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شامًا، يملك منهم ملوكٌ وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه، وسار عبد المسيح إلى رحله، وهو يقول:

شَمِّرْ فإنّك ماضى الهمَّ شِمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّك تَفْريقٌ وتَغْييرُ
إنْ يُمْسِ مُلكُ بنى ساسانَ أفْرَطَهُم ... فإنَّ ذا الدَّهْرَ أطوارٌ دَهاريرُ

---

(٣٧) الغطْريف والغُطارف: السَّيد الشريف السَّخىُّ الكثير الخير.

(٣٨) أزْلَمَّ: أى ذهب مُسرعًا.

(٣٩) العلنداة: الناقة من الإبل العظيمة الطويلة.

(٤٠) شَجَنْ: أى ناقة متداخلة الخلق كأنها شجرة مُتَشَجِّنة أى متصلة الأغصان بعضها ببعض ويُروى: شَزَن بالزَّاى.

(٤١) الوَجَن: الأرض الغليظة الصلبة.

(٤٢) حُثْحثَ من حضْنى ثَكَن: جاء فى حديث سطيح ومعناه: أى حُثَّ وأسْرِع يُقال حَثَّه على الشىء وحَثْحثَه. وثكن: جبل معروف، وقيل جبل حجازى بفتح الثاء والكاف.

(٤٣) البَوْغاءُ: التراب عامة. وقيل: هى التُّربة الرَّخوة التى كأنها ذَريرة.

(٤٤) الدِّمن: البَعْر.

فَـرُبَّمـا رُبَّمـا أضْـحـضـوْا بمنزلة ... تَهَـابُ صَـوْلَهُـمْ الأسْدُ المَهَـاصيرُ
منْهُـمْ أخو الصَّـرْح بَهْـرامٌ وإخـوتُهُ ... والهُـرمُـزَان وسـابورٌ وسـابورُ
والنّاسُ أولادُ عَـلاَّت فـمَن علمُـوا ... أنْ قـد أقَلَّ فـمـحقـورٌ ومـهـجـورُ
وهُمْ بنو الأمِّ إمَّـا إن رَأوْا نَشَـبًـا ... فَـذَاكَ بالغيب مـحـفوظٌ ومنصُـورُ
والخيرُ والشَّرُّ مـصفودان فى قَرَنٍ ... فـالخـيـرُ مَتَّبَعٌ والشَّـرُّ مَـحْـذُورُ

فلما قدم على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال كسرى: إلى متى يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور، فملك منهم عشرة أربع سنين، وملك الباقون إلى آخر خلافة عثمان- رضى اللَّه عنه- هذا حديث منكر غريب.

وبإسنادى إلى البكَّائى، عن ابن إسحاق، قال كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته وفظع منها، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إنى قد رأيت رؤيا هالتنى فأخبرونى بها وبتأويلها. قالوا: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها. فقيل له: إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقٍّ فإنه ليس أحد أعلم منهما، فبعث إليهما فقدم سطيح قبل شقٍّ، فقال له: رأيت حُمَمَة خرجت من ظُلمة، فوقعت بأرض تَهِمَة(٤٥)، فأكلت منها كل ذات جُمْجُمة. قال: ما أخطأت منها شيئًا، فما تأويلها؟

فقال: أحلفُ بما بين الحرتين من حَنَش، ليهبطَنَّ أرضكم الحبشُ، فليملكُنَّ ما بين أبين إلى جُرَش.

فقال الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن أفى زمانه أم بعده؟

قال: بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين، قال: أفَيَدومُ ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون هاربين. قال: من يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذى يزن، يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدًا باليمن. قال: أفَيَدومُ ذلك؟ قال: بل ينقطع بنبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى. قال: وممن هو؟ قال: من ولد فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر

---

(٤٥) التَّهِمَة: حكى ابن قتيبة فى «غريب الحديث» عن الزيادى، عن الأصمعى أن التَّهَمَة الأرض المنصوبة إلى البحر، قال: وكأنها مصدر من تهامة.

الدهر. قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرنى؟ قال: نعم والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شق، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان. قال: نعم رأيتَ حُمَمَةَ خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكَمَة، فأكلت منها كل ذات نَسَمة. فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتفقا، فوقع فى نفسه، فجهز أهل بيته إلى العراق، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرَّزاذ، فأسكنهم الحيرة، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر: النعمان بن المنذر، فهو فى نسب اليمن: النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر.

* *

باب : منه

عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، قال: «**خرجتُ من لدن آدم من نكاحٍ غيرِ سفاحٍ**»(٤٦).
هذا حديث ضعيف، فيه متروكان: الواقدى، وأبو بكر بن أبى سبرة.

وورد مثله عن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن على بن الحسين، عن على، وهو منقطع إن صح عن جعفر بن محمد، ولكن معناه صحيح.

وقال خالد الحذاء، عن عبد اللَّه بن شقيق، عن ابن أبى الجدعاء، قال قلت: يا رسول اللَّه، متى كنت نبيًا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**».

وقال منصور بن سعد، وإبراهيم بن طهمان واللفظ له: قال: حدثنا بُدَيْل بن ميسرة، عن عبد اللَّه بن شقيق، عن ميسرة الفجر، قال: سألت رسول اللَّه ﷺ متى كنت نبيًا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»(٤٧).

وقال الترمذى: حدثنا الوليد بن شجاع، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة: سُئِلَ النبى ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونَفْخِ الروح فيه**» قال الترمذى: حسن غريب.

---

(٤٦) حسن لغيره: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» من حديث ابن عباس، وفيه متروكان كما قال المصنف.

وورد من طريق على بن أبى طالب مرفوعًا بلفظ: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى، لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء».

أخرجه الرامهرمزى فى «المحدث الفاصل بين الراوى والواعى» (ص ١٣٦)، والسهمى فى «تاريخ جرجان (ص ٣١٨- ٣١٩)، والطبرانى فى «الأوسط» (٤٧٢٨)، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن على، تكلم فيه كما قال الذهبى فى «الميزان».

وورد من حديث أبى جعفر الباقر مرسلاً: أخرجه البيهقى (٧/ ١٩٠)، وعبد الرزاق فى «المصنف» وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ كما فى «الدر المنثور». وهو مرسل يشهد لحديث على بن أبى طالب، رضى الله عنه.

(٤٧) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٥٩)، وفى «السنة» (ص ١١١) حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا منصور بن سعد، عن بُديل، عن عبد الله بن شقيق، به.

وأخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٤١٠)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٩/ ٥٣) من طرق عن ابن مهدى، به.

وأخرجه ابن أبى عاصم (٤١١) ثنا هُدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبد الله ابن شقيق، عن رجل قال: قلت: يا رسول الله متى بعثت نبيًا قال: وآدم بين الروح والجسد».

قلت: لولا لين في الوليد بن مسلم لصححه الترمذي.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك قال: «**دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حَمَلتْ بي كأن نوراً خرجَ منها أضاءت له قصورُ بُصْرَى من أرضِ الشام**».

وروينا بإسناد حسن - إن شاء الله - عن العرباض بن سارية، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إني عبدُ الله وخاتُم النبيين، وإن آدمَ لمنجدلٌ في طينته، وسأخبرُكم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى لي، ورؤيا أمي التي رأت**»(٤٨). وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام.

ورواه الليث، وابن وهب، عن معاوية بن صالح، سمع سعيد بن سويد يحدث عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض، فذكره.

ورواه أبو بكر بن أبي مريم الغَسَّاني، عن سعيد بن سويد، عن العرباض نفسه.

وقال فرج بن فَضالة: حدثنا لقمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، قال قلت: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة إبراهيم، وبُشْرَى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نورٌ أضاءت منه قصور الشام**». رواه أحمد في «مسنده»(٤٩) عن أبي النضر، عن فرج.

قوله: «لَمُنْجَدِلٌ» أي مُلْقىً، وأما دعوة إبراهيم فقوله: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبشارة عيسى قوله: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦]

وقال أبو ضمرة: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، أن النبي ﷺ، قال: «**قسم الله الأرض نصفين فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف على ثلاثةٍ فكنت في خير ثلث منها، ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم**

---

(٤٨) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٨) من حديث العرباض بن سارية السلمي، به.

(٤٩) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج، به.

قلت: إسناده حسن، فرج بن فضالة، هو ابن النعمان التنوخي الشامي، قال أبو حاتم: صدوق لا يحتج به. وقال ابن معين صالح الحديث. وضعفه النسائي والدارقطني. ولقمان بن عامر، صدوق ويشهد له الطريق السابق.

اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم، ثم اختارنى من بنى عبد المطلب» هذا حديث مرسل.

وروى زَحْرُ بن حصن، عن جده حُمَيد بن منهب، قال: سمعت جدى خُرَيم بن أوس ابن حارثة يقول: هاجرتُ إلى رسول اللَّه ﷺ منصرفه من تبوك، فسمعت العباس، يقول: يا رسول اللَّه إنى أريد أن أمتدحك. فقال: «**لا يفضض اللَّه فاك**». فقال:

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ فى الظِّلال وفى ... مُسْتَوْدَعٍ حيثُ يُخصفُ الوَرقُ
ثم هبطت البلادَ لا بَشَرٌ ... أنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفين وقد ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ
حتى احتوى بيتُك المهيمنُ من ... خِنْدَفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لَمَّا وُلِدْتَ أشرقت الأ ... رضُ وضاءتْ بنُورك الأفُقُ
فنحنُ فى ذلك الضِّياء وفى النُّـ ... ـور وسُبُل الرَّشاد نخترق

الظلال: ظلال الجنة قال اللَّه- تعالى: ﴿**إنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلالٍ وَعُيُونٍ** (٤١)﴾ [المرسلات: ٤١]، والمستودع: هو الموضع الذى كان فيه آدم وحواء يخصفان عليهما من الورق، أى: يضمان بعضه إلى بعض يتستران به، ثم هبطت إلى الدنيا فى صلب آدم، وأنت لا بشر ولا مضغة.

وقوله: «تركب السفين» يعنى: فى صلب نوح. وصالب لغة غريبة فى الصلب، ويجوز فى الصُّلْبِ الفتحتان كَسُقْم وسَقَم.

والطبق: القَرْن، أى: كلما مضى عالَم وقَرْنٌ جاء قَرْنٌ، ولأن القرن يطبق الأرض بسكناه بها. ومنه قوله- عليه السلام- فى الاستسقاء: «**اللَّهم اسقنا غيثًا مغيثًا طبقًا غدقًا**»(٥٠)، أى: يطبق الأرض. وأما قوله- تعالى: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ** (١٩)﴾ [الانشقاق: ١٩]، أى: حالا بعد حال.

والنُّطُق: جمع نطاق وهو ما يُشَدُّ به الوسط ومنه المِنْطَقة. أى: أنت أوسط قومك نسبًا. وجعله فى علياء وجعلهم تحته نطاقًا. وضاءت: لغة فى أضاءت.

---

(٥٠) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٦٩) من حديث جابر بن عبد الله، به.

■ **وأرضعته ثويبة :**

وأرضعته ثويبة» جارية أبى لهب عمه، مع عمه حمزة، ومع أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى، رضى اللَّه عنهما.

قال شعيب، عن الزهرى، عن عروة: إن زينب بنت أبى سلمة وأمها أخبرته، أن أم حبيبة أخبرتهما، قالت: «قلت: يا رسول اللَّه، انكح أختى بنت أبى سفيان. قال: **أو تحبين ذلك؟** قلت: لستُ لك بمُخْلية وأحبُّ إلىَّ من شركنى فى خير أختى. قال: **إن ذلك لا يحل لى.** فقلت: يا رسول اللَّه إناَ لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبى سلمة. فقال: **واللَّه لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حَلَّت لى، إنها ابنة أخى من الرضاعة، أرضعتنى وأبا سلمة ثُوَيْبة، فلا تَعْرِضُنَّ علىَّ بناتِكُنَّ ولا أخواتِكُنَّ**». أخرجه البخارى(٥١).

وقال عروة فى سياق البخارى: ثويبة مولاة أبى لهب، أعتقها، فأرضعت النبى ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله فى النوم بشر حيبة، يعنى: حالة. فقال له: ماذا لقيت؟ قال: لم ألق بعدكم رخاء، غير أنى أسقيت فى هذه منى بعتاقتى ثُوَيبة. وأشار إلى النقرة التى بين الإبهام والتى تليها.

■ **ثم أرضعته حليمة السعدية :**

ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذُؤَيب السعدية، وأخذته معها إلى أرضها، فأقام معها فى بنى سعد نحو أربع سنين، ثم ردته إلى أمه.

قال يحيى بن أبى زائدة: قال محمد بن إسحاق، عن جهم بن أبى جهم، عن عبد اللَّه بن جعفر، عن حليمة بنت الحارث أم رسول اللَّه ﷺ السعدية، قالت: خرجتُ فى نسوة نلتمس الرُّضَعاء بمكة على أتان لى قَمْراء(٥٢) قد أذمَّت بالرَّكب(٥٣)، وخرجنا فى سنة شهباء(٥٤) لم تُبْقِ شيئًا، ومعنا شارفٌ(٥٥) لنا، واللَّه إن تَبِضُّ(٥٦) علينا بقطرة، ومعى صبى لى لن ننام ليلنا

---

(٥١) صحيح: أخرجه البخارى (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٥٦).

(٥٢) قمراء: القُمْرة: لون إلى الخُضْرة، وقيل: بياضٌ فيه كُدْرة.

(٥٣) أذَمَّت بالرَّكْب: أى حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها.

(٥٤) سنةٌ شَهْباءُ: إذا كانت مجدبة، بيضاء من الجَدْب، لا يُرى فيها خُضْرة؛ وقيل الشَّهباءُ: التى ليس فيها مطر.

(٥٥) الشَّارِفُ: الناقةُ التى قد أسَنَّت. وقال ابن الأعرابى: الشَّارِفُ: الناقة الهِمَّةُ والجمعُ شُرْفٌ، وشَوَارِفُ.

(٥٦) تَبِضُّ: أى تَرشَحُ.

مع بكائه، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرِضَ عليها رسولُ اللَّه ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة رضاعة من أبيه، وكان يتيمًا، فلم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًا، غيري. فقلت لزوجي: لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنَّه، فأتيته فأخذته، فقال زوجي: عسى اللَّه أن يجعل فيه خيرًا. قالت: فواللَّه ما هو إلا أن جعلته في حجري فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن، فشرب وشرب أخوه حتى رويا، وقام زوجي إلى شارفنا من الليل، فإذا بها حافل، فحلب وشربنا حتى روينا، فبتنا شباعًا رواء، وقد نام صبياننا، قال أبوه: واللَّه يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، ثم خرجنا، فواللَّه لخرجَتْ أتاني أمام الركب قد قطعتهن حتى ما يتعلق بها أحد، فقدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض اللَّه، فوالذي نفسي بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم ويسرح راعي غنمي، فتروح غنمي بطانًا لبنًا حفلاً، وتروح أغنامهم جياعًا، فيقول لرُعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة؟ فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه راعينا، فتروح أغنامهم جياعًا ما بها من لبن، وتروح غنمي لبنًا حفلاً.

■ شقّ الصدر:

فكان ﷺ يشب في يومه شباب الصبي في الشهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة، قالت: فقدمنا على أمه فقلنا لها: رُدِّي علينا ابني فإنا نخشى عليه وباء مكة، قالت: ونحن أضَنُّ شيء به مما رأينا من بركته، قالت: ارجعا به، فمكث عندنا شهرين فبينا هو يلعب وأخوه خلف البيوت يرعيان بَهْمًا لنا، إذ جاء أخوه يشتد، فقال: أدركا أخي قد جاءه رجلان فشقا بطنه، فخرجنا نشتد، فأتيناه وهو قائم منتقع اللون، فاعتنقه أبوه وأنا، ثم قال: ما لك يا بني؟ قال: أتاني رجلان فأضجعاني ثم شقا بطني فواللَّه ما أدري ما صنعا، فرجعنا به. قالت: يقول أبوه: يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب، فانطلقي فلنرده إلى أهله. فرجعنا به إليها، فقالت: ما ردكما به؟ فقلت: كفلناه وأدينا الحق، ثم تخوفنا عليه الأحداث. فقالت: واللَّه ما ذاك بكما، فأخبراني خبركما، فما زالت بنا حتى أخبرناها. قالت: فتخوفتما عليه؟ كلا واللَّه إن لابني هذا شأنًا إني حملت به فلم أحمل حملاً قط كان أخف منه ولا أعظم بركة، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعا يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء، دعاه، والحقا شأنكما[٥٧]. هذا حديث جيد الإسناد.

---

(٥٧) ضعيف: أخرجه ابن إسحاق- كما في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٢٢- ١٢٤) ط. دار الحديث-=

قال أبو عاصم النبيل: أخبرني جعفر بن يحيى، قال: أخبرنا عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره، قال: رأيت رسول اللّه ﷺ، وأقبلتْ إليه امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فقلت: من هذه؟ فقالوا: أمُّه التي أرضعته. أخرجه أبو داود(٥٨).

قال مسلم: حدثنا شيبان، قال: حدثنا، حماد، قال: حدثنا ثابت، عن أنس: أن رسول اللّه ﷺ أتاه جبريل وهو يعلب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فَشَقَّ قلبه، فاستخرج منه عَلَقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني مرضعته، فقالوا: إن محمداً قد قُتِلَ، فاستقبلوه منتقع اللون.

قال أنس: قد كنت أرى أثر المِخْيَط في صدره(٥٩).

وقال بقيَّة، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن عتبة بن عبد، فذكر نحوا من حديث أنس. وهو صحيح أيضا، وزاد فيه: «فَرَحَّلَتْ- يعني ظئره(٦٠)- بعيراً، فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، وقالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام».

وقال سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أتيت وأنا في أهلي، فانطُلِقَ بي إلى زمزم فَشُرِحَ صدري، ثم أُتيتُ بطست من ذهب ممتلئة حكمة وإيمانا فَحُشِيَ بها صدري**- قال أنس: ورسول اللّه ﷺ يرينا أثره- **فعَرَج بي الملك إلى السماء الدنيا**». وذكر حديث المعراج.

= قال: قال ابن إسحاق: وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمن حدثه عنه قال: كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته.... » فذكره في حديث طويل.

قلت: إسناده ضعيف، آفته جهم بن أبي جهم. قال المصنف: لا يُعرف.

(٥٨) ضعيف: أخرجه أبو داود (٥١٤٤)، وفيه عمارة بن ثوبان، حجازي، مستور، وفيه جعفر بن يحيى بن ثوبان، مجهول أيضًا لذا قال الحافظ في «التقريب» «مقبول»- أي عند المتابعة.

(٥٩) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٢١ و١٤٩ و٢٨٨)، ومسلم (١٦٢) (٢٦١)، وأبو يعلى (٣٣٧٤) و(٣٥٠٧) وأبو نعيم في «الدلائل» (١٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٤٦)، والبغوي (٣٧٠٨) من طرق عن حماد بن سلمة، به. وقوله: «لأَمَهُ»: معناهُ جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(٦٠) ظِئْرَهُ: المُرضعَةُ غير ولدها، ويقعُ على الذكر والأنثى.

وقد روى نحوه شريك بن أبى نمر، عن أنس، عن أبى ذر. وكذلك رواه الزهرى، عن أنس، عن أبى ذر أيضًا. وأما قتادة فرواه عن أنس، عن مالك بن صعصعة، نحوه.

وإنما ذكرت هذا ليعرف أن جبريل شرح صدره مرتين: فى صغره ووقت الإسراء به.

■ **وفاة والده:**

وتُوفِّى «عبد اللَّه» أبوه، وللنبى ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا. وقيل: أقل من ذلك. وقيل: وهو حمل توفى بالمدينة غريبًا، وكان قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها مريضًا راجعًا من الشام، فروى محمد بن كعب القُرَظى وغيره: أن عبد اللَّه بن عبد المطلب خرج إلى الشام إلى غزة فى عير تحمل تجارات، فلما قفلوا مروا بالمدينة وعبد اللَّه مريض، فقال: أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار، فأقام عندهم مريضًا مدة شهر، فبلغ ذلك عبد المطلب، فبعث إليه الحارث وهو أكبر ولده؛ فوجده قد مات؛ ودُفِنَ فى دار النابغة أحد بنى النجار؛ والنبى ﷺ يومئذ حمل، على الصحيح. وعاش عبد اللَّهَ خمسًا وعشرين سنة، قال الواقدى: وذلك أثبت الأقاويل فى سنه ووفاته.

وترك عبد اللَّه من الميراث أم أيمن وخمسة أجمال وغنمًا، فورث ذلك النبى ﷺ.

■ **وفاة أمه وكفالة جده وعمه:**

وتوفيت أمه «آمنة» بالأبواء وهى راجعة به - ﷺ - إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بنى عدى ابن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم. وقيل: ابن أربع سنين. فلما ماتت ودُفِنَت، حملته أم أيمن مولاته إلى مكة إلى جَدِّه، فكان فى كفالته إلى أن توفى جده، وللنَبى ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبى طالب.

قال عمرو بن عون: أخبرنا خالد بن عبد اللَّه، عن داود بن أبى هند، عن عباس بن عبد الرحمن، عن كندير بن سعيد، عن أبيه، قال: حججت فى الجاهلية، فإذا رجل يطوف بالبيت ويرتجز يقول:

رَبِّ رُدَّ إلىَّ راكبى محمدا   يا ربُّ رده واصطنع عندى يدا

قلت: من هذا؟ قال: عبد المطلب، ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه فى طلبها، ولم يرسله فى حاجة قط إلا جاء بها، وقد احتبس عليه، فما برحت حتى جاء محمد ﷺ وجاء بالإبل. فقال: يا بنى لقد حزنت عليك حزنًا؛ لا تفارقنى أبدًا.

وقال خارجة بن مصعب، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، أن حيدة بن معاوية اعتمر فى الجاهلية (٦١)، فذكر نحواً من حديث كنْدير عن أبيه.

وقال إبراهيم بن محمد الشافعى، عن أبيه، عن أبان بن الوليد، عن أبان بن تغلب، قال: حدثنى جلهمة بن عُرْفُطة، قال: إنى لبالقاع من نمرة، إذ أقبلت عير من أعلى نجد، فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عجز بعير، فجاء حتى تعلق بأستار الكعبة، ثم نادى يا رب البنية أجرنى؛ وإذا شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ووقار الحكماء، فقال: ما شأنك يا غلام، فأنا من آل الله وأجير من استجار به؟ قال: إن أبى مات وأنا صغير، وإن هذا استعبدنى، وقد كنت أسمع أن لله بيتا يمنع من الظلم، فلما رأيته استجرت به. فقال له القرشى: قد أجرتك يا غلام، قال: وحبس الله يد الجُنْدعى إلى عنقه. قال جلهمة: فحدثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان قُعْدُدُ (٦٢) الحى، فقال: إن لهذا الشيخ ابنا يعنى أبا طالب. قال: فهويت رحلى نحو تهامة، أكسع بها الجدود، وأعلو بها الكَذَّان (٦٣)، حتى انتهيت إلى المسجد الحرام، وإذا قريش عزين (٦٤)، قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى؛ وقَائل يقول: اعتمدوا لمناة الثالثة الأخرى. وقال شيخ وسيم قسيم حَسَنُ الوجه جيد الراى: أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم- عليه السلام- وسلالة إسماعيل؟ قالوا له: كأنك عنيت أبا طالب. قال: إيهًا. فقاموا بأجمعهم، وقمت معهم فدققنا عليه بابَه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه مُصَفّر، عليه إزار قد اتَّشَح به، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادى، وأجدب العباد فَهَلُمَ فاستسق؛ فقال: رويدكم زوال الشمس وهبوب الريح؛ فلما زاغت الشمس أو كادت، خرج أبو طالب معه غلام كأنه شمس دَجْن تجلت عنه سحابة قتماء، وحوله أغيلمة؛ فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبَعه الغلامُ، وبصبصت الأغَيْلمة حوله وما فى السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادى، وأخصب النادى والبادى؛ وفى ذلك يقول أبو طالب:

---

(٦١) ضعيف جدًا: آفته خارجة بن مُصعب، أبو الحجاج السَّرْخسى الفقيه، وهَّاه أحمد.

وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال أيضًا: كذاب. وقال البخارى: تركه ابن المبارك، ووكيع.

(٦٢) قُعْدُد: القريب من الجدِّ الأكبر.

(٦٣) الكَذَّان: الحجارة التى ليست بصلْبة، وهى حجارة كأنها المَدَرُ فيها رخاوة، وربَّما كانت نَخرَة.

(٦٤) عِزين: متفرقين واحدها عزة.

وأبيضَ يُستسقى الغَمامُ بوجهه ربيعُ اليَتَامى عِصْمةٌ للأرامل
يُطيف به الهلاَّك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفضائل
وميزان عدل لا يخيس شُعَيْرة ووزان صدْق وزنه غير عائل

وقال عبد اللَّه بن شبيب- وهو ضعيف: حدثنا أحمد بن محمد الأزرقى، قال: حدثنى سعيد بن سالم، قال: حدثنا ابن جريج، قال: كنا مع عطاء، فقال: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامة، وأحسنهم وجها، ما رآه أحد قط إلا أحبه، وكان له مَفْرَشٌ فى الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس عليه معه أحد، وكان النديُّ من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش؛ فجاء رسول اللَّه ﷺ وهو غلام لم يبلغ فجلس على المفرش، فجبذه رجل فبكى؛ فقال عبد المطلب- وذلك بعد ما كُفَّ بصره: ما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال: دعوا ابنى يجلس عليه، فإنه يحس من نفسه شرفًا، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده(٦٥). قال: ومات عبد المطلب، والنبى ﷺ ابن ثمان سنين، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكى حتى دُفنَ بالحَجُون(٦٦).

■ **وقد رعى الغنم:**

فروى عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جده، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من نبى إلا وقد رعى الغنم**» قالوا: وأنت يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم، كنت أرعاها بالقراريط لأهل مكة**». رواه البخارى(٦٧).

وقال أبو سلمة، عن جابر، قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ بمر الظَّهْران نجتنى الكَبَاث، فقال: «**عليكم بالأسود منه فإنه أطيب**» قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم وهل من نبى إلا قد رعاها**». متفق عليه(٦٨).

---

(٦٥) ضعيف جدًا: آفته عبد الله بن شبيب، أبو سعيد الرَّبَعى، أخبارى علامَّة، لكنه واه. قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يقلبُ الأخبار ويسرقُها.

(٦٦) الحَجُون: موضع بمكة ناحية من البيت. وقال الجوهرى: الحَجُون، بفتح الحاء، جبل بمكة وهى مقبرة.

(٦٧) صحيح: أخرجه البخارى (٢٢٦٢) حدثنا أحمد بن محمد المكى حدثنا عمرو بن يحيى، به.

قوله: «قراريط»: جمع قيراط، وهو جزء من الدينار أو الدرهم.

(٦٨) صحيح: أخرجه البخارى (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠). وقوله: الكَبَاثُ: بالفتح. قال ابن سيدة: نضيجُ ثمر الأراك؛ وقيل: هو ما لم ينضج منه؛ وقيل: هو حَمْلُه إذا كان متفرقًا، واحدته: كَبَاثة.

■ **سفرُه مع عمِّه إن صحَ :**

قال قُرَاد أبو نوح : حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى ، عن أبيه ، قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه محمد ﷺ وأشياخ من قريش ؛ فلما أشرفوا على الراهب نزلوا فخرج إليهم ، وكان قبل ذلك لا يخرج إليهم ، فجعل يتخللَّهم وهم يَحُلُّون رحالهم ؛ حتى جاء فأخذ بيده ﷺ فقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه اللَّه رحمة للعالمين . فقال أشياخ قريش : وما علمك بهذا؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدًا ، ولا يسجدون إلا لنبى ، وإنى لأعرفه بخاتم النبوة ، أسفل [عرصوف](*) كتفه مثل التُّفَّاحة . ثم رجع فصنع لهم طعاما ؛ فلما أتاهم به كان ﷺ فى رعية الإبل ، قال : فأرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه- يعنى إلى فىء شجرة- فلما جلس مال فىء الشجره عليه ، فقال : انظروا فىء الشجرة مال عليه . قال : فبينا هو قائم عليه يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم لو رأوه عرفوه بصفته فقتلوه ؛ فالفتت فإذا بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم الراهب ، فقال : ما جاء بكم؟ قالوا : جئنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا قد بُعثَ إليه ناس ، وإنا أخبرنا فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال لهم : هل خلفتم خلفكم أحدا هو خَير منكم؟ قالوا : لا . إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ؛ قال : أفرأيتم أمرا أراد اللَّه أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا : لا . قال : فتابعوه وأقاموا معه ، قال : فأتاهم فقال : أنشدكم باللَّه أيكم وليه؟ قال أبو طالب : أنا ؛ فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

تفرد به قُرَّاد ، واسمه عبد الرحمن بن غزوان ، ثقة ، احتج به البخارى والنسائى ؛ ورواه الناس عن قراد ، وحسنه الترمذى . وهو حديث منكر جدًا ؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين ، فإنه أصغر من رسول اللَّه ﷺ بسنتين ونصف ؛ وأين كان بلال فى هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ، ولم يكن وُلدَ بعد ؛ وأيضًا ، فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فىء الشجرة؟ لأن ظل الغَمامة يعدم فىء الشجرة التى نزل تحتها ، ولم نر النبى ﷺ ذَكَّر أبا طالب قط بقول الراهب ، ولا تذاكرته قريش ، ولا حكته أولئك الأشياخ ، مع

(*) فى الأصل : [غرضوف] بالغين والضاد المعجمتين ، وهو تصحيف ، والصواب : بالعين والصاد المهملتين . والعرصوف والعرصاف : العقب المستطيل ، وأكثر ما يعنى به عقب المتنين والجنبين . والمراد : أسفل العظم المستطيل الذى يشدُّ رأسا الكتفين .

توفر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقى عنده ﷺ حس من النبوة؛ ولما أنكر مجيء الوحى إليه، أولاً بغار حراء وأتى خديجة خائفا على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمى نفسه ﷺ. وأيضًا فلو أثَّر هذا الخوف فى أبى طالب ورده، كيف كنت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرًا لخديجة؟.

وفى الحديث ألفاظ منكرة، تشبه ألفاظ الطُّرُقية، مع أن ابن عائذ روى معناه فى مغازيه دون قوله: «**وبعث معه أبو بكر بلالاً**» إلى آخره، فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرنى أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه.

وقال ابن إسحاق فى «السيرة»: إن أبا طالب خرج إلى الشام تاجرًا فى ركب، ومعه النبى ﷺ وهو غلام، فلما نزلوا بصرى، وبها بحيرا الراهب فى صومعته، وكان أعلم أهل النصرانية؛ ولم يزل فى تلك الصومعة قط راهب يصير إليه علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون، يتوارثونه كابرًا؛ عن كابر قال: فنزلوا قريبًا من الصومعة، فصنع بحيرا طعامًا، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، فنزل بظل شجرة، فنزل بحيرا من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فَصُنِعَ، ثم أرسل إليهم فجاؤوه فقال رجل منهم: يا بحيرا ما كنت تصنع هذا، فما شأنك؟ قال: نعم، ولكنكم ضيف، وأحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا، وتخلف رسولُ اللَّه ﷺ لصغره فى رحالهم. فلما نظر بحيرا فيهم ولم يره، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد عن طعامى هذا. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سنًا. قال: فلا تفعلوا، ادعوه. فقال رجل: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف بن عبد اللَّه بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا، ثم قام واحتضنه، وأقبل به فلما رآه بحيرا جعل يلحظه شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا شبعوا وتفرقوا قام بحيرا، فقال: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه، فزعموا أنه قال: لا تسألنى باللات والعزى، فو اللَّه ما أبغضت بغضهما شيئًا قط. فقال له: فباللَّه إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، فتوافق ما عنده من الصفة. ثم نظر فيه أثر خاتم النبوة، فأقبل على أبى طالب، فقال: ما هو منك؟ قال: ابنى. قال: ما ينبغى أن يكون أبوه حيًا. قال: فإنه ابن أخى. قال: ارجع به واحذر عليه اليهود، فواللَّه لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفته ليبغُنَّه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك شأن. فخرج به أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته. وذكر الحديث.

وقال معتمر بن سليمان: حدثنى أبى، عن أبى مجلز: أن أبا طالب سافر إلى الشام ومعه

محمد، فنزل منزلاً، فأتاه راهب، فقال: فيكم رجل صالح، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: ها أنذا وليه. قال: احتفظ به ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود قوم حُسُدٌ، وإنى أخشاهم عليه. فرده.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنى عبد اللَّه بن جعفر وجماعة، عن داود بن الحصين، أن أبا طالب خرج تاجرا إلى الشام، ومعه محمد، فنزلوا ببحيرا... الحديث.

وروى يونس عن ابن شهاب حديثًا طويلاً فيه: فلما ناهز الاحتلام، ارتحل به أبو طالب تاجرًا، فنزل تيماء، فرآه حبر من يهود تيماء، فقال لأبى طالب: ما هذا الغلام؟ قال: هو ابن أخى، قال: فو اللَّه إن قدمت به الشام لا تصل به إلى أهلك أبدًا، لتقتلَنَّهُ اليهودُ إنه عدوهم. فرجع به أبو طالب من تيماء إلى مكة.

قال ابن إسحاق: كان رسول اللَّه ﷺ - فيما ذكر لى - يحدث عما كان اللَّه - تعالى - يحفظه به فى صغره، قال: «**لقد رأيتنى فى غلمانٍ من قريشٍ ننقُل حجارةً لبعض ما يلعب الغلمان به، كلنا قد تعرى وجعل إزاره على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر، إذ لكمنى لاكم ما أراها، لكمة وجيعة، وقال: شُدَّ عليك إزارك، فأخذته فشددته، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى**».

قال ابن إسحاق: وهاجت حرب الفجار ولرسول اللَّه ﷺ عشرون سنة، سُمِّيت بذلك لما استحلت كنانة وقيس عيلان فى الحرب من المحارم بينهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**كنت أُنَبِّلُ على أعمامى**» أى أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم. وكان قائد قريش حرب بن أمية.

* *

• شأن خديجة •

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ وهى أقرب منه ﷺ إلى قُصَى برجل، كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت تستأجر الرجال فى مالها، وكانت قريش تجارًا، فعرضت على النبى ﷺ أن يخرج فى مال لها إلى الشام، ومعه غلام اسمه ميسرة، فخرج إلى الشام، فنزل تحت شجرة بقرب صومعة، فأطل الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا؟ فقال: رجل من قريش، قال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى. ثم باع النبى ﷺ تجارته وتعوض ورجع، فكان ميسرة- فيما يزعمون- إذا اشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير.

روى قصة خروجه ﷺ إلى الشام تاجرًا، المَحَاملى، عن عبد اللَّه بن شبيب، وهو واه، قال: حدثنا أبو بكر بن شيبة، قال: حدثنى عمر بن أبى بكر العدوى، قال: حدثنى موسى بن شيبة، قال: حدثتنى عُمَيرة بنت عبد اللَّه بن كعب بن مالك، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منية أخت يعلى، قالت: لما بلغ رسول اللَّه ﷺ خمسًا وعشرين سنة. فذكر الحديث بطوله، وهو حديث منكر. قال: فلما قدم مكة باعت خديجة ما جاء به فأضعفَ أو قريبًا. وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعن الملكين، وكانت لبيبة حازمة، فبعثت إليه تقول: يا ابن عمى، إنى قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدقك وحسن خلقك، ثم عرضت عليه نفسَها، فقال ذلك لأعمامه، فجاء معه حمزة عمه حتى دخل على خويلد فخطبها منه، وأصدقها النبى ﷺ عشرين بكْرة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت، وتزوجها وعمره خمس وعشرون سنة.

وقال أحمد فى «مسنده»: حدثنا أبو كامل، قال: حدثنا حماد، عن عمار بن أبى عمار، عن ابن عباس- فيما يَحْسَب حماد: أن رسول اللَّه ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه، فصنعت هى طعامًا وشرابًا، فدعت أبها وزُمَرًا من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت لأبيها: إن محمدًا يخطبنى فزوجنى إياه، فزوجها إياه، فَخَلَّقته وألبسته حلة كعادتهم، فلما صحا نظر، فإذا هو مخلَّق، فقال: ما شأنى؟ فقالت: زوجتنى محمدًا. فقال: وأنا أزوج يتيم أبى طالب! لا لعمرى، فقالت: أما تستحيى؟ تريد أن تسفه نفسك عند قريش بأنك كنت سكران، فلم تزل به حتى رضى(٦٩).

---

(٦٩) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٣١٢). شك أحمد بن حنبل فى وصله فقد قال الرواة عنه: «فيما يحسب حماد» ولم يجزم- وقد دلَّسَهُ حماد.
=

وقد روى طرفًا منه الأعمش، عن أبي خالد الوالبي، عن جابر بن سمرة أو غيره.

وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم، وهم: القاسم، والطيِّب، والطاهر، وماتوا صغاراً رضعًا قبل المبعث، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة- رضى اللَّه عنهم- فرقية، وأم كلثوم زُوِّجتا عثمان بن عفان، وزينب زوجة أبى العاص بن الربيع بن عبد شمس، وفاطمة زوجة على، رضى اللَّه عنهم أجمعين.

■ **بنيان الكعبة:**

قال ابن إسحاق: فلما بلغ ﷺ خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رَضْمًا فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة فتحطمت، فأخذوا خشبها وأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة نجار قبطى، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كانت يُطَرح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتُشرف على جدار الكعبة، فكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت(٧٠) وكشت(٧١) وفتحت فاها، فكانوا يهابونها، فبينا هى يومًا تشرف على جدار الكعبة بعث اللَّه إليها طائرًا فاختطفها، فذهب بها،

= وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٧٣) من طريق مسلم بن إبراهيم، قال حدثنا حماد بن سلمة، عن على ابن زيد، عن عمار بن أبى عمار، عن ابن عباس أن أبا خديجة زوَّج النبى ﷺ وهو- أظنه قال- سكران، فالحديث مدارُهُ على على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

وأخرجه الطبرانى (١٢٨٣٨) من طريق سليمان بن جرير، عن حماد بن سلمة، به.

وأخرج ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٣٢) قال أخبرنا محمد بن عمر، عن محمد بن عبد اللَّه بن سلم، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، وعن ابن أبى الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة وعن ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قالوا: إن عمها عمرو بن أسد زوَّجها رسول الله ﷺ، وإن أباها مات قبل الفجار».

والصواب أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوَّجها رسول الله ﷺ. وهذا ما قاله الزبير بن بكار وغيره. وذكره السهيلى فى «الروض الأنف» (١/ ٢١٣). وقاله ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٧/ ٨١)، وقاله أيضًا المبرد، وغيره. وقوله: «خَلَّقته»: أى طيَّبته.

(٧٠) احز ألَّت: أى رفعت ذنبها.

(٧١) كَشَّت: كشَّت الأفعى تكش كَشًا وكَشِيشًا: وهو صوتُ جلدها إذا حكَّت بعضها ببعض. وقيل الكشيشُ للأنثى من الأساود. وقيل: الكَشيشُ للأفعى.

وقيل: الكَشَيشُ صوتٌ تخرجه الأفعى من فيها؛ عن كراع، وقيل: كشيشُ الأفعى صوتُها من جلدها لا من فمها فإن ذلك فحيحُها.

قال: فاستبشروا بذلك، ثم هابوا هدمها. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول وهو يقول: اللَّهمَّ لم تُرَع، اللَّهم لا نريد إلا خيراً. ثم هدم من ناحية الركنين، وهدموا حتى بلغوا أساس إبراهيم- عليه السلام- فإذا حجارة خُضْرٌ آخذ بعضها ببعض. ثم بنوا، فلما بلغ البنيان موضع الركن، يعنى الحجر الأسود، اختصموا فيمن يضعه، وحرصت كل قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليال. ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتناصفوا فزعموا أن أبا أمية بن المغيرة، وكان أسن قريش، قال: اجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب المسجد، ففعلوا، فكان أول من دخل عليهم رسول اللَّه ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا به، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال: «**هاتوا لى ثوبا**» فأتوا به، فأخذ الركن بيده فوضعه فى الثوب، ثم قال: «**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا**»، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو ﷺ بيده وبنى عليه.

وقال ابن وهب، عن يونس، عن الزُّهْرى، قال: لما بلغ رسول اللَّه ﷺ الحُلُم أجمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرتها فى ثياب الكعبة فاحترقت، فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن: أى القبائل تضعه؟ قالوا: تعالوا نحكم أول من يطلع علينا. فطلع عليهم رسول اللَّه ﷺ وهو غلام عليه وشَاح نمرة، فحكموه، فأمر بالركن فوضع فى ثوب، ثم أخذ سيد كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن، فكان هو يضعه، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضا حتى دعوه الأمين، قبل أن ينزل عليه وحى، وطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها.

ويُروَى عن عروة ومجاهد وغيرهما: أن البيت بنى قبل المبعث بخمس عشرة سنة.

وقال داود بن عبد الرحمن العطار: حدثنا ابن خثيم، عن أبى الطفيل، قال: قلت له: يا خال، حدثنى عن شأن الكعبة قبل أن تبنيها قريش. قال: كان برضم يابس ليس بمدر تنزوه العَنَاق، وتوضع الكسوة على الجدر ثم تدلى، ثم إن سفينة للروم أقبلت، حتى إذا كانت بالشُّعَيبة انكسرت، فسمعت بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها، ورومىٌّ يقال له بلقوم نجار بان، فلما قدموا مكة، قالوا: لو بنينا بيت ربنا- عز وجل- فاجتمعوا لذلك ونقلوا الحجارةَ من أجياد الضواحى، فبينا رسول اللَّه ﷺ ينقل إذ انكشفت نمرته، فنودى: يا محمد عورتك، فذلك أول ما نودى، واللَّه أعلم. فما رؤيت له عورة بعد.

وقال أبو الأحوص، عن سماك بن حرب: إن إبراهيم ﷺ بنى البيت- وذكر الحديث- إلى أن قال: فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة، فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته جرهم، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش. وذكر فى الحديث وضع النبى ﷺ الحجر الأسود مكانه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى عبد اللَّه بن أبى بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: ما زلنا نسمع أن إسافًا ونائلة- رجل وامرأة من جرهم- زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين.

وقال موسى بن عقبة: إنما حمل قريشًا على بناء الكعبة أن السيل كان يأتى من فوقها من فوق الردم الذى صنعوه فأخربه، فخافوا أن يدخلها الماء، وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة، فأرادوا أن يشيدوا بناءها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا، فأعدوا لذلك نفقة وعُمالاً.

وقال زكريا بن إسحاق: حدثنا عمرو بن دينار أنه سمع جابرًا يقول: إن رسول اللَّه ﷺ كان ينقل الحجارة للكعبة مع قريش وعليه إزار، فقال له عمه العباس: يا ابن أخى لو حللت إزارك فجعلته على منكب دون الحجارة، ففعل ذلك، فسقط مغشيًا عليه، فما رؤى بعد ذلك اليوم عريانًا. متفق عليه(٧٢). وأخرجاه أيضًا من حديث ابن جريج.

وقال معمر، عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم، عن أبى الطفيل، قال: لما بُنِىَ البيت كان الناس ينقلون الحجارة والنبى ﷺ معهم، فأخذ الثوب فوضعه على عاتقه فنودى: «**لا تكشف عورتك**» فألقى الحجر ولبس ثوبه. رواه أحمد فى «مسنده»(٧٣).

وقال عبد الرحمن بن عبد اللَّه الدَّشتكى: حدثنا عمرو بن أبى قيس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبيه، قال: كنت أنا وابن أخى ننقل الحجارة على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس اتزرنا فبينا هو أمامى خر على وجهه منبطحًا، فجئت أسعى وألقيت حجرى، وهو ينظر إلى السماء، فقلت: ما شأنك؟ فقام وأخذ إزاره وقال: «**نُهيتُ أن أمشىَ عُريانًا**» فكنت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون. رواه قيس بن الربيع بنحوه، عن سماك.

وقال حماد بن سلمة، عن داود بن أبى هند، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عَرعَرة، عن على- رضى اللَّه عنه- قال: لما تشاجروا فى الحجر أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فكان أول من دخل النبى ﷺ فقالوا: قد جاء الأمين.

---

(٧٢) صحيح: أخرجه البخارى (١٥٨٢)، ومسلم (٣٤٠) (٧٧).

(٧٣) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٥) حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، به.

قلت: إسناده حسن، فيه عبد الله بن عثمان بن خثيم، صدوق كما قال الحافظ فى «التقريب».

مسلم الزنجى، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه، قال: جلس رجال من قريش فتذاكروا بنيان الكعبة، فقالوا: كانت مبنية برضم يابس، وكان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف، وإنما تدلى الكسوة على الجدر، وتربط من أعلى الجدر من بطنها، وكان فى بطن الكعبة عن يمين الداخل جب يكون فيه ما يهدى للكعبة منذ زمن جرهم، وذلك أنه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما به، فبعث اللَّه تلك الحية فحرست الكعبة، وما فيها خمس مائة سنة إلى أن بنتها قريش، وكان قرنا الكبش معلقين فى بطنها مع معاليق من حلية. إلى أن قال: حتى بلغوا الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد، فرأوا حجارَة كأنها الإبل الخلف لا يطيق الحجر منها ثلاثون رجلا يحرك الحجر منها، فترتج جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلة بين إصبعين حجرين فانفلقت منه فلقة، فأخذها رجل فنزت من يده حتى عادت فى مكانها، وطارت من تحتها برقة كادت أن تخطف أبصارهم، ورجفت مكة بأسرها، فأمسكوا. إلى أن قال: وقَلّت النفقة عن عمارة البيت، فأجمعوا على أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون ويتركوا بقيته فى الحجر، ففعلوا ذلك وتركوا ستة أذرع وشبرًا، ورفعوا بابها وكسوها بالحجارة حتى لا يدخلها السيل ولا يدخلها إلا من أرادوا، وبنوها بساف من حجارة وساف من خشب، حتى انتهوا إلى موضع الركن فتنافسوا فى وضعه. إلى أن قال: فرفعوها بمدماك حجارة ومدماك خشب، حتى بلغوا السقف، فقال لهم باقوم النجار الرومى: أتحبون أن تجعلوا سقفها مكنسًا أو مسطحًا؟ قالوا: بل مسطحًا. وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين، وجعلوا ارتفاعها من ظاهرها ثمانية عشر ذراعًا وقد كانت قبل تسعة أذرع، وجعلوا درجة من خشب فى بطنها يُصعد منها إلى ظهرها، وزوقوا سقفها وحيطانها من بطنها ودعائمها، وصوروا فيها الأنبياء والملائكة والشجر، وصوروا إبراهيم يستقسم بالأزلام، وصوروا عيسى وأمه، وكانوا أخرجوا ما فى جب الكعبة من حلية ومال وقرنى الكبش، وجعلوه عند أبى طلحة العبدرى، وأخرجوا منها هُبل، فنصب عند المقامَ حتى فرغوا فأعادوا جميع ذلك ثم ستروها بحبرات يمانية.

وفى الحديث عن أبى نجيح، عن أبيه، عن حُوَيطب بن عبد العُزَّى وغيره: فلما كان يوم الفتح دخل رسول اللَّه ﷺ إلى البيت، فأمر بثوب فَبُلَّ بماء وأمر بطمس تلك الصور، ووضع كَفَّيه على صورة عيسى وأمه وقال: «**امحوا الجميعَ إلا ما تحتَ يدى**». رواه الأزرقى.

ابن جُريج، قال: سأل سليمان بن موسى الشامى عطاء بن أبى رباح، وأنا أسمع: أدركت فى البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم أدركت تمثال مريم مزوقا فى حجرها عيسى قاعد، وكان فى البيت ستة أعمدة سوارى، وكان تمثال عيسى ومريم فى العمود الذى يلى

الباب، فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: فى الحريق زمن ابن الزبير، قلت: أعلى عهد رسول الله ﷺ تعنى كان؟ قال: لا أدرى، وإنى لأظنه قد كان على عهده.

قال داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج: ثم عاودت عطاء بعد حين فقال: تمثال عيسى وأمه فى الوسطى من السوارى.

قال الأزرقى: حدثنا داود العطار، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت فى الكعبة قبل أن تهدم تمثال عيسى وأمه، قال داود: فأخبرنى بعض الحجبة عن مُسافع بن شيبة: أن النبى ﷺ قال: «**يا شيبة امح كل صورة إلا ما تحت يدى**» قال: فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمه.

قال الأزرقى، عن سعيد بن سالم: حدثنى يزيد بن عياض بن جُعْدُبة، عن ابن شهاب: أن النبى ﷺ دخل الكعبة وفيها صُوَر الملائكة، فرأى صورة إبراهيم فقال: «**قاتلهم الله جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام، ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها فقال**: **امحوا ما فيها إلا صورة مريم**». ثم ساقه الأزرقى بإسناد آخر بنحوه، وهو مرسل، لكن قول عطاء وعمرو ثابت، وهذا أمر لم نسمع به إلى اليوم.

أخبرنا سليمان بن حمزة، قال: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن أحمد، أن فاطمة بنت عبد الله أخبرتهم، قالت: أخبرنا ابن بُرَيدة، قال: أخبرنا الطبرانى، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم، عن أبى الطفيل، قال: كانت الكعبة فى الجاهلية مبنية بالرَّضْم، ليس فيها مَدَر، وكانت قدر ما نقتحمها، وكانت غير مسقوفة، إنما توضع ثيابها عليها، ثم تُسْدَل عليها سَدْلاً، وكان الركن الأسود موضوعًا على سورها باديًا، وكانت ذات ركنين كهيئة الحلقة، فأقبلت سفينة من أرض الروم فانكسرت بقرب جُدَّة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رجلاً روسيا عندها، فأخذوا الخشب، وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومى الذى فى السفينة نجارًا، فقدموا به وبالخشب، فقالت قريش: نبنى بهذا الذى فى السفينة بيت ربنا، فلما أرادوا هدمه إذا هم بحية على سور البيت، مثل قطعة الجائز سوداء الظهر، بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدم أو يأخذ من حجارته، سعت إليه فاتحة فاها، فاجتمعت قريش عند المقام فعجوا إلى الله وقالوا: ربنا لم تُرَعْ، أردنا تشريف بيتك وتزيينه، فإن كنت ترضى بذلك، وإلا فما بدا لك فافعل. فسمعوا خوارًا فى السماء، فإذا هم بطائر أسود الظهر، أبيض البطن، والرجلين، أعظم من النسر، فغرز مخلابه فى رأس الحية، حتى انطلق بها يجرها، ذنبها أعظم من كذا وكذا ساقطًا، فانطلق بها نحو أجياد، فهدمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادى، تحملها قريش على رقابها، فرفعوها فى السماء عشرين ذراعًا، فبينا النبى ﷺ يحمل

حجارة من أجياد، وعليه نمرة، فضاقت عليه النمرة، فذهب يضعها على عاتقه، فبرزت عورته من صغَر النمرة، فنودى: يا محمد، خَمِّر عورتك، فلم ير عريانًا بعد ذلك. وكان بين بنيان الكعبةَ، وبين ما أنزل عليه خمس سنين. هذا حديث صحيح.

وقد روى نحوه داود العطار، عن ابن خُثَيم.

ورواه محمد بن كثير المصِّيصى، عن عبد اللَّه بن واقد، عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم، عن نافع بن سرجس، قال: سألت أبا الطفيل، فذكر نحوه.

وقال عبد الصمد بن النعمان: حدثنا ثابت بن يزيد، قال: حدثنا هلال بن خباب، عن مجاهد، عن مولاه، أنه حدثه أنه كان فيمن يبنى الكعبة فى الجاهلية، قال: ولى حجر أنا نحته بيدى أعبده من دون اللَّه، فأجيء باللبن الخاثر الذى أنفسه على نفسى فأصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشغر فيبول، فبنينا حتى بلغنا الحجر، وما يرى الحجر منا أحد، فإذا هو وسط حجارتنا، مثل رأس الرجل، يكاد يتراءى منه وجه الرجل، فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال آخرون: بل نحن نضعه. فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا. قالوا: أول رجل يطلع من الفج، فجاء النبى ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه فى ثوب، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو. اسم مولى مجاهد، السائب بن عبد اللَّه.

وقال إسرائيل، عن أبى يحيى القَتَّات، عن مجاهد عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: كان البيت قبل الأرض بألفى سنة ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ [الانشقاق: ٣]، قال: من تحته مدًا. وروى نحوه عن منصور، عن مجاهد.

■ **ما عصمه اللَّه به من أمر الجاهلية:**

ومما عصم اللَّه به محمدًا ﷺ من أمر الجاهلية أن قريشًا كانوا يسمون الحُمس، يعنى الأشداء الأقوياء، وكانوا يقفون فى الحرم بمزدلفة، ولا يقفون مع الناس بعرفة، يفعلون رياسة وبأوًا(٧٤)، وخالفوا بذلك شعائر إبراهيم- عليه السلام- فى جملة ما خالفوا. فروى البخارى ومسلم من حديث جُبير بن مطعم، قال: أضللت بعيرًا لى يوم عرفة، فخرجت أطلبه بعرفة، فرأيت النبى ﷺ واقفًا مع الناس بعرفة، فقلت: هذا من الحُمس، فما شأنه هاهنا؟(٧٥).

---

(٧٤) **بأوًا**: كبْرًا.

(٧٥) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو، حدثنا محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، به.

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن قيس بن مَخْرَمة، عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، عن أبيه، عن جده، سمع النبي ﷺ يقول: «**ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين، عصمني اللَّهُ، قلت ليلة لفتى من قريش: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان**. قال: نعم، **فخرجت حتى جئت أدنى دار من دور مكة، فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج، فلهوت بذلك حتى غلبتني عيني، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك، فواللَّه ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية، حتى أكرمني اللَّه بنبوَّته**» (٧٦).

وروى مسعر، عن العباس بن ذريح، عن زياد النخعي، قال: حدثنا عمار بن ياسر أنهم سألوا رسول اللَّه ﷺ: هل أتيت في الجاهلية شيئًا حرامًا؟ قال: «**لا، وقد كنت معه على ميعادين، أما أحدهما فحال بيني وبينه سامر قومي، والآخر غلبتني عيني**» (٧٧) أو كما قال.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر بن أبي سبرة، عن حسين

---

(٧٦) منكر: أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣- ٣٤) من طريق محمد بن إسحاق، به.

وقال الحاكم في إثره: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «التلخيص» (!) (!)
وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٩٢) ط. دار الحديث:

«وهذا حديث غريب جدًا، وقد يكون عن علي نفسه، ويكون قوله في آخره: «حتى أكرمني الله عزَّ وجل بنبوته» مقحمًا والله أعلم» اهـ.

قلت: كذا قال الحافظ ابن كثير، ولعل قوله هو الصواب، فمتن الحديث تمُجُّه العقول والأفهام التي ما فتئت تستروح بالنظر في دواوين السنة الصحيحة بَلْه الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة التي بينها العلماء، فكل من له اطلاع لا جرم أنه يشمئز قلبه ويمج عقله ما ورد فيه. ولقد أبعد الحاكم والذهبي النُّجعة بتصحيحهما هذا الحديث على شرط مسلم، وهذا من تساهلهما والله تعالى أعلى وأعلم.

(٧٧) منكر: فيه زياد بن عبد الله النخعي، قال الدارقطني: مجهول، تفرد عنه عباس بن ذريح. وأورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ق٢/ ٥٣٦) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. ومتن الحديث منكر يمجُّهُ كلٌّ من له اطلاع ونظر في دواوين السنة المشرفة. وكيف يكون ذلك وقد نزع الله منه حظ الشيطان في حادثة شق الصَّدر، والتي تكررت مرات عديدة ليكون قلبه مؤهلاً لاستقبال الوحي الإلهي دون تشويش ووسوسة شيطانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)﴾ [الحج: ٥٢].

ابن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: حدثتنى أم أيمن، قالت: كان بُوانة صنمًا تحضره قريش، تعظمه وتنسك له النسَّاك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يومًا فى السنة، وكان أبو طالب يكلم رسول اللّه ﷺ أن يحضر ذلك العيد، فيأبى، حتى رأيت أبا طالب غضب، ورأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب، وجعلن يقلن: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء اللّه، ثم رجع إلينا مرعوبًا، فقلن: ما دهاك؟ قال: إنى أخشى أن يكون بى لمم، فقلن: ما كان اللّه ليبتليك بالشيطان، وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذى رأيت؟ قال: «**إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح: وراءك يا محمد لا تمسه**» قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى نبىء(٧٨).

وقال أبو أسامة: حدثنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة يتمسح المشركون به إذا طافوا، فطاف رسول اللّه ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول اللّه ﷺ: «**لا تمسه**». قال زيد: فطفنا، فقلت فى نفسى: لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول اللّه ﷺ: «**ألم تنه**». هذا حديث حسن. وقد زاد فيه بعضهم عن محمد بن عمرو بإسناده: قال زيد: فواللّه ما استلم صنمًا حتى أكرمه اللّه بالذى أنزل عليه.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن سفيان الثورى، عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: كان النبى ﷺ شهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين خلفه، وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول اللّه، فقال: كيف نقوم خلفه، وإنما عهده باستلام الأصنام قُبيل؟ قال: فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم. تفردَ به جرير، وما أتى به عنه سوى شيخ البخارى عثمان بن أبى شيبة. وهو منكر.

وقال إبراهيم بن طهمان: أخبرنا بدُيَل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد اللّه بن شقيق، عن أبيه، عن عبد اللّه بن أبى الحَمْسَاء، قال: بايعت رسول اللّه ﷺ بيعا قبل أن يبعث، فبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك. قال: فنسيت يومى والغد، فأتيته

---

(٧٨) ضعيف جدًا: فيه ثلاث علل: - الأولى: محمد بن عمر الواقدى، متروك. والثانية: أبو بكر بن أبى سَبَرة، متروك أيضًا. والعلة الثالثة: الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، ضعيف كما قال الحافظ فى «التقريب».

فى اليوم الثالث، فوجدته فى مكانه، فقال: «**يا فتى لقد شققتَ علىَّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك**». أخرجه أبو داود(٧٩).

وأخبرنا الخَضِرُ بن عبد الرحمن الأزدى، قال: أخبرنا أبو محمد بن البن، قال: أخبرنا جدى، قال: أخبرَنا أبو القاسم على بن أبى العلاء، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبى نصر، قال: أخبرنا على بن أبى العقب، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: حدثنى الوليد، قال: أخبرنى معاوية بن سلاَّم، عن جده أبى سلام الأسود، عمن حدثه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بينا أنا بأعلى مكة، إذا براكب عليه سواد فقال**: هل بهذه القرية رجل يقال له أحمد؟ **فقلت: ما بها أحمد ولا محمد غيرى، فضرب ذراع راحلته فاستناخت، ثم أقبل حتى كشف عن كتفى حتى نظر إلى الخاتم الذى بين كتفىَّ فقال**: أنت نبى اللَّه؟ **قلت**: ونبىٌّ أنا؟ **قال**: نعم. **قلت: بم أبعث؟ قال** بضرب أعناق قومك، قال: فهل من زاد؟ **فخرجت حتى أتيت خديجة فأخبرتها، فقالت: حريًا أو خليقًا أن لا يكون ذلك، فهى أكبر كلمة تكلمتْ بها فى أمرى، فأتيته بالزاد فأخذه وقال**: الحمد للَّه الذى لم يمتنى حتى زودنى نبى اللَّه ﷺ طعامًا، وحمله لى فى ثوبه»(٨٠).

❊ ❊

---

(٧٩) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٩٩٦) حدثنا محمد بن يحيى بن فارس النيسابورى، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا إبراهيم بن طَهْمان، عن بُديل، به.

قلت: إسناده ضعيف، آفته عبد الكريم وهو ابن عبد الله بن شقيق العُقيلى، مجهول؛ لذا قال الحافظ فى «التقريب»: أى عند المتابعة وليس ثمَّة من تابعه.

ووقع فى الإسناد وهم؛ وهو إيراد شقيق العقيلى فى إسناد الحديث. والصواب [عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن أبى الحمساء] لذا قال الحافظ فى «التقريب»: [شقيق العُقيلى، جاء فى رواية موهومة]. فالصواب ذكر الإسناد بدون إيراد شقيق والد عبد الله والله تعالى أعلم.

(٨٠) فى إسناده مجاهيل.

• ذِكرُ زَيد بنِ عَمرو بْنِ نُفَيل، رحمه اللَّه •

قال موسى بن عقبة: أخبرنى سالم أنه سمع أباه يحدث عن رسول اللَّه ﷺ: «أنه لقى زيد بن عمرو بن نُفَيل أسفل بَلدَح، وذلك قبل الوحى، فقدَّم إليه رسول اللَّه ﷺ سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل وقال: لا آكل مما يذبحون على أنصابهم، أنا لا آكل إلا مما ذُكرَ اسمُ اللَّه عليه. رواه البخارى؛ وزاد فى آخره: فكان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقولَ: **الشاة خلقها اللَّهُ، وأنزل من السماء الماءَ، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم اللَّه؟ إنكارًا لذلك وإعظامًا له**». ثم قال البخارى: قال موسى: حدثنى سالم بن عبد اللَّه، ولا أعلم إلا يحدث به عن ابن عمر: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقى عالمًا من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إنى لَعَلِّى أن أدين دينكم، قال: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب اللَّه. قال زيد: ما أفر إلا من غضب اللَّه، ولا أحمل من غضب اللَّه شيئًا أبدًا وأنا أستطيعه، فهل تدلنى على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلا اللَّه. فخرج زيد فلقى عالمًا من النصارى، فذكر له مثله فقال: لن تكون على ديننا، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة اللَّه. قال: ما أفر إلا من لعنة اللَّه، فقال له كما قال اليهودى، فلما رأى زيد قولهم فى إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللَّهم إنى أشهدك أنى على دين إبراهيم. وهكذا أخرجه البخارى.

وقال عبد الوهاب الثقفى: حدثنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: خرجتُ مع رسول اللَّه ﷺ يومًا حارًا وهو مردفى إلى نُصُب من الأنصاب، وقد ذبحنا له شاة فأنضجناها، فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل، فحيا كل واحدمنهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال له النبى ﷺ: **يا زيد ما لى أرى قومك قد شنفوا لك**؟ قال: واللَّه يا محمد إن ذلك لبغير نائلة ترة لى فيهم، ولكنى خرجت أبتغى هذا الدين حتى أقدم علىَّ أحبار فدك فوجدتهم يعبدون اللَّه ويشركون به فقلت: ما هذا بالدين الذى أبتغى، فقدمت الشام فوجدتهم يعبدون اللَّه ويشركون به، فخرجت فقال لى شيخ منهم: إنك تسأل عن دين ما نعلم أحدًا يعبد اللَّه به إلا شيخ بالجزيرة، فأتيته، فلما رآنى قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل بيت اللَّه، قال: من أهل الشَّوك والقَرَظ؟ إن الذى تطلب قد ظهر ببلادك، قد بعث نبى قد طلع نجمه، وجميع من رأيتهم فى ضلال. قال: فلم أحس بشىء، قال: فقرَّب إليه السُّفرة فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: شاة ذبحت للنُّصُب. قال: ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم اللَّه عليه قال: فتفرقا. وذكر باقى الحديث.

وقال الليث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش واللَّه ما منكم أحد على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموؤدة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مه! لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها». هذا حديث صحيح.

وقال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أسامة بن زيد، عن أبيه، أن زيد بن عمرو بن نفيل مات، ثم أنزلَ على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إنه يُبْعَثُ يومَ القيامة أمةً وحده**». إسناده حسن.

أنبئت عن أبي الفخر أسعد، قال: أخبرتنا فاطمة، قالت: أخبرنا ابن ريذة، قال: أخبرنا الطبراني، قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز، قال: أخبرنا عبد اللَّه بن رجاء، قال: أخبرنا المسعودي، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن أبيه، عن جده قال: خرج أبي وورقة بن نوفل يطلبان الدين حتى مرا بالشام، فأما ورقة فتنصر، وأما زيد فقيل له: إن الذي تطلب أمامك، فانطلق حتى أتى الموصل، فإذا هو براهب، فقال: من أين أقبل صاحب الراحلة، قال: من بيت إبراهيم، قال: ما تطلب؟ قال: الدين، فعرض عليه النصرانية، فأبى أن يقبل وهو يقول: لبيك حقًا، تعبدًا ورقًا، البر أبغي لا الخال، وما مُهَجِّر كمن قال:

عُذْتُ بما عاذ به إبراهِـــمْ   مُسْتَقْبِل القبلة وهـــو قائم
أنفي لك اللَّهُمَّ عانٍ راغمْ   مهما تُجشِّمُني فإني جاشم

ثم يخر فيسجد للكعبة. قال: فمر زيد بالنبي ﷺ وبزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفرة لهما، فدعياه فقال: يا ابن أخي لا آكل مما ذُبِحَ على النصب، قال: فما رؤي النبي ﷺ يأكل مما ذُبِحَ على النصب من يومه ذاك حتى بُعِثَ.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه إن زيدًا كان كما رأيت، أو كما بلغك، فأستغفر له؟ قال: «**نعم، فاستغفروا له، فإنه يُبْعَثُ يومَ القيامة أمةً وحده**».

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: كانت قريش حين بنوا الكعبة يتوافدون على كسوتها كل عام تعظيمًا لحقها، وكانوا يطوفون بها، ويستغفرون اللَّه عندها، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك في ذبائحهم ودينهم كله.

وقد كان نفر من قريش : زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحويرث ابن أسد ، وهو ابن عم ورقة ، وعبيد اللَّه بن جحش بن رئاب ، وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم حضروا قريشًا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، فقال قائلهم : تعلمن واللَّه ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ، وما وثن يعبد لا يضر ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الأرض يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والملل كلها ، يتبعون الحنفية دين إبراهيم ، فأما ورقة فتنصر ، ولم يكن منهم أعدل شأنًا من زيد بن عمرو ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان إلا دين إبراهيم .

وقال الباغندى : حدثنا أبو سعيد الأشج ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : «**دخلتُ الجنةَ فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نفيل دَوْحَتين**» .

وقال البكائى ، عن ابن إسحاق : حدثنى هشام ، عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخًا كبيرا مسندًا ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفسى بيده ! ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللَّهم لو أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ثم يسجد على راحلته» .

قال ابن إسحاق : فقال زيد فى فراق دين قومه :

أربًا واحدًا أم ألفَ رب ... أدينُ إذا تُقسِّمت الأمورُ

عزلتُ اللاّتَ والعُزَّى جميعًا ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ

فى أبيات .

قال ابن إسحاق : وكان الخطَّاب بن نفيل عمه وأخوه لأمه يعاتبه ويؤذيه حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء مقابل مكة ، فإذا دخل مكة سرًا آذوه وأخرجوه ، كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد . ثم خرج يطلب دين إبراهيم ، فجال الشام والجزيرة ، إلى أن قال ابن إسحاق : فرد إلى مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عَدَوا عليه فقتلوه .

* *

• بـــاب •

أخبرتنا ست الأهل بنت علوان، قالت: أخبرنا البهاء عبد الرحمن، قال: أخبرنا مَنُوجهر بن محمد، قال: أخبرنا هبة اللَّه بن أحمد، قال: حدثنا الحسين بن على بن بطحا، قال: أخبرنا محمد بن الحسين الحرانى، قال: أخبرنا محمد بن سعيد الرسعنى، قال: أخبرنا المعافى بن سليمان، قال: حدثنا فليح، عن هلال بن على، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرنى عن صفة رسول اللَّه ﷺ فى التوراة فقال: أجل، واللَّه إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**(٤٥)﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه اللَّه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا اللَّه، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانا صمًا، وقلوبًا غلفًا. قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار فسألته، فما اختلفا فى حرف، إلا أن كعبًا يقول بلغته: أعينًا عمومَى وآذانًا صموما وقلوبًا غلوفى. أخرجه البخارى عن العوَقى، عن فُلَيح.

وقد رواه سعيد بن أبى هلال، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عبد اللَّه بن سلام، فذكر نحوه. ثم قال عطاء: وأخبرنى أبو واقد الليثى أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام.

قلتُ: وهذا أصح فإن عطاء لم يدرك كعبًا.

وروى نحوه أبو غسان محمد بن مُطَرِّف، عن زيد بن أسلم، أن عبد اللَّه بن سلام قال: صفة النبى ﷺ فى التوراة، وذكر الحديث.

وروى عطاء بن السائب، عن أبى عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود، عن أبيه، قال: إن اللَّه ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة، فدخل الكنيسة، فإذا هو بيهود، وإذا بيهودى يقرأ التوراة، فلما أتوا على صفة النبى ﷺ أمسكوا، وفى ناحية الكنيسة رجل مريض، فقال النبى ﷺ: «**ما لكم أمسكتم؟**» قال المريض: أتوا على صفة نبى فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبى ﷺ وأمته، فقال هذه صفتك وأمتك أشهد أن لا إله

إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه، فقال النبى ﷺ: «**لوا أخاكم**». أخرجه أحمد بن حنبل فى «مسنده»[(٨١)].

أخبرنا جماعة عن ابن اللَّتِّى أن أبا الوقت أخبره، قال: أخبرنا الداوودى، قال: أخبرنا ابن حمويه، قال: أخبرنا عيسى السمرقندى، قال: أخبرنا الدارمى، قال: أخبرنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا معن بن عيسى، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن أبى فروة، عن ابن عباس أنه سأل كعبًا: كيف تجد نعت رسول اللَّه ﷺ فى التوراة؟ قال: نجده محمد بن عبد اللَّه، يولد بمكة، ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا سخَّاب فى الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون، يحمدون اللَّه فى كل سراء، ويكبرون اللَّه على كل نجد، يوضِّئون أطرافهم، ويأتزرون فى أوساطهم، يَصُفُّون فى صلاتهم كما يَصُفُّون فى قتالهم، دويهم فى مساجدهم كدوى النحل، يسمع مناديهم فى جو السماء. قلت: يعنى الأذان.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثنى محمد بن ثابت بن شرحبيل، عن أم الدرداء، قالت: قلت لكعب الحبر: كيف تجدون صفة النبى ﷺ فى التوراة. فذكر نحو حديث عطاء.

* *

(٨١) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٤١٦)، والطبرانى فى «الكبير» (١٠٢٩٥)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٢- ٢٧٣) من طريق حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، به.
قلت: إسناده ضعيف، لانقطاعه بين أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأبيه، فإنه لم يسمع منه.
وقد روى حماد بن سلمة عن عطاء قبل الاختلاط فانتفت هذه العلة، وبقيت علة الانقطاع بين أبى عبيدة وأبيه عبد الله بن مسعود.

• قصَّة سلمان الفارسي •

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر، عن محمود بن لَبيد، عن ابن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسي، قال: كنت رجلاً من أهل فارس من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَيّ، وكان أبي دهقان أرضه، وكان يحبني حبًا شديدًا، لم يحبه شيئًا من ماله ولا لده، فما زال به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطَن النار الذي يوقدها، فلا أتركها تخبو ساعة، فكنت لذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه، حتى بنى أبي بنيانًا له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعاني فقال: أي بني، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه، ولا بد لي من اطلاعها، فانطلق إليها فمرهم بكذا وكذا، ولا تحتبس عليَّ فإنك إن احتبست عني شغلني ذلك عن كل شيء. فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة للنصارى، فسمعت أصواتهم فقلت: ما هذا؟ قالوا: النصارى، فدخلت فأعجبني حالهم، فواللَّه ما زلت جالسًا عندهم حتى غربت الشمس، وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت، ولم أذهب إلى ضيعته فقال: أين كنت؟ قلت: مررت بالنصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلست أنظر كيف يفعلون. قال: أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقلت: لا واللَّه ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون اللَّه، ويدعونه ويصلون له، ونحن نعبد نارًا نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت. فخاف فجعل في رجلي حديدًا وحبسني، فبعثت إلى النصارى فقلت: أين أصْلُ هذا الدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناس فآذنوني. قالوا: نفعل. فقدم عليهم ناس من تجارهم فآذنوني بهم، فطرحت الحديد من رجلي ولحقت بهم، فقدمت معهم الشام، فقلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف صاحب الكنيسة. فجئته فقلت: إني قد أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد اللَّه فيها معك، وأتعلم منك الخير. قال: فكن معي. قال: فكنت معه، فكان رجل سوء، يأمر بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوها له اكتنزها ولم يعطها المساكين، فأبغضته بغضًا شديدًا، لما رأيت من حاله، فلم ينشب أن مات، فلما جاؤوا ليدفنوه قلت لهم: هذا رجل سوء، كان يأمركم بالصدقة ويكتنزها. قالوا: وما علامة ذلك؟ قلت: أنا أخرج إليكم كنزه، فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، فلما رأوا ذلك قالوا: واللَّه لا يدفن أبدًا، فصلبوه ورموه بالحجارة، وجاؤوا برجل فجعلوهَ مكانه، ولا واللَّه يا ابن عباس، ما رأيت رجلاً قط لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، وأشد اجتهادًا، ولا أزهد في الدنيا، ولا أدأب ليلاً ونهارًا، وما أعلمني أحببت شيئًا قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: قد حضرك ما ترى من أمر اللَّه فماذا تأمرني وإلى

من توصينى؟ قال لى : أى بنى ، واللَّه ما أعلمه إلا بالموصل ، فأته فإنك ستجده على مثل حالى .

فلما مات لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد ، فقلت له : إن فلانًا أوصى بى إليك . قال : فأقم أى بنى ، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : إن فلانًا أوصى بى إليك ، وقد حضرك من أمر اللَّه ما ترى ، فإلى من توصينى؟ قال : واللَّه ما أعلمه إلا رجلاً بنصيبين . فلما دفناه لحقت بالآخر ، فأقمت عنده على مثل حالهم ، حتى حضره الموت فأوصى بى إلى رجل من عمورية بالروم ، فأتيته فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده واكتسبت حتى كانت لى غُنَيمة وبقيرات ، ثم احْتُضِرَ فكلمته ، فقال : أى بنى واللَّه ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه ، ولكن قد أظلك زمانَ نبى يبعث من الحرم ، مهاجره بين حَرَّتين ؛ أرض سَبخَة ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه .

فلما واريناه أقمت حتى مر بى رجال من تجار العرب من كَلْب ، فقلت لهم : تحملونى إلى أرض العرب ، وأنا أعطيكم غُنَيْمَتى هذه وبقراتى؟ قالوا : نعم . فأعطيتهم إياها وحملونى ، حتى إذا جاؤوا بى وادى القرى ظلَمونى فباعونى عبدًا من رجل يهودى بوادى القرى ، فواللَّه لقد رأيت النخل ، وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لى صاحبى ، وما حقَّت عندى حتى قدم رجل من بنى قريظة فابتاعنى ، فخرج بى حتى قدمنا المدينة ، فواللَّه ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها فأقمت فى رقى .

وبعث اللَّه رسوله ﷺ بمكة لا يُذْكَر لى شىء من أمره ، مع ما أنا فيه من الرق ، حتى قدم قُباء ، وأنا أعمل لصاحبى فى نخله ، فواللَّه إنى لفيها ، إذ جاء ابن عم له فقال : يا فلان ، قاتل اللَّه بنى قيلة ، واللَّه إنهم الآن مجتمعون على رجل جاء من مكة ، يزعمون أنه نبى . فواللَّه ما هو إلا أن سمعتها فأخذتنى العُرَواء- يقول الرِّعدة- حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ، ونزلت أقول : ما هذا الخبر؟ فرفع مولاى يده فلكمنى لكمة شديدة ، وقال : مالك ولهذا ، أقبل على عملك . فقلت : لا شىء ، إنما سمعت خبرًا فأحببت أن أعلمه ، فلما أمسيت وكان عندى شىء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول اللَّه ﷺ وهو بقُباء فقلت له : بلغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحابًا لك غرباء ، وقد كان عندى شىء للصدقة ، فرأيتكم أحق من بهذه البلاد فهاكها فكُل منه ، فأمسك وقال لأصحابه : كلوا ، فقلت فى نفسى هذه واحدة ، ثم

رجعت وتحول رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئًا ثم جئته به، فقلت: هذا هدية، فأكل وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان، ثم جئته وهو يتبع جنازة وعلىَّ شملتان لى، وهو فى أصحابه، فاستدرت لأنظر إلى الخاتم، فلما رآنى استدبرته عرف أنى أستثبت شيئًا وُصفَ لى، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، كما وصف لى صاحبى، فأكببَت عليه أقبله وأبكى، فقال: تحول يا سلمان هكذا. فتحولت، فجلست بين يديه، وأحبَّ أن يُسْمعَ أصحابَه حديثى عنه، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك. فلما فرغت قال: «**كاتب يا سلمان**». فكاتبت صاحبى على ثلاث مائة نخلة أحييها له وأربعين أوقية، فأعاننى أصحاب رسول اللَّه ﷺ بالنخل ثلاثين وَدية(٨٢) وعشرين ودية وعشر، فقال لى رسول اللَّه ﷺ فَقِّر لهـا(٨٣)، فإذا فرغت فآذنى حتىَ أكون أنا الذى أضعها بيدى. ففقرتها وأعاننى أصحابى، يقول: حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها، وخرج معى، فكنا نحمل إليه الوَدىَّ فيضعه بيده ويسوى عليها، فوالذى بعثه ما مات منها ودية واحدة وبقيت علىَّ الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال: أين الفارسى؟ فدُعيتُ له فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك. قلت: يا رسول اللَّه، وأين تقع هذه مما علىَّ؟ قال: فإن اللَّه سيؤدى بها عنك، فوالذى نفس سلمان بيده، لوزنتُ لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وعتق سلمان. وحبسنى الرق حتى فاتتنى بدر وأحد، ثم شهدت الخندق، ثم لم يفتنى معه مشهد.

قوله: قَطَن النار: جمع قاطن، أى: مقيم عندها، أو هو مصدر، كرجل صوم وعدل.

وقال يونس بن بكير وغيره، عن ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: حدثنى من سمع عمر بن عبد العزيز، قال: وجدت هذا من حديث سلمان، قال: حُدِّثت عن سلمان: أن صاحب عمورية قال له لما احتضر: ائت غيضتين من أرض الشام، فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شفى، فسله عن هذا الدين دين إبراهيم. فخرجت حتى أقمت بها سنة، حتى خرج تلك الليلة، وإنما كان يخرج مستجيزاً، فخرج وغلبنى عليه الناس، حتى دخل فى الغيضة، حتى ما بقى إلا منكبه، فأخذت به فقلت: رحمك اللَّه! الحنيفية دين إبراهيم؟ فقال: تسأل عن شىء ما سأل عنه الناس اليوم، قد أظلك نبى يخرج عند أهل هذ البيت بهذا الحرم،

---

(٨٢) الوَدىّ: بتشديد الياء: صغار النَّخل، الواحدة: وَديَّة.

(٨٣) فقِّرْ لها: احفر لها موضعًا تُغْرسُ فيه.

ويبعث بسفك الدم. فلما ذكر ذلك سلمان لرسول اللَّه ﷺ قال: «**لئن كنت صدقتنى يا سلمان لقد رأيت حوارى عيسى ابن مريم**»(٨٤).

وقال مسلمة بن علقمة المازنى: حدثنا داود بن أبى هند، عن سماك بن حرب، عن سلامة العجلى، قال: جاء ابن أخت لى من البادية يقال له قُدَامة، فقال: أحب أن ألقى سلمان الفارسى فأسلم عليه، فخرجنا إليه فوجدناه بالمدائن، وهو يومئذ على عشرين ألفًا، ووجدناه على سرير يسفُّ خوصًا فسلمنا عليه، فقلت: يا أبا عبد اللَّه هذا ابن أخت لى قدم علىَّ من البادية، فأحبَّ أن يسلم عليك. قال: وعليه السلام ورحمة اللَّه وبركاته. قلت: يزعم أنه يحبك. قال: أحبَّه اللَّه. فتحدثنا وقلنا: يا أبا عبد اللَّه، ألا تحدثنا عن أصلك؟ قال: أما أصلى فأنا من أهل رامَهُرْمُز، كنا قومًا مجوسًا، فأتى رجل نصرانى من أهل الجزيرة كانت أمه منا، فنزل فينا واتخذ فينا ديرًا وكنت من كُتَّاب الفارسية، فكان لا يزال غلام معى فى الكتاب يجىء مضروبًا يبكى، قد ضربه أبواه، فقلت له يومًا: ما يبكيك؟ قال: يضربنى أبواى. قلت: ولم يضربانك؟ فقال: آتى صاحب هذا الدير، فإذا علما ذلك ضربانى، وأنت لو أتيته سمعت منه حديثًا عجبًا. قلت فاذهب بى معك، فأتيناه، فحدثنا عن بدء الخلق وعن الجنة والنار، فحدثنا بأحاديث عجب، فكنت أختلف إليه معه، وفطن لنا غلمان من الكتاب، فجعلوا يجيئون معنا، فلما رأى ذلك أهل القرية أتوه، فقالوا: يا هناه إنك قد جاورتنا فلم تر من جوارنا إلا الحسن، وإنا نرى غلماننا يختلفون إليك، ونحن نخاف أن تفسدهم علينا، اخرج عنا. قال: نعم. فقال لذلك الغلام الذى كان يأتيه: اخرج معى. قال: لا أستطيع ذلك. قلت: أنا أخرج معك، وكنت يتيمًا لا أب لى، فخرجتُ معه، فأخذنا جبل رامهرمز، فجعلنا نمشى ونتوكل، ونأكل من ثمر الشجر، فقدمنا نَصيبين، فقال لى صاحبى: يا سلمان، إن هاهنا قومًا هم عُبَّاد أهل الأرض، فأنا أحب أن ألقاهَم. قال: فجئناهم يوم الأحد، وقد اجتمعوا، فسلم عليهم صاحبى، فحَيّوه وبشوا به، وقالوا: أين كانت غيبتك؟ فتحدثنا، ثم قال: قم يا سلمان، فقلت: لا، دعنى مع هؤلاء. قال: إنك لا تطيق ما يطيقون، هؤلاء يصومون من الأحد إلى الأحد، ولا ينامون هذا الليل. وإذا فيهم رجل من أبناء الملوك ترك الملك ودخل فى العبادة، فكنت فيهم حتى أمسينا، فجعلوا يذهبون واحدًا واحدًا إلى غاره الذى يكون فيه، فلما أمسينا قال ذاك الرجل الذى من أبناء الملوك: هذا الغلام ما تضيعوه ليأخذه رجل منكم. فقالوا: خذه أنت، فقال لى: هلم فذهب بى إلى غاره، وقال لى: هذا

---

(٨٤) ضعيف: لإبهام من روى عن عمر بن عبد العزيز، والانقطاع بل الإعضال بين عمر بن عبد العزيز، وسلمان فبينهما مفاوز تنقطع لها أعناق المَطىّ.

خبز وهذا أدم فكل إذا غرثت، وصم إذا نشطت، وصل ما بدا لك، ونم إذا كسلت. ثم قام فى صلاته فلم يكلمنى، فأخذنى الغم تلك السبعة الأيام لا يكلمنى أحد، حتى كان الأحد، وانصرف إلىَّ، فذهبنا إلى مكانهم الذى يجتمعون فيه فى الأحد، فكانوا يفطرون فيه، ويلقى بعضهم بعضًا ويسلم بعضهم على بعض، ثم لا يلتقون إلى مثله، قال: فرجعنا إلى منزلنا فقال لى مثل ما قال أول مرة، ثم لم يكلمنى إلى الأحد الآخر، فحدثت نفسى بالفرار فقلت: اصبر أحدين أو ثلاثة فلما كان الأحد واجتمعوا، قال لهم: إنى أريد بيت المقدس. فقالوا: ما تريد إلى ذلك؟ قال: لا عهد لى به. قالوا: إنا نخاف أن يحدث بك حدث فيليك غيرنا. قال: فلما سمعته يذكر ذاك خرجت، فخرجنا أنا وهو، فكان يصوم من الأحد إلى الأحد، ويصلى الليل كله، ويمشى بالنهار، فإذا نزلنا قام يصلى، فأتينا بيت المقدس، وعلى الباب مقعد يسأل فقال: أعطنى. قال: ما معى شىء. فدخلنا بيت المقدس، فلما رأوه بشوا إليه واستبشروا به، فقال لهم: غلامى هذا فاستوصوا به، فانطلقوا بى فأطعمونى خبزًا ولحمًا، ودخل فى الصلاة، فلم ينصرف إلى الأحد الآخر، ثم انصرف. فقال: يا سلمان إنى أريد أن أضع رأسى، فإذا بلغ الظل مكان كذا فأيقظنى. فبلغ الظل الذى قال، فلم أوقظه مأواة له مما دأب من اجتهاده ونصبه، فاستيقظ مذعورًا، فقال: يا سلمان، ألم أكن قلت لك: إذا بلغ الظل مكان كذا فأيقظنى؟ قلت: بلى، ولكن إنما منعنى مأواة لك من دأبك. قال: ويحك إنى أكره أن يفوتنى شىء من الدهر لم أعمل للّه فيه خيرًا، ثم قال: اعلم أن أفضل دين اليوم النصرانية. قلت: ويكون بعد اليوم دين أفضل من النصرانية- كلمة ألقيت على لسانى-. قال: نعم، يوشك أن يبعث نبى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإذا أدركته فاتبعه وصدقه. قلت: وإن أمرنى أن أدع النصرانية؟ قال: نعم فإنه نبى لا يأمر إلا بحق ولا يقول إلا حقًا، واللّه لو أدركته ثم أمرنى أن أقع فى النار لوقعتها.

ثم خرجنا من بيت المقدس، فمررنا على ذلك المُقْعَد، فقال له: دخلت فلم تعطنى، وهذا تخرج فأعطنى، فالتفت فلم ير حوله أحدا، قال: أعطنى يدك. فأخذه بيده، فقال: قم بإذن اللّه، فقام صحيحًا سويًا، فتوجه نحو أهله فأتبعته بصرى تعجبًا مما رأيت، وخرج صاحبى مسرعًا وتبعته، فتلقانى رفقة من كلب، فسَبَونى فحملونى على بعير وشدونى وثاقًا، فتداولنى البياع حتى سقطت إلى المدينة، فاشترانى رجل من الأنصار، فجعلنى فى حائط له ومن ثم تعلمت عمل الخوص، أشترى بدرهم خوصًا فأعمله فأبيعه بدرهمين، فأنفق درهمًا، أحب أن آكل من عمل يدى. وهو يومئذ أمير على عشرين ألفا. قال: فبلغنا ونحن بالمدينة أن

رجلاً قد خرج بمكة يزعم أن اللَّه أرسله، فمكثنا ما شاء اللَّه أن نمكث، فهاجر إلينا، فقلت: لأجربنه، فذهبت فاشتريت لحم جزور بدرهم، ثم طبخته، فجعلت قصعة من ثريد، فاحتملتها حتى أتيته بها على عاتقى حتى وضعتها بين يديه. فقال: «**أصدقة أم هدية**»؟ قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «**كلوا بسم اللَّه**» وأمسك ولم يأكل، فمكثت أيامًا، ثم اشتريت لحمًا فأصنعه أيضًا وأتيته به، فقال: ما هذه؟ قلت: هدية. فقال لأصحابه: «**كلوا بسم اللَّه**» وأكل معهم. قال: فنظرت فرأيت بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، فاسلمت، ثم قلت له: يا رسول اللَّه أىُّ قومِ النصارى؟ قال: «**لا خير فيهم**». ثم سألته بعد أيام قال: «**لا خير فيهم ولا فيمن يحبهم**». قلت فى نفسى: فأنا واللَّه أحبهم، قال: وذاك حين بعث السرايا وجرد السيف، فسرية تدخل وسرية تخرج، والسيف يقطر. قلت يحدث بى الآن أنى أحبهم، فيبعث فيضرب عنقى، فقعدت فى البيت، فجاءنى الرسول ذات يوم فقال: يا سلمان أجب. قلت: هذا واللَّه الذى كنت أحذر. فانتهيت إلى رسول اللَّه ﷺ فتبسم وقال: «**أبشر يا سلمان فقد فرَّجَ اللَّه عنك**» ثم تلا علىَّ هؤلاء الآيات: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)**﴾ إلى قوله: ﴿**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ**﴾ [القصص: ٥٢- ٥٤]، قلت: والذى بعثك بالحق، لقد سمعته يقول: لو أدركته فأمرنى أن أقع فى النار لوقعتها.

هذا حديث منكر غريب، والذى قبله أصح، وقد تفرد مَسْلَمة بهذا، وهو ممن احتج به مسلم، ووثقه ابن معين، وأما أحمد بن حنبل فضعفه، رواه قيس بن حفص الدارمى شيخ البخارى عنه.

وقال عبد اللَّه بن عبد القدوس: حدثنا عُبيد المُكْتب، قال: أخبرنا أبو الطفيل، قال: حدثنى سلمان، قال: كنت من أهل جَىّ، وكان أهل قريتى يعبدون الخيل البلق، فكنت أعرف أنهم ليسوا على شىء، فقيل لى: إن الدين الذى تطلب بالمغرب، فخرجت حتى أتيت الموصل، فسألت عن أفضل رجل بها، فدللت على رجل فى صومعة، ثم ذكر نحوه. كذا قال الطبرانى، قال: وقال فى آخره: فقلت لصحابى: بعنى نفسى. قال: على أن تنبت لى مائة نخلة، فإذا نبتن جئنى بوزن نواة من ذهب. فأتيت رسول اللَّه ﷺ فأخبرته، فقال: اشتر نفسك بالذى سألك، وائتنى بدلو من ماء النهر التى كنت تسقى منها ذلك النخل. قال: فدعا لى، ثم سقيتها، فواللَّه لقد غرست مائة فما غادرت منها نخلة إلا نبتت، فأتيت رسول اللَّه ﷺ فأخبرته أن النخل قد نبتن، فأعطانى قطعة من ذهب، فانطلقت بها فوضعتها فى كفة

الميزان، ووضع فى الجانب الآخر نواة، قال: فواللَّه ما استعلت القطعة الذهب من الأرض، قال: وجئت إلى رسول اللَّه ﷺ فأخبرته، فأعتقنى[٨٥].

على بن عاصم، قال: أخبرنا حاتم بن أبى صغيرة، عن سماك بن حرب، عن زيد بن صُوحان، أن رجلين من أهل الكوفة كانا صديقين ولهما إخاء، وقد أحبا أن يسمعا حديثك كيف كان أول إسلامك؟ قال: فقال سلمان: كنت يتيمًا من رامَهُرمز، وكان ابن دهقان[٨٦] رامهرمز يختلف إلى معلم يعلمه، فلزمته لأكون فى كنفه، وكان لى أخ أكبر منى، وكان مستغنيًا فى نفسه، وكنت غلامًا فقيرًا، فكان إذا قام من مجلسه تفرق من يحفظه فإذا تفرقوا خرج فتقنع بثوبه، ثم يصعد الجبل متنكرًا، فقلت: لمَ لا تذهب بى معك؟ فقال: أنت غلام وأخاف أن يظهر منك شيء. قلت: لا تخف. قال: فإن فى هذا الجبل قومًا فى برطيل، لهم عبادة يزعمون أنا عبدة النيران، وأنا على غير دين فأستأذن لك. قال: فاستأذنهم ثم واعدنى وقال: اخرج فى وقت كذا، ولا يعلم بك أحد، فإن أبى إن علم بهم قتلهم. قال: فصعدنا إليهم. قال علىّ- وأراه قال- وهم ستة أو سبعة. قال: وكأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار، ويقومون الليل، يأكلون الشجر وما وجدوا، فقعدنا إليهم فذكرنا الحديث بطوله، وفيه: أن الملك شعر بهم، فخرجوا، وصحبهم سلمان إلى الموصل، واجتمع بعابد من بقايا أهل الكتاب، فذكر من عبادته وجوعه شيئًا مُفْرطًا، وأنه صحبه إلى بيت المقدس، فرأى مقعدًا فأقامه، فحملت على المقعد أثاثه ليسرع إلى أهله، فانملس منى صاحبى، فتبعت أثره، فلم أظفر به، فأخذنى ناس من كلب وباعونى، فاشترتنى امرأة من الأنصار، فجعلتنى فى حائط لها وقدم رسول اللَّه ﷺ، فاشترانى أبو بكر فأعتقنى.

وهذا الحديث يشبه حديث مسلمة المازنى، لأن الحديثين يرجعان إلى سماك، ولكن قال

---

(٨٥) منكر: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٠٣) من طريق سعيد بن سليمان الواسطى، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد (!) (!) وردَّهُ الحافظ الذهبى فى «التلخيص» بقوله: «قلت: ابن عبد القدوس ساقط».

قلت: الحديث منكر كما قال المصنف فى ترجمة سلمان فى «السير»، وفيه عبد الله بن عبد القدوس، كوفى رافضى، كان خشبيًا. قال يحيى: ليس بشىء، رافضى خبيث. وقال النسائى وغيره: ليس بثقة. وأمَّا عُبيد المكتّب، فهو عبيد بن مهران، الكوفى، المكتب، وهو ثقة.

(٨٦) الدِّهْقان: فارس معرب، وهو بكسر الدال وضمها: رئيس القرية ومُقدَّم التُّنَّاء وأصحاب الزراعة. ونونُه أصْلِيَّةٌ، لقولهم تَدهْقَن الرجلُ، وله دَهْقَنَةٌ بموضع كذا، وقيل النون زائدة، وهو من الدَّهْق: الامتلاء.

هنا عن زيد بن صوحان، فهو منقطع، فإنه لم يدرك زيد بن صوحان، وعلى بن عاصم ضعيف كثير الوهم، واللَّه أعلم.

عمرو العنقزى: أخبرنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى قرة الكندى، عن سلمان، قال: كان أبى من الأساورة فأسلمنى الكُتَّاب، فكنت أختلف ومعى غلامان، فإذا رجعا دخلا على راهب أو قس، فدخلتُ معهما، فقال لهما، ألم أنهكما أن تُدْخلا علىَّ أحدًا. فكنت أختلف حتى كنت أحب إليه منهما، فقال لى: يا سلمان، إنى أحَب أن أخرج من هذه الأرض. قلت: وأنا معك. فأتى قرية فنزلها، وكانت امرأة تختلف إليه، فلما حضر قال: احفر عند رأسى، فحفرت فاستخرجت جرة من دراهم، فقال: ضعها على صدرى، فجعل يضرب بيده على صدره ويقول: ويل للقنائين! قال: ومات فاجتمع القسيسون والرهبان، وهممت أن أحتمل المال، ثم إن اللَّه عصمنى، فقلت للرهبان، فوثب شباب من أهل القرية، فقالوا: هذا مال أبينا كانت سُرِّيَّته تختلف إليه، فقلت لأولئك: دلونى على عالم أكون معه. قالوا: ما نعلم أحد أعلم من راهب بحمص. فأتيته فقال: ما جاء بك إلا طلب العلم. قلت: نعم. قال: فإنى لا أعلم أحدًا أعلم من رجل يأتى بيت المقدس كل سنة فى هذا الشهر. فانطلقت فوجدت حماره واقفًا، فخرج فقصصت عليه، فقال: اجلس هاهنا حتى أرجع إليك. فذهب فلم يرجع إلى العام المقبل، فقال: وإنك لهاهنا بعد؟ قلت: نعم. قال: فإنى لا أعلم أحدًا فى الأرض أعلم من رجل يخرج بأرض تيماء وهو نبى وهذا زمانه، وإن انطلقت الآن وافقته، وفيه ثلاث: خاتم النبوة، ولا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية. وذكر الحديث.

وقال ابن لَهيعة: حدثنا يزيد بن أبى حبيب، قال: حدثنى السلم بن الصلت، عن أبى الطفيل، عن سلمان، قال: كنت رجلاً من أهل جى مدينة أصبهان، فأتيت رجلاً يتحرج من كلام الناس، فسألته: أى الدين أفضل؟ قال: ما أعلم أحدًا غير راهب بالموصل، فذهبت إليه. وذكر الحديث، وفيه: فأتيت حجازيًا، فقلت: تحملنى إلى المدينة؟ قال: ما تعطينى؟ قلت: أنا لك عبد. فلما قدمت جعلنى فى نخله، فكنت أستقى كما يستقى البعير حتى دبر ظهرى وصدرى من ذلك، ولا أجد أحدًا يفقه كلامى، حتى جاءت عجوز فارسية تستقى، فقلت لها: أين هذا الرجل الذى خرج؟ فدلتنى عليه، فجمعت تمرًا وجئت فقربته إليه. وذكر الحديث.

* *

• ذكْرُ مَبْعَثه ﷺ •

قال الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: أول ما بُدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، أي: يتعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ①﴾ حتى بلغ إلى قوله: ﴿**مَا لَمْ يَعْلَمْ** ⑤﴾ [العلق: ١- ٥]، قالت: فرجع بها ترجف بوادره(٨٧) حتى دخل على خديجة فقال: زملوني(٨٨). فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة ما لي! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت [على نفسي]. فقالت له: كلا أبشر فواللّه لا يخزيك اللّه إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ [وتكسبُ المعدوم، وتقري الضَّيفَ]، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان أمرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الخط العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء اللّه أن يكتب، وكان شيخًا قد عمي. فقالت: اسمع من ابن أخيك. فقال: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعًا حين يخرجك قومك، قال: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم، إنه لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي(٨٩).

فروى الترمذي، عن أبي موسى الأنصاري، عن يونس بن بكير، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: سُئل النبي ﷺ عن ورقة، فقالت له خديجة: إنه- يا رسول اللّه- كان صدقك، وإنه مات قبل أن تظهر. فقال: «**رأيته في المنام عليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك**».

---

(٨٧) بوادره: جمع بادرة، وهي لحمة بين المنكب والعُنُق، وتبدر عند الغضب.

(٨٨) زَمِّلوني: أي غَطّوني.

(٨٩) صحيح: أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من طريق ابن شهاب، به.
ووقع عند مسلم: [وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب الإنجيل بالعربية ما شاء اللّه أن يكتب].
ووقع عند البخاري: [وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّه أن يكتب].
تنبيه: ما وضعته بين معكوفين سقط استدركته من صحيح مسلم، فاللفظ له.

وجاء من مراسيل عروة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**رأيت لورقة جنة أو جنتين**».

وقال الزهرى، عن عروة، عن عائشة: «وفَتَرَ الوحْى فترة، حتى حزن رسول اللَّه ﷺ حزنًا شديدًا، وغدا مرارًا يتردى من شواهق الجبال، وكلما أوفى بذروة ليلقى نفسه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول اللَّه حقًا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك. رواه أحمد فى «مسنده»، والبخارى (٩٠).

وقال هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بُعثَ رسول اللَّه ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمِرَ بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين. رواه البخارى (٩١).

وقال يحيى بن سعيد الأنصارى، عن سعيد بن المسيب، قال: أُنْزِلَ على رسول اللَّه ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، فمكث بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا.

وقال محمد بن أبى عدى، عن داود بن أبى هند، عن الشَّعبى، قال: نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فَقُرِنَ بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشىء، ولم ينزل القرآن، فلما مضتَ ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، ومات وهو ابن ثلاث وستين.

أخبرنا أبو المعالى الأبرقوهى، قال: أخبرنا عبد القوى بن الجباب، قال: أخبرنا عبد اللَّه ابن رفاعة، قال: أخبرنا على بن الحسن الخلَعى، قال: أخبرنا أبو محمد بن النحاس، قال: أخبرنا عبد اللَّه بن الورد، قال: أخبرنا عبد الرحيم بن عبد اللَّه البرقى، قال: حدثنا عبد الملك ابن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد اللَّه البكَّائى، عن محمد بن إسحاق، قال: كانت الأحبار والرهبان وكهان العرب قد تحدثوا بأمر محمد ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه، أما أهل الكتاب فعمًّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان عهد إليهم أنبياؤهم من شأنه

---

(٩٠) **مرسل**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٣)، والبخارى (٦٩٨٢)، فهو من بلاغات الزهرى كما وقع فى رواية من أخرجاهُ: «... وفتر الوحىُ فترة حتى حزن النبى ﷺ فيما بلغنا حُزنًا غدا منه مرارًا كى يتردى من رءوس شواهق الجبال». وقال الحافظ فى «الفتح» (١٢/ ٣٥٩): «ومعنى الكلام أن فى جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ فى هذه القصة هو من بلاغات الزهرى وليس موصولاً».

قلت: وهو مدرج فى الحديث.

(٩١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٣٨٥١) و(٣٩٠٢) من طريق هشام، به.

وأما الكهان فأتتهم الشياطين بما استرقت من السمع، وأنها قد حجبت عن استراق السمع ورميت بالشهب. قال اللَّه تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) ﴾ [الجن: ٩]، فلما سمعت الجن القرآن من النبي ﷺ عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك، لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس الأمر فآمنوا وصدقوا وولوا إلى قومهم منذرين.

حدثني يعقوب بن عتبة أنه بلغه أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم ثقيف، فجاؤوا إلى عمرو بن أمية وكان أدهى العرب، فقالوا: ألا ترى ما حدث؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها وتعرف بها الأنواء هي التي يرمى بها، فهي واللَّه طي الدنيا وهلاك أهلها، وإن كانت نجومًا غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا أمر أراد اللَّه به هذا الخلق فما هو.

قلت: روى حديث يعقوب بنحوه حُصَين، عن الشعبي، لكن قال: فأتَوا عبدَ يا ليل بن عمرو الثقفي، وكان قد عمي.

وقد جاء غير حديث بأسانيد واهية أن غير واحد من الكهان أخبره رئية من الجن بأسجاع ورجز، فيها ذكر مبعث النبي ﷺ وسُمِعَ من هواتف الجان من ذلك أشياء.

وبالإسناد إلى ابن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة اللَّه وهداه لنا، أنا كنا نسمع من يهود، وكنا أصحاب أوثان، وهم أهل كتاب، وكان لا يزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم قالوا: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث اللَّه رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا، وعرفنا ما كان يتوعدونا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففي ذلك نزل: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩]، الآيات.

حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وَقْش، قال: كان لنا جارٌ يهودي، فخرج يومًا حتى وقف على بني عبد الأشهل، وأنا يومئذ أحدثهم سنًا، فذكر القيامة والحساب والميزان والجنة والنار، قال ذلك لقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثًا بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، أو ترى هذا كائنًا أن الناس يبعثون! قال: نعم. قالوا: فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا حدث فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره

يدركه. قال سلمة: فواللّه ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللّه محمدًا ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغيًا وحسدًا، فقلنا له: ويحك يا فلان، ألست بالذى قلت لنا فيه ما قلت! قال: بلى، ولكن ليس به.

حدثنى عاصم بن عمر، عن شيخ من بنى قريظة، قال لى: هل تدرى عَمَّ كان الإسلام لثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، نفر من إخوة بنى قريظة، كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام؟ قلت: لا واللّه، قال: إن رجلاً من يهود الشام يقال له ابن التيهان قدم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، واللّه ما رأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكان إذا قحط عنا المطر يأمرنا بالصدقة ويستسقى لنا، فواللّه ما يبرح من مجلسه حتى نُسْقَى، قد فعل ذلك غير مرتين ولا ثلاث، ثم حضرته الوفاة، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير، إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: إنما قدمت أتوكف خروج نبىٍّ قد أظل زمانه، وهذه البلدة مُهاجَره، فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بُعثَ محمد ﷺ وحاصر خيبر قال هؤلاء الفتية، وكانوا شبابا أحداثًا: يا بنى قريظة، واللّه إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن التيهان. قالوا: ليس به، فنزل هؤلاء وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم.

وبه، قال ابن إسحاق: وكانت خديجة قد ذكرت لعمها ورقة بن نوفل، وكان قد قرأ الكتب وتنصر، ما حدثها ميسرة من قول الراهب وإظلال الملكين، فقال: لئن كان هذا حقًا يا خديجة إن محمدًا لنبى هذه الأمة، وقد عرفتُ أن لهذه الأمة نبيًا يُنْتَظَر زمانه، قال: وجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول: حتى متى، وقال:

لَجِجْتُ وكنت فى الذِّكرَى لَجُوجًا ... لهمٍّ طالما بعث النَّشيجا
ووصف من خديجةَ بعد وصف ... فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكّتين على رجائى ... حديثك أن أرى منه خُروجا
بما خبرتنا من قول قَسٍّ ... من الرُّهْبان أكره أن يَعُوجا
بأن محمدًا سيسود قومًا ... ويخْصِم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياءُ نور ... يقيم به البرية أن تموجا

فَيَلْقَى مَنْ يحاربُه خَسَارًا　　ويلقى من يسالمه فلوجا

فيا لَيْتَنى إذا ما كنت ذاكم　　شهدت فكنت أولهم وُلُوجا

فإن يَبْقَوْا وأبْقَ تَكُنْ أمور　　يضجُّ الكافرون لها ضجيجا

وقال سليمان بن معاذ الضبي، عن سماك، عن جابر بن سَمُرَة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن بمكة لحجراً يسلم عليَّ ليالي بعثتُ إني لأعرفه الآن**»(٩٢). رواه أبو داود.

وقال يحيى بن أبي كثير: حدثنا أبو سلمة، قال: سألت جابرًا: أي القرآن أُنْزِلَ أول ﴿**يَا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ①﴾ [المدثر: ١]، أو ﴿**اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ [العلق: ١]، فقال: ألا أحدثكم بما حدثني به رسول اللَّه ﷺ؟ قال: إني جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، فلم أر شيئًا، ثم نظرت إلى السماء، فإذا هو على عرش في الهواء، يعني الملك، فأخذني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، ثم صبوا عليَّ الماء، فأنزل اللَّه ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ① **قُمْ فَأَنذِرْ** ②﴾(٩٣) [المدثر: ١، ٢].

وقال الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يحدث عن فترة الوحي، قال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ منه رعبًا، فرجعت، فقلت: زملوني فدثروني، ونزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ①﴾ إلى قوله: ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ⑤﴾ [المدثر: ١- ٥]، وهي الأوثان. متفق عليه(٩٤). وهو نص في أن ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** ①﴾ نزلت بعد فترة الوحي الأول، وهو ﴿**اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ فكان الوحي الأول للنبوة والثاني للرسالة.

---

(٩٢) **حسن**: أخرجه الطيالسي (١٩٠٧)، وأحمد (٥/ ٨٩ و٩٥ و١٠٥)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤)، ومسلم (٢٢٧٧)، والترمذي (٣٦٢٤)، والدارمي (١/ ٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٩٠٧) و(١٩٦١) و(١٩٦٥) و(٢٠٢٨)، وفي «الأوسط» (٢٠٣٣)، وفي «الصغير» (١٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٥٣)، والبغوي (٣٧٠٩) من طرق عن سماك بن حرب، به.

قلت: إسناده حسن، سماك بن حرب، صدوق كما قال الحافظ في «التقريب».

(٩٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٢٤) حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب، حدثنا يحيى، به.

(٩٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) (٢٥٥) من طريق ابن شهاب، به.

• فأوَّلُ من آمن به خديجة، رضى اللَّه عنها •

قال عز الدين أبو الحسن ابن الأثير : خديجة أول خلق اللَّه أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة.

وقال الزهرى، وقتادة، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق، والواقدى، وسعيد بن يحيى الأموى، وغيرهم: أول من آمن باللَّه ورسوله : خديجة، وأبو بكر، وعلى.

وقال حسان بن ثابت وجماعة : أبو بكر أول من أسلم.

وقال غير واحد : بل على.

وعن ابن عباس : فيهما قولان، لكن أسلم علىٌّ وله عشر سنين أو نحوها على الصحيح، وقيل : وله ثمان سنين، وقيل : تسع، وقيل : اثنتا عشرة، وقيل : خمس عشرة، وهو قول شاذ، فإن ابنه محمدًا، وأبا جعفر الباقر، وأبا إسحاق السبيعى وغيرهم، قالوا : توفى وله ثلاث وستون سنة. فهذا يقضى بأنه أسلم وله عشر سنين، حتى إن سفيان بن عيينة روى عن جعفر الصادق، عن أبيه، قال : قُتِلَ علىٌّ وله ثمانٍ وخمسون سنة.

وقال ابن إسحاق : أول ذَكَرٍ آمن باللَّه علىٌ- رضى اللَّه عنه- وهو ابن عشر سنين، ثم أسلم زيد مولى النبى ﷺ، ثم أسلَم أبو بكر.

وقال الزهرى : كانت خديجة أول من آمن باللَّه، وقبل الرسول رسالة ربه وانصرف إلى بيته، وجعل لا يمر على شجرة ولا صخرة إلا سلمت عليه، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتك الذى كنت أحدثك أنى رأيته فى المنام، فإنه جبريل استعلن لى، أرسله إلىَّ ربى، وأخبرها بالوحى. فقالت : أبشر، فواللَّه لا يفعل اللَّه بك إلا خيرًا، فاقبل الذى جاءك من اللَّه فإنه حق، ثم انطلقت إلى عداس غلام عتبة بن ربيعة، وكان نصرانيًا من أهل نينوى فقالت : أذكرك اللَّه إلا ما أخبرتنى، هل عندك علم من جبريل؟ فقال عداس : قدوس قدوس. قالت : أخبرنى بعلمك فيه. قال : فإنه أمين اللَّه بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى، وعيسى- عليهما السلام- فرجعت من عنده إلى ورقة. فذكر الحديث.

وقد رواه ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة بن الزبير بنحو منه، وزاد : ففتح جبريل عينًا من ماء فتوضأ، ومحمد ﷺ ينظر إليه، فوضَّأ وجهه ويديه إلى المرفقين، ومسح رأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم نضح فرجه، وسجد سجدتين مواجه البيت، ففعل النبى ﷺ كما رأى جبريل يفعل.

●من معجزاته الأول ●

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد اللَّه بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، عن بعض أهل العلم، أن رسول اللَّه ﷺ حين أراد اللَّه كرامته وابتدأه بالنبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، وكان يخرج إلى حراء في كل عام شهرًا من السنة ينسك فيه.

وقال سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أبعث**». أخرجه مسلم(٩٥).

وقال الوليد بن أبي ثور وغيره، عن إسماعيل السدي، عن عباد بن عبد اللَّه، عن علي -رضي اللَّه عنه- قال: كنت مع رسول اللَّه ﷺ بمكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول اللَّه. أخرجه الترمذي(٩٦)، وقال: غريب.

وقال يوسف بن يعقوب القاضي: حدثنا أبو الربيع، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو خارج من مكة، قد خضبه أهل مكة بالدماء، قال: ما لك؟ قال: خضبني هؤلاء بالدماء وفعلوا وفعلوا، قال: تريد أن أريك آية؟ قال: نعم. قال: ادع تلك الشجرة. فدعاها رسول اللَّه ﷺ، فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه، قال: مرها فلترجع إلى مكانها. قال: ارجعي إلى مكانك فرجعت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**حسبي**». هذا حديث صحيح(٩٧).

وقال ابن إسحاق: حدثني وهب بن كيسان، قال: سمعت عبد اللَّه بن الزبير يقول لعبيد ابن عمير بن قتادة الليثي: حَدِّثنا يا عبيد اللَّه عن كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول اللَّه ﷺ من

---

(٩٥) حسن: تقدمَّ تخريجنا له قريبا برقم تعليق (٩٢).

(٩٦) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٦٢٦) حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن السُّدِّي، عن عباد بن أبي يزيد، عن علي بن أبي طالب، به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

قلت: يشير الترمذي إلى ضعف الحديث بقوله «حديث غريب» وهذا مشهور في اصطلاحه يعرفه الأصاغر بَلْه الأكابر من طلاب علم الحديث، وفي الإسناد علتان: -

الأولى: الوليد بن عبد الله بن أبي ثور الهمداني الكوفي، ضعيف. والعلة الثانية: عباد بن أبي يزيد، أو ابن يزيد الكوفي، مجهول. أمَّا السُّدِّي، فهو إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي صدوق يهم.

(٩٧) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٨).

النبوة حين جاءه جبريل . فقال عبيد بن عمير : كان رسول اللَّه ﷺ يجاور فى حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تتحنث به قريش فى الجاهلية . والتحنث التبرر .

قال ابن إسحاق : فكان يجاور ذلك فى كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ، كان أول ما يبدأ به الكعبة ، فيطوف ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد اللَّه كرامته ، وذلك الشهر رمضان ، خرج ﷺ إلى حراء ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه اللَّه فيها برسالته ، جاءه جبريل بأمر اللَّه تعالى . قال رسول اللَّه ﷺ : **«جاءنى وأنا نائم بنمطٍ من ديباج فيه كتاب ، فقال اقرأ . قلت : ما أقرأ؟ قال : فَغَتَّنى**(٩٨) **به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : وما أقرأ؟ فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : وما أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ، فقال :** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله : ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق : ١ - ٥]، **فقرأتها ثم انتهى عنى ، وهببت من نومى ، فكأنما كتبت فى قلبى كتاباً»** . فى هذا المكان زيادة، زادها يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق، وهى : ولم يكن فى خلق اللَّه أحد أبغض إلىّ من شاعر أو مجنون فكنت لا أطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد ، يعنى نفسه ، لشاعر أو مجنون ، ثم قلت : لا تحدث عنى قريش بهذا أبدا ، لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأ طرحن نفسى فلأستريحن ، فخرجت حتى إذا كنت فى وسط من الجبل ، سمعت صوتًا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول اللَّه وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء ، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء ، فقال : يا محمد أنت رسول اللَّه وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه ، فما أتقدم ولا أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفًا حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها ، وأنا واقف فى مكانى ذلك . ثم انصرف عنى ، فانصرفت إلى أهلى ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها فقالت : يا أبا القاسم أين كنت؟ فواللَّه لقد بعثتُ رسلى فى طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا . ثم حدثتها بالذى رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، فأخبرته بما رأى وسمع ، فقال ورقة : قدوس ، والذى نفسى بيده لئن كنت

(٩٨) الغَتُّ والغَطُّ سواء، كأنه أراد عصرنى عصراً شديداً حتى وجدتُ منه المشقة كما يجد من يُغْمسُ فى الماء قهراً .

صدقت يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول اللّه ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى جواره طاف الكعبة، فلقيه ورقة وهو يطوف فقال: أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال: والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتُكَذَّبَنَّه ولتؤذُنَّه ولتخرجُنَّه ولتقاتُلنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصُرَنَّ اللّه نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخه.

وقال موسى بن عقبة فى «مغازيه»: كان ﷺ فيما بلغنا أول ما رأى أن اللّه أراه رؤيا فى المنام، فشق ذلك عليه، فذكرها لخديجة، فعصمها اللّه وشرح صدرها بالتصديق، فقالت: أبشر. ثم أخبرها أنه رأى بطنه شق ثم طُهِّر وغُسِّل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا واللّه خير فأبشر. ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة، فأجلسه فى مجلس كريم معجب كان النبى ﷺ يقول: أجلسنى على بساط كهيئة الدُّرْنوك(٩٩) فيه الياقوت واللؤلؤ، فبشره برسالة اللّه- عز وجل- حتى اطمأن.

الذى فيها من شق بطنه يحتمل أن يكون أخبرها بما تم له فى صغره ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى، ثم شق مرة ثالثة حين عرج به إلى السماء.

وقال ابن بكير عن ابن إسحاق، فأنشد ورقة:

إن يَكُ حقًا يا خديجة فاعلمى ... حديثك إيّانا فأحمد مُرسَلُ
وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحىٌ يَشرح الصَّدرَ مُنزَلُ
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به العانى الغوىُّ المُظَلَّلُ
فسبحان من تهوى الرِيَاحُ بأمره ... ومَنْ هو فى الأيام ما شاء يَفعَلُ
ومَن عرشهُ فوق السَّماوات كلها ... وأقضاؤه فى خلقه لا تُبدَّلُ

وقال ابن إسحاق: حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم أن خديجة قالت لرسول اللّه ﷺ: أى ابن عم، إن استطعت أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك. قال: «**نعم**». قال: فلما جاءه قال: «**يا خديجة هذا جبريل**». قالت: ابن عم قم فاجلس على فخذى اليسرى، فقام فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد على فخذى اليمنى. فتحول فقعد على فخذها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فاجلس فى

(٩٩) الدُّرْنوك: سِترٌ له خَمْلٌ، وجمعه دَرَانك.

حجرى. ففعل، قالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسرت فألقت خمارها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: اثبت وأبشر فواللّه إنه لملك وما هذا بشيطان. قال: وحدثتُ عبد اللّه ابن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث هذا الحديث. عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول اللّه ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل، فقالت: إن هذا لملك وما هو بشيطان.

وقال أبو صالح: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرنى محمد بن عباد بن جعفر المخزومى أنه سمع بعض علمائهم يقول: كان أول ما أنزل اللّه على نبيه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١-٥]، فقالوا: هذا صدرها الذى أنزل على رسول اللّه ﷺ يوم حراء، ثم أنزل آخرها بعد بما شاء اللّه.

وقال ابن إسحاق: ابتدئ رسول اللّه ﷺ بالتنزيل فى رمضان، قال اللّه تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝﴾ [القدر: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

قال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، قال: همز جبريل بعقبه فى ناحية الوادى، فانفجرت عين، فتوضأ جبريل ومحمد- عليهما السلام- ثم صلى ركعتين ورجع، قد أقر اللّه عينه، وطابت نفسه، فأخذ بيد خديجة، حتى أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم صلى ركعتين هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرًا، ثم إن عليًا جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال على: ما هذا يا محمد. فقال: دين اصطفاه اللّه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى اللّه وحده وكفر باللات والعزى. فقال على: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم. فلست بقاض أمرًا حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول اللّه ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن عليه أمره، فقال له: يا على. إن لم تسلم فاكتم، فمكث على تلك الليلة ثم أوقع اللّه فى قلبه الإسلام، فأصبح فجاء إلى رسول اللّه ﷺ، وبقى يأتيه على خوف من أبى طالب. وكتم إسلامه.

وأسلم زيد بن حارثة، فمكثا قريبًا من شهر، يختلف علىٌّ إلى رسول اللّه ﷺ، وكان مما أنعم اللّه على علىّ أنه كان فى حجر رسول اللّه ﷺ قبل الإسلام.

وقال سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق: حدثنى عبد اللّه بن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: أصابت قريشًا أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال النبى ﷺ للعباس عمه- وكان موسرًا- إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى،

فانطلق لنخفف عنه من عياله، فأخذ النبى ﷺ عليًا، فضمه إليه، فلم يزل مع رسول اللَّه ﷺ حتى بعثه اللَّه نبيًا فاتبعه على وآمن به.

وقال الدراوردى، عن عمر بن عبد اللَّه، **عن محمد بن كعب القرظى**، قال: إن أول من أسلم خديجة، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلى، وإن أبا بكر أول من أظهر الإسلام، وإن عليًا كان يكتم الإسلام فرقًا من أبيه، حتى لقيه أبوه فقال: أسلمت؟ قال: نعم، قال: وازر ابن عمك وانصره. وقال: أسلم علىٌّ قبل أبى بكر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه ابن الحصين التميمى أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ وترددٌ ونظرٌ، إلا أبا بكر، ماعتم منه حين ذكرته وما تردد فيه**».

وقال إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن أبى ميسرة أن النبى ﷺ كان إذا برز، سمع من يناديه، يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا، فأسر ذلك إلى أبى بكر، وكان نديمًا له فى الجاهلية.

* *

• إسلام السَّابقين الأوَّلينَ •

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ومعه على فيصليان فإذا أمسيا رجعا ، ثم إن أبا طالب عبر عليهما وهما يصليان ، فقال للنبى ﷺ : يا ابن أخى ما هذا؟ قال : أى عم هذا دين اللَّه ودين ملائكته ورسله ودين إبراهيم ، بعثنى اللَّه به رسولاً إلى العباد وأنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابنى وأعاننى . فقال أبو طالب : أى ابن أخى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى ، ولكن واللَّه لا يُخْلَص إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ ، ولم يكلم عليًا بشىء يكره ، فزعموا أنه قال : أما إنه لم يَدْعُكَ إلا إلى خير فاتبعه . ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول اللَّه ﷺ ، فكان أول ذَكَرٍ أسلم ، وصلى بعد على ، رضى اللَّه عنهما .

وكان حكيم بن حزام قدم من الشام برقيق ، فدخلت عليه خديجة بنت خويلد فقال : اختارى أى هؤلاء الغَلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيدًا ، فأخذته ، فرآه النبى ﷺ فاستوهبه ، فوهبته له ، فأعتقه وتبناه قبل الوحى ، ثم قدم أبوه حارثة لموجدته عليه وجزعه فقال النبى ﷺ : «**إن شئت فأقم عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك**» ، قال : بل أقيم عندك ، وكان يدعى زيد بن محمد ، فلما نزلت ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ** ﴾ [الأحزاب : ٥] ، قال : أنا زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه محببًا سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وكان تاجرًا ذا خلق ومعروف ، فجعل لما أسلم يدعو إلى اللَّه وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ، ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه : عثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد اللَّه ، وسعد بن أبى وقاص ، فجاء بهم إلى رسول اللَّه ﷺ حين أسلموا وصلوا ، فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق بالإسلام وصلوا وصدقوا .

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد اللَّه بن الجراح الفهرى ، وأبو سلمة عبد اللَّه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللَّه المخزومى ، والأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد اللَّه المخزومى ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وأخواه قدامة وعبد اللَّه ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف المُطَّلبى ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وخباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وعُمير بن أبى وقاص أخو سعد ، وعبد اللَّه بن مسعود ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامرى ، وأخوه حاطب ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى ، وامرأته أسماء وخنيس بن حذافة السهمى ، وعامر

ابن ربيعة حليف آل الخطاب، وعبد اللَّه وأبو أحمد ابنا جحش بن رئاب الأسدى، وجعفر بن أبى طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث الجمحى، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه خطاب، وامرأته فُكَيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث أخوهما، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف العدوى الزهرى، وامرأته رملة بنت أبى عوف، والنحَّام وهو نعيم بن عبد اللَّه بن أسد العدوى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمَيْةَ، وامرأته أمينة بنت خلف، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة مهشم ابن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد اللَّه حليف بنى عدى، وخالد، وعامر، وعاقل، وإياس بنو البُكَير حلفاء بنى عدى، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم، وصُهَيب بن سنان النمرى حليف بنى تميم.

وقال محمد بن عمر الواقدى: حدثنى الضحاك بن عثمان، عن مَخْرَمة بن سليمان الوالبى، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال طلحة بن عبيد اللَّه: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب فى صومعته يقول: سلوا أهل الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد اللَّه بن عبد المطلب، هذا شهره الذى يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع فى قلبى، فأسرعت إلى مكة، فقلت: هل من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد اللَّه الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبى قحافة، فدخلت عليه فقلت: اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق فاتبعه. فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج به حتى دخلا على رسول اللَّه ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول اللَّه ﷺ بذلك، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما فى حبل واحد، ولم تمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يدعى «أسد قريش»، فلذلك سُمِّى أبو بكر وطلحة: القرينين.

وقال إسماعيل بن مجالد، عن بيان بن بشر، عن وبرة، عن هَمَّام، قال: سمعت عمار ابن ياسر يقول: رأيت رسول اللَّه ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر. أخرجه البخارى(١٠٠).

قلت: ولم يذكر عليًا لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين.

وقال العباس بن سالم، ويحيى بن أبى كثير، عن أبى أمامة، عن عمرو بن عبسة، قال:

---

(١٠٠) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٦٠) حدثنا أحمد بن أبى الطيب، حدثنا إسماعيل بن مُجالد، به.

أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو بمكة مستخفيًا، فقلت: ما أنت؟ قال: «**نبى**». قلت: وما النبى؟ قال: «**رسول اللَّه**». قلت: اللَّه أرسلك؟ قال: «**نعم**». قلت: بم أرسلك؟ قال: «**بأن يعبد اللَّه وتكسر الأوثان وتوصل الأرحام**». قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك؟ قال: «**حر وعبد**»، يعنى أبا بكر وبلال، فكان عمرو يقول: لقد رأيتنى وأنا رابع أو رُبع، فأسلمت وقلت: أتبعك يا رسول اللَّه، قال: «**لا، ولكن إلحق بقومك، فإذا أخبرت بأنى قد خرجت فاتبعنى**». أخرجه مسلم(١٠١).

وقال هاشم بن هاشم، عن ابن المسيب، أنه سمع سعد بن أبى وقاص يقول: لقد مكثت سبعة أيام، وإنى لثلث الإسلام. أخرجه البخارى(١٠٢).

وقال زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللَّه، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: النبى ﷺ وأبو بكر، وعمَّار وأمه، وصُهَيب، وبلال، والمقداد. تفرد به يحيى بن أبى بكير.

وقال إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس، عن سعيد بن زيد، قال: واللَّه لقد رأيتنى وإن عمر لموثقى وأخته على الإسلام، قبل أن يسلم عمر، ولو أن أحَدًا ارفضَّ للذى صنعتم بعثمان لكان. أخرجه البخارى(١٠٣).

وقال الطيالسى فى «مسنده»: حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللَّه ابن مسعود، قال: كنت يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبى معيط بمكة فأتى علىَّ رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، وقد فرا من المشركين، فقالا: يا غلام هل عندك لبنٌ تسقينا؟ قلت: إنى مؤتمن ولست بساقيكما. فقالا: هل عندك من جَذَعة لم ينز عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر، وأخذ النبى ﷺ الضرع فدعا، فحفل الضَّرْعُ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة، فحلب فيها، ثم شربا وسقيانى، ثم قال للضرع: «**اقلص**»، فقلص فلما كان بعد، أتيت رسول اللَّه ﷺ فقلت: علمنى من هذا القول الطيب، يعنى القرآن فقال: إنك غلام مُعَلَّم، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد(١٠٤).

---

(١٠١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٣٢)، والنسائى (١/ ٢٨٣- ٢٨٤)، وابن ماجه (١٣٦٤).

(١٠٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٧٢٧) حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبى زائدة، حدثنا هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، به.

(١٠٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٦٢) وتمامه: «... ولو أن أحدًا ارفضَّ للذى صنعتم بعثمان لكان محقوقًا أن يرفَضَّ». وقوله: ارفَضَّ: أى زال من مكانه.

(١٠٤) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩ و٤٦٢)، والطبرانى فى «الكبير» (٨٤٥٦) وعاصم هو ابن النجود، صدوق، حسن الحديث.

فصل: في دعوة النبي ﷺ عشيرته إلى الله وما لقي من قومه

وقال جرير، عن عبد الملك بن عُمَير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعا النبي ﷺ قريشًا، فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النا، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من اللَّه شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلُّها ببلالها**». أخرجه مسلم(١٠٥) عن قُتَيبة وزُهَير، عن جرير، واتفقا عليه من حديث الزهري، عن ابن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة.

وقال سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن قَبيصة بن المُخَارق، وزهير بن عمرو، قالا: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء: ٢١٤]، انطلق رسول اللَّه ﷺ إلى رَضمَة من جبل، فعلاها ثم نادى: يا بني عبد مناف، إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشي أن يسبقوه فهتف: يا صباحاه(١٠٦). أخرجه مسلم.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني من سمع عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل، واستكتمني اسمه، عن ابن عباس، عن علي، قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال رسول اللَّه ﷺ: عرفت أني إن بادأت قومي رأيت منهم ما أكره، فَصَمَتُّ عليها، فجاءني جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك. قال عليٌّ: فدعاني فقال: يا عليُّ إن اللَّه قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فَصَمَتُّ، ثم جاءني جبريل فقال: إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي رجل شاة على صاع من طعام وأعد لنا عُسَّ لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب». ففعلت، فاجتمعوا له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب، فقدَّمتُ إليهم تلك الجفنة فأخذ رسول اللَّه ﷺ منها حُذْية، فشقها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها وقال: كلوا باسم اللَّه. فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، واللَّه إن كان الرجل منهم يأكل

---

(١٠٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤).

(١٠٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٧).

مثلها، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**اسقهم يا على**». فجئت بذلك القعب، فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا، وايم اللَّه إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد النبى ﷺ أن يتكلم بدره أبو لهب فقال: لَهَدَّما سحركم صاحبكم. فتفرقوا ولم يكلمهم، فقال لى النبى ﷺ من الغد: «**عُدْ لنا يا على بمثل ما صنعت بالأمس**». ففعلت وجمعتهم، فصنع رسول اللَّه ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا، وشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا، فقال النبى ﷺ: «**يا بنى عبد المطلب إنى واللَّه ما أعلم شابًا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة**».

قال أحمد بن عبد الجبار العُطَاردى: بلغنى أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبى مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد اللَّه بن الحارث.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: فكان بين ما أخفى النبىُّ ﷺ أمره إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين.

وقال الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين خرج رسول اللَّه ﷺ حتى صعد الصفا فهتف؛ يا صباحاه. قالوا: مَنْ هذا الذى يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرايتُكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا جمعتنا. ثم قام، فنزلت «تبت يدا أبى لهب وقد تب» كذا قرأ الأعمش. متفق عليه(١٠٧) إلا «وقد تب» فعند بعض أصحاب الأعمش، وهى فى صحيح مسلم.

وقال ابن عُيَينة: حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تَدْرس، عن أسماء بنت أبى بكر، قالت: لما نزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾ المسد: ١]، أقبلت العوراء أمُّ جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفى يدها فهر وهى تقول:

مُذَمَّمًا أبينا ودينه قلينا

وأمره عصينا

والنبى ﷺ فى المسجد، فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه قد أقبلت وأخاف أن تراك. قال:

---

(١٠٧) صحيح: أخرجه البخارى (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨) (٣٥٥).

إنها لن ترانى، وقرأ قرآنًا فاعتصم به وقرأ: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا** ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥]، فوقفت على أبى بكر، ولم تر النبى ﷺ فقالت: إنى أخبرت أن صاحبك هجانى، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهى تقول قد علمت قريش أنى ابنة سيدها.

روى نحوه على بن مُسْهِر، عن سعيد بن كثير، عن أبيه، عن أسماء.

وقال أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**انظروا قريشًا كيف يصرف اللَّهُ عنى شتمَهم ولعنَهم، يشتمون مذمَّمًا ويلعنون مذمَّمًا، وأنا محمد**». أخرجه البخارى(١٠٨).

وقال ابن إسحاق: وفشا الإسلام بمكة ثم أمر اللَّه رسوله فقال: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر]، وقال: ﴿ **وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ** ﴿٨٩﴾ ﴾ [الحجر]، قال: وكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر بشعب، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم وقاتلوهم، فضرب سعد رجلاً بن المشركين بلحى بعير فشجه، فكان أول دم فى الإسلام، فلما بادئ رسول اللَّه ﷺ قومه وصدع بالإسلام، لم يبعد منه ولم يردوا عليه- فيما بلغنى- حتى عاب آلهتهم، فأعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته، فحدب عليه عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، فلما رأت قريش أن محمدًا ﷺ لا يُعتبهم من شىء أنكروه عليه، ورأوا أن عمه يمنعه مشوا إلى أبى طالب فكلموه، وقالوا: إما أن تكفه عن آلهتنا وعن الكلام فى ديننا، وإما أن تُخْلى بيننا وبينه. فقال لهم قولاً رفيقًا، وردهم ردًا جميلاً، فانصرفوا. ثم بعد ذلك تباعد الرَجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول اللَّه ﷺ، وحض بعضهم بعضًا عليه، ومشوا إلى أبى طالب مرة أخرى، فقالوا: إن لك نسبًا وشرفًا فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا واللَّه ما نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفسًا أن يسلم رسول اللَّه ﷺ لهم ولا أن يخذله.

وقال يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى بن عبيد اللَّه، عن موسى بن طلحة قال: أخبرنى عقيل بن أبى طالب، قال: جاءت قريش إلى أبى طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا

(١٠٨) صحيح: أخرجه البخارى (٣٥٣٣).

قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنا، فقال: يا عقيل انطلق فائتني بمحمد. فانطلقت إليه فاستخرجته من حفش أو كبس - يقول: بيت صغير -، فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم. فحلّق رسول اللَّه ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «**أترون هذه الشمس**»؟ قالوا: نعم، قال: «**فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة**». فقال أبو طالب: واللَّه ما كذبنا ابن أخي قطُّ فارجعوا. رواه البخاري في «التاريخ» عن أبي كريب، عن يونس(أ).

وقال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة أن قريشًا حين قالت لأبي طالب ما قالوا، بعث إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوا إليَّ فقالوا: كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول اللَّه ﷺ أنه قد بدا لعمه بَدَاء وأنه خاذله ومُسلمه، فقال: «**يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللَّه أو أهلك فيه ما تركته**». ثم استعبر رسول اللَّه ﷺ ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل إليه فقال: اذهب فقل ما أحببت فواللَّه لا أسلمك أبدًا(ب).

قال ابن إسحاق فيما رواه عنه يونس: ثم قال أبو طالب في ذلك شعرًا.

واللَّه لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوَسَّد في التُّراب دَفينا
فامض لأمرك ما عليكَ غَضَاضَةٌ ... أبشر وقَرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتَني وزعمت أنك ناصحي ... فلقد صدقت، وكنت قدمًا أمينا
وعرضت دينًا قد عرفتُ بأنه ... من خير أديان البَرِيَّة دينا
لولا الملامةُ أو حَذَارِي سُبَّةً ... لَوَجَدتَني سَمحًا بذاك مُبينا

وقال الحارث بن عُبيد: حدثنا الجريري، عن عبد اللَّه بن شقيق، عن عائشة، قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يُحْرَس حتى نزلت ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج رأسه من القُبة فقال لهم: «**أيها الناس انصرفوا فقد عصمني اللَّه**».

وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن المنكدر، عن ربيعة بن عباد الدؤلي، قال:

(أ) حسن: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ٥١)، وابن عساكر (١١/ ٣٦٣/ ١) و(١٩/ ٤٤/ ٢٠١) من طريق يونس بن بكير، به.

(ب) ضعيف: أخرجه ابن إسحاق - كما في سيرة هشام (١/ ١٨٦) ط. دار الحديث - وإسناده ضعيف لإعضاله، يعقوب بن عتبة من ثقات إتباع التابعين، مات سنة (١٢٨ هـ).

رأيتُ النبيَّ ﷺ بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم إلى اللَّه، ووراءه رجل أحول تقدَّ وجنتاه، وهو يقول: لا يَغُرَّنَّكم عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: أبو لهب.

وقال عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، عن ربيعة بن عباد من بنى الدِّيل، وكان جاهليًا فأسلم، أنه رأى النبى ﷺ بذى المجاز(١٠٩)، وهو يمشى بين ظهرانى الناس يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا، قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**»(١١٠) ووراءه أبو لهب. فذكر الحديث. قال ربيعة: وأنا يومئذ أزفر القِربةَ لأهلى.

وقال شعبة، عن الأشعث بن سُلَيم، عن رجل من كنانة، قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ بسوق ذى المجاز، وهو يقول: «**قولوا لا إله إلا اللَّه تفلحوا**». وإذا خلفه رجل يَسفى عليه التراب، فإذا هو أبو جهل ويقول: لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. إسناده قوى.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: حدثنى نُعَيم بن أبى هند، عن أبى حازم، عن أبى هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفِّرَنَّ وجهه. فأتى رسول اللَّه ﷺ وهو يصلى ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**». أخرجه مسلم(١١١).

وقال عكرمة، عن ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه. فبلغ النبى ﷺ فقال: «**لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا**». أخرجه البخارى(١١٢).

وقال محمد بن إسحاق: ثم إن قريشًا أتوا أبا طالب فقالوا: يا أبا طالب هذا عمارة بن

---

(١٠٩) ذو المَجاز: موضع سوق لمكَّة فى الجاهلية بعرفة على فرسخ منها، كانت تقام إذا أهلَّ هلال ذى الحجة وتستمر إلى يوم التروية، وهو الثامن من ذى الحجة كما فى «معجم البلدان» (٥/ ٥٥).

(١١٠) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢). فيه عبد الرحمن بن أبى الزناد، عبد الله بن ذكوان، صدوق كما قال الحافظ فى «التقريب»، وبقية رجاله ثقات.

(١١١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(١١٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٩٥٨) حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجزرى، عن عكرمة، به.

الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك نقتله، فإنما رجل كرجل. فقال: بئس واللّه ما تسوموننى، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه! هذا واللّه ما لا يكون أبدًا. فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: واللّه يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وشهدوا على التخلُّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا. فقال: واللّه ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ، فاصنع ما بدا لك. فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، فقال أبو طالب:

ألا قل لعَمــــرو والوليد ومُطعم ... ألا ليت حظّى من حياطتكم بكُرُ(١١٣)
من الخُور حَبحَاب(١١٤) كثير رُغَاؤه ... يرَشُّ على الســاقين من بَوله قَـطرُ
أرى أخَــــوَينا مـــن أبينا وأمنا ... إذا سُــئلا قالا إلى غـــيرنا الأمرُ
أخُصُّ خصوصًا عبدَ شمسٍ ونوفَلاً ... هـــما نَبَــذَانا مثلما يُنبَــذُ الجَــمرُ

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثنى شيخ من أهل مصر، منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قصة طويلة جرت بين المشركين وبين النبى ﷺ، فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإنى أعاهد اللّه لأجلسن له غدا بحجر، فإذا سجد فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا وجلس، وأتى النبى ﷺ فقام يصلى بين الركنين الأسود واليمانى، وكان يصلى إلى الشام، وجلست قريش فى أنديتها ينظرون، فلما سجد رسول اللّه ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع مرعوبًا منتقعًا لونه، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف به من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل، واللّه ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته(١١٥) ولا أنيابه لفحل قط، فهم أن يأكلنى.

---

(١١٣) البكر: الفتىُّ من الناس. والبكرة بمنزلة الفتاة، والقلوصُ بمنزلة الجارية.

(١١٤) الحَبْحاب: الصغير الجسم، المتداخل العظام.

(١١٥) القَصَرَة: بالتحريك: أصل العنق. قال اللحيانى: إنَّما يُقال لأصل العنق قَصَرة إذا غَلُظَت، والجمع قَصَرٌ.

قال ابن إسحاق: فَذُكِرَ لي أن رسول اللَّه ﷺ قال: ذاك جبريل - عليه السلام - لو دنا مني لأخذه.

وقال المحاربي وغيره، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أنهك عن أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بهذا أحدٌ أكثر ناديا مني. فانتهره النبي ﷺ، فقال جبريل: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]، واللَّه لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب.

وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، قال: أخبرنا محمد بن علي الصنعاني بمكة، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأن رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لمَ؟ قال: ليعطوك فإنك أتيت محمدًا لتعرّض لما قبَلَه. قال: قد علمت أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لها، أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فواللَّه ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن، واللَّه ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، وواللَّه إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثر، يأثُرُه عن غيره، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) ﴾ [المدثر: ١١]، يعني الآيات. هكذا رواه الحاكم موصولاً. ورواه معمر، عن عباد بن منصور، عن عكرمة مرسلاً. ورواه مختصرًا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة مرسلاً.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا. قالوا: فقل وأقم لنا رأيًا. قال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. قالوا: نقول كاهن. فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن وسحره. فقالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون، وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قال: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا

عقده. فقالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: واللَّه إن لقوله حلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لَجَنىّ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرِفَ أنه باطل، وإن أقرب القول أن نقول ساحر يفرق بينَ المرء وبين ابنه وبين المرء وبين أخيه وبين عشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه. فأنزل فى الوليد: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⦗١١⦘﴾ إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ⦗٢٦⦘﴾ [المدثر: ١١- ٢٦]، وأنزل اللَّه فى الذين كانوا معه: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ⦗٩١⦘﴾ [الحجر: ٩١]، أى: أصنافًا، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ⦗٩٢⦘﴾ [الحجر: ٩٢].

وقال ابن بكير، عن ابن إسحاق، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قام النضر بن الحارث بن كَلَدَة العبدرى، فقال: يا معشر قريش، إنه واللَّه لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم ساحر، لا واللَّه ما هو بساحر، ولا بكاهن، ولا بشاعر، قد رأينا هؤلاء وسمعنا كلامهم، فانظروا فى شأنكم. وكان النضر من شياطين قريش، ممن يؤذى رسول اللَّه ﷺ وينصب له العداوة.

وقال محمد بن فُضَيل: حدثنا الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبد اللَّه، قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالسحر والكهانة والشعر، فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره. فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحرة والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علمًا، وما يخفى علىَّ إن كان كذلك. فأتاه، فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبد اللَّه؟ فلم يجبه، قال: فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا، فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا، فكنت رأسنا ما بقيتَ، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى به أنت وعقبك من بعدك، ورسول اللَّه ﷺ ساكت، فلما فرغ قال رسول اللَّه ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ⦗١⦘ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ⦗٢⦘﴾ [فصلت: ٢]، فقرأ حتى بلغ ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ⦗١٣⦘﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش واللَّه ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد، وأعجبه طعامه، وماذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبوجهل: واللَّه يا عتبة ما حسبنا إلا أنك صبوت، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك ما يغنيك

عن طعام محمد. فغضب وأقسم باللَّه لا يكلم محمداً أبداً، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته، فقص عليهم القصة، فأجابني بشيء واللَّه ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة، قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)﴾ [فصلت: ١ - ٣]، حتى بلغ ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب. رواه يحيى بن معين عنه.

وقال داود بن عمرو الضبي: حدثنا المثنى بن زُرْعة، عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لما قرأ النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني فيما بعده، فواللَّه لقد سمعت من هذا الرجل كلامًا ما سمعت أذناي قط كلامًا مثله، وما دريت ما أرد عليه.

ابن إسحاق: حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، لما أسلم حمزة قالوا له: يا أبا الوليد كلم محمداً. فأتاه فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فَرَّقت به بينهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم، فاسمع مني. قال: قل يا أبا الوليد. قال: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفا سودناك وملكناك، وإن كان الذي يأتيك رئيًا طلبنا لك الطب. حتى إذا فرغ قال: فاسمع مني. قال: أفعل. قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ١ - ٣]، ومضى، فأنصت عتبة، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، فلما انتهى رسول اللَّه ﷺ إلى السجدة سجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك. فقام إلى أصحابه، فقال بعضهم: نحلف واللَّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس قالوا: ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً، واللَّه ما سمعت مثله قط، واللَّه ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فواللَّه ليكونن لقوله نبأ، فإن تُصبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكُه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك واللَّه بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني الزهري. قال: حُدِّثْتُ أن أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة يلتمسون يتسمَّعون من رسول اللَّه ﷺ وهو يصلي في جوف بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا، وكلاً لا يعلم بمكان صاحبه، فلما أصبحوا تفرقوا

فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقالوا: لا نعود فلو رآنا بعض السفهاء لوقع فى نفسه شيء، ثم عادوا لمثل ليلتهم، فلما تفرقوا تلاقوا فتلاوموا كذلك، فلما كان فى الليلة الثالثة وأصبحوا جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا، ثم إن الأخنس بن شَرِيق أتى أبا سفيان فى بيته، فقال: أخبرنى عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها. فقال الأخنس: وأنا والذى حلفت به. ثم أتى أبا جهل فقال: ما رأيك؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه. فقام الأخنس عنه.

وقال يونس بن بُكَير، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن المغيرة بن شعبة، قال: إن أول يوم عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنى أمشى أنا وأبو جهل، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال لأبى جهل: يا أبا الحكم هلمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله. فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حقًا ما اتبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل علىَّ فقال: والله إنى لأعلم أن ما يقول حق، ولكنَّ بنى قُصَى قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، فقالوا: ففينا الندوة، قلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبى. والله لا أفعل.

وقال ابن إسحاق: ثم إن قريشًا وثبت كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فمنع الله رسوله ﷺ بعمه أبى طالب، فقام أبو طالب فدعا بنى هاشم وبنى عبد المطلب إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلا ما كان من الخاسر أبى لهب، فجعل أبو طالب يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل محمد ﷺ، وقال فى ذلك أشعارًا، ثم إنه لما خشى دَهماء العرب أن يركبوه مع قومه، لما انتشر ذكره قال قصيدته التى منها:

ولما رأيت القومَ لا وُدَّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ
صبرتُ لهم نفسى بسمراءَ سمحة ... وأبيض عَضْب من تراث المقاوِلَ
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى ... وأمسكت من أثوابه بالوصائلَ
أعوذُ بربِّ الناس من كل طاعنٍ ... علينا بسوء أو مُلحٍّ بباطلِ

وفيها يقول:

كذبتم وبيت اللَّه نُبزَى محمدًا ... ولما نطاعن دونه ونُناضل
ونسلمه حتى نُصرَّعَ حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم نحوكم غير عزل ... ببيض حديث عهدها بالصَّياقل
وأبيضَ يُستَسقَى الغمامُ بوجهه ... ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلاَّك من آل هاشم ... فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد كلفتُ وجدًا بأحمد ... وإخوته دأب المُحبِّ المُواصل
فمن مثلُهُ فى الناس أى مُؤَمَّل ... إذا قاسه الحكامُ عند التفاضل
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائش ... يوالى إلهًا ليس عنه بغافل
فَوَاللَّه لولا أن أجىء بسُبَّة ... تُجَرُّ على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناهُ على كل حالة ... من الدَّهر جدًا غير قَول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنَى بقَول الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ ذو أرومة ... يقصر عنها سَورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذُّرى والكلاكل
جزى اللَّه عنا عبد شمس ونَوفَلاً ... عقوبةَ شَرٍّ عاجلاً غيرَ آجل

فلما انتشر ذكر رسول اللَّه ﷺ بين العرب ذُكرَ بالمدينة، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول اللَّه ﷺ حين ذكر، وقبل أن يذكر، من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من الأحبار، وكانوا حلفاء، يعنى اليهود فى بلادهم. وكان أبو قيس بن الأسلت يحب قريشًا، وكان لهم صهرًا، وعنده أرنب ابنة أسد بن عبد العزى، وكان يقيم بمكة السنين بزوجته، فقال:

أيا راكبًا إما عَرضتَ فَبَلِّغَن ... مغلغلة عنّى لُؤى بنَ غالب
رسول امرىء قد راعَه ذات بينكم ... على النأى محزون بذلك ناصب
أعيذكم باللَّه من شر صُنعكم ... وشَرّ تباغيكم ودس العقارب
متى تبعثوها، تبعثوها ذَميمةً ... هى الغول للأقصين أو للأقارب

أقيموا لنا دينًا حنيفًا، فأنتمُ لنا غاية قد نهتدى بالذوائب
فقوموا، فصلُّوا ربكم، وتمسَّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكُمُ منه بلاءٌ مَصَدَّقٌ غداة أبى يكسومَ هادى الكتائب
فلمّا أتاكم نصرُ ذى العرش ردّهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولُّوا سراعًا هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهله ملجيش غير عصائب

أبو يكسوم: ملك أصحاب الفيل.

وقال ابن إسحاق: فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت أصابت قريش من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وفعل وفعل. فطلع عليهم رسول الله ﷺ، فاستلم الركن وطاف بالبيت، فلما مر غمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك فى وجهه، فلما مر الثانية غمزوه، فلما مر الثالثة غمزوه، فوقف، فقال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح. قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا كأن على رأسه طائرًا واقع، حتى إن أشدهم فيه وطأة ليرفؤه[١١٦] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً. فانصرف ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر، وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينا هم فى ذلك، إذ طلع النبى ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا؟ فيقول: «نعم»، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونهم يبكى ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر:٢٨]، ثم انصرفوا عنه. فحدثنى بعض آل أبى بكر، أن أم كلثوم بنت أبى بكر قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته، وكان كثير الشَّعر.

* *

(١١٦) يرفؤه: أى يُسكِّنه من الرُّعب.

• إسلام أبى ذر، رضى اللّه عنه •

وقال سليمان بن المغيرة: حدثنا حميد بن هلال، عن عبد اللّه بن الصامت قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخى أنيس وأمنا، فانطلقنا حتى نزلنا علىَ خال لنا ذى مال وهيئة فأكرمنا، فَحَسَدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنَيسٌ. فجاء خالنا فنثا(١١٧) علينا ما قيل له. فقلت له: أما ما مضى من معروفك، فقد كَدَّرته ولا جماع لك فيما بعدُ، فقرَّبنا صرمتنا(١١٨) فاحتملنا عليها، وتغطَّى خالُنا ثوبه، فجعل يبكى، فانطلقنا فنزلنا بحضرة مكة، فنافر(١١٩) أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا الكاهن فخير(١٢٠) أنيسًا، فأتانا بصرمتنا ومثلها معها. قال: وقد صليت يا ابن أخى قبل أن ألقى رسول اللّه ﷺ بثلاث سنين، فقلت: لمن؟ قال للّه. قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهنى اللّه أصلى عشاء، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاءٌ- يعنى الثوب- حتى تعلونى الشمس. فقال أنيس: إن لى حاجة بمكة فاكفنى حتى أتيكَ. فأتى مكة فراث- أى أبطأ- علىَّ، ثم أتانى فقلت ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً بمكة يزعم أن اللّه أرسله على دينك. قلت: ما يقول الناس؟ قال: يقولون: إنه شاعر، وساحر، وكاهن، وكان أنيس أحد الشعراء. فقال: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولو وضعت قوله على أقوال الشعراء، فما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر، وواللّه إنه لصادق، وإنهم لكاذبون. قال: قلت له: هل أنت كافينى حتى أنطلق فأنظر؟ قال: نعم، وكن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شَنَفوا له وتجهَّموا. فأتيت مكة، فتضعَّفت رجلاً، فقلت: أين هذا الذى تدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إلى الصابئ. قال: فمال علىَّ أهل الوادى بكل مدرة وعظم، حتى خررت مغشيًا على، فارتفعت حين ارتفعت، كأنى نُصُب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلتُ عنى الدم، فدخلت بين الكعبة وأستارها، ولقد لبثت يا ابن أخى ثلاثين من بين ليلة ويوم، وما لى طعام إلا ماء زمزم، فسمنتُ حتى تكسَّرت عُكَن بطنى(١٢١)، ومـا

---

(١١٧) نثا: أى أشاع وأذاع وأفشى.

(١١٨) صرمتنا: قطعة من الإبل. وتطلق أيضًا على القطعة من الغنم.

(١١٩) نافر: أى فَاخَر. والمنافرة: المُفاخرة والمحاكمة.

(١٢٠) خَيَّر: قال ابن الأثير: فضَّل وغلب.

(١٢١) عُكَن بطنى: الأطواء فى البطن من السِّمَن. وواحدة العُكَن عُكْنَة، وتَعكَّن البطنُ: صار ذا عُكَن.

وجدت على كبدى سخفة جوع[١٢٢]. فبينما أهل مكة، فى قمراء إضحيان، قد ضرب اللَّه على أصمخة أهل مكة فما يطوف بالبيت أحد غير امرأتين، فأتتا علىَّ، وهما تدعوان إسافا ونائلة، فأتتا علىَّ فى طوافهما، فقلتُ: أنكحا أحدَهما الأخرى. قال: فما تناهتا عن قولهما- وفى لفظ: فما ثناهما ذلك عما قالتا- فأتتا علىَّ فقلت: هَنٌ مثل الخشبة، غير أنى لا أكنى. فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان ها هنا أحد من أنفارنا. فاستقبلهما رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، وهما هابطان من الجبل، فقالا لهما: ما لكما؟ قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم. فجاء رسول اللَّه ﷺ وصاحبه، فاستلم الحجر، ثم طافا، فلما قضى صلاته أتيته، فكنت أول من حياه بتحية الإسلام. فقال: «**وعليك ورحمة اللَّه**». ثم قال: «**ممن أنت**»؟ قلت: من غفار، فأهوى بيده فوضعها على جبينه فقلت فى نفسى: كره أنى انتميت إلى غفار، فأهويت لآخذ بيده، فقدعنى صاحبه، وكان أعلم به منى، ثم رفع رأسه، فقال: متى كنت ها هنا؟ قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويومًا. قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم. فقال: إنها مباركة، إنها طعام طُعْم، وشفَاء سقم. فقال أبو بكر: ائذن لى يا رسول اللَّه فى طعامه الليلة. ففعل، فانطلقا، وانطلقتَ معهما، حتى فتح أبو بكر بابًا، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أول طعام أكلته بها. قال: فغبرت ما غبرت ثم أتيت رسول اللَّه ﷺ، فقال: إنى قد وُجِّهت إلى أرض ذات نخل لا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلِّغٌ عنى قومك لعل اللَّه أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟ فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسًا فقال لى: ما صنعت؟ قلت: صنعت أنى أسلمت وصدقت. ثم أتينا أمنا فقالت: ما بى رغبة عن دينكما. فأسلمت، ثم احتملنا حتى أتينا قومنا غفار، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغفارى، وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول اللَّه ﷺ أسلمنا، فقدم المدينة فأسلم بقيتهم. وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول اللَّه إخواننا، نُسْلم على الذى أسلموا عليه، فأسلموا فقال: «**غفارٌ غفرَ اللَّه لها، وأسلم سالمها اللَّه**» أخرجَه مسلم[١٢٣] عن هدبة، عن سليمان.

وفى الصحيحين من حديث مُثَنَّى بن سعيد، عن أبى جمرة الضبعى، أن ابن عباس

---

(١٢٢) سَخْفة جوع: يعنى رقَّته وهُزَاله. والسَّخَف بالفتح: رقة العيش، وبالضَّم: رِقَّةُ العقل، وقيل هى الخفَّة التى تعترى الإنسان إذا جاع من السَّخَف وهى الخفَّة فى العقل وغيره.

(١٢٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٧٣) فى آخر حديث طويل.

حدثهم بإسلام أبى ذر، قال: أرسلت أخى فرجع وقال: رأيت رجلاً يأمر بالخير. فلم يشفنى، فأتيت مكة، فجعلت لا أعرفه، وأشرب من زمزم، فمر بى علىٌّ، فقال: كأنك غريب. قلت: نعم. قال: انطلق إلى المنزل. فانطلقت معه، فلم أسأله، فلما أصبحنا، جئت المسجد، ثم مر بى علىٌّ، فقال: أما آن لك أن تعود؟ قلت: لا. قال: ما أمرك؟ قلت: إن كتمت علىَّ أخبرتك، ثم قلت: بلغنا أنه خرج نبى. قال: قد رشدت فاتبعنى. فأتينا النبى ﷺ فقلت: اعرض علىَّ الإسلام. فعرضه علىَّ، فأسلمت، فقال: اكتم إسلامك وارجع إلى قومك. قلت: واللَّه لأصرخن بها بين أظهرهم، فجاء فى المسجد، فقال: يا معاشر قريش أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا، فضُربُت لأموت، فأدركنى العباس فأكب علىَّ وقال: تقتلون، ويلكم رجلاً من بنى غفار، ومتجركم وممركم على غفار؟! فأطلقوا عنى. ثم فعلت من الغد كذلك، وأدركنى العباس أيضاً(١٢٤).

وقال النضر بن محمد اليمامى: حدثنا عكرمة بن عمار، عن أبى زُمَيل سماك بن الوليد، عن مالك بن مرثد، عن أبيه، عن أبى ذر قال: كنت ربُع الإسلام، أسلم قبلى ثلاثة نفر، أتيت النبى ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول اللَّه، أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار فى وجهه.

* *

(١٢٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٨١)، ومسلم (٢٤٧٤).

• إسلامُ حمزة، رضى اللَّه عنه •

وقال ابن إسحاق: حدثنى رجل من أسلم، كان واعية، أن أبا جهل مر برسول اللَّه ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، فلم يكلمه النبى ﷺ، ومولاةٌ لعبد اللَّه بن جُدْعان، تسمع، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه، راجعًا من قنص له، وكان صاحب قنص، وكان إذا رجع من قنصه بدأ بالطواف بالكعبة، وكان أعز فتى فى قريش، وأشده شكيمة، فلما مر بالمولاة قالت له: يا أبا عُمارة ما لقى ابن أخيك آنفًا من أبى الحكم، وجده ها هنا جالسًا فآذاه وسبه وبلغ منه، ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزةَ الغضبُ، لما أراد اللَّه به من كرامته، فخرج يسعى مُغذًا لأبى جهل، فلما رآه جالسًا فى القوم أقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضَربه بها، فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه! فأنا على دينه أقول ما يقول، فرد على ذلك إن استطعت، فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة فواللَّه لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا. وتم حمزة على إسلامه، فلما أسلم، عرفت قريش أن رسول اللَّه ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة- رضى اللَّه عنه- سيمنعه، فكفوا بعض الشىء.

* *

• إسلامُ عمر ، رضى اللّه عنه •

قال عبدُ بن حُميد وغيره : حدثنا أبو عامر العَقَدى ، قال : حدثنا خارجة بن عبد اللّه بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبى ﷺ قال : اللّهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بعمر بن الخطاب ، أو بأبى جهل بن هشام(١٢٥) . ورُوى نحوه عن عبد اللّه بن دينار ، عن ابن عمر .

وقال مبارك بن فَضالة ، عن عبيد اللّه ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ قال : «**اللّهم أعز الدين بعمر**» .

وقال عبد العزيز الأويسى : حدثنا الماجشون بن أبى سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول اللّه ﷺ قال : «**اللّهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة**» .

قال إسماعيل بن أبى خالد : حدثنا قيس ، قال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . أخرجه البخارى(١٢٦) .

وقال أحمد فى «مسنده» : حدثنا أبو المغيرة ، قال : حدثنا صفوان ، قال : حدثنا شريح بن عبيد ، قال : قال عمر : خرجت أتعرض رسول اللّه ﷺ ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، فقلت : هذا واللّه شاعرًا ، كما قالت قريش ، فقرأ ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ(٤١)** ﴾ الآيات [الحاقة : ٤٠ ، ٤١] ، فوقع فى قلبى الإسلام كل موقع(١٢٧) .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمى ، عن عبد اللّه بن المؤمل ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : كان أول إسلام عمر أن عمر قال : ضرب أختى المخاض ليلاً ،

---

(١٢٥) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٩٥) ، وفى «فضائل الصحابة» (٣١٢) ، وابن سعد (٣/ ٢٦٧) والترمذى (٣٦٨١) ، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٥- ٢١٦) من طريق أبى عامر العقدى ، به .

(١٢٦) صحيح : أخرجه ابن أبى شيبة (١٢/ ٢٢- ٢٣) ، وابن سعد (٣/ ٢٧٠) ، وعبد الله فى زياداته على «فضائل الصحابة» (٣٦٨) و(٣٧٢) ، والبخارى (٣٦٨٤) ، والطبرانى (٨٨٢١) و(٨٨٢٢) ، والحاكم (٣/ ٨٤) ، وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٢١١) ، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٥) من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد ، به .

(١٢٧) ضعيف : أخرجه أحمد (١/ ١٧) ، وهو ضعيف لانقطاعه بين شريح بن عُبيد ، وعمر بن الخطاب ؛ فإنه لم يدركه .

فخرجت من البيت، فدخلت فى أستار الكعبة فى ليلة قَرَّة، فجاء النبى ﷺ فدخل الحجر، وعليه تُبَّان(١٢٨)، فصلى ما شاء اللَّه، ثم انصرف، فسمعت شيئًا لم أسمع مثله، فخرج، فاتبعته فقال: «**من هذا**»؟ قلت: عمر. قال: «**يا عمر ما تدعنى ليلاً ولا نهارًا**»، فخشيت أن يدعو علىَّ فقلت: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه. فقال: «**يا عمر أسره**». قلت: لا والذى بعثك بالحق لأعلننه، كما أعلنت الشرك.

وقال محمد بن عبيد اللَّه ابن المنادى: حدثنا إسحاق الأزرق، قال: حدثنا القاسم بن عثمان البصرى، عن أنس بن مالك، قال: خرج عمر - رضى اللَّه عنه - متقلدًا السيف، فلقيه رجل من بنى زهرة فقال له: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا. قال: فكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة، وقد قتلت محمدًا؟ فقال: ما أراك إلا قد صبوت. قال: أفلا أدلك على العجب، إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك. فمشى عمر فأتاهما، وعندهما خباب، فلما سمع بحس عمر توارى فى البيت، فدخل فقال: ما هذه الهَيْنَمَة؟ وكانوا يقرءون «طه»، قالا: ما عَدَا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما؟ فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق فى غير دينك. فوثب عليه فوطئه وطئًا شديدًا، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمَّى وجهها، فقالت وهى غضبى: وإن كان الحق فى غير دينك إنى أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا عبده ورسوله. فقال عمر: أعطونى الكتاب الذى هو عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: ﴿**طه** ①﴾ حتى انتهى إلى: ﴿**إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى** ⑭﴾ [طه: ١ - ١٤]، فقال عمر: دُلوا على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال: أبشر يا عمر فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول اللَّه ﷺ لك ليلة الخميس: «**اللَّهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**». وكان رسول اللَّه ﷺ فى أصل الدار التى فى أصل الصفا. فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة، وطلحة، وناس، فقال حمزة: هذا عمر، إن يرد اللَّه به خيرًا يسلم وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا. قال: والنبى ﷺ داخل يوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: «**ما أنت منته يا عمر حتى ينزل اللَّه بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة**»؟ فهذا عمر «**اللَّهم أعز الإسلام بعمر**». فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك عبد اللَّه ورسوله.

---

(١٢٨) تُبَّان: سروال صغير يسترُ العورة المُغَلَّظة فقط، ويكثر لُبْسَهُ الملاحون.

وقد رواه يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، وقال فيه: زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو.

وقال ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عمر، قال: إنى لعلى سطح، فرأيت الناس مجتمعين على رجل وهم يقولون: صبأ عمر، صبأ عمر. فجاء العاصب بن وائل عليه قباء ديباج، فقال: إن كان عمر قد صبأ فمه أنا له جار. قال: فتفرق الناس عنه. قال: فعجبت من عزه. أخرجه البخارى(١٢٩) عن ابن المدينى، عنه.

قال البكَّائى، عن ابن إسحاق: حدثنى نافع، عن ابن عمر، قال: لما أسلم عمر، قال أى قريش أثقل للحديث؟ قيل: جميل بن معمر الجُمَحى. فغدا عليه، قال ابن عمر: وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل، حتى جاءه، فقال: أعلمت أنى أسلمت؟ فواللَّه ما راجعه حتى قام يجر رداءه، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى أسلمت. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم، ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح(١٣٠) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف باللَّه أن لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخ عليه حلة حبرة، وقميص مُوشًى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه! رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون! أترون بنى كعب بن عدى يسلمونه! خلُّوا عنه. قال: فواللَّه لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، فقلت لأبى بعد أن هاجر: يا أبة، من الرجل الذى زجر القوم عنك؟ قال: العاص بن وائل.

أخرجه ابن حبان، من حديث جرير بن حازم، عن ابن إسحاق.

وقال إسحاق بن إبراهيم الحُنَينى، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قال: قال لنا عمر: كنت أشد الناس على رسول اللَّه ﷺ، فبينا أنا فى يوم حار بالهاجرة، فى بعض طريق مكة، إذ لقينى رجل فقال: عجبًا لك يا ابن الخطاب، إنك تزعم أنك وأنك، وقد دخل علينا الأمر فى بيتك. قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت. فرجعتُ مغضبًا حتى قرعت الباب، وقد كان رسول اللَّه ﷺ إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شىء له ضمهما إلى من فى

---

(١٢٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٦٥) حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، به.

(١٣٠) طلح: أى أعيا، يُقال طَلَحَ يَطْلَحُ طُلوحًا فهو طليح.

يده سعة فينالان من فضل طعامه، وقد كان ضم إلى زوج أختى رجلين، فلما قرعت الباب قيل: من هذا؟ قلت: عمر. فتبادروا فاختفوا منى، وقد كانوا يقرؤون صحيفة بين أيديهم وتركوها أو نسوها، فقامت أختى تفتح الباب، فقلت: يا عدوة نفسها، أصبوت. وضربتها بشىء فى يدى على رأسها، فسال الدم وبكت، فقالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد صبوتُ. قال: ودخلت حتى جلست على السرير، فنظرت إلى الصحيفة فقلت: ما هذا ناولنيها. قالت: لستَ من أهلها، أنت لا تُطَهِّر من الجنابة، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون. فما زلت بها حتى ناولتنيها، ففتحتها، فإذا فيها ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ فكلما مررت باسم من أسماء اللَّه- عز وجل- ذُعرتُ منه، فألقيت الصحيفة، ثم رجعت إلى نفسى فتناولتها، فإذا فيها ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ فذُعرت، فقرأت إلى ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحديد: ١- ٧]، فقلت: أشهد أن لا إله إلا اله. فخرجوا متبادرين وكبروا، وقالوا: أبشر فإن رسول اللَّه ﷺ دعا يوم الإثنين فقال: «**اللَّهم أعز دينك بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل وإما عمر**»، ودَلُّونى على النبى ﷺ فى بيت بأسفل الصفا، فخرجت حتى قرعت الباب، فقالوا: من؟ قلت: ابن الخطاب، وقد علموا شدتى على رسول اللَّه ﷺ، فما اجترأ أحد يفتح الباب، حتى قال: «**افتحوا له**». ففتحوا لى، فأخذ رجلان بعَضُدى، حتى أتيا بى النبى ﷺ فقال: خلوا عنه، ثم أخذ بمجامع قميصى وجذبنى إليه، ثم قال: «**أسلم يا ابن الخطاب، اللَّهم اهده**». فتشهدت، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة، وكانوا مستخفين، فلم أشأ أن أرى رجلاً يَضْرب ويضرب إلا رأيته، ولا يصيبنى من ذلك شىء، فجئت خالى وكان شريفًا، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب وقد صبوت. قال: لا تفعل. ثم دخل وأجاف الباب دونى. فقلت: ما هذا شىء. فذهبت إلى رجل من عظماء قريش، فناديته، فخرج إلىَّ، فقلت مثل مقالتى لخالى، وقال لى مثل ما قال خالى، فدخل وأجاف الباب دونى فقلت: ما هذا شىء، إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب، فقال لى رجل: أتحب أن يعلم بإسلامك؟ قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس فى الحجر فأت فلانًا- لرجل لم يكن يكتم السر- فقل له فيما بينك وبينه: إنى قد صبوت، فإنه قلما يكتم السر. فجئت، وقد اجتمع الناس فى الحجر، فقلت فيما بينى وبينه: إنى قد صبوت. قال: أوقد فعلت؟ قلت: نعم. فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ، فبادروا إلىَّ، فما زلت أضربهم ويضربونى، واجتمع علىَّ الناس، قال خالى: ما هذه الجماعة؟ قيل: عمر قد صبأ، فقام على الحِجر، فاشار بكمه: ألا إنى قد أجرت ابن أختى،

فتكشفوا عني، فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين يَضْرِب ويُضْرَب إلا رأيته، فقلت: ما هذا شيء حتى يصيبني، فأتيت خالي فقلت: جوارك رد علَيك، فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز اللَّه الإسلام.

ويروى عن ابن عباس بإسناد ضعيف، قال: سألت عمر، لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد، فأسرع أبو جهل إلى النبي ﷺ يسبه، فأخْبر حمزة، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد، إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل، فاتكأ على قَوسه مقابل أبي جهل، فنظر إليه، فعرف أبو جهل الشر في وجهه، فقال: ما لك يا أبا عُمارة؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعيه، فقطعه فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر، قال: ورسول اللَّه ﷺ مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فانطلق حمزة فأسلم. وخرجتُ بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان المخزومي فقلت: أرغبتَ عن دين آبائك واتبعتَ دين محمد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقًا مني، قلت: ومن هو؟ قال: أختك وختنك. فانطلقت فوجدتُ همهمة، فدخلت فقلت: ما هذا؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته، فقامت إليَّ أختي فأخذت برأسه، وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك. فاستحييت حين رأيت الدماء، فجلست وقلت: أروني هذا الكتاب. فقالت: إنه لا يمسه إلا المطهرون. فقمت فاغتسلت، فأخرجوا إليَّ صحيفة فيها ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ قلت: أسماء طيبة طاهرة ﴿ **طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢)** ﴾ إلى قوله: ﴿ **لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨)** ﴾ [طه: ١ - ٨]، فتعظَّمت في صدري، وقلت: منْ هذا فَرَّتْ قريش. فأسلمت، وقلت: أين رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: فإنه في دار الأرقم. فَأتيت فضربت الباب، فاستجمع القومُ، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. قال: وعمر! افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه. فسمع ذلك رسول اللَّه ﷺ، فخرج فتشهَّد عمر، فكبر أهل الدار تكبيرةً سمعها أهل المسجد. قلت: يا رسول اللَّه ألسنا على الحق؟ قال: «**بلى**». قلت: ففيم الاختفاء. فخرجنا صفين أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريشٌ إليَّ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة، فسماني رسول اللَّه ﷺ «الفاروق» يومئذ، وفرق بين الحق والباطل.

وقال الواقدي: حدثنا محمد بن عبد اللَّه، عن الزهري، عن ابن المسيب، قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة، فلما أسلم ظهر الإسلام بمكة.

وقال الواقدى : حدثنا معمر ، عن الزهرى أن عمر أسلم بعد أن دخل النبى ﷺ دار الأرقم ، وبعد أربعين أو نيف وأربعين من رجال ونساء ، فلما أسلم نزل جبريل فقال : يا محمد استبشَرَ أهلُ السماء بإسلام عمر .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من الصحابة إلى الحبشة . فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن عبد العزيز بن عبد اللّه بن عامر ابن ربيعة ، عن أمه ليلى ، قالت : كان عمر من أشد الناس علينا فى إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى الحبشة ، جاءنى عمر ، وأنا على بعير ، نريد أن نتوجه ، فقال : إلى أين يا أم عبد اللّه؟ فقلت : قد آذيتمونا فى ديننا ، فنذهب فى أرض اللّه حيث لا نؤذى فى عبادة اللّه . فقال : صحبكم اللّه ، ثم ذهب ، فجاء زوجى عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر بن الخطاب ، فقال : ترجين أن يسلم؟ قلت : نعم . قال : فواللّه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب . يعنى من شدته على المسلمين .

قال يونس ، عن ابن إسحاق : والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة امرأة .

* *

• الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية •

قال يعقوب الفسوى فى «تاريخه»: حدثنى العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنى بشار ابن موسى الخفاف، قال: حدثنا الحسن بن زياد البرجمى- إمام مسجد محمد بن واسع-، قال: حدثنا قتادة، قال: أول من هاجر إلى اللَّه بأهله عثمان بن عفان. قال: سمعت النضر ابن أنس يقول: سمعت أبا حمزة يعنى أنس بن مالك، يقول: خرج عثمان برقية بنت رسول اللَّه ﷺ إلى الحبشة، فأبطأ خبرهم، فقدمت امرأة من قريش، فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته، فقال: «**على أى حال رأيتهما**»؟ قالت: رأيته حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها، فقال رسول اللَّه ﷺ: صحبهما اللَّه، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط.

ورواه يحيى بن أبى طالب، عن بشار.

عن عبد اللَّه بن إدريس، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثنى الزهرى، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن، وعروة، وعبد اللَّه بن أبى بكر، وصلت الحديث عن أبى بكر، عن أم سلمة، قالت: لما أمرنا بالخروج إلى الحبشة، قال رسول اللَّه ﷺ حين رأى ما يصيبنا من البلاء: «**الحقوا بأرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، فأقيموا ببلاده حتى يجعل اللَّه مخرجًا مما أنتم فيه**». فقدمنا عليه فاطمأننا فى بلاده... الحديث.

قال البغوى فى تاسع «المُخَلِّصيات»: وروى ابن عون، عن عمير ابن إسحاق، عن عمرو ابن العاص بعض هذا الحديث.

وقال البكائى: قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانة من اللَّه، ومن عمه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق، حتى يجعل اللَّه لكم فرجًا مما أنتم فيه**». فخرج عند ذلك المسلمون مخافة الفتنة، وفرارًا بدينهم إلى اللَّه. فخرج عثمان بزوجته، وأبو حذيفة ولد عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بزوجته سهلة بنت سُهَيل بن عمرو فولدت له بالحبشة محمدًا، والزبير ابن العوام، ومصعب بن عمير العبدرى، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى، وزوجته أم سلمة أم المؤمنين، وعثمان بن مظعون الجمحى، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وامرأته ليلى بنت

أبى حشمة العدوية، وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى العامرى، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب الحارثى، فكانوا أول من هاجر إلى الحبشة.

قال: ثم خرج جعفر بن أبى طالب، وتتابع المسلمون إلى الحبشة. ثم سَمَّى ابن إسحاق جماعتهم، وقال: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، أو وُلد بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، فعبدوا اللَّه وحمدوا جوار النجاشى، فقال عبد اللَّه بن الحارث بن قيس السهمى:

يا راكبًا بَلِّغَنْ عنّى مغلغلة ... من كان يرجو بلاغَ اللَّه والدين
كُلَّ امرئ من عباد اللَّه مضطَّهَد ... ببطن مكةَ مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلادَ اللَّه واسعةً ... تُنجى من الذُّل والمخزاة والهُون
فلا تُقيموا على ذُلّ الحياة وخزْ ... ى فى الممات وعَيب غير مأمون
إنا تَبِعنا نبىَّ اللَّه، واطَّرَحُوا ... قولَ النبى وعالوا فى الموازين
فاجْعَلْ عذابكَ فى القوم الذى بَغَوا ... وعائذٌ بك أن يَعْلُوا فَيُطْغُونى

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف ابن عمه، وكان يؤذيه:

أتيمَ بن عوف والذى جاء بغْضَةً ... ومن دونه الشِّرمْانُ والبَرْكُ أكتعُ
أأخرجتنى من بطنِ مكّة أيمنًا ... وأسكَنتنى فى سرح بيضاء نقذعُ
تَريشُ نبالاً لا يواتيك ريشُها ... وتبرى نبالاً ريشها لك أجمعُ
وحاربتَ أقوامًا كرامًا أعزَّةً ... وأهلكت أقوامًا بهم كنت تُفْزَعُ
ستعلمُ إن نابتْك يومًا مُلمَّةٌ ... وأسلَمكَ الأرياشُ ما كنت تصنع

وقال موسى بن عقبة: ثم إن قريشا ائتمروا واشتد مكرهم، وهموا بقتل رسول اللَّه ﷺ أو إخراجه، فعرضوا على قومه أن يعطوهم ديته ويقتلوه، فأبوا حمية. ولما دخل رسول اللَّه ﷺ شعب بنى عبد المطلب، أمر أصحابه بالخروج إلى الحبشة فخرجوا مرتين؛ رجع الذين خرجوا فى المرة الأولى حين أنزلت سورة «النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان محمد يذكر آلهتنا بخير قررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من حالفه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم، والشر. وكان رسول اللَّه ﷺ يتمنى هداهم، فأنزلت: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠)**﴾[النجم: ١٩، ٢٠]، فألقى الشيطان عندها كلمات «وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن ترتجى» فوقعت فى قلب كل مشرك بمكة، وذلت بها

ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى ديننا. فلما بلغ آخر النجم سجد ﷺ وسجد كل من حضر من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان شيخًا كبيرًا رفع ملء كفيه ترابًا فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود، بسجود رسول اللَّـه ﷺ، عجب المسلمون بسجود المشركين معهم، ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، لما ألقى فى أمنية رسول اللَّه ﷺ؛ وحدثهم الشيطان أن رسول اللَّه ﷺ قد قرأها فى السجدة، فسجدوا تعظيمًا لآلهتهم. وفشت تلك الكلمة فى الناس، وأظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين؛ عثمان ابن مظعون وأصحابه، وحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا، وأن المسلمين قد أمنوا بمكة، فأقبلوا سراعًا، وقد نسخ اللَّه ما ألقى الشيطان، وأنزلت ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ** ﴾ الآيات [الحج: ٥٢]، فلما بين اللَّه قضاءه وبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم (١٣١).

وكان عثمان بن مظعون وأصحابه، فيمن رجع، فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة إلا بجوار، فأجار الوليد بن المغيرة عثمان ابن مظعون، فلما رأى عثمان ما يلقى أصحابه من البلاء، وعُذِّب طائفة منهم بالسياط والنار، وعثمان معافى لا يعرض له، استحب البلاء، فقال للوليد: يا عمُّ قد أجرتنى، وأحب أن تخرجنى إلى عشيرتك فتبرأ منى. فقال: يا ابن أخى لعل أحدًا آذاك أو شتمك؟ قال: لا واللَّه ما اعترض لى أحد ولا آذانى. فلما أبى إلا أن يتبرأ منه أخرجه إلى المسجد، وقريش فيه، كأحفل ما كانوا، ولَبيد بن ربيعة الشاعر ينشدهم، فأخذ الوليد بيد عثمان وقال: إن هذا قد حملنى على أن أتبرأ من جواره، وإنى أشهدكم أنى برىء منه، إلا أن يشاء. فقال عثمان: صدق، أنا واللَّه أكرهته على ذلك، وهو منى برىء. ثم جلس مع القوم فنالوا منه.

---

(١٣١) حديث باطل: أرسله الزهرى، قال ابن كثير فى «تفسيره» (٣/ ٢٣٩): قد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنًا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم» ثم قال ابن كثير فى تفسيره (٣/ ٢٤٠) بعد أن ساق مرسل الزهرى: قلت: وقد ذكرها محمد بن إسحاق فى السيرة بنحو من هذا، وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم».

قلت: وهذا مما يؤيد بطلان هذه القصة لانقطاعها مع مخالفة ذلك لعصمة الله تعالى لرسوله ﷺ، ولولا ضيق المقام لأوعبنا طرقها، ولبيَّنَّا وهاء هذه الطرق وبطلانها إذ كيف يقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ.

قال موسى: وخرج جعفر بن أبى طالب وأصحابه فراراً بدينهم إلى الحبشة، فبعثت قريش عمرو بن العاص، وعُمارة بن الوليد ابن المغيرة، وأمروهما أن يسرعا ففعلا، وأهدوا للنجاشي فرسًا وجبة ديباج، وأهدوا لعظماء الحبشة هدايا، فقبل النجاشي هديتهم، وأجلس عَمرًا على سريره، فقال: إن بأرضك رجالاً منا سفهاء ليسوا على دينك ولا ديننا، فادفعهم إلينا. فقال: حتى أكلمهم وأعلم على أى شيء هم. فقال عمرو: هم أصحاب الرجل الذى خرج فينا، وإنهم لا يشهدون أن عيسى ابن اللّه، ولا يسجدون لك إذا دخلوا. فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه، فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه وحيوه بالسلام، فقال عمرو: ألم نخبرك خبر القوم. فقال النجاشي: حدثونى أيها الرهط، ما لكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانى من قومكم، وأخبرونى ما تقولون فى عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد اللّه وحده ولا نشرك به شيئًا. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل منا قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه اللّه كما بعث الرسل إلى من كان قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء والأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا أن نعبد اللّه، فصدقناه، وعرفنا كلام اللّه، فعادنا قومنا وعادوه وكذبوه، وأرادونا على عبادة الأصنام، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. فقال النجاشي: واللّه إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التى خرج منها أمر عيسى. قال: وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، فحييناك بها، وأما عيسى فهو عبد اللّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه وابن العذراء البتول. فخفض النجاشي يده إلى الأرض، وأخذ عودا فقال: واللّه ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: واللّه لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك. فقال: واللّه لا أقول فى عيسى غير هذا أبدًا، وما أطاع اللّه الناس فىَّ حين رد إلى ملكى، فأنا أطيع الناس فى دين اللّه! معاذ اللّه من ذلك. وكان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي صبى، فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابنى، فإذا بلغ فله الملك. فرغب أخوه فى الملك، فباع النجاشي لتاجر، وبادر بإخراجه إلى السفينة، فأخذ اللّه عمه قعصا(١٣٢) فمات، فجاءت الحبشة بالتاج، وأخذوا النجاشي فملكوه، وزعموا أن التاجر قال: ما لى بد من غلامى أو مالى. قال النجاشي: صدق، ادفعوا إليه ماله. قال: فقال النجاشي حين كلمه جعفر: ردوا إلى هذا هديته- يعنى عمرًا- واللّه لو رشونى على هذا دبر

---

(١٣٢) قعصه وأقعصته: إذا قتلته قتلاً سريعًا.

ذهب- والدبر بلغته الجبل- ما قبلته، وقال لجعفر وأصحابه: امكثوا آمنين، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق. وألقى اللَّه العدواة بين عمرو وعمارة بن الوليد فى مسيرهما، فمكر به عمرو وقال: إنك رجل جميل، فاذهب إلى امرأة النجاشى فتحدث عندها إذا خرج زوجها، فإن ذلك عون لنا فى حاجتنا. فراسلها عمارة حتى دخل عليها، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشى، فقال: إن صاحبى هذا صاحب نساء، وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك. فبعث النجاشى، فإذا عمارة عند امرأته، فأمر به فَنُفِخَ فى إحليله شحوة ثم ألقى فى جزيرة من البحر فَجُنَّ، وصار مع الوحش، ورجع عمرو خائب السعى.

وقال البكائى قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن، عن أم سلمة، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا، وعبدنا اللَّه تعالى، لا نُؤذَى، ولا نسمع ما نكره، فلما بلغ ذلك قُرَيشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشى رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشى، فبعثوا بالهدايا مع عبد اللَّه بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص. وذكر القصة بطولها، وستأتى إن شاء اللَّه، رواها جماعة، عن ابن إسحاق.

وذكر الواقدى أن الهجرة الثانية كانت سنة خمسة من المبعث.

وقال حُدَيج بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن عبد اللَّه بن عتبة، عن ابن مسعود، قال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ إلى النجاشى، ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر، وعثمان بن مظعون، وبعثت قريش عمارة، وعمرو بن العاص، وبعثوا معهما بهدية إلى النجاشى، فلما دخلا عليه سجدا له، وبعثا إليه بالهدية، قالا: إن ناسًا من قومنا رغبوا عن ديننا، وقد نزلوا أرضك. فبعث إليهم، فقال لنا جعفر: أنا خطيبكم اليوم. قال: فاتَّبعوه حتى دخلوا على النجاشى، فلم يسجدوا له، فقال: وما لكم لم تسجدوا للملك؟ فقال: إن اللَّه قد بعث إلينا نبيه، فأمرنا أن لا نسجد إلا للَّه. فقال النجاشى: وماذاك؟ قال عمرو: إنهم يخالفونك فى عيسى. قال: فما تقولون فى عيسى وأمه؟ قال: نقول كا قال اللَّه، هو روح اللَّه وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول (١٣٣)، التى لم يسمها بشر، ولم يفرضها (١٣٤) ولد. فتناول النجاشى عودًا، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذا،

---

(١٣٣) البتول: المنقطعة عن الرجال، لا شهوة لها فيهم، وبها سُمِّيت مريم أم المسيح- عليهما السلام، وسُمِّيت فاطمة البتول لانقطاعه عن نساء زمانها فضلاً ودينًا وحسبًا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى.

(١٣٤) ولم يفرضها: من الافتراض، والفرض: القطع، أى: لم يؤثر فيها ولد قبل المسيح.

فمرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه نبى، ولوددت أنى عنده فأحمل نعليه- أو قال أخدمه- فانزلوا حيث شئتم من أرضى. فجاء ابن مسعود فشهد بدرًا. رواه أبو داود الطيالسى فى «مسنده» عن حُدَيج (١٣٥).

وقال عبيد اللَّه بن موسى: أخبرنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى بردة، عن أبيه، قال: أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى الحبشة. وساق كحديث حديج.

ويظهر لى أن إسرائيل وَهِمَ فيه، ودخل عليه حديث فى حديث، وإلا أين كان أبو موسى الأشعرى ذلك الوقت.

رجعنا إلى تمام الحديث الذى سُقناه عن أم سلمة قالت: فلم يبق بطريق من بطارقة النجاشى إلا دفعا إليه هديةً، قبل أن يُكَلِّما النجاشى، وأخبرا ذلك البطريق بقصدهما، ليشير على الملك بدفع المسلمين إليهم، ثم قربا هدايا النجاشى فقبلها، ثم كلماه فقالا: أيها الملك إنه قدم إلى بلادك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، جاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن، ولا أنت، فقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من أقاربهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم. قالت: ولم يكن أبغض إلى عبد اللَّه بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى، فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم من دينهم، فأسلمهم إليهما. فغضب ثم قال: لاها اللَّه إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يُكَاد قوم جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما تقولان. فأرسل إلى الصحابة فدعاهم، فلما جاؤوا وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم، سألهم فقال: ما دينكم؟ فكان الذى كلمه جعفر، فقال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث اللَّه إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى اللَّه

---

(١٣٥) ضعيف: أخرجه الطيالسى (٣٤٦)، وأحمد (١/ ٤٦١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢٩٨) من طريق حُدَيج بن معاوية، به.

وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٤) وقال: - «رواه الطبرانى، وفيه حديج بن معاوية، وثقه أبو حاتم، وقال: فى بعض حديثه ضعف، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات».

قلت: إسناده ضعيف، فيه علتان: الأولى: حُديج بن معاوية، ضعفه ابن معين والنسائى. وقال البخارى يتكلمون فى بعض حديثه. الثانية: أبو إسحاق، هو عمرو بن عبد الله السبيعى، مدلس، وقد عنعنه.

لنوحده ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة، وأمرنا بالصدق والأمانة وصلة الرحم- وعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه واتبعناه، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، وضيقوا علينا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال: وهل معك مما جاء به عن اللَّه من شيء؟ قال جعفر: نعم، وقرأ عليه صدرا من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، فبكى واللَّه النجاشى، حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال النجاشى: إن هذا، والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا واللَّه لا أسلمهم إليكما ولا يُكاد. قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو: واللَّه لآتينهم غدًا بما أستأصلُ به خضراءهم. فقال له ابن أبى ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا. قال: واللَّه لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبد. ثم غدا عليه، فقال له ذلك، فطلبنا، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول، واللَّه، ما قال اللَّه، كائنًا فى ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبى طالب: نقول: هو عبد اللَّه ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشى عودًا ثم قال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتم، واللَّه، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى- والسيوم: الآسنون- من سبكم غرم، ما أحب أن لى دبرًا من ذهب، وأنى آذيت رجلاً منكم، ردوا هداياهما فلا حاجة لى فيها، فواللَّه ما أخذ اللَّه منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به. قالت: فإنا على ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه، فواللَّه ما علمنا حزنًا حزنا قط كان أشد علينا من حزن حزناه عند ذلك، تخوفًا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه. فسار إليه النجاشى، وكان بينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر الوقعة، ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير: أنا، فنفخوا له قربة، فجعلها فى صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها يلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، ودعونا اللَّه تعالى للنجاشى، فإنا لعلى ذلك، إذ طلع الزبير يسعى فلمع بثوبه، وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظهر النجاشى، وقد أهلك اللَّه عدوه، ومكن له فى بلاده.

قال الزهرى : فحدثتُ عروة بن الزبير هذا الحديث فقال : هل تدرى ما قوله : ما أخذ اللَّه منى الرشوة إلى آخره؟ قلت : لا . قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشى، وكان للنجاشى عم من صلبه اثنا عشر رجلاً، فقالت الحبشة : لو أنا قتلنا هذا وملكنا أخاه، فإنه لا ولد غير هذا الغلام، ولأخيه اثنا عشر ولدًا، فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرًا، فعدوا على أبى النجاشى فقتلوه، وملكوا أخاه. فمكثوا حينًا، ونشأ النجاشى مع عمه، فكان لبيبًا حازمًا فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : واللَّه لقد غلب هذا على عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملك ليقتلنا بأبيه، فكلموا الملك، فقال : ويلكم، قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم!، بل أخرجه من بلادكم. قالت : فخرجوا به فباعوه لتاجر بست مئة درهم، فقذفه فى سفينة وانطلق به، حتى إذا كان آخر النهار، هاجت سحابة، فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو مُحْمَقٌ ليس فى ولده خير، فمرج الأمر، فقالوا : تعلموا، واللَّه إن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتموه غدوة. فخرجوا فى طلبه فأدركوه، وأخذوه من التاجر، ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير ملكه، فجاء التاجر فقال : مالى . قالو : لا نعطيك شيئًا، فكلمه، فأمرهم فقال : أعطوه دراهمه أو عبده. قالوا : بل نعطيه دراهمه، فكان ذلك أول ما خبر من عدله، رضى اللَّه عنه.

وروى يزيد بن رومان، عن عروة، قال : إنما كان يكلم النجاشى عثمانُ بن عفان، رضى اللَّه عنه.

أخبرنا إبراهيم بن حمد، وجماعة، قالوا : أخبرنا ابن مُلاعب، قال : حدثنا الأرموى، قال : أخبرنا جابر بن ياسين، قال : أخبرنا المخلص، قال : حدثنا البغوى، قال : حدثنا عبد اللَّه بن عمر بن أبان، قال : حدثنا أسد بن عمرو البجلى، عن مجالد، عن الشعبى، عن عبد اللَّه بن جعفر، عن أبيه، قال : بعثت قريش عَمرًا وعُمارة بهدية إلى النجاشى ليؤذوا المهاجرين، وذكر الحديث، فقال النجاشى : أعبيدٌ هم لكم؟ قالوا : لا . قال : فلكم عليهم دين؟ قالوا : لا . قال : فخلوهم. فقال عمرو : إنهم يقولون فى عيسى غير ما تقول. فأرسل إلينا، وكانت الدعوة الثانية أشد علينا، فقال : ما يقول صاحبكم فى عيسى؟ قال : يقول هو روح اللَّه وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول. فقال : ادعوا لى فلانًا القس، وفلانًا الراهب، فأتاه أناس منهم، فقال : ما تقولون فى عيسى؟ قالوا : قالوا : أنت أعلمنا . قال : وأخذ شيئًا من

الأرض، فقال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا. ثم قال: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فنادى: من آذى أحدًا منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا. فأضعفها، قال: فلما ظهر النبى ﷺ وهاجر أخبرناه، قال فرودنا وحملنا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنه رسول اللّه، وقل له يستغفر لى. فأتينا المدينة، فتلقانى النبى ﷺ فاعتنقنى وقال: «**ما أدرى أنا بقدوم جعفر أفرح أم بفتح خيبر**»، وقال: «**اللّهم اغفر للنجاشى**» ثلاث مرات، وقال المسلمون: آمين(١٣٦).

❊ ❊

(١٣٦) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٤٧٨) من طريق أبى كريب، قال حدثنا أسد بن عمرو الكوفى، به.

وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٣٠) وقال: «رواه الطبرانى من طريق أسد بن عمرو، عن مجالد وكلاهما ضعيف، وقد وثقا».

قلت: إسناده ضعيف، فيه علتان: أسد بن عمرو، أبو المنذر البجلى، قال يزيد بن هارون: لا يحل الأخذ عنه. وقال يحيى: كذوب ليس بشىء. وقال البخارى: ضعيف.

وقال ابن حبان: كان يسوّى الحديث على مذهب أبى حنيفة. والعلة الثانية: مجالد بن سعيد، قال النسائى: ليس بالقوى. وقال الدارقطنى: ضعيف. وقال البخارى: كان يحيى بن سعيد يضعفه.

• إسلامُ ضِماد •

داود بن أبى هند، عن عمرو بن سعيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قدم ضماد مكة، وهو من أزد شنوءة، وكان يَرقى من هذه الرياح، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: آتيَ هذا الرجل لعل اللَّه أن يشفيه على يدى. قال: فلقيت محمدًا فقلت: إنى أرقى من هذه الرياح، وإن اللَّه يشفى على يدى من يشاء، فهلم. فقال محمد: إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له «ثلاث مرات»، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد. فقال: واللَّه لقد سمعتُ قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ولقد بلغن قاموس البحر، فهلم يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول اللَّه ﷺ وقال له: «**وعلى قومك**». فقال: وعلى قومى. فبعث رسول اللَّه ﷺ سرية، فمروا بقوم ضماد، فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردوها عليهم فإنهم قوم ضماد. أخرجه مسلم[١٣٧].

* *

(١٣٧) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٨) من طريق عبد الأعلى (وهو أبو همام) حدثنا داود، به.

• إسلامُ الجنِّ •

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩]، وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وأنزل فيهم سورة الجن.

وقال أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول اللَّه ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول اللَّه ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. قال: فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول اللَّه هو بنخلة، عامدا إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا واللَّه الذى حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: إن سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا، فأنزلت ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١]، متفق عليه(١٣٨).

ويُحْمَل قول ابن عباس: إن النبى ﷺ ما قرأ على الجن ولا رآهم، يعنى أول ما سمعت الجن القرآن، ثم إن داعى الجن أتى النبى ﷺ - كما فى خبر ابن مسعود، وابن مسعود قد حفظ القصتين، فقال سفيان الثورى عن عاصم عن زر، عن عبد اللَّه قال: هبطوا على رسول اللَّه ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه أنصتوا، قالوا: صه، وكانوا سبعة أحدهم زَوبَعة، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩].

وقال مسعر، عن معن، قال: حدثنا أبى، قال: سألت مسروقًا: من آذن النبى ﷺ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثنى أبوك، يعنى ابن مسعود: أنه آذَنَتْهُ بهم شجرة. متفق عليه(١٣٩).

وقال داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن علقمة، قال: قلت لابن مسعود: هل صحب

---

(١٣٨) صحيح: أخرجه البخارى (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

(١٣٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٥٩)، ومسلم (٤٥٠) (١٥٣) من طريق أبى أسامة، عن مسعر، به.

رسول اللَّه ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا اغتيل، استُطير، ما فعل، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان في وجه الصبح- أو قال في السحر- إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول اللَّه، فذكروا الذى كانوا فيه، فقال: «**إنه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم**»، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. رواه مسلم[(١٤٠)].

وقد جاء ما يخالف هذا، فقال عبد اللَّه بن صالح: حدثنى الليث، قال: حدثنى يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى من أهل الشام، أنه سمع ابن مسعود يقول: إن رسول اللَّه ﷺ قال لأصحابه، وهو بمكة: «**من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل**». فلم يحضر منهم أحد غيرى حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى برجله خطًا، ثم أمرنى أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة، حالت بينى وبينه، حتى سمعت ما أسمع صوته، ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب، ذاهبين، حتى ما بقى منهم رهط، وفرغ رسول اللَّه ﷺ مع الفجر، فانطلق فتبرز، ثم أتانى فقال: «**ما فعل الرهط**»؟ فقلت: هم أولئك يا رسول اللَّه، فأخذ عظمًا وروثًا فأعطاهم إياه زادًا، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو بروث. أخرجه النسائى من حديث يونس.

وقال سليمان التيمى، عن أبى عثمان النهدى، أن ابن مسعود أبصر زُطًا[(١٤١)] فى بعض الطريق فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الزط، قال: ما رأيت شِبْهَهُم إلا الجن ليلة الجن، وكانوا مستثفرين يتبع بعضهم بعضًا. صحيح.

يقال: استثفر الرجل بثوبه، إذا أخذ ذيله من بين فخذيه إلى حجزته فغرزه. وكذا يقال فى الكلب، إذا جعل ذنبه بين فخذيه، ومنه قوله للحائض: استثفرى.

وقال عثمان بن عمرو بن فارس، عن مستمر بن الريان، عن أبى الجوزاء، عن ابن مسعود، قال: انطلقت مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الجن، حتى أتى الحَجُون فخط علىَّ خطًا، ثم تقدم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: إنى أنا أرحِّلهم عنك، فقال: إنى لن يجيرنى من اللَّه أحد.

وقال زهير بن محمد التميمى، عن ابن المنكدر، عن جابر، قال قرأ رسول اللَّه ﷺ سورة

---

(١٤٠) صحيح: أخرجه مسلم (٤٥٠) (١٥٠) حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، عن داود، به.

(١٤١) الزُّطُّ: جنسٌ من السودان والهند.

«الرحمن»، ثم قال: «**ما لى أراكم سكوتًا، للجن كانوا أحسن ردًا منكم، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة** ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾ [الرحمن: ١٣]، **إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد**». زهير ضعيف.

وقال عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن العاص، عن جده سعيد، قال: كان أبو هريرة يتبع رسول اللَّه ﷺ بأداوة لوضوئه. فذكر الحديث، وفيه: «**أتانى جن نَصيبين فسألونى الزاد، فدعوت اللَّه لهم أن لا يمروا بروثة، ولا بعظم إلا وجدوا طعامًا**». أخرجه البخارى(١٤٢). ويدخل هذا الباب فى باب شجاعته ﷺ وقوة قلبه.

ومنه حديث محمد بن زياد، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: إن عفريتًا من الجن تفلَّتَ علىَّ البارحة ليقطع على صلاتى، فأمكننى اللَّه منه، فأخذته وأردت أن ربطه إلى سارية من سوارى المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخى سليمان: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِى**﴾ [ص: ٣٥]، فرددته خاسئًا. وفى لفظ: فأخذته فذغته، يعنى خنقته، متفق عليه(١٤٣).

❊ ❊

---

(١٤٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٦٠) حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد، به.

(١٤٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٨) والبخارى (٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١)، والبيهقى (٢/ ٢١٩)، والبغوى (٧٤٦) من طرق عن شعبة، عن محمد بن زياد، به.

فصل: فيما وَرَدَ من هَواتفِ الجان وأقوال الكُهَّان

قال ابن وهب: أخبرنا عمر بن محمد، قال: حدثني سالم بن عبد اللَّه، عن أبيه، قال: ما سمعت عمر- رضي اللَّه عنه- يقول لشيء قط إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظن، فبينا عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، على الرجل، فَدُعِيَ له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظني أو أنك على دينك في الجاهلية، أو لقد كنت كاهنهم. فَقال: ما رأيت كاليوم استُقْبِلَ به رجل مسلم، قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. فقال: كنت كاهنهم في الجاهلية. فقال: ما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينا أنا جالس جاءتني أعرف فيها الفزع قالت:

ألم تر الجنَّ وإبلاسَها ويأسها بَعْدُ وإبلاسَهَا

ولحوقها بالقلاص وأحْلاسها وإياسها من أنساكها

قال عمر: صدق، بينا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ منه صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول: يا جَليح، أمر نَجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا اللَّه. فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا اللَّه. قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، فأعاد قوله، قال: فقمت فما نشبت أن قيل هذا نبي(١٤٤). أخرجه البخاري عن رجل عنه هكذا. وظاهره أن عمر بنفسه سمع الصارخ من العجل، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن هو الذي سمع.

فروى يحيى بن أيوب، عن ابن الهاد، عن عبد اللَّه بن سليمان، عن محمد بن عبد اللَّه ابن عمرو، عن نافع، عن ابن عمر، قال: بينما رجل مار، فقال عمر: قد كنت مرة ذا فراسة، وليس لي رئي، ألم يكن قد كان هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة، ادعوه لي، فدعوه، فقال عمر: من أين قدمت؟ قال: من الشام. قال: فأين تريد؟ قال: أردت هذا البيت، ولم أكن أخرج حتى آتيك. قال: هل كنت تنظر في الكهانة؟ قال: نعم. قال: فحدثني. قال: إني ذات ليلة بواد، إذ سمعت صائحًا يقول: يا جليح، خبر نَجيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا اللَّه، الجِّن وإياسها، والإنس وإبلاسها، والخيل وأحلاسها، فقلت: من هذا؟ إن هذا لخبر يئست منه الجن، وأبلست منه الإنس، وأعلمت فيه الخيل، فما حال الحول حتى بعث رسول اللَّه ﷺ.

---

(١٤٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٦٦) حدثنا يحيى بن سليمان، قال حدثني ابن وهب، به.

ورواه الوليد بن مزيد العذرى، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن ابن مسكين الأنصارى، قال: بينا عمر جالس. وهذا منقطع. ورواه حجاج بن أرطاة، عن مجاهد. ويروى عن ابن كثير أحد القراء، عن مجاهد موقوفًا.

ويشبه أن يكون هذا الكاهن هو سواد بن قارب المذكور فى حديث أحمد بن موسى الحَمَّار الكوفى، قال: حدثنا زياد بن يزيد القصرى، قال: حدثنا محمد بن تراس الكوفى، قال: حدثنا أبوبكر بن عياش، عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: بينا عمر يخطب إذ قال: أفيكم سواد بن قارب؟ فلم يجبه أحد تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة قال: أفيكم سواد بن قارب: قالوا: وما سواد بن قارب؟ قال: كان بدء إسلامه شيئًا عجبًا، فبينا نحن كذلك، إذ طلع سواد بن قارب، فقال له: حدثنا ببدء إسلامك يا سواد، قال: كنت نازلاً بالهند، وكان لى رئى من الجن، فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءنى فى منامى ذلك، قال: قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لُؤَى بن غالب، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وأنجاسها وشدّها العيسَ بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهُدَى ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصَّفْوة من هاشم وآسم بعينيك إلى راسها

يا سواد، إن اللّه قد بعث نبيًا فانهض إليه تهتدِ وترشد، فلما كان من الليلة الثانية أتانى فأنبهنى، ثم قال:

عجبتُ للجنّ وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهُدَى ليس قُدامَاها كأذنابها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ واسمُ بعينيك إلى نابها

فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فأنبهنى، ثم قال:

عجبتُ للجنّ وتَخْبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس ذَوُو الشرّ كأخيارها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ما مؤمنو الجن ككُفّارها

فوقع فى قلبى حب الإسلام، وشددت رحلى، حتى أتيت النبى ﷺ، فإذا هو بالمدينة، والناس عليه كعرف الفرس، فلما رآنى قال: «**مرحبًا بسواد بن قارب، قد علمنا ما جاء بك**» قلت: يا رسول اللّه قد قلت شعرًا فاسمعه منى:

أتانى رئى بعــــد ليل وهجــــعــــة ... ولـم يك فــيــمــا قــد بلوت بكاذب
ثـلاث ليـــــال قـــــولـه كـل ليـلة ... أتـاك نـبـى مـن لـؤى بـن غـــــالـب
فـشـمـرت عن سـاقى الإزار ووسَّطت ... بى الذِّعْلبُ الوجناء عند السباسب(١٤٥)
فـــأشـــهـــد أن اللّه لا شىء غــيــره ... وأنك مـــأمـــون على كل غـــائب
وأنك أدنى المرسلين شـــفـــاعـــة ... إلى اللّه يا ابن الأكــرمــين الأطايب
فــمُــرنا بما يأتيك يا خــيــر من مــشى ... وإن كـان فـيـمـا جـاء شـيب الذوائب
فكن لى شـفـيـعًـا يوم لا ذو شـفـاعـة ... ســواك بمُغنٍ عن ســواد بن قــارب

فضحك رسول اللّه ﷺ، وقال لى: «**أفلحت يا سواد**» فقال له عمر: هل يأتيك رئيك الآن؟ قال: منذ قرأت القرآن لم يأتنى، ونعم العوض كتاب اللّه من الجن.

هذا حديث منكر بالمرة، ومحمد بن تراس وزياد مجهولان لا تقبل روايتهما، وأخاف أن يكون موضوعًا على أبى بكر بن عياش، ولكن أصل الحديث مشهور.

وقد قال أبو يعلى الموصلى، وعلى بن شيبان: حدثنا يحيى بن حُجْر الشامى، قال: حدثنا على بن منصور الأبناوى، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الوقاصى، عن محمد بن كعب القرظى، قال: بينما عمر جالس إذ مر به رجل، فقال قائل: أتعرف هذا؟ قال: ومن هو؟ قال: سواد بن قارب، فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذى أتاه رئيه بظهور النبى ﷺ؟ قال: نعم. قال: فأنت على كهانتك. فغضب وقال: ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت. قال عمر: سبحان اللّه ما كنا عليه من الشرك أعظم، قال: فأخبرنى بإتيانك رئيك بظهور رسول اللّه ﷺ. قال: بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتانى فضربنى برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب اسمع مقالتى واعقل، إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى عبادة اللّه، ثم ذكر الشعر قريبًا مما تقدم، ثم أنشأ عمر يقول: كنا يومًا فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح، وقد ذبحوا عجلاً، والجزار يعالجه

---

(١٤٥) الذِّعْلبُ الوَجْناءُ والذِّعْلِبَةُ: الناقة السَّريعة، شُبِّهت بالذِّعْلبة، وهى النعامة لسرعتها. وجَمْعُ الذِّعْلبة الذَّعاليب.

والسَّباسبُ والبَسَابسُ: القفارُ، واحدُها سَبْسَب وبَسْبَسٌ قاله أبو عبيد. وقال أبو خَيْرة: السَّبْسَبُ: الأرضُ الجَدْبَة.

إذ سمعنا صوتًا من جوف العجل ولا نرى شيئًا هو يقول: يا آل ذريح، أمر نجيح، صائح يصيح، بلسان فصيح، يشهد أن لا إله إلا اللَّه.

أبو عبد الرحمن اسمه عثمان بن عبد الرحمن، متفق على تركه، وعلى بن منصور فيه جهالة، مع أن الحديث منقطع.

وقد رواه الحسن بن سفيان، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء، عن بشر بن حُجْر أخى يحيى بن حجر، عن على بن منصور، عن عثمان بن عبد الرحمن، بنحوه.

وقال ابن عدى فى «كامله»: حدثنا الوليد بن حماد، بالرملة، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا الحكم بن يعلى المحاربى، قال: حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول: أخبرنى سواد بن قارب قال: كنت نائمًا على جبل من جبال الشَّرَاة، فأتانى آتٍ فضربنى برجله وقال: قم يا سواد أتى رسولُ من لُؤَى بن غالب، فذكر الحديث.

كذا فيه سعيد يقول: أخبرنى سواد، وعباد ليس بثقة يأتى بالطامات.

وقال معمر، عن الزهرى، عن على بن الحسين، قال: أول ما سمع بالمدينة أن امرأة من أهل يثرب تدعى فَطيمة، كان لها تابع من الجن، فجاء يومًا فوقع على جدارها، فقالت: ما لك لا تدخل؟ فقال: إنه قد بعث نبى يحرم الزنى. فحدثت بذاك المرأة عن تابعها من الجن، فكان أول خبر تحدث به بالمدينة.

وقال يحيى بن يوسف الزمِّى: حدثنا عبيد اللَّه بن عمرو، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: أول خبر قدم عن النبى ﷺ بالمدينة أن امرأة كان لها تابع، فجاء فى صورة طائر حتى وقع على حائط دراهم، فقالت له المرأة: انزل، قال: لا، إنه قد بعث بمكة نبى يحرم الزنى، قد منع منا القرار.

فى الباب عدة أحاديث عامتها واهية الأسانيد.

* *

• انشقاق القمر •

قال اللَّه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القمر: ١ - ٣]، قال: شيبان، عن قتادة، عن أنس: إن أهل مكة سألوا نبى اللَّه ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين. أخرجاه(١٤٦) من حديث شيبان، لكن لم يقل البخارى مرتين.

وقال معمر، عن قتادة، عن أنس مثله، وزاد: «**فانشق فرقتين مرتين**». وللبخارى نحو منه، عن ابن أبى عروبة، عن قتادة. وأخرجاه من حديث شعبة عن قتادة.

وقال ابن عيينة وغيره: عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن أبى معمر، عن ابن مسعود، قال: رأيت القمر منشقًا شقتين بمكة، قبل مخرج النبى ﷺ شقة على أبى قُبَيْس، وشقة على السويداء، فقالوا: سحر القمر.

لفظ عبد الرزاق، عن ابن عيينة، وأراد «قبل مخرج النبى ﷺ» يعنى إلى المدينة.

أخرجاه من حديث ابن عيينة، ولفظه: انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ شقتين، فقال رسول اللَّه ﷺ اشهدوا(١٤٧).

وأخرجاه عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن الأعمش، قال: حدثنا إبراهيم، عن أبى معمر، عن عبد اللَّه، قال: انفلق القمر، ونحن مع رسول اللَّه ﷺ، فصارت فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال رسول اللَّه ﷺ: اشهدوا. وأخرجاه من حديث شعبة، عن الأعمش.

وقال أبو داود الطيالسى فى «مسنده»: حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد اللَّه، قال: انشق القمرُ على عهد رسول اللَّه ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فقالوا: ذلك صحيح.

وقال هشيم، عن مغيرة، نحوه.

وقال بكر بن مُضَر، عن جعفر بن ربيعة، عن عراك بن مالك، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه

---

(١٤٦) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(١٤٧) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٦٤) و(٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠).

ابن عتبة، عن ابن عباس أنه قال: إن القمر انشق على زمان رسول اللَّه ﷺ. متفق عليه من حديث بكر[١٤٨].

وقال شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، فى قوله ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ① ﴾ [القمر: ١]، قال: قد كان ذلك على عهد رسول اللَّه ﷺ انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبى ﷺ: «**اللَّهم اشهد**». أخرجه مسلم[١٤٩].

وقال إبراهيم بن طهمان، وهُشَيم، عن حُصَين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: انشق القمر، ونحن بمكة على عهد رسول اللَّه ﷺ. وكذا رواه أبو كُدَينة، والمفضل بن يونس، عن حُصَين. ورواه محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حُصَين، عن محمد بن جبير، عن أبيه. والأول أصح.

❊ ❊

---

(١٤٨) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٦٦)، ومسلم (٢٨٠٣).

(١٤٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٠١).

باب: ويسألونك عنِ الرُّوح

قال يحيى بن أبى زائدة، عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالوا: نحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً؟ وقد أوتينا التوراة فيها حكم اللَّه، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرًا كثيرًا. قال: فنزلت: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى ﴾ الآية [الكهف: ١٠٩]، وهذا إسناد صحيح (١٥٠).

وقال يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنى رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن مشركى قريش، بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا. فقدما المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول اللَّه ﷺ، ووصفوا لهم أمره ببعض قوله، فقالت لهم أحبا اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل. سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبؤه. وسلوه عن الروح ما هو. فقدما مكة، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فجاؤوا رسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، وسألوه، فقال: «**أخبركم غداً**»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث خمس عشرة ليلة لا يحدث اللَّه إليه فى ذلك وحيًا، ولم يأته جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا غدًا واليوم خمس عشر. وأحزن رسول اللَّه ﷺ مكثُ الوحى، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه، وخبر الفتية والرجل الطواف، وقال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥](١٥١).

---

(١٥٠) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥)، والترمذى (٣١٤٠)، وأبو يعلى (٢٥٠١)، والحاكم (٢/ ٥٣١)، والبيهقى فى «دلائل» (٢/ ٢٦٩) من طريق يحيى بن أبى زائدة، به.

(١٥١) ضعيف: لأجل الرجل المبهم فى الإسناد.

وأما حديث ابن مسعود(١٥٢)، فيدل على أن سؤال اليهود عن الروح كان بالمدينة. ولعلهﷺ سُئِل مرتين.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسول اللَّه ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن يُنَحِّى عنهم الجبال فيزرعوا فيها. فقال اللَّه: إن شئت آتيناهم ما سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من كان قبلهم، وإن شئت أن أستأنى بهم. لعلنا نستحيى منهم، وأنزل اللَّه: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ**﴾ [الإسراء: ٥٩]، حديث صحيح(١٥٣). ورواه سلمة بن كُهيل، عن عمران، عن ابن عباس، وروى عن أيوب، عن سعيد بن جبير.

* *

---

(١٥٢) حديث ابن مسعود: أخرجه البخارى (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤) حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، حدثنى إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: بينما أنا أمشى مع النبىﷺ فى حرث وهو مُتَّكِئٌ على عَسيب، إذْ مرَّ بنفر من اليهود، فقال بعضُهم لبعض: سلُوهُ عَن الرُّوح. فقالوا: ما رَابكم إليه؟ لا يستقبلكم بشىء تكرهُونه. فقالوا: سلُوهُ. فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح. قال: فأسْكَتَ النبىُّ ﷺ فلم يرُدَّ عليه شيئًا. فعلمتُ أنه يُوحى إليه. قال: فقُمتُ مكانى. فلما نزل الوحىُ قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١٥٣) صحيح على شرط الشيخين: أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والبزار (٢٢٢٥) كشف الأستار، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٩٠)، وابن جرير فى «تفسيره» (١٥/ ١٠٨)، والحاكم (٢/ ٣٦٢)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧١) من طرق عن جرير بن عبد الحميد، به.

• ذكر أذيَّة المشركين للنبىِّ ﷺ وللمسلمين •

الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير، قال: حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى، قال: حدثنى عروة، قال: سألت عبد اللَّه بن عمرو قلت: حدثنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول اللَّه ﷺ. قال: أقبل عقبة بن أبى معيط والنبى ﷺ يصلى عند الكعبة، فلوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، فدفعه عن رسول اللَّه ﷺ ثم قال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ [غافر: ٢٨] أخرجه البخارى(١٥٤).

ورواه ابن إسحاق، عن يحيى بن عروة، عن أبيه، عن عبد اللَّه.

ورواه سليمان بن بلال، وعبدة(١٥٥)، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمرو بن العاص. وهذه علة ظاهرة، لكن رواه محمد بن فُلَيح، عن هشام، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن عمرو، فهذا ترجيح للأول.

وقال سفيان، وشعبة، واللفظ له، قال: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت عمرو بن ميمون يحدث عن عبد اللَّه، قال: بينما رسول اللَّه ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش، وثَمَّ سلى بعير، فقالوا: من يأخذ سَلَى هذا الجزور فيقذفه على ظهره. فجاء عقبة بن أبى معيط فقذفه على ظهره ﷺ، وجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك، قال عبد اللَّه: فما رأيت رسول اللَّه ﷺ دعا عليهم إلا يومئذ فقال: «**اللَّهم عليك الملأ من قريش، اللَّهم عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبى معيط، وأمية بن خلف**» - أو أبى ابن خلف، شك شعبة، ولم يشك سفيان أنه أمية - قال عبد اللَّه: فقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا فى القَليب، غير أن أمية كان رجلاً بادنًا، فتقطع قبل أن يبلغ به البئر. أخرجاه(١٥٦) من حديث شعبة، ومن حديث سفيان.

---

(١٥٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨١٥) حدثنا على بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعى، به.

(١٥٥) هو عبدة بن سليمان الكلابى، أبو محمد الكوفى، قيل اسمه عبد الرحمن، وعَبْدَة لقبٌ، وكلاب إخوةٌ رُؤاس من قيس عيلان، وقال محمد بن سعد: عبدة بن سليمان بن حاجب بن زُرارة بن عبد الرحمن بن صُرَد بن سُمَير بن مليل بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب. والذى أدْرك الاسلام وأسلم صُرَد.

(١٥٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤) من طريق أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودى، عن ابن مسعود، به.

وقال مسلم(١٥٧): حدثنا عبد اللَّه بن عمر بن أبان، قال: أخبرنا عبد الرحيم بن سليمان، عن زكريا، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد اللَّه، قال: بينما رسول اللَّه ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال: أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلى(١٥٨) جزور فيضعه على كتفى محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم(١٥٩)، فأخذه فوضعه بين كتفيه، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته، والنبى ﷺ ما يرفع رأسه، فجاءت فاطمة، وهى جويرية فطرحته عنه وسبتهم، فلما قضى صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «**اللَّهم عليك بقريش**» ثلاثًا، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللَّهم عليك بأبى جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه. فوالذى بعث محمدًا بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر(١٦٠).

وقال زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللَّه، قال: إن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول اللَّه ﷺ، وأبو بكر، وعَمَّار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول اللَّه ﷺ فمنعه اللَّه بعمه أبى طالب. وأما أبو بكر فمنعه اللَّه بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وأوقفوهم فى الشمس، فما من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا غير بلال، فإنه هانت عليه نفسه فى اللَّه، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد. حديث صحيح.

وقال هشام الدَّستوائى، عن أبى الزبير، عن جابر، أن رسول اللَّه ﷺ مر بعمار وأهله، وهم يعذبون، فقال: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**».

وقال الثورى، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أول شهيد فى الإسلام أم عمار سمية، طعنها أبو جهل بحربة فى قُبُلِها.

---

(١٥٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٩٤) (١٠٧).

(١٥٨) سلا: هو اللفافة التى يكون فيها الولد فى بطن الناقة وسائر الحيوان. وهى من الآدمية المشيمة.

(١٥٩) أى بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير، وهو عقبة بن أبى معيط كما صرَّح به مسلم فى الرواية الثانية (١٧٩٤) (١٠٨).

(١٦٠) القليب: هى البئر التى لم تُطوَ. وإنما ضعوا فى القليب تحقيرًا لهم، ولئلاً يتأذى الناس برائحتهم، وليس هو دفنًا، لأنَّ الحربى لا يجب دفنه.

وقال يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب فى اللَّه سبعة، فذكر منهم الزِّنِّيرة، قال: فذهب بصرها، وكانت ممن يعذب فى اللَّه على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا واللَّه، ما هو كذلك. فرد اللَّه عليها بصرها.

وقال إسماعيل بن أبى خالد وغيره: حدثنا قيس، قال: سمعت خبابًا يقول: أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو متوسد برده فى ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول اللَّه ألا تدعو اللَّه؟ فقعد وهو محمَرٌّ وجهه فقال: «**إن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه عز وجل**»(١٦١) متفق عليه، وزاد البخارى من حديث بيان ابن بشر: «**والذئب على غنمه**».

وقال البكائى، عن ابن إسحاق، قال: حدثنى حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير: قلت: لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم؟ قال: نعم واللَّه، إن كانوا ليضربون أحدهم، يجيعونه ويعطشونه، حتى ما يقدر على أن يستوى جالسًا من شدة الضر الذى نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولون له: اللاّت والعزى إلهك من دون اللَّه؟ فيقول: نعم، حتى إن الجُعَل ليمر بهم فيقولون له: أهذا الجُعَل إلهك من دون اللَّه، فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

وحدثنى الزبير بن عُكَّاشة، أنه حُدِّث، أن رجالاً من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا، منهم سلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة، قال: فقالوا له وخَشُوا [شرَّهم](*): إنا قد أردنا أن تعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى قد أحدثوا، فإنا نأمن بذلك فى [غيرهم](*). قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، يعنى أخاه الوليد، ثم إياكم ونفسه، وقال:

---

(١٦١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٥٢)، وأبو داود (٢٦٤٩) من طريق إسماعيل، به.

(*) فى الأصل: [شره]، والصواب: [شرهم]، والتصويب من سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٦) ط. دار الحديث. وكذا وقع: [غيره]، والصواب: [غيرهم]

ألا لا تقتُلُنَّ أخى عُيَيْشٍ فيبقى بيننا أبدًا تلاحى

احذروا على نفسه، فأقسم باللَّه لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً، [قال: فقالوا: اللَّهم العنه، ومن يُغزِّر بهذا الخبيث، فواللَّه لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً. قال: فتركوه ونزعوا عنه](*).

فتركوه، فكان ذلك مما دفع اللَّه به عنه.

وقال عمرو بن دينار، فيما رواه عنه ابن عُيَيْنَة: لما قدم عمرو بن العاص من الحبشة جلس فى بيته فقالوا: ما شأنه، ما له لا يخرج؟ فقال: إن أصْحَمة يزعم أن صاحبكم نبى.

ويروى عن ابن إسحاق، من طريق محمد بن حُمَيد الرازى، أن النبى ﷺ كتب إلى النجاشى يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عمرو بن أمية الضَّمْرى، وأن النجاشى كتب إليه: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول اللَّه ﷺ من النجاَشى أصحمة بن أبجر، سلام عليك يا نبى اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته، أشهد أنك رسول اللَّه، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه للَّه رب العالمين، وقد بعثت إليك أريحا ابنى، فإنى لا أملك إلا نفسى، وإن شئت، أن آتيك فعلت، يا رسول اللَّه.

قال يونس، عن ابن إسحاق: كان اسم النجاشى مَصْحَمة، وهو بالعربية عطية، وإنما النجاشى اسم الملك، كقولك كسرى وهرقل.

وفى حديث جابر، أن النبى ﷺ صلى على أصحمة النجاشى، وأما قوله: «مَصْحَمَة» فلفظ غريب.

* *

(*) ما بين المعكوفين سقط فى النص، استدركناه من سيرة ابن هشام. ط. دار الحديث (١/ ٢٢٦).

● ذكْر شعْب أبى طالب والصَّحيفة ●

قال موسى بن عقبة، عن الزهرى، قال: ثم إنهم اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجَهْدُ، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول اللَّه ﷺ علانية. فلما رأى أبو طالب عملهم جمع بنى أبيه وأمرهم أن يُدْخلوا رسول اللَّه ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمُهم وكافرهَم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوه أجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم، حتى يسلموا رسول اللَّه ﷺ للقتل، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق، لا يقبلوا من بنى هاشم أبدًا صلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم فى شعبهم، يعنى ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء، وقطعوا عنهم الأسواق، وكان أبو طالب إذا نام الناس أمر رسول اللَّه ﷺ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد مكرًا به واغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته فاضطجع على فراش رسول اللَّه ﷺ. ويأتى رسول اللَّه ﷺ فراش ذلك فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين، تلاوم رجال من بنى عبد مناف، ومن بنى قُصَى، ورجال أمهاتهم من نساء بنى هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث اللَّه على صحيفتهم الأرَضَة، فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، ويقال: كانت معلقة فى سقف البيت، فلم تترك اسمًا للَّه إلا لحسته، وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم، فأطلع اللَّه رسوله على ذلك، فأخبر به أبا طالب، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبنى. فانطلق يمشى بعصابة من بنى عبد المطلب، حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فأنكروا ذلك، فقال أبو طالب: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح. فأتوا بها وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد، جعلتموه خطرًا للَّهلكة. قال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرًا لكم فيه نَصَفٌ، إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى، أن اللَّه برىء من هذه الصحيفة، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم، فإن كان كما قال، فأفيقوا، فواللَّه لا نسلمه أبدًا حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذى قال باطلاً، دفعناه إليكم، فرضوا وفتحوا الصحيفة، فلما رأتها قريش كالذى قال

أبو طالب، قالوا: واللَّه إن كان هذا قط إلا سحرًا من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا لكفرهم، فقال بنو عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا، فكيف ترون، وإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحرمن أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد الصحيفة، وهى فى أيديكم، أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال أبو البَخترى، ومطعم بن عدى، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة، وزمعة بن الأسود، وهشام بن عمرو- وكانت الصحيفة عنده، وهو من بنى عامر بن لؤى- فى رجال من أشرافهم: نحن برآء مما فى هذه الصحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل.

وذكر نحو هذه القصة ابن لَهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة.

وذكر ابن إسحاق نحوا من هذا، وقال: حدثنى حسين بن عبد اللَّه أن أبا لهب- يعنى حين فارق قومه من الشعب- لقى هندًا بنت عتبة بن ربيعة، فقال لها: هل نصرتُ اللات والعزى وفارقتُ من فارقها؟ قالت: نعم فجزاك اللَّه خيرًا أبا عتبة.

وأقام بنو هاشم سنتين أو ثلاثًا حتى جهدوا، لا يصل إليهم شىء إلا سرًا مستخفىً به. وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحًا، يريد به عمته خديجة- رضى اللَّه عنها- وهى فى الشعب فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم، واللَّه لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة. فجاءه أبو البخترى بن هشام، فقال: ما لك وله! قال: يحمل الطعام إلى بنى هاشم! قال: طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها، خل سبيل الرجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ له أبو البخترى لحى بعير، فضربه فشجه ووطئه وطئًا شديدًا، وحمزة يرى ذلك، يكرهون أن يبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، قال: ورسول اللَّه ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهرًا.

وقال موسى بن عقبة: فلما أفسد اللَّه الصحيفة، خرج رسول اللَّه ﷺ ورهطه، فعاشوا وخالطوا الناس.

* *

باب : إنا كفيناكَ المُستهزِئينَ

قال الثورى، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قول اللَّه- عز وجل- : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ [الحجر: ٩٥]، قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بنى أسد بن عبد العزى، والحارث بن عَيْطَل السهمى، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم النبى ﷺ إليه، فأراه الوليد، وأومأ جبريل إلى أبجله(١٦٢) فقال: ما صنعت؟ قال: كُفيتَه. ثم أراه الأسود، فأومأ جبريل إلى عينيه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفيتَه. ثم أراه أبا زمعَة، فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الحارث، فأومأ إلى رأسه أو بطنه، وقال: كُفيتَه. ومر به العاص فأومأ إلى أخمصه، وقال: كُفيتَه. فأما الوليد، فمر برجل من خزاعة، وهو يريش نبلاً له فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود فعمى، وأما ابن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر فى بطنه، حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل فى رأسه شبرقة(١٦٣)، حتى امتلأت فمات منها، وقال غيره: إنه ركب إلى الطائف حمارًا فربظ به على شوكة، فدخلت فى أخمصه فمات منها. حديث صحيح.

* *

(١٦٢) الأَبْجَل: عرق فى باطن الذراع، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكْحَل من الإنسان وقيل هو عرق غليظ فى الرجْل فيما بين العَصَب والعظم.

(١٦٣) شِبْرقة: الشِّبْرِق: نبتٌ حجازىٌ يُؤْكل وله شوك، وإذا يَبِسَ سُمِّى الضَّريع.

• دُعاءُ رسول اللَّه ﷺ على قريش بالسَّنَة •

قال الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال: بينما رجل يحدث فى المسجد، إذ قال فيما يقول: يوم تأتى السماء بدخان مبين، قال: دخان يكون يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكمة، فقمنا فدخلنا على عبد اللَّه بن مسعود فأخبرناه، فقال: أيها الناس من علم منكم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: اللَّه أعلم، فإن من العلم أن يقول العالم لما لا يعلم اللَّه أعلم، قال اللَّه لرسوله: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]. وسأحدثكم عن الدخان: إن قريشًا لما استعصت على رسول اللَّه ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام قال: «**اللَّهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأصابتهم سنة فحصت كل شىء حتى أكلوا الجيف والميتة، حتى إن أحدهما كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، ثم دَعَوا فكشف عنهم، يعنى قولهم: ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢]، ثم قرأ عبد اللَّه: ﴿**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ** ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥]، قال: فعادوا فكفروا فأخِّرُوا إلى يوم بدر ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ**﴾ [الدخان: ١٦]، قال عبد اللَّه: يوم بدر فانتقم منهم. متفق عليه(١٦٤).

وقال على بن ثابت الدهان- وقد توفى سنة تسع عشرة ومائتين: أخبرنا أسباط بن نصر، عن منصور، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد اللَّه، قال: لما رأى رسول اللَّه ﷺ من الناس إدبارًا قال: «**اللَّهم سبع كسبع يوسف**» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام، فجاءه أبو سفيان وغيره، فقال: إنك تزعم أنك بعثت رحمة، وإن قومك قد هلكوا، فادع اللَّه لهم، فدعا فسقوا الغيث.

قال ابن مسعود: مضت آية الدخان، وهو الجوع الذى أصابهم، وآية الروم، والبطشة الكبرى، وانشقاق القمر. وأخرجا من حديث الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال عبد اللَّه: خمس قد مضين: اللزام(١٦٥)، والروم، والدخان، والقمر، والبطشة(١٦٦).

---

(١٦٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨) من طريق الأعمش، به.

(١٦٥) اللِّزام: الفيصل جدًا. وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٧]، أى: عذابًا لازمًا لكم؛ قال الزجاج: قال أبو عبيدة: فيصلاً. قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهى البطشة الكبرى.

(١٦٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٩٨) (٤١).

وقال أيوب وغيره، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء أبو سفيان إلى رسول اللَّه ﷺ يستغيث من الجوع، لأنهم لم يجدوا شيئًا، حتى أكلوا العلهز(١٦٧) بالدم، فنزلت: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

* *

(١٦٧) العِلْهِز: هو شيء يتخذونه في سِنِي المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشْوونه بالنَّار ويأكلونه. وقيل غير ذلك.

• ذِكْرُ الرُّوم •

وقال أبو إسحاق الفزارى، عن سفيان، عن حبيب بن أبى عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبى بكر، فذكره للنبى ﷺ، فقال: «**أما إنهم سيظهرون**»، فذكر أبو بكر لهم ذلك، فقالوا: اجعل بيننا وبينكم أجلاً، فجعل بينهم أجلَ خمسِ سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول اللَّه ﷺ، فقال: «**ألا جعلته- أراه قال- دون العشرة**»، قال: فظهرت الروم بعد ذلك. فذلك قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ [الروم: ٢- ٤].

قال سفيان الثورى: وسمعت أنهم ظهروا يوم بدر.

وقال الحسين بن الحسن بن عطية العوفى: حدثنى أبى، عن جدى، عن ابن عباس: ﴿**الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢**﴾ [الروم: ١، ٢]، قال: قد مضى ذلك وغلبتهم فارس، ثم غلبتهم الروم بعد ذلك، ولقى نبى اللَّه ﷺ مشركى العرب، والتقت الروم وفارس، فنصر اللَّه النبى ﷺ على المشركين، ونصر الروم على مشركى العجم، ففرح المؤمنون بنصر اللَّه إياهم، ونصر أهل الكتاب.

قال عطية: فسألت أبا سعيد الخدرى عن ذلك، فقال: التقينا مع رسول اللَّه ﷺ نحن ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا اللَّه على المشركين، ونصر اللَّه أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصرنا ونصرهم(١٦٨).

وقال الليث: حدثنى عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرنى عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة، قال: لما نزلت هاتان الآيتان- يعنى أول الروم- ناحب أبو بكر بعض المشركين- يعنى راهن قبل أن يحرم القمار- على شيء، إن لم تُغْلَب فارس فى سبع سنين، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لِمَ فعلتَ، فكل ما دون العشر بضع**»، فكان ظهور فارس على الروم فى سبع

---

(١٦٨) ضعيف: أخرجه الترمذى (٢٩٣٥) و(٣١٩٢) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن سليمان الأعمش، عن عطية، به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قلت: إسناده ضعيف، آفته عطية العوفى، فإنه ضعيف.

سنين ، فقال رسول اللَّه ﷺ : لم فعلت ، فكان ظهور فارس على الروم فى تسع سنين ، ثم أظهر اللَّه الروم عليهم زمن الحديبية ، ففرح بذلك المسلمون .

وقال ابن أبى عروبة ، عن قتادة ﴿ **فِي أَدْنَى الأَرْضِ** ﴾ [الروم : ٣]، قال : غلبهم أهل فارس على أدنى الشام ، قال : فصدَّق المسلمون ربهم ، وعرفوا أن الروم سيظهرون بعد ، فاقتمروا هم والمشركون على خمس قلائص ، وأجَّلوا بينهم خمس سنين ، فولى قمار المسلمين أبو بكر ، وولى قمار المشركين أبى بن خلف ، وذلك قبل أن ينهى عن القمار ، فجاء الأجل ، ولم تظهر الروم ، فسأل المشركون قمارهم ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**ألم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا أجلاً دون العشر ، فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر ، فزايدوهم ومادوهم فى الأجل**» ففعلوا ، فأظهر اللَّه الروم عند رأس السبع من قمارهم الأول ، وكان ذلك مرجعهم من الحديبية ، وفرح المسلمون بذلك .

وقال الوليد بن مسلم : حدثنا أسيد الكلابى ، أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابى يحدث عن أبيه ، قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك فى خمس عشرة سنة .

* *

• ثمَّ تُوفى عَمه أبو طالب وزوجتُه خَديجة •

يقال فى قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ ينهون عَنْهُ وينئون عَنْهُ وإن يُهْلِكُون إلاَّ أنفسَهُمْ وما يَشْعُرُونَ**(٢٦)﴾[الأنعام: ٢٦]. أنها نزلت فى أبى طالب ونزل فيه: ﴿**إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[القصص: ٥٦].

قال سفيان الثورى، عن حبيب بن أبى ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول فى قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ ينهون عَنْهُ**﴾ قال: نزلت فى أبى طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول اللَّه ﷺ وينأى عنه.

ورواه حمزة الزيات، عن حبيب، فقال: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وقال مَعْمَر، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد اللَّه بن أبى أمية بن المغيرة، فقال له النبى ﷺ: «**يا عم قل لا إله إلا اللَّه أحاج لك بها عند اللَّه**». فقالا: أى أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب! قال: فكان آخر كلمة أن قال: على ملة عبد المطلب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»، فنزلت: ﴿**مَا كَانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ**﴾ الآيتين[التوبة: ١١٣، ١١٤]، ونزلت: ﴿**إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[القصص: ٥٦]، أخرجه مسلم(١٦٩).

وللبخارى مثله من حديث شعيب بن أبى حمزة.

وقد حكى عن أبى طالب، واسمه عبد مناف، ابنه على، وأبو رافع مولى النبى ﷺ.

ابن عون، عن عمرو بن سعيد، أن أبا طالب، قال: كنت بذى المجاز مع ابن أخى، فعطشْتُ، فشكوتُ إليه، فأهوى بعقبه إلى الأرض، فنبع الماء فشربت.

وعن بعض التابعين، قال: لم يكن أحد يسود فى الجاهلية إلا بمال، إلا أبو طالب وعتبة ابن ربيعة.

قلت: ولأبى طالب شعر جيد مُدَوَّن فى السيرة وغيرها.

وفى «مسند أحمد» من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن حبة العُرَنى، قال: رأيت عليًا ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه، ثم ذكر قول أبى طالب، ظهر علينا أبو

---

(١٦٩) صحيح: أخرجه البخارى (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤).

طالب وأنا مع رسول اللَّه ﷺ نصلى ببطن نخلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخى؟ فدعاه رسول اللَّه ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذى تصنعان من بأس، ولكن اللَّه لا تعلونى استى أبدًا، فضحكت تعجبًا من قولى أبى [(١٧٠)].

وروى معتمر بن سليمان، عن أبيه أن قريشًا أظهروا لبنى عبد المطلب العداوة والشتم، فجمع أبو طالب رهطه، فقاموا بين أستار الكعبة يدعون اللَّه على من ظلمهم، وقال أبو طالب: إن أبَى قومُنا إلا البغى علينا فعجل نصرنا، وحُل بينهم، وبين الذى يريدون من قتل ابن أخى، ثم دخل بآله الشعب.

ابن إسحاق: حدثنى العباس بن عبد اللَّه بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لما أتى النبيُّ ﷺ أبا طالب قال: أى عم، قل لا إله إلا اللَّه أستحلُّ لك بها الشفاعة. قال: يا ابن أخى، واللَّه لولا أن تكون سُبَّةً على أهل بيتك، يرون أنى قلتها جزعا من الموت، لقلتها، لا أقولها إلا لأسرَّك بها، فلما ثقل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه، فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع عنه فقال: يا رسول اللَّه قد واللَّه قالها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لم أسمع**».

قلت: هذا لا يصح، ولو كان سمعه العباس يقولها لما سأل النبى ﷺ وقال: هل نفعت عمك بشىء، ولما قال علىٌّ بعد موته: يا رسول اللَّه إن عمك الشيخ الضال قد مات. صح أن عمرو بن دينار روى عن أبى سعيد بن رافع، قال: سألت ابن عمر: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص: ٥٦]، نزلت فى أبى طالب؟ قال: نعم.

زيد بن الحُبَاب، قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن الحارث، عن العباس، أنه سأل النبى ﷺ ما ترجو لأبى طالب؟ قال: «**كل الخير من ربى**».

أيوب، عن ابن سيرين، قال: لما احتضر أبو طالب دعا النبى ﷺ، قال: يا ابن أخى إذا أنا مت فأت أخوالك من بنى النجار، فإنهم أمنع الناس لما فى بيوتهم.

قال عروة بن الزبير: قال رسول اللَّه ﷺ ما زالت قريش كاعة عنى حتى مات عمى.

كاعة: جمع كائع، وهو الجبان، يقال: كَعّ: إذا جبن وانقبض.

---

(١٧٠) ضعيف جدًا: أخرجه الطيالسى (١٨٨)، وأحمد (١/ ٩٩)، والبزار (٧٥١)، وأبو يعلى (٤٤٧) من طريق يحيى بن سلمة بن كُهيل، به.
قلت: إسناده ضعيف جدًا، فيه علتان: الأولى: يحيى بن سلمة بن كُهَيل، متروك الحديث، وفى حديثه عن أبيه مناكير. والعلة الثانية: حَبَّة العُرَنى، ضعيف.

وقال يزيد بن كيسان: حدثنى أبو حازم، عن أبى هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ لعمه: «**قل لا إله إلا اللَّه أشهد لك بها يوم القيامة**» فقال: لولا أن تعيرنى قريش، يقولون: إنما حمله عليه الجزع لأقررت بها عينك. فأنزل اللَّه: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ الآية. أخرجه مسلم(١٧١).

وقال أبو عوانة، عن عبد الملك بن عُمَير، عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل، عن العباس أنه قال: يا رسول اللَّه هل نفعت أبا طالب بشىء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم. هو فى ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**»(١٧٢). أخرجاه وكذلك رواه السفيانان، عن عبد الملك.

وقال الليث، عن ابن الهاد، عن عبد اللَّه بن خَبَّاب، عن أبى سعيد الخدرى، أنه سمع رسول اللَّه ﷺ: يقول- وذُكرَ عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فَيُجْعَل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه**»(١٧٣). أخرجاه.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبى عثمان، عن ابن عباس، أن رسول اللَّه ﷺ قال: أهون أهل النار عذابًا أبو طالب منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه. مسلم(١٧٤).

وقال الثورى وغيره، عن أبى إسحاق، عن ناجية بن كَعب، عن على- رضى اللَّه عنه- قال: لما مات أبو طالب أتيت النبى ﷺ فقلت: إن عمك الشيخ الضال قد مات. قال: «**اذهب فوارِ أباك ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينى**». فأتيته فأمرنى فاغتسلت، ثم دعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بهن ما على الأرض سن شىء(١٧٥). ورواه الطيالسى فى «مسنده» عن شعبة،

---

(١٧١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥).

(١٧٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) (٣٥٧) من طريق عبد الملك بن عمير، به.

(١٧٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) (٣٦٠) من طريق ليث، به.

(١٧٤) صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة (١٣/ ١٥٧- ١٥٨)، وأحمد (١/ ٢٩٠)، ومسلم (٢١٢)، وأبو عوانة (١/ ٩٨)، والحاكم (٤/ ٥٨١)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٣٤٨) من طرق عن حماد بن سلمة، به.

(١٧٥) ضعيف: أخرجه ابن أبى شيبة (٣/ ٢٦٩) و(١٢/ ٦٧)، وأحمد (١/ ١٣١)، وابن سعد (١/ ١٢٤)، وأبو داود (٣٢١٤)، والنسائى فى «المجتبى» (٤/ ٧٩)، وفى «الكبرى» (١٩٥)، وفى «الخصائص» (١٤٩)، والدارقطنى فى «العلل» (٤/ ١٤٦)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٩٨)، وفى «الدلائل» (٢/ ٣٤٨- ٣٤٩) من طرق عن سفيان الثورى، به. =

عن أبى إسحاق فزاد بعد اذهب فواره : «**فقلت : إنه مات مشركًا**» قال : «**اذهب فواره**». وفى حديث تصريح السماع من ناجية قال : شهدت عليًا يقول : وهذا حديث حسن متصل.

وقال عبد اللَّه بن إدريس : حدثنا محمد بن إسحاق، عمن حدثه، عن عروة بن الزبير، عن عبد اللَّه بن جعفر، قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول اللَّه ﷺ سفيه من قريش، فألقى عليه ترابًا، فرجع إلى بيته، فأتت بنتُه تمسح عن وجهه التراب وتبكى فجعل يقول : «**أى بنية لا تبكين، فإن اللَّه مانع أباك**»، ويقول ما بين ذلك : «**ما نالت منى قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب**». غريب مرسل.

وروى عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أن النبى ﷺ عارض جنازة أبى طالب، فقال : «**وصَلَتْكَ رحمٌ يا عمّ وجزيت خيرًا**». تفرد به إبراهيم بن عبد الرحمن الخوارزمى. وهو منكر الحديث يروى عنه عيسى غُنجار، والفضل السينانى.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد اللَّه بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال : لما أتى رسول اللَّه ﷺ أبا طالب فى مرضه قال : «**أى عم، قل لا إله إلا اللَّه أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة**». فقال : يا ابن أخى واللَّه لولا أن تكون سُبَّةً عليك وعلى أهل بيتك من بعدى يرون أنى قلتها جزعًا حين نزل بى الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها، فلما ثَقُل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس ليستمع قوله، فرفع العباس عنه، فقال : يا رسول اللَّه، قد واللَّه قال الكلمة التى سألته، فقال النبى ﷺ : «**لم أسمع**».

إسناده ضعيف لأن فيه مجهولاً، وأيضًا، فكان العباس ذلك الوقت على جاهليته، ولهذا إن صح الحديث لم يقبل النبى ﷺ روايته وقال له : لم أسمع، وقد تقدم أنه بعد إسلامه قال : يا رسول اللَّه هل نفعت أبا طالب بشىء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، فلو كان العباس عنده علم من إسلام أخيه أبى طالب لما قال هذا، ولَمَّا سكت عند قول النبى ﷺ : «**هو فى ضحضاح من النار**»، ولقال : إنى سمعته يقول : لا إله إلا اللَّه، ولكن الرافضة قوم بُهُتٌ.

= وأخرجه الشافعى فى «مسنده» (١/ ٢٠٧)، والطيالسى (١٢٠)، وأحمد (١/ ٩٧)، والنسائى (١/ ١١٠)، وابن الجارود (٥٥٠)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٣٤٨) من طريق شعبة، عن أبى إسحاق، به.

قلت : إسناده ضعيف، فيه علتان : الأولى : أبو إسحاق، هو السبيعى، مدلس، مشهور بالتدليس، وقد عنعنه. الثانية : ناجية بن كعب، هو الأسدى، مجهول.

وقال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد- رضى اللَّه عنها- وأبا طالب ماتا فى عام واحد فتتابعت على رسول اللَّه ﷺ المصائب بهلاكهما .

وكانت خديجة وزيرةَ صدق علَى الإسلام ، كان يسكن إليها .

وذكر الواقدى أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وأنهما توفيا فى ذلك العام ، وتوفيت خديجة قبل أبى طالب بخمسة وثلاثين يومًا .

وذكر أبو عبد اللَّه الحاكم أن موتها كان بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام ، وكذا قال غيره .

وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى الأسدية .

قال الزبير بن بكار : كانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم العامرية . وكانت خديجة تحت أبى هالة بن زُرارة التميمى ، واختُلف فى اسم أبى هالة ، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم ، ثم النَبى ﷺ .

وقال ابن إسحاق : بل تزوجها أبو هالة بعد عتيق . وكانت وزيرة صدق على الإسلام .

وعن عائشة ، قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، وقيل : كان موتها فى رمضان ، ودفنت بالحَجُون ، وقيل : إنها عاشت خمسًا وستين سنة .

وقال الزبير : تزوجها النبى ﷺ ولها أربعون سنة ، وأقامت معه أربعًا وعشرين سنة .

قال مروان بن معاوية الفزارى ، عن وائل بن داود ، عن عبد اللَّه البهى ، قال : قالت عائشة : كان رسول اللَّه ﷺ إذا كان خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها ، واستغفار لها ، فذكرها يومًا ، فاحتملتنى الغيرة ، فقلت : لقد عوضك اللَّه من كبيرة السن ، فرأيته غضب غضبًا أسقطت فى خَلَدى ، وقلت فى نفسى : اللَّهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد إلى ذكرها بسوء ، فلما رأى النبى ﷺ ما لقيت قال : «**كيف قلت ، واللَّه لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وآوتنى إذ رفضنى الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، ورُزِقْتُ منها الولد ، وحُرِمتموه منى**» ، قالت : فغدا وراح علىَّ بها شهرًا .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما غرتُ على امرأة ما غرت على خديجة ، مما كنت أسمع من ذكر رسول اللَّه ﷺ لها ، وما تَزوجنى إلا بعد موتها بثلاث

---

(١٧٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

(١٧٧) ضعيف جدًا: لإعضاله، فبين الزهرى وخديجة- رضى الله عنها- مفاوز تنقطع دونها أعناق المَطى .

سنين، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (١٧٦). متفق عليه.

وقال الزهرى: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة (١٧٧).

وقال ابن فُضَيل، عن عمارة، عن أبى زرعة، سمع أبا هريرة يقول: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: هذه خديجة، أتتك معها إناء فيه إدام طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب (١٧٨). متفق عليه.

وقال عبد اللَّه بن جعفر: سمعت عليًا- رضى اللَّه عنه- يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران (١٧٩). أخرجه مسلم.

* *

---

(١٧٨) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(١٧٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠).

• ذكر الإسراء برسول اللَّه ﷺ إلى المسجد الأقصى •

قال موسى بن عقبة، عن الزهري: أسْرِي برسول اللَّه ﷺ إلى بيت المقدس قبل الهجرة بسنة.

وكذا قال ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي بن زبريق، قال: حدثنا عمرو بن الحارث، عن عبد اللَّه بن سالم، عن الزبيدي محمد بن الوليد، قَال: حدثنا الوليد بن عبد الرحمن، أن جبير بن نفير قال: حدثنا شداد بن أوس، قال: قلنا يا رسول اللَّه كيف أسري بك؟ قال: «صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة مُعْتمًا، فأتاني جبريل بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركب، فاستصعب عليَّ، فرازَها(١٨٠) بأذنها، ثم حملني عليها، فانطلقتْ تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفُها، حتى بلغنا أرضًا ذات نخل، فأنزلني فقال: صلِّ. فصليت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بيثرب، صليت بطَيبة. فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضًا، فقال: انزل فصل. ففعلت، ثم ركبنا. قال: أتدري أين صليت: قلت: «اللَّه أعلم». قال صليت بمدين عند شجرة موسى- عليه السلام- ثم انطلقت تهوى بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصور، فقال: انزل، فصليتُ وركبنا. فقال لي: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى. ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر، فصليت من المسجد حيث شاء اللَّه، وأخذني من العطش أشد ما أخذني، فأتيتُ بإناءين لبن وعسل، أرسل إليَّ بهما جميعًا، فعدلت بينهما، ثم هداني اللَّه فأخذت اللبن، فشربت حتى قرعت(١٨١) به جبيني، وبين يدي شيخ متكئ على مثراة له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة إنه ليُهْدَى. ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي(١٨٢). قلت: يا رسول اللَّه، كيف وجدتها؟ قال: مثل الحمأة(١٨٣) السخنة. ثم انصرف بي، فمررنا بعير لقريش،

---

(١٨٠) رازها: أي اختبرها.

(١٨١) قرعْتُ: أي ضربه، يعني أنه شرب جميع ما فيه.

(١٨٢) الزَّرابي: واحدتها الزّربيَّة: وهي الطِّنفسَة، وقيل البساط ذو الخَمْل. وتُكسر زايُها وتفتح وتُضم.

(١٨٣) الحَمأة والحَمَأ: اللين الأسود المنتن. قال أبو عُبيدة: واحدة الحمإ حَمَأة كقَصبَة، واحدة القَصَب.

بمكان كذا وكذا، قد ضلُّوا بعيرًا لهم، قد جمعه فلان، فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد. ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة، فأتانى أبو بكر فقال: أين كنت الليلة، فقد التمستك فى مظانك؟ قلت: علمت أنى أتيت بيت المقدس الليلة، فقال: يا رسول اللَّه إنه مسيرة شهر، فصفه لى. قال: فَفُتِحَ لى صراط كأنى أنظر إليه، لا يسألنى عن شىء إلا أنبأته عنه. قال: أشهد أنك رسول اللَّهَ. فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبى كبشة، يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة. فقال: إنى مررت بعير لكم، بمكان كذا، وقد أضلوا بعيرًا لهم، فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا، ثم كذا، ويأتونكم يوم كذا، يقدمهم جمل آدم، عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان. فلما كان اليوم، أشرف الناس ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار، حين أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل»(١٨٤).

قال البيهقى: هذا إسناد صحيح.

قلت: ابن زبريق تكلم فيه النسائى. وقال أبو حاتم: شيخ.

قال حماد بن سلمة: حدثنا أبو حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، أن رسول اللَّه ﷺ، قال: «أتيتُ بالبُراق فركبته خلف جبريل، فسار بنا، فكان إذا أتى على جبل ارتفعتْ رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، فسا بنا فى أرض فيحاء طيبة، فأتينا على رجل قائم يصلى، فقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: أخوك محمد، فرحب ودعا بالبركة، وقال: سل لأمتك اليُسْرَ، ثم سار فذكر أنه مر على موسى وعيسى، قال: ثم أتينا على مصابيح فقلت: ما هذا؟ قال: هذه شجرة أبيك إبراهيم، تحب أن تدنو منها؟ قلت: نعم. فدنونا منها، فرحب بى، ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس، ونُشِرَ لى الأنبياء من سمى اللَّه ومن لم يسم، وصليت بهم إلا هؤلاء النفر الثلاثة: موسى، وعيسى، وإبراهيم، فربطت الدابة بالحلقة التى تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فقربت لى الأنبياء، من سمى اللَّه منهم، ومن لم يسم، فصليت بهم.

هذا حديث غريب، وأبو حمزة هو ميمون، ضُعِّفَ.

وقال يونس، عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن أبى هريرة، قال: أتِىَ رسول اللَّه ﷺ

---

(١٨٤) ضعيف: أخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٧)، وآفته إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزُّبيرى الحمصى، قال أبو داود: ليس بشىء. وقال النسائى: ليس بثقة. وكذبه محدِّثُ حمص محمد بن عوف الطائى.

ليلة أسرى به بإيلياء بقَدَحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن، فقال له جبريل: الحمد للَّه الذى هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتُك. متفق عليه[(١٨٥)].

قرأت على القاضى سليمان بن حمزة، أخبركم محمد بن عبد الواحد الحافظ، قال: أخبرنا الفضل بن الحسين، قال: أخبرنا على بن الحسن الموازينى، قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا يوسف القاضى، قال: أخبرنا أبو يعلى التميمى، قال: حدثنا محمد ابن إسماعيل الوساوسى، قال: حدثنا ضَمْرَةُ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى، عن أبى صالح مولى أم هانئ، عن أم هانئ، قالت: دخل علىَّ رسول اللَّه ﷺ بغلس[(١٨٦)] وأنا على فراشى فقال: «**شعرتُ أنى نمت الليلة فى المسجد الحرام، فأتى جبريل فذهب بى إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، فوق الحمار، ودون البغل، مضطرب الأذنين، فركبته، وكان يضع حافره مدَّ بصره، إذا أخذ بى فى هبوط طالب يداه، وقصرت رجلاه، وإذا أخذ بى فى صعود طالت رجلاه وقصرت يداه، وجبريل لا يفوتنى، حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فأوثقه بالحلقة التى كانت الأنبياء تُوثق بها، فَنُشرَ لى رهطٌ من الأنبياء، فيهم إبراهيم، وموسى، وعيسى، فصليت بهم وكلَّمتُهم، وأُتيتُ بإناءين أحمر وأبيض، فشربت الأبيض، فقال لى جبريل: شربتَ اللبن وتركت الخمر، لو شربت الخمر لارتدت أمتك. ثم ركبته إلى المسجد الحرام، فصليت به الغَدَاة**». قالت: فتعلَّقْتُ بردائه، وقلت: أنشدك اللَّه يا ابن عم أن تحدِّثَ بهذا قريشًا فيكذبُك من صدقك. فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدى، فارتفع عن بطنه، فنظرت إلى عكنه فوق إزاره وكأنه طى القراطيس، وإذا نور ساطع عند فؤاده، يكاد يختطف بصرى، فخررت ساجدة، فلما رفعت رأسى إذا هو قد خرج، فقلت لجاريتى نبعة: ويحك اتبعيه فانظرى. فلما رجعت أخبرتنى أنه انتهى إلى قريش فى الحطيم، فيهم المطعم بن عدى، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، فقص عليهم مسراه، فقال عمرو كالمستهزئ: صفهم لى. قال: أما عيسى ففوق الربعة، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد الشعر، تعلوه صَهْبة، كأنه عروة بن مسعود الثقفى، وأما موسى فضخم، آدم، طُوال، كأنه من رجال شنوءة، كثير الشعر، غائر العينين، متراكب الأسنان، مقلَّص الشفتين، خارج اللثة، عابس، وأما إبراهيم، فواللَّه لأشبه الناس بى خلقًا وخُلُقًا. فضجوا وأعظموا ذلك، فقال المطعم: كل

---

(١٨٥) صحيح: أخرجه البخارى (٣٣٩٤) و(٤٧٠٩) و(٥٥٧٦)، ومسلم (١٦٨)، والنسائى (٨/ ٣١٢)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٢٨٦)، وفى «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٧) من طرق عن الزهرى، به.

(١٨٦) الغَلَس: ظلام آخر الليل.

أمرك كان قبل اليوم أممًا، غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب! نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهرًا، أتيته في ليلة!.

وذكر باقي الحديث، وهو حديث غريب، الوساوسي ضعيف تفرد به.

وقال مسلم: حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا حُجَين بن المثنى، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثْبِتها، فكربت كربًا ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي، أنظر إليه، ما يسألونني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضَرْبٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شَنوءة، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم- يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد هذا مالكٌ صاحبُ النار، فسلم عليه. فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام»(١٨٧).

وقد رواه أبو سلمة أيضًا، عن جابر مختصرًا.

قال الليث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، قال: سمعت جابر بن عبد الله يحدث، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقْتُ أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**». أخرجاه(١٨٨).

وقال إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب: سمعت ابن المسيب يقول: إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم، وموسى، وعيسى، ثم أخبر أنه أسرى به، فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه. وذكر الحديث. وهذا مرسل.

وقال محمد بن كثير المصِّيصي: حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما أسرى بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن آمن، وسعَوا إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسرِيَ به الليلة إلى

---

(١٨٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٢) (٢٧٨) حدثني زهير بن حرب، حدثنا حُجين بن المثنى، به.

(١٨٨) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٣٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٧٧ و٣٧٧- ٣٧٨)، والبخاري (٣٨٨٦) و(٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠)، والترمذي (٣١٣٢)، وأبو عوانة (١/ ١٢٤ و١٢٥ و١٣١) وابن منده (٧٣٨) و(٧٣٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٩)، والبغوي (٣٧٦٢) من طريق الزهري، به.

بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: وتصدِّقُه! قال: نعم إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمِّي أبو بكر الصديق.

وقال معتمر بن سليمان التيمي، عن أبيه، سمع أنسًا يقول: حدثني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسرى به مَرَّ على موسى وهو يصلي في قبره. وذكر الحديث.

وقال عبد العزيز بن عمران بن مقلاص الفقيه، ويونس، وغيرهما: حدثنا ابن وهب قال: حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص، عن أنس بن مالك، قال: لما جاء جبريل - عليه السلام - إلى رسول الله ﷺ بالبراق، فكأنها أمرَّتْ ذنبها، فقال لها جبريل: مه يا براق، فوالله إن ركبك مثله. وسار رسول الله ﷺ، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فقال: «**ما هذه يا جبريل**»؟ قال له: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه مُتَنَحِّيًا عن الطريق يقول: هلم يا محمد، فقال جبريل: سر يا محمد. فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقيه خلق من الخلق فقالوا: السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر. فرد السلام، فانتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء، والخمر، واللبن، فتناول اللبن، فقال له جبريل: أصبت الفطرة، ولو شربت الماء لغرقت أمتك وغَرقْتَ، ولو شربت الخمر لغويتَ وغوت أمتُك. ثم بُعثَ له آدمُ فمن دونه من الأنبياء، فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة، ثم قال له جبريل: أما العَجوز فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذاك عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم، وموسى، وعيسى.

أنبئْنا عن ابن كليب، عن ابن بيان، قال: أخبرنا بشر ابن القاضي، قال: حدثنا محمد بن الحسن اليقطيني، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة، قال: حدثنا أبو عمر ابن النحاس، قال: حدثنا الوليد، قال: حدثني الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة قال: رؤي عبادة بن الصامت على حائط بيت المقدس يبكي فقيل: ما يبكيك؟ فقال: من هاهنا حدثنا رسول الله ﷺ أنه رأى مَلَكًا يقلِّب جمراً كالقطف. إسناده جيد.

وقال النضر بن شُمَيل، وروح، وغندر: أخبرنا عوف، قال: حدثنا زرارة بن أوفى، قال: قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**لما كانت ليلة أسرى بي، ثم أصبحت بمكة، فُظعْتُ بأمري، وعلمت بأن الناس يكذبوني**». قال: فقعد معتزلاً حزينًا، فمر به أبو جهل، فجاء فجلس فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، قال: ما

هو؟ قال: «**إني أسرى بي الليلة**». قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قال: ثم أصبحت بين أظهرنا! قال: «**نعم**». قال: فلم ير أنه يكذِّبه مخافة أن يجحده الحديث، فدعا قومه، فقال: أرأيتَ إن دعوتُ إليك قومَك أتحدثهم بما حدثتني؟ قال: «**نعم**». فدعا قومه فقال: يا معشر بني كعب بن لُؤَى هلُمَّ، فانتقضت المجالس، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فقال: حدثهم. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إني أسرى بي الليلة**». قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**». قالوا: ثم أصبحت بين ظهرينا! قال: «**نعم**». قال: فمن بين مُصَفِّر وواضع يده على رأسه مستعجبٌ للكذب، زعم، قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فذهبت أنعت، فما زلتُ حتى التبس عليَّ بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد حتى وُضعَ دون دار عقيل أو عقال. قال: فنعته وأنا أنظر إليه**». فقالوا: أما النعت فقد واللَّه أصاب. ورواه هَوْذة، عن عوف.

مسلم بن إبراهيم: قال: حدثنا الحارث بن عُبَيد، قال: حدثنا أبو عمران، عن أنس، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بينما أنا قاعد ذات يوم، إذ دخل جبريل، فوكز بين كَتفَيَّ، فقمت إلى شجرة فيها مثل وَكْرَيْ الطائر، فقعد في واحدة، وقعدت في أخرى، فارتفعت حتى سدَّت الخافقين، فلو شئت أن أمس السماء لمسست، وأنا أقلب طرفي فالتفتُّ إلى جبريل، فإذا هو لاطئ، فعرفت فضل علمه باللَّه، وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم، ثم أوحى اللَّه إلى ما شاء أن يوحى».

إسناده جيد حسن، والحارث من رجال مسلم.

سعيد بن منصور: حدثنا أبو معشر، عن أبي وهب مولى أبي هريرة، عن أبي هريرة، قال: لما رجع رسول اللَّه ﷺ ليلة أسرى به، قال: «**يا جبريل إن قومي لا يصدقوني**». قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق.

رواه إسحاق بن سليمان، عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا مسعر، عن أبي وهب هلال ابن خباب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: فحدثهم ﷺ بعلامة بيت المقدس، فارتدوا كفارًا، فضرب اللَّه رقابهم مع أبي جهل. وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمرًا وزبدًا، فتزقموا. ورأى الدجال في صورته رؤيا عين، ليس برؤيا منام، وعيسى، وموسى، وإبراهيم. وذكر الحديث.

وقال حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة: أن النبي ﷺ أتِيَ بالبراق، وهو

دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، فلم يزايلا ظهره هو وجبريل، حتى انتهيا به إلى بيت المقدس، فصعد به جبريل إلى السماء، فاستفتح جبريل، فأراه الجنة والنار، ثم قال لى: هل صلى فى بيت المقدس؟ قلت: نعم. قال: اسمك يا أصلع. قلت: زر بن حبيس. قال: فأين تجده صلاها؟ فتأولت الآية: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾ [الإسراء: ١]، قال: فإنه لو صلى لصليتم كما تصلون فى المسجد الحرام. قلت: لحذيفة: أربط الدابة بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء؟ قال: أكان يخاف أن تذهب منه وقد أتاه اللَّه بها. كأن حذيفة لم يبلغه أنه صلى فى المسجد الأقصى، ولا ربط البُراق بالحلقة.

وقال ابن عيينة، عن عمر، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هى رؤيا عين أريها رسول اللَّه ﷺ ليلة أسرى به. ﴿ **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ** ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هى شجرة الزقوم. أخرجه البخارى(١٨٩).

* *

(١٨٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٨٨) حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، به.

• ذكر معراج النبيِّ ﷺ إلى السَّماء •

قال اللَّه تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١)﴾ [النجم: ٥- ١١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤)﴾ [النجم: ١٣، ١٤]، تفسير ذلك: قال زائدة وغيره، عن أبى إسحاق الشيبانى، قال: سألت زر بن حُبَيش عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)﴾ فقال: حدثنا عبد اللَّه بن مسعود، أنه رأى جبريل له ست مائة جناح. أخرجاه(١٩٠).

وروى شعبة، عن الشيبانى هذا، لكن قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾ [النجم: ١٨]، فذكر أنه رأى جبريل له ست مائة جناح.

وقال البخارى: قبيصة: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللَّه ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾ قال: رأى رفرفًا أخضر قد ملأ الأفق(١٩١).

وقال حماد بن سلمة: حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد اللَّه ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣)﴾ [النجم: ١٣]، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: رأيتُ جبريل عند سدرة، عليه ست مائة جناح، ينفض من ريشه التهاويل الدر والياقوت. عاصم بن بهدلة القارئ، ليس بالقوى.

وقال مالك بن مغول، عن الزبير بن عدى، عن طلحة بن مُصرِّف، عن مرة الهمدانى، عن ابن مسعود، قال: لما أُسْرِىَ بالنبى ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة- كذا قال- وإليها ينتهىَ ما يصْعُدَ به، حتى يقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها، حتى يقبض منها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾ [النجم: ١٦]، قال: غشيها فراشٌ من ذهب، وأُعْطِىَ رسول اللَّه ﷺ الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك باللَّه من أمته المُقْحمَات(١٩٢). أخرجه مسلم.

---

(١٩٠) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من طريق أبى إسحاق الشيبانى، به.

(١٩١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٥٨) حدثنا قبيصة، به.

وأخرجه البخارى (٣٢٣٣) حدثنا حفص بن عمر، شعبة، عن الأعمش، به.

(١٩٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٣) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا مالك بن مغول، به. وقوله «المقحمات»: معناه الذنوب العظام الكبائر التى تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم فيها. والتقحم: الوقوع فى المهالك. والمعنى: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات.

وقال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١)** ﴾ [النجم: ١١]، قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وقال عبد الملك بن أبى سليمان، عن عطاء، عن أبى هريرة: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣)** ﴾ [النجم: ١٣]، قال: رأى جبريل- عليه السلام- أخرجه مسلم(١٩٣).

وقال زكريا بن أبى زائدة، عن ابن أشْوَع، عن الشعبى، عن مسروق، قال: قلت لعائشة: فأين قوله تعالى: ﴿ **دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨)** ﴾؟ قالت: إنما ذاك جبريل، كان يأتيه فى صورة الرجل، وإنه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته، فسد أفق السماء. متفق عليه(١٩٤).

وقال ابن لَهيعة: حدثنى أبو الأسود، عن عُروة، عن عائشة، أن نبى الله- عليه السلام- كان أول شأنه يرى المنام، فكان أول ما رأى جبريل بأجياد، أنه خرج لبعض حاجته، فصرخ به: يا محمد يا محمد. فنظر يمينًا وشمالاً فلم ير شيئًا، ثم نظر، فلم ير شيئًا، فرفع بصره، فإذا هو ثانيًا إحدى رجليه على الأخرى فى الأفق، فقال: يا محمد جبريل جبريل، يُسكِّنُه، فهرب حتى دخل فى الناس، فنظر فلم ير شيئًا، ثم رجع فنظر فرآه، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)** ﴾ [النجم: ١ - ٢].

محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبى سلمة، عن ابن عباس ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤)** ﴾ قال: دنا ربه منه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. قال ابن عباس: قد رآه النبى ﷺ. إسناده حسن.

أخبرنا التاج عبد الخالق، قال: أخبرنا ابن قدامة، قال: أخبرنا أبو زرعة، قال: أخبرنا المقدَّمى، قال: أخبرنا القاسم بن أبى المنذر، قال: حدثنا ابن سلمة، قال: أخبرنا ابن ماجة، قال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، قال: حدثنا الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أبى الصلت، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتيت ليلة أسرى بى على قوم، بطونهم كالبيوت، فيها الحَيَّات، ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء**

---

(١٩٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٥) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا على بن مُسْهِر، عن عبد الملك، به.

(١٩٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) من طريق الشعبى، عن مسروق؛ به.

يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا » راه أحمد فى «مسنده»(١٩٥) عن الحسن، وعفان، عن حماد وزاد فيه رأيت ليلة أسرى بى لما انتهينا إلى السماء السابعة. أبو الصلت مجهول.

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن المَرْداوى، قال: أخبرنا أبو محمد عبد اللَّه بن أحمد الفقيه، قال: أخبرنا هبة اللَّه بن الحسن بن هلال، قال: أخبرنا عبد اللَّه بن على بن زكرى سنة أربع وثمانين وأربع مائة، قال: أخبرنا على بن محمد بن عبد اللَّه، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو، قال: حدثنا سعدان بن نصر، قال: حدثنا محمد بن عبد اللَّه الأنصارى، عن ابن عون، قال: أنبأنا القاسم بن محمد، عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على اللَّه، ولكنه رأى جبريل مرتين فى صورته وخلقه، ساداً ما بين الأفق. أخرجه البخارى(١٩٦) عن محمد بن عبد اللَّه بن أبى الثلج، عن الأنصارى.

قلت: قد اختلف الصحابة- رضى اللَّه عنهم- فى رؤية محمد ﷺ ربه، فأنكرتها عائشة، وأما الروايات عن ابن مسعود، فإنما فيها تفسير ما فى النجم، وليس فى قوله ما يدل على نفى الرؤية للَّه. وذكرُها فى الصحيح وغيره.

وقال يونس، عن ابن شهاب، عن أنس، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول اللَّه ﷺ قال: فُرِجَ سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل- عليه السلام- ففرج صدرى، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ثم أفرغها فى صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا، فقال لخازنها: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم محمد. قال: أرْسِلَ إليه؟ قال: نعم. ففتح، فلما علونا السماء الدنيا، إذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح، والابن الصالح. قلت: «**يا جبريل من هذا؟**». [قال هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى](*)

---

(١٩٥) ضعيف: أخرجه ابن أبى شيبة (١٤/ ٣٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٣) من طريق حماد ابن سلمة، عن على بن زيد، به.

قلت: إسناده ضعيف، فيه علتان: الأولى: على بن زيد، هو ابن جُدْعان، ضعيف لسوء حفظه والثانية: أبو الصلت، مجهول.

(١٩٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٣٤) حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى، به.

(*) فى الأصل: عبارة وقع بها سقط وتكرار لبعض الألفاظ صوبناه من حديث مسلم (١٦٣).

ثم عرج بى جبريل حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح.

قال أنس: فذكر أنه وجد فى السموات: آدم، وإدريس، وعيسى، وموسى، وإبراهيم، ولم يثبت- يعنى أبا ذر- كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا، وإبراهيم فى السادسة، فلما مر جبريل ورسول اللّه ﷺ بإدريس، قال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح. قال: ثم مر، قلت: من هذا؟ قال: إدريس، قال: ثم مررت بموسى فقال: مرحبًا بالنبى الصالح، والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: موسى. ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: عيسى. ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح، والابن الصالح. قلت: من هذا؟ قال: إبراهيم.

قال ابن شهاب: وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان: قال رسول اللّه ﷺ: ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام (١٩٧).

قال ابن شهاب: قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال رسول اللّه ﷺ ففرض اللّه- عز وجل- على أمتى خمسين صلاة، قال: فرجعت بذلك حتى أمُرَّ بموسى، فقال: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة. قال موسى: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. قال: فراجعت ربى، فوضع عنى شطرها، فرجعت إلى موسى فأخبرته، قال: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعت ربى فقال: هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى. فرجعت إلى موسى فقال: ارجع إلى ربك. فقلت: قد استحييت من ربى. قال: ثم انطلق بى حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدرى ما هى، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ (١٩٨) اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

أخبرنا بهذا الحديث يحيى بن أحمد المقرئ بالإسكندرية، ومحمد بن حسين الفُوِّى بمصر، قالا: أخبرنا محمد بن عماد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن رفاعة، قال: أخبرنا على بن الحسن الشافعى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عمر البزاز، قال: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو، المدينى، قال: حدثنا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفى، قال:

---

(١٩٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣) حدثنى حرملة بن يحيى التُّجيبى، أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس، عن ابن شهاب، به.

وصريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة، قال الخطابى: هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ.

(١٩٨) جنابذ: هى القباب. واحدتها جُنبُذة. والحديث عند مسلم (١٦٣).

حدثنا ابن وهب، قال: أخبرنى يونس، فذكره. رواه مسلم(١٩٩) عن حرملة، عن ابن وهب. وروى النسائى شطره الثانى من قول ابن شهاب: وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس، وأبا حبة، إلى آخره، عن يونس، فوافقناه بعلو.

وقد أخرجه البخارى من حديث الليث، عن يونس وتابعه عقيل، عن الزهرى.

وقال همام: سمعت قتادة يحدث، عن أنس، أن مالك بن صعصعة حدثه، أن نبى اللَّه ﷺ حدثهم عن ليلة أسْرى به، قال: بينما أنا فى الحطيم- وربما قال قتادة فى الحجر- مضطجعًا إذ أتانى آت- فجعلَ يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة قال: فأتانى وقد سمعت قتادة يقول- فشق ما بين هذه إلى هذه، قال قتادة: قلت لجارود، وهو إلى جنبى: ما يعنى؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعْرَته؟ قال: فاستخرج قلبى، ثم أتيتُ بطست من ذهب مملوء إيمانًا، فغسل قلبى، ثم حُشىَ، ثم أعيد، ثم أتيتُ بدابة دون البغَل، وفوق الحمار أبيض- فقال له الجارود: هو البراق يَا أبا حمزة؟ قال: نعَم- يضع خطوه عند أقصى طرفه، فَحُملتُ عليه، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريَل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبًا به ونعم المجىء جاء. ففتح له، فلما خَلَصْتُ فإذا آدم فيها، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه. فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبى الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ [قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجئ جاء. ففتح. فلما خَلَصْتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمتُ فردَّا ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجئ جاء. ففتح، فلما خَلَصْتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى](*) حتى السماء الرابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ونعم المجىء جاء. قال: ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت ورد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى

(١٩٩) صحيح: راجع تعليقنا السابق.

(*) سقط من الأصل استدركناه من حديث البخارى (٣٨٨٧) حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، به.

الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء. قال: ففتح، فلما خَلَصْتُ فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ونعم المجيء جاء. قال: ففتح، فلما خلصت فإذا موسى - عليه السلام- فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: فلما جاوزتُ بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأنه غلام بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي. ثم صعد حتى أتى السماء السابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فقال: مرحبًا به ونعم المجيء جاء. ففتح، فلما خَلَصْتُ فإذا إبراهيم- عليه السلام- قال: هذا [أبوك](أ) فسلم عليه فسلمت عليه، فرد، وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى. فإذا نبقها مثل قلال هَجَر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فقال: هذه سدرة المنتهى. وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رُفِعَ البيت المعمور، [ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل](ب)، فأخذت اللبن. فقال: هذه الفطرة [التي أنت] عليها وأمتك. قال: ثم فُرِضَت عليَّ الصلاة، خمسون صلاة في كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرتَ؟ قلت: بخمسين صلاة في كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيعها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فرجعت فوضع عني عشرًا أخر، ثم رجعت إلى موسى فذكر الحديث إلى أن قال: إن أمتك لا تستطيع بخمس صلوات كل يوم، وإني خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قلت: قد سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم. فلما نفرت ناداني مناد: قد أمضيت فريضتي وخَفَّفت عن عبادي. أخرجه البخاري، عن هُدبة عنه(جـ).

(أ) في الأصل: [هذا إبراهيم]، والصواب: [هذا أبوك]، كما في البخاري (٣٨٨٧) عن هدبه، به.

(ب) ما بين المعكوفين سقط في الأصل، وما أثبتناه من رواية البخاري (٣٨٨٧) عن هدبة بن خالد، به.

(ج) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) حدثنا هدبة بن خالد، حدثن همام بن يحيى، به.

وقال معاذ بن هشام : حدثنى أبى ، عن قتادة ، قال : حدثنا أنس ، عن مالك بن صعصعة ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : فذكر نحوه ، وزاد فيه : فأتيتُ بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا ، فشق من النحر إلى مراق البطن ، فغُسِل بماء زمزمَ ، ثم مُلئ حكمة وإيمانًا . أخرجه مسلم بطوله .

وقال سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، عن النبى ﷺ قال : بينما أنا عند البيت ، بين النائم واليقظان ، إذ سمعت قائلاً يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين . قال : فأتيتُ فانطلق بى ، ثم أتيت بسطت من ذهب فيه من ماء زمزم ، فشرح صدرى إلى كذا وكَذا . قال قتادة : قلتَ لصاحبى : ما يعنى؟ قال : إلى أسفل بطنى ، فاستخرج قلبى فغُسلَ بماء زمزم ، ثم أعيد مكانه ، وحُشىَ ، أو قال : كُنزَ إيمانًا وحكمة - شك سعيد - ثم أتيت بدابَة أبيض يقال له البُراق ، فوق الحمار ودون البغل ، يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فَحُملْتُ عليه ومعى صاحبى لا يفارقنى ، فانطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا .

وساق الحديث كحديث همام ، إلى قوله : البيت المعمور ، فزاد : «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، حتى إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**» .

قلت : وهذه زيادة رواها همام فى حديثه ، وهو أتقن من ابن أبى عروبة ، فقال : قال قتادة ، فحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة أنه رأى البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه . ثم رجع إلى حديث أنس ، وفى حديث ابن أبى عروبة : «فى سدرة المنتهى» إن ورقها مثل آذان الفيلة ، ولفظه : ثم أتيت على موسى فقال : بم أمرت؟ قلت : بخمسين صلاة ، قال : إنى قد بلوت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . فرجعت ، فحط عنى خمس صلوات ، فما زلت أختلف بين ربى وبين موسى كلما أتيت عليه ، قال لى مثل مقالته ، حتى رجعت بخمس صلوات ، كل يوم ، فلما أتيت على موسى قال كمقالته ، قلت : لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم . فنوديت أن قد أمضيت ، وخففت عن عبادى ، وجعلت بكل حسنه عشر أمثالها . أخرجه مسلم .

وقد رواه ثابت البنانى ، وشريك بن أبى نمر ، عن أنس ، فلم يسنده لهما ، لا عن أبى ذر ، ولا عن مالك بن صعصعة ، ولا بأس بمثل ذلك ، فإن مرسل الصحابى حجة .

قال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض ، فركبته حتى أتينا بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت

فصليت، فأتانى بإناءين خمر ولبن، فاخترت اللبن، فقال: أصبت الفطرة. ثم عُرِجَ بى إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: أنا جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل، فَفُتِح لنا، فإذا بآدم.

فذكر الحديث، وفيه: فإذا بيوسف، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن، فرحَّب بى ودعا لى بخير، إلى أن قال لما فُتِحَ له السماء السابعة: فإذا بإبراهيم- عليه السلام- وإذا هو مستند إلى البيت المعمور، فرحَّب بى، ودعا لى بخير، فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر اللَّه ما غشى تغيرت. فما أحد من خلق اللَّه يستطيع أن ينعتها من حسنها، قال: فدنا فتدلى وأوحى إلى عبده ما أوحى، وفُرِضَ علىَّ فى كل يوم خمسون صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، قال: ما فرض ربكَ على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة فى كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وجربتهم وخبرتُهُمْ. قال: فرجعت فقلت: أى رب خفف عن أمتى. فحط عنى خمسًا، فرجعت حتى انتهيت إلى موسى، فقال: ما فعلت؟ قلت: قد حط عنى خمسًا، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك. فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى حتى قال: هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة(٢٠٠). أخرجه مسلم دون قوله: فدنا فتدلى، وذلك ثابت فى رواية حجاج بن منهال، وهو ثبت فى حماد بن سلمة.

وقال سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد اللَّه بن أبى نمر، قال: سمعت أنسًا يقول، وذكر حديث الإسراء، وفيه: ثم عُرِجَ به إلى السماء السابعة، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللَّه، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى(٢٠١). أخرجه البخارى، عن عبد العزيز بن عبد اللَّه، عن سليمان.

وقال شيبان، عن قتادة، عن أبى العالية، قال: حدثنا ابن عباس، قال: قال نبى اللَّه ﷺ: رأيت ليلة أسْرِىَ بى موسى- عليه السلام- رجلاً طوالاً جعدًا، كأنه من رجال شَنوءة، ورأيت عيسى مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، قال: وأرى مالكًا خازن النار والدجال فى آيات أراهن اللَّه إياه قال: ﴿فَلا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣]، فكان قتادة يفسرها أن نبى اللَّه ﷺ قد لقى موسى. أخرجه مسلم.

---

(٢٠٠) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٢) (٢٥٩). (٢٠١) صحيح: أخرجه البخارى (٧٥١٧).

وفي الصحيحين، من حديث سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ حين أسرى به: لقيت موسى وعيسى- ثم نعتهما- ورأيت إبراهيم، وأنا أشبه ولده به[(٢٠٢)].

وقال مروان بن معاوية الفزارى، عن قَنان النِّهمى، قال: حدثنا أبو ظبيان الجنبى، قال: كنا جلوسًا عند أبي عبيدة بن عبد اللَّه ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، فقال محمد لأبي عبيدة: حدثنا عن أبيك ليلة أسرى برسول اللَّه ﷺ. فقال أبو عبيدة: لا، بل حدثنا أنت عن أبيك. قال: لو سألتنى قبل أن أسألك لفعلت. فأنشأ أبو عبيدة يحدث، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: أتانى جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل، فحملنى عليه، فانطلق يهوى بنا، كلما صعد عقبة استوت رجلاه مع يديه، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه، حتى مررنا برجل طوال سبط آدم، كأنه من رجال أزد شنوءة، وهو يقول ويرفع صوته ويقول: أكرمته وفضلته، فدفعنا إليه، فسلمنا، فرد السلام، فقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا أحمد. قال: مرحبًا بالنبي الأمي الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته. قال: ثم اندفعنا، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: موسى. قلت: ومن يعاتب؟ قال: يُعاتب رَبَّه فيك. قلت: ويرفع صوته على ربه! قال: إن اللَّه قد عرف له حدته. قال: ثم اندفعناَ حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج وتحتها شيخ وعياله، فقال لى جبريل: اعمد إلى أبيك إبراهيم، فسلمنا عليه فرد السلام، وقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: ابنك أحمد. فقال: مرحبًا بالنبي الأمي الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، يا بنى إنك لاق ربك الليلة، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل. قال: ثم اندفعنا حتّى انتهينا إلى المسجد الأقصى، فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التى في باب المسجد التى كانت الأنبياء تربط بها، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد، ثم أتيتُ بكأسين من عسل ولبن، فأخذت اللبن فشربته، فضرب جبريل منكبي، وقال: أصبتَ الفطرة ورب محمد. ثم أقيمت الصلاة، فأممتهم، ثم انصرفنا فأقبلنا... هذا حديث حسن غريب.

فإن قيل: فقد صح عن ثابت، وسليمان التيمى، عن أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ قال: أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلى في قبره، وقد صح عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**رأيتنى في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى يصلى، وذكر إبراهيم، وعيسى قال: فحانت الصلاة فأممتهم**». ومن حِديث ابن المسيب أنه لقيهم في بيت المقدس، فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين ما تقدم، من أنه رأى هؤلاء الأنبياء في السموات، وأنه راجع موسى؟

---

(٢٠٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).

فالجواب: أنهم مُثِّلوا له، فرآهم غير مرة، فرأى موسى فى مسيره قائمًا يصلى فى قبره، ثم رآه ببيت المقدس، ثم رآه فى السماء السادسة هو وغيره، فعُرِج بهم، كما عرج بنبينا صلوات اللَّه على الجميع وسلامه، والأنبياء أحياء عند ربهم كحياة الشهداء عند ربهم، وليست حياتهم كحياة أهل الدنيا، ولا حياة أهل الآخرة، بل لون آخر، كما ورد أن حياة الشهداء بأن جعل اللَّه أرواحهم فى أجواف طير خضر، تسرح فى الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش، فهم أحياء عند ربهم بهذا الاعتبار كما أخبر سبحانه وتعالى، وأجسادهم فى قبورهم. وهذه الأشياء أكبر من عقول البشر، والإيمان بها واجب كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ [البقرة: ٣].

أخبرنا أبو الفضل أحمد بن هبة اللَّه، قال: أخبرنا أبو روح عبد المعز بن محمد كتابة، أن تميم بن أبى سعيد الجرجانى أخبرهم، قال: أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، قال: أخبرنا أحمد بن على بن المثنى، قال: حدثنا هدبة بن خالد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مررت ليلة أسرى بى برائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة يا جبريل؟ قال: هذه ماشطة بنت فرعون، كانت تمشطها، فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم اللَّه، قالت: بنت فرعون: أبى. قالت: ربى ورب أبيك. قالت: أقول له إذًا. قالت: قولى له. قال لها: أو لك ربٌّ غيرى! قالت: ربى وربك الذى فى السماء. قال: فأحمى لها بقرة من نحاس، فقالت: إن لى إليك حاجة. قال: وما هى؟ قال: أن تجمع عظامى وعظام ولدى. قال: ذلك لك علينا لما لك علينا من الحق. فألقى ولدها فى البقرة، واحدًا واحدًا واحدًا، فكان آخرهم صبى، فقال: يا أمه اصبرى فإنك على الحق. قال ابن عباس: فأربعة تكلموا وهم صبيان: ابن ماشطة بنت فرعون، وصبى جريج، وعيسى ابن مريم، والرابع لا أحفظه. هذا حديث حسن.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبى بكر بن أبى سبرة وغيره، قالوا: كان رسول اللَّه ﷺ يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، ورسول اللَّه ﷺ نائم فى بيته أتاه جبريل بالمعراج، فإذا هو أحسن شىء منظرًا، فعرج به إلى السموات سماء سماء، فلقى فيها الأنبياء، وانتهى إلى سدرة المنتهى.

قال ابن سعد: وأخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنى أسامة بن زيد، الليثى، عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال محمد بن عمر: وحدثنا موسى بن يعقوب الزمعى، عن

أبيه، عن جده، عن أم سلمة. وحدثنا موسى بن يعقوب، عن أبى الأسود، عن عروة، عن عائشة. وحدثنى إسحاق بن حازم، عن وهب بن كيسان، عن أبى مرة، عن أم هانئ. وحدثنى عبد اللَّه بن جعفر، عن زكريا بن عمرو، عن ابن أبى مليكة، عن ابن عباس، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: أسرى برسول اللَّه ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة من شعب أبى طالب إلى بيت المقدس، وساق الحديث إلى أن قال: وقال بعضهم فى الحديث: فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه حين فُقِدَ يلتمسونه، حتى بلغ العباس ذا طوى، فجعل يصرخ: يا محمد يا محمد، فأجابه رسول اللَّه ﷺ: لبيك. فقال: يا ابن أخى عَنَّيت قومك منذ الليلة، فأين كنت؟ قال: «**أتيت من بيت المقدس**». قال: فى ليلتك! قال: «**نعم**». قال: هل أصابك إلا خير؟ قال: «**ما أصابنى إلا خير**».

وقالت أم هانئ: ما أسرى به إلا من بيتنا: نام عندنا تلك الليلة بعد ما صلى العشاء، فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح، فقام، فلما صلى الصبح قال: يا أم هانئ جئت بيت المقدس، فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم. فقالت: لا تحدث الناس فيكذبونك، قال: واللَّه لأحدثنهم، فأخبرهم فتعجبوا، وساق الحديث.

فَرَّق الواقدى، كما رأيت، بين الإسراء والمعراج، وجعلهما فى تاريخين.

وقال عبد الوهاب بن عطاء: أخبرنا راشد أبو محمد الحمانى، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ أنه قال له أصحابه: يا رسول اللَّه أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها، فقرأ أول ﴿**سبحان**﴾ وقال: بينا أنا نائم عشاءً فى المسجد الحرام، إذ أتانى آت فأيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، ثم عدت فى النوم، ثم أيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، ثم نمت، فأيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، فإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصرى، حتى خرجت من المسجد، فإذا أنا بدابة أدنى شبهه بدوابكم هذه بغالكم، مضطرب الأذنين، يقال له البراق، وكانت الأنبياء تركبه قبلى، يقع حافره مد بصره، فركبته، فبينا أنا أسير عليه إذ دعانى داع عن يمينى: يا محمد انظرنى أسألك. فلم أجبه، فسرت، ثم دعانى داع عن يسارى: ياً محمد انظرنى أسألك. فلم أجبه، ثم إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، وعليها من كل زينة، فقالت: يا محمد انظرنى أسألك. فلم ألتفت إليها، حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقت دابتى بالحلقة، فأتانى جبريل بإناءين: خمر ولبن، فشربت اللبن، فقال: أصبت الفطرة. فحدَّثتُ جبريل عن الداعى الذى عن يمينى، قال: ذاك داعى اليهود، لو أجبته لتهودت أمتك، والآخر داعى النصارى، لو أجبته لتنصرت أمتك، وتلك المرأة الدنيا، لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصلينا

ركعتين، ثم أتيتُ بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم، فلم تر الخلائق أحسن من المعراج، أما رأيتم الميت حيث يشق بصره طامحًا إلى السماء، فإنما يفعل ذلك عجبه به، فصعدتُ أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه اللَّه على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته من الفجار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها فى سجين. ثم مضيت هُنَية، فإذا أنا بأخونة- يعنى بالخوان المائدة- عليها لحم مُشَرَّح، ليس يقربها أحد، وإذا أنا بأخونة أخرى، عليها لحم قد أروح، ونَتُنَ، وعندها أناس يأكلون منها: قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام. قال: ثم مضيت هُنَيَّة، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر يقول: اللَّهم لا تقم الساعة، وهم على سابلة آل فرعون، فتجىء السابلة فتطؤهم، فسمعتهم يضجون إلى اللَّه، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا. ثم مضيت هنية، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فيضجون، قلت: من هؤلاء؟ قال: الذى يأكلون أموال اليتامى ظلمًا. ثم مضيت هنية، فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن، فسمعتهن يضججن إلى اللَّه، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الزناة من أمتك. ثم مضيت هنية، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم، فيلقمون، فيقال له: كل ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون. ثم صعدت إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق اللَّه، قد فضل على الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفر من قومه. فسلَّمت عليه وسلم علىَّ، ثم صعدت إلى السماء الثالثة، فإذا أنا بيحيى وعيسى ومعهما نفر من قومهما. ثم صعدت إلى الرابعة، فإذا أنا بإدريس، ثم صعدت إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون، ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا المحبب فى قومه، هذا هارون بن عمران، ومعه نفر من قومه. فسلمت عليه، ثم صعدت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى رجل آدم كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو يقول: يزعم الناس أنى أكرم على اللَّه من هذا، بل هذا أكرم على اللَّه منىّ. قلت: من هذا؟ قال: موسى

ثم صعدت السابعة، فإذا أنا بإبراهيم، ساند ظهره إلى البيت المعمور، فدخلته ودخل معى طائفة من أمتى، عليهم ثياب بيض، ثم دفعت إلى السدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطى هذه الأمة، وإذا فيها عين تجرى، يقال لها سلسبيل، فيشق منها نهران، أحدهما الكوثر والآخر نهر الرحمة، فاغتسلت فيه، فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر، ثم إنى دفعت إلى الجنة، فاستقبلتنى جارية، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة. ثم عرضت علىَّ النار، ثم أغلقت، ثم إنى دفعت إلى السدرة المنتهى فتغشى لى، وكان بينى وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة، وفرضت علىَّ الصلاة خمسين، ثم دفعت إلى موسى- فذكر مراجعته فى التخفيف. أنا اختصرت ذلك وغيره إلى أن قال- فقلت: رجعت إلى ربى حتى استحييته.

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب، فقال: إنى أتيت البارحة بيت المقدس، وعرج بى إلى السماء، ورأيت كذا، ورأيت كذا، فقال أبو جهل: ألا تعجبون مما يقول محمد، وذكر الحديث.

هذا حديث غريب عجيب حذفت نحو النصف منه، رواه يحيى بن أبى طالب، عن عبد الوهاب، وهو صدوق، عن راشد الحمانى، وهو مشهور، روى عنه حماد بن زيد، وابن المبارك، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، عن أبى هارون عمارة بن جوين العبدى، وهو ضعيف شيعى. وقد رواه عن أبى هارون أيضًا هشيم، ونوح بن قيس الحدانى بطوله نحوه، حدث به عنهما قتيبة بن سعيد. ورواه سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن روح بن القاسم، عن أبى هارون العبدى بطوله. ورواه أسد بن موسى، عن مبارك بن فضالة. ورواه عبد الرزاق، عن معمر. والحسن بن عرفة، عن عمار بن محمد، كلهم عن أبى هارون، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكا.

عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ**﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: رأى عين.

ابن أبى الزناد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أسرى بروح رسول اللَّه ﷺ وهو نائم على فراشه.

معمر عن قتادة عن الحسن، قال: أسرى بروح رسول اللَّه ﷺ وهو نائم على فراشه.

وقال إبراهيم بن حمزة الزبيرى: حدثنا حاتم بن إسماعيل، قال: حدثنى عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى هريرة. (ح). وقال هاشم بن القاسم،

ويونس بن بكير، وحجاج الأعور: حدثنا أبو جعفر الرازى، وهو عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى هريرة أو غيره، عن النبى ﷺ أنه قال فى هذه الآية ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، قال: أتىَ بفرس فحمل عليه، خطوه منتهى بصره، فسار وسار معه جبريل، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المهاجرون فى سبيل اللَّه، تضاعف لهم الحسنة بسبع مائة ضعف ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ: ٣٩]، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رُضِخَتْ عادت! قال: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة. ثمَ أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام عن الضريع والزقوم، ورضف جهنم، قال: يا جبريل ما هؤلاء؟ قال: الذين لا يؤدون الزكاة. ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء إلا قصعته، يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يريد أن يزيد عليها، قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة، لا يستطيع أداءها، وهو يزيد عليها. ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت. قال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

ثم نعت الجنة والنار، إلى أن قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فدخل وصلى، ثم أتى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم.

وذكر حديثًا طويلاً فى ثلاث ورقات كبار. تفرد به أبو جعفر الرازى، وليس هو بالقوى، والحديث منكر يشبه كلام القُصَّاص، إنما أوردته للمعرفة لا للحجة.

وروى فى المعراج إسحاق بن بشير، وليس بثقة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس حديثًا.

وقال معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت: فرضت الصلاة على النبى ﷺ بمكة ركعتين ركعتين، فلما خرج إلى المدينة فرضت أربعًا، وأقرت صلاة السفر ركعتين(٢٠٣). أخرجه البخارى. آخر الإسراء.

* *

(٢٠٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٣٥).

● زواجه ﷺ بعائشة وسودة أمي المؤمنين ●

قال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة، قبل الهجرة، وأنا ابنة ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع سنين جاءني نسوة وأنا ألعب على أرجوحة، وأنا مجممة(٢٠٤)، فهيأنني وصنعنني، ثم أتين بي إليه. قال عروة: ومكثت عنده تسع سنين(٢٠٥). وهذا حديث صحيح.

وقال أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي ابنة تسع. أخرجه البخاري(٢٠٦) هكذا مرسلاً.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيتك في المنام مرتين، أرى أن رجلاً يحملك في سَرَقة(٢٠٧) حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف فأراك فأقول: إن كان هذا من عند الله يُمْضه**». متفق عليه(٢٠٨).

وقال عبد الله بن إدريس، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: قالت عائشة- رضي الله عنها-: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألا تَزَوَّج؟ قال: ومن؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا. قال: من البكر ومن الثيب؟ فقالت: أما البكر فعائشة ابنة أحب خلق الله إليك. وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك. قال: اذكريهما عليَّ. قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: ماذا؟ قالت: رسول الله ﷺ يذكر عائشة. قالت: انتظري فإن أبا بكر آت. فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له. فقال: أوتصلح له وهي ابنة أخيه؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا أخوه وهو أخي وابنته تصلح لي. قالت: وقام أبو بكر، فقالت لي أم رومان: إن المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، ووالله ما أخلفَ وعداً قط، تعني أبا بكر. قالت: فأتى أبو بكر المطعم فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية. قالت:

---

(٢٠٤) الجُمَّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.

(٢٠٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٩٦)، ومسلم (١٤٢٢) من طريق أبي أسامة، عن هشام، به.

(٢٠٦) صحيح: راجع تخريجنا السابق.

(٢٠٧) سَرَقة حرير: أي قطعة من جَيِّد الحرير، وجمعها سَرَق.

(٢٠٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٩٥)، ومسلم (٢٤٣٨) من طريق هشام بن عروة، به.

فأقبل على امرأته فقال لها : ما تقولين؟ فأقبلت على أبى بكر فقالت : لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تُصْبئه وتدخله فى دينك . فأقبل عليه أبو بكر فقال : ما تقول أنت؟ فقال : إنها لتقول ما تسمعَ . فقام أبو بكر وليس فى نفسه من الموعد شىء ، فقال لها : قولى لرسول اللّه ﷺ فليأت . فجاء رسول اللّه ﷺ فملكها ، قالت : ثم انطلقت إلى سودة بنت زمعة ، وأبوها شيخ كبير قد جلس عن الموسم فحييته بتحية أهل الجاهلية وقلت : أنعم صباحًا . قال : من أنت؟ قلت : خولة بنت حكيم . فرحب بى وقال ما شاء اللّه أن يقول ، قلت : محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب يذكر سودة بنت زمعة . قال : كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتُك؟ قلت : تحب ذلك . قال : قولى له فليأت . قالت فجاء رسول اللّه ﷺ فملكها . قالت : وقدمَ عبد بن زمعة فجعل يحثو على رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إنى لسفيه يوم أحثو على رأسى التراب أن تزوج رسول اللّه ﷺ سودة . إسناده حسن .

* *

• عرْضُ نفسه ﷺ على القبائل •

قال إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبى الجعد، عن جابر، قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هل من رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى**». أخرجه أبو داود(٢٠٩)، عن محمد بن كثير، عن إسرائيل، وهو على شرط البخارى.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: كان رسول اللَّه ﷺ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحدًا منكم على شىء، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذاك، ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزونى مما يراد بى من الفتك، حتى أبلغ رسالات ربى، وحتى يقضى اللَّه لى ولمن صحبنى بما شاء. فلم يقبله أحد ويقولون: قومه أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه، ولفظوه، فكان ذلك مما ذخر اللَّه للأنصار.

وتوفى أبو طالب، وابتُلِى رسول اللَّه ﷺ أشد ما كان، فعمد لثقيف بالطائف، رجاء أن يُؤوُوه، فوجد ثلاثة نفر منهم، هم سادة ثقيف: عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء، وما انتهك منه قومه. فقال أحدهم: أنا أسرق أستار الكعبة إن كان اللَّه بعثك قط. وقال الآخر: أعجز على اللَّه أن يرسل غيرك. وقال الآخر: واللَّه لا أكلمك بعد مجلسك هذا، واللَّه لئن كنت رسول اللَّه لأنت أعظم شرفًا وحقًا من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على اللَّه، لأنت أشر من أن أكلمك. وتهزَّؤوا به، وأفشوا فى قومهم الذى راجعوه به، وقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، ودموا رجليه، فخلص منهم وهما تسيلان الدماء، فعمد إلى حائط من حوائطهم، واستظل فى ظل سَمُرَة حَبَلة منه، وهو مكروب مُوجَع، فإذا فى الحائط عتبة بن ربيعة، وشيبة أخوه، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عدواتهما، فلما رأياه أرسلا إليه غلامًا لهما يدعى عَدَّاسًا، وهو نصرانى من أهل نينوى، معه عنب، فلما جاء عداس، قال له رسول اللَّه ﷺ: «**من أى أرض أنت يا عداس**»؟ قال: من أهل نينوى، فقال له النبى ﷺ: «**من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى**»؟ فقال: وما يدريك من يونس بن متى؟ قال: «**أنا رسول اللَّه، واللَّه أخبرنى خبر يونس**». فلما أخبره خر عداس ساجدًا

(٢٠٩) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤).

لرسول اللَّه ﷺ، وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء، فلما أبصر عتبة، وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلما أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح، أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه اللَّه إلينا يدعى يونس بن متى، فضحكا به، وقالا: لا يفتنك عن نصرانيتك، فإنه رجل خَدَّاع. فرجع رسول اللَّه ﷺ إلى مكة.

وقال يونس بن يزيد، عن الزهرى: أخبرنى عروة، أن عائشة حدثته، أنها قالت لرسول اللَّه ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «ما لقيت من قومك كان أشد منه، يوم العَقَبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب(٢١٠)، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا هو جبريل، فنادانى «إن اللَّه قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». ثم نادانى ملك الجبال فسلم علىَّ، ثم قال: يا محمد إن اللَّه قد سمع قومك، وأنا ملك الجبال، قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بما شئت، إن شئت يطبق عليهم الأخشبين(٢١١). فقال له رسول اللَّه ﷺ: بل أرجو أن يخرج اللَّه من أسرارهم- أو قال: من أصلابهم- من يعبد اللَّه لا يشرك به شيئًا(٢١٢). أخرجاه.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى قال: لما انتهى رسول اللَّه ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادتهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمر، وأخواه مسعود، وحبيب، وعند أحدهم امرأة من قريش من جمح، فجلس إليهم ودعاهم إلى اللَّه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان اللَّه أرسلك، وقال الآخر: أما وجد اللَّه من يرسله غيرك؟ وقال الآخر: واللَّه لا أكلمك.

وذكره كما فى حديث ابن شهاب، وفيه زياد وهى: فلما اطمأن ﷺ قال فيما ذُكِرَ لى: «**اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، أرحم الراحمينَ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى، إلى بعيد يتجهمنى، أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور**

---

(٢١٠) قرن الثعالب: موضع على مسافة يوم وليلة من مكة.

(٢١١) الأخْشَبان: الجبلان المُطيفان بمكة، وهما أبو قُبَيْس والأحمر، وهو جبل مُشْرِفٌ وجهه على قُعَيْقِعان. والأخْشَب: كلُّ جبلٍ خَشِنٍ غليظ الحجارة.

(٢١٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

وجهك الكريم الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» (٢١٣).

وحدثنى حسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبى، قال: إنى لغلام شاب مع أبى بمنى، ورسول اللَّه ﷺ يقف على القبائل من العرب، يقول: يا بنى فلان إنى رسول اللَّه إليكم، يأمركم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن اللَّه ما بعثنى به. قال: وخلفه رجل أحول وضىء، له غديرتان، عليه حلة عَدَنية، فإذا فرغ رسول اللَّه ﷺ من قوله قال: يا بنى فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحى من بنى مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. فقلت لأبى: من هذا؟ قال: هذ عمه عبد العزى أبو لهب.

وحدثنى ابن شهاب أنه ﷺ أتى كندة فى منازلهم، وفيهم سيد لهم يقال له مليح، فدعاهم إلى اللَّه، وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه.

وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن حُصَين، أنه أتى كلبًا فى منازلهم، إلى

---

(٢١٣) ضعيف: أخرجه ابن إسحاق فى «المغازى» - كما فى «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٧ - ٤٨) ومن طريقه الطبرى فى «تاريخه» (١/ ٥٥٤) قال حدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى مرسلاً.

قلت: إسناده ضعيف لإرساله، محمد بن كعب القرظى، تابعى من الطبقة الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال ولد فى عهد النبى ﷺ، فقد قال البخارى: إن أباهُ كان ممن لم ينبت يوم قريظة فترك.

وأخرجه الخطيب فى «الجامع لأخلاق الراوى» (١٩٠١)، والطبرانى فى «الكبير» مختصرًا من طريق ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفى أبو طالب خرج ماشيًا على قدميه إلى الطائف، فدعاهم إلى الله، فلم يجيبوه، فأتى ظل شجرة، فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى . . . . . » الحديث مع تغيير يسير فى بعض ألفاظه.

وقال الهيثمى فى «الجمع» (٦/ ٣٥): «وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».

قلت: فالحديث يرسُفُ فى أغلال الضعف، ولا فكاكَ له؛ فمدارُهُ على ابن إسحاق، وقد انفرد به، ولم يُروَ من غير طريقه.

وقوله «يتجهمنى»: أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه.

وقد ذكرت الحديث فى كتابنا [الأرائك المصنوعة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة] المجلد الأول حديث رقم (٢٠٥) ط. مكتبة الدعوة بالأزهر فراجعه ثمَّت إن شئت يسَّر الله طبع بقية مجلدات هذا الكتاب، وأكثر النفع به، وجعله فى ميزان حسناتنا وسائر أعمالنا بكرمه ومَنِّه.

بطن منهم يقال له بنو عبد اللَّه، فدعاهم إلى اللَّه وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول: يا بنى عبد اللَّه إن اللَّه قد أحسن اسم أبيكم، فدعاهم إلى اللَّه فلم يقبلوا.

وحدثنى بعض أصحابنا أنه أتى بنى حنيفة فى منازلهم، ودعاهم إلى اللَّه، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردًا منهم.

وحدثنى الزهرى أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى اللَّه، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: واللَّه لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك اللَّه على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «**الأمر إلى اللَّه يضعه حيث يشاء**»، قال: أفنهدف نحورنا للعرب دونك؟ فإذا أظهرك اللَّه كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه.

وقال يونس بن بُكَير، عن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجًا أو معتمرًا، وكان سويد يسميه قومه فيهم «الكامل» لسنه وجلده وشعره، فتصدى له رسول اللَّه ﷺ ودعاه إلى اللَّه، فقال سويد: فلعل الذى معك مثل الذى معى. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**وما الذى معك**»؟ قال: مجلة لقمان، يعنى: حكمة لقمان، قال: اعرضها، فعرضها عليه، فقال: «**إن هذا الكلام حسن، والذى معى أفضل منه، قرآن أنزله اللَّه علىَّ**»، فتلا عليه القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن. ثم انصرف فقدم المدينة على قومها، فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فكان رجال من قومه يقولون: إنا لنرى أنه قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعاث.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق، قال: وسويد الذى يقول:

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقًا ولو ترى ... مقالته بالغيب سـاءكَ ما يَفْرى
مقالتهُ كالشَّهْد ما كان شـاهدًا ... وبالغيب مـأثورٌ على ثُغْرَة النَّحْرِ
يَسُرُّكَ باديه وتحـت أديمه ... تميمة غـشٍّ تبترى عَقَبَ الظَّهر
تُبينُ لكَ العَيْنان ما هـو كاتمٌ ... من الغلِّ والبغضـاء بالنَّظر الشَّزْر
فَرِشْنى بخير طـالما قدْ بريْتنى ... وخيرُ الموالى مَنْ يَريـش ولا يَبْرى

❊ ❊

• حديثُ يومِ بُعاث(٢١٤) •

قال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لَبِيد، قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول اللَّه ﷺ فأتاهم فقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول اللَّه بعثنى اللَّه إلى العباد، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس، وكان غلامًا حدثًا: يا قوم هذا واللَّه خير مما جئتم له. فيأخذ أبو الحيسر حفنة من الحصباء، فضرب بها وجه إياس، وقال: دعنا منك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا. فسكت، وقام النبى ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرنى من حضره من قومى أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل اللَّه ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، وكانوا لا يشكون أنه مات مسلمًا. وقد كان استشعر من الإسلام فى ذلك المجلس، حين سمع من رسول اللَّه ﷺ ما سمع.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان يوم بعاث يومًا قدمه اللَّه لرسوله، فقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، وقد افترق ملؤهم وقُتِلَت سرواتهم- يعنى: وجرحوا- قَدَّمه اللَّه لرسوله فى دخولهم فى الإسلام. أخرجه البخارى(٢١٥).

* *

---

(٢١٤) بُعاث. بضم الباء، يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج، وبُعاث اسم حصن للأوس، وبعضهم يقوله بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٢١٥) صحيح: أخرجه البخارى (٣٧٧٧) حدثنا عُبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، به.

وقوله (سَرَوَاتهم): بفتح المهملة والراء والواو أى خيارهم.

● ذكر مبدأ خَبر الأنصار والعقبة الأولى ●

قال أحمد بن المقدام العجلى : حدثنا هشام بن محمد الكلبى ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبى عيسى بن خير ، عن أبيه ، قال : سمعتُ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبى قبيس :

فإن يُسلمِ السَّعْدان يُصبحْ محمد ... بمكةَ لا يَخْشى خِـــلافَ المُخَالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان؟ سعد بن بكر ، سعد تميم؟ فلما كان فى الليلة الثانية سمعوا الهاتف يقول :

أيا سـعدُ الأوسِ كُنْ أنتَ ناصرًا ... ويا سعدُ سعد الخَزْرَجَيْن الغَطارِف

أجيبا إلى داعـــى الهدى وتمنّيا ... على اللّه فى الفِرْدَوْسِ مُنية عارِف

فإنّ ثَوابَ اللَّـــه للطالبِ الهُدَى ... جنانٌ من الفِـــرْدوْسِ ذات رَفَارِف

فقال أبو سفيان : هو واللّه سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .

وقال البكائى ، عن ابن إسحاق : لما أراد اللّه إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ، خرج رسول اللّهﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه الأنصار ، فعرض نفسه على القبائل ، كما كان يصنع ، فبينا هو عند العقبة لقى رهطًا من الخزرج ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول اللّهﷺ لما لقيهم قال : من أنتم؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى اللّه وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع اللّه به فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا أهل شرك وأوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا : إن نبيًا مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول اللّهﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى اللّه ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تَعْلَموا واللّه إنه للنبى الذى تواعدكم به يهود ، فلا يسبقُنَّكُم إليه . فأجابوه وأسلموا ، وقالوا : إنا تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم اللّه بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك به ، فإن يجمعهم اللّه عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذُكر ستة من الخزرج : أسعد بن زرارة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك الزرقى ، وقطبة بن عامر السلمى ، وعقبة بن عامر . رواه جرير بن حازم عن

ابن إسحاق، فقال بدل عقبة: مُعَوِّذ بن عفراء، وجابر بن عبد اللَّه أحد بنى عدى بن غنم. فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول اللَّه ﷺ ودعوهم إلى الإسلام، وفشا فيهم ذكر رسول اللَّه ﷺ، فلما كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسول اللَّه ﷺ بالعقبة، وهى «العقبة الأولى»، فبايعوا رسول اللَّه ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب، وهم أسعد بن زرارة، وعوف، ومعوذ ابنا الحارث وهما ابن عفراء، وذكوان بن عبد قيس، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة البلوى، وعباس بن عبادة بن نضلة، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وهم من الخزرج، وأبو الهيثم ابن التيهان، وعويم بن ساعدة، وهما من الأوس.

وقال يونس وجماعة، عن ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن مرثد بن عبد اللَّه اليزنى، عن أبى عبد اللَّه الصُّنابحى عبد الرحمن بن عُسَيلة، قال: حدثنى عبادة بن الصامت، قال: بايعنا رسول اللَّه ﷺ ليلة العقبة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً، فبايعناه بيعة النساء على أن لا نشرك باللَّه شيئًا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، وذلك قبل أن تفترض الحرب، فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غشيتم شيئًا فأمركم إلى اللَّه، إن شاء غفر، وإن شاء عذب.

أخرجاه عن قتيبة، عن الليث، عن يزيد بن أبى حبيب. أخبرنا الخضر بن عبد الرحمن، وإسماعيل بن أبى عمرو، قالا: أخبرنا الحسن بن على بن الحسين بن الحسن بن البن، قال: أخبرنا جدى أبو القاسم الحسين، قال: أخبرنا أبو القاسم على بن محمد بن على بن أبى العلاء سنة تسع وسبعين وأربع مائة، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان المعدل، قال: أخبرنا على بن يعقوب، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم القرشى، قال: أخبرنا محمد بن عائذ، قال: أخبرنى إسماعيل بن عياش، عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن عبادة بن الصامت، قال: بايعْنا رسول اللَّه ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن نقول فى اللَّه عز وجل، لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع أنفسنا وأزواجنا، ولنا الجنة. رواه زهير بن معاوية، عن ابن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، أن عبادة قال نحوه. خالفه داود بن عبد الرحمن العطار ويحيى بن سليم، فرويا عن ابن خثيم هذا المتن بإسناد آخر، وهو عن أبى الزبير عن جابر. وسيأتى.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: فلما انصرف القوم، بعث رسول اللَّه ﷺ مصعب بن

عمير العبدرى يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين، فنزل على أسعد بن زرارة، فحدثنى عاصم ابن عمر أنه كان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض.

قال ابن إسحاق: وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ.

وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبى حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة، واستغفر، فقلت: يا أبه ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبى أمامة! قال: أى بنى، كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم من حرة بنى بياضة يقال له نقيع الخَضِمات. قلت: وكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: فلما حضر الموسم حج نفر من الأنصار، منهم معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان، وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن بن تغلب، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فأتاهم رسول اللَّه ﷺ فأخبرهم خبره، وقرأ عليهم القرآن، فأيقنوا به واطمأنوا، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب، فصدقوه، ثم قالوا: قد علمت الذى كان بين الأوس والخزرج من سفك الدماء، ونحن حراص على ما أرشدك اللَّه به، مجتهدون لك بالنصيحة، وإنا نشير عليك برأينا، فامكث على اسم اللَّه حتى نرجع إلى قومنا فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى اللَّه، فلعل اللَّه يصلح ذات بينهم، ويجمع لهم أمرهم فنواعدك الموسم من قابل. فرضى بذلك رسول اللَّه ﷺ، ورجعوا إلى قومهم فدعوهم سرا وتلوا عليهم القرآن، حتى قل دار من الأنصار إلا قد أسلم فيها ناس، ثم بعثوا إلى رسول اللَّه ﷺ معاذ بن عفراء، ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك يفقهنا. فبعث مصعب بن عمير، فنزل فى بنى تميم على أسعد يدعو الناس سرًا، ويفشو فيهم الإسلام ويكثر، ثم أقبل مصعب وأسعد، فجلسنا عند بئر بنى مرق، وبعثا إلى رهط من الأنصار، فأتوهما مستخفين، فأخبر بذلك سعد بن معاذ- ويقول بعض الناس: بل أسيد ابن حضير- فأتاهم فى لأمته معه الرمح، حتى وقف عليهم، فقال لأبى أمامة أسعد: علام أتيتنا فى دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد، يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تسيء من جوارنا. فقاموا، ثم إنهم عادوا مرة أخرى لبئر بنى مرق، أو قريبًا منها، فذكروا لسعد بن معاذ الثانية فجاءهم، فتواعدهم وعيدًا دون وعيده الأول، فقال له أسعد: يا ابن خالة، اسمع من قوله، فإن سمعت حقًا فأجب إليه، وإن سمعت منكرًا فاردده بأهدى منه، فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليه مصعب: ﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ [الزخرف]، فقال سعد: ما أسمع إلا ما أعرفه. فرجع سعد وقد هداه اللَّه، ولم يظهر لهما إسلامه، حتى رجع إلى قومه فدعا بنى عبد الأشهل إلى الإسلام، وأظهر لهم إسلامه وقال: من شك منكم فيه فليأت بأهدى منه، فواللَّه لقد جاء أمر لَتُحَزَّنَّ منه الرقاب. فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن معاذ، إلا من لا يذكر.

ثم إن بنى النجار أخرجوا مصعب بن عمير، واشتدوا على أسعد، فانتقل مصعب إلى سعد بن معاذ يدعو آمنا ويهدى اللَّه به. وأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز من بالمدينة، وكان مصعب أول من جَمَّع الجمعة بالمدينة، ثم رجع إلى رسول اللَّه ﷺ. هكذا قال ابن شهاب: إن مصعبًا أول من جَمَّع بالمدينة.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: وحدثنى عبد اللَّه بن المغيرة بن مُعَيْقيب، وعبد اللَّه بن أبى بكر بن حزم، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير، يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بنى ظفر، وقالا: على بئر مَرْق، فاجتمع إليهما ناس، وكان سعد وأسيد بن حضير سيدى بنى عبد الأشهل، فلما سمعا به قال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فلولا، أسعد بن زرارة ابن خالتى كفيتك ذلك. فأخذ أسيد حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق اللَّه فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما، فقال: ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره. قال: أنصف. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما بلغنا: واللَّه لعرفنا فى وجهه الإسلام، قبل أن يتكلم فى إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتَطَهَّر وتُطهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى. فقام فاغتسل وأسلم وركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه من قومه أحد، وسأرسله إليكما. ثم انصرف إلى سعد بن معاذ وقومه، وهم جلوس فى ناديهم، فلما رآه سعد مقبلاً قال: أقسم باللَّه لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ولى به، ثم قال له: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فما رأيت بهما بأسًا، وقد تَهَيَّبتهما فقالا: لا نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك. فقام سعد مغضبًا سادرًا متخوفًا، فأخذ الحربة، وقال: واللَّه ما أراك أغنيت عنا شيئًا. ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما،

فوقف عليهما متبسمًا. ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، واللَّه لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا، أتغشانا فى دارينا بما نكره! وقد قال أسعد لمصعب: أى مصعب جاءك واللَّه سيد من وراءه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. فقال: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهت عزلنا عنك ما تكره. قال: أنصفت. فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فعرفنا فى وجهه، واللَّه، الإسلام قبل أن يتكلم به، لإشراقه وتسهله. ثم فعل كما عمل أسيد، وأسلم، وأخذ حربته، وأقبل عامدًا إلى نادى قومه، ومعه أسيد، فلما رآه قومه، قالوا: نحلف باللَّه لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فقال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعرفون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالك ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا. فواللَّه ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع مصعب وأسعد إلى منزلهما، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء ومسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس اللَّه وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفى، وكان شاعرًا لهم وقائدًا، يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى مضت أحد والخندق.

* *

• العقبة الثانية •

قال يحيى بن سُلَيم الطائفى، وداود العطار - وهذا لفظه: حدثنا ابن خثيم، عن أبى الزبير المكى، عن جابر بن عبد اللَّه، أن رسول اللَّه ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى المواسم: مجنة وعُكاظ، ومنى، يقول: من يؤوينى وينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى وله الجنة؟ فلا يجد، حتى إن الرجل يرحل صاحبه من مضر أو اليمن، فيأتيه قومه أو ذو رحمه يقولون: احذر فتى قريش لا يفتنك، يمشى بين رحالهم يدعوهم إلى اللَّه عز وجل، يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا اللَّه له من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من يثرب إلا وفيها رهط يظهرون الإسلام. ثم ائتمرنا واجتمعنا سبعين رجلاً منا، فقلنا: حتى متى نذرُ رسول اللَّه ﷺ يطوف فى جبال مكة ويخاف. فرحلنا حتى قدمنا عليه فى الموسم، فواعدنا شعب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين، حتى توافينا عنده، فقلنا: يا رسول اللَّه علام نبايعك؟ قال: «**على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن تقولوا فى اللَّه، لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصرونى إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة**». فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، إلا أنا، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلا ونحن نعلم أنه رسول اللَّه، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على اللَّه، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند اللَّه عز وجل. فقلنا: أمط يدك يا أسعد، فواللَّه لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً، يأخذ علينا شرطه، ويعطينا على ذلك الجنة.

زاد فى وسطه يحيى بن سليم: فقال له عمه العباس: يا ابن أخى لا أدرى ما هذا القوم الذين جاؤوك، إنى ذو معرفة بأهل يثرب. قال: فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس فى وجوهنا، قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم أحداث، فقلنا: علام نبايعك.

وقال أبو نعيم: حدثنا زكريا، عن الشعبى، قال: انطلق النبى ﷺ معه عمه العباس، إلى السبعين من الأنصار، عند العقبة تحت الشجرة، قال: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينًا. فقال أسعد: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك، ثم

أخبرنا ما لنا على اللَّه . قال : أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤووني وتنصروني وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال : لكم الجنة . قالوا : فلك ذلك .

وقال أبو نعيم : حدثنا زكريا ، عن الشعبي ، قال : انطلق النبي ﷺ معه عمه العباس ، إلى السبعين من الأنصار ، عند العقبة تحت الشجرة ، قال : ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عينا . فقال أسعد : سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك ، ثم أخبرنا ما لنا على اللَّه . قال : أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال : لكم الجنة . قالوا : فلك ذلك .

ورواه أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري بنحوه ، قال : وكان أبو مسعود أصغرهم سنًا .

وقال ابن بُكير ، عن ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر ، وعبد اللَّه بن أبي بكر ، أن العباس بن عبادة بن نضلة أخا بني سالم قال : يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون رسول اللَّه ﷺ ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنها إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل ، تركتموه وأسلمتموه ، فمن الآن ، فهو واللَّه إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم مستضلعون به وافون له ، فهو واللَّه خير الدنيا والآخرة . قال عاصم : فواللَّه ما قال العباس هذه المقالة إلا ليشد لرسول اللَّه ﷺ بها العقْد .

وقال ابن أبي بكر : ما قالها إلا ليؤخر بها أمر القوم تلك الليلة ، ليشهد أمرهم عبد اللَّه بن أبي ، فيكون أقوى . قالوا : فما لنا بذلك يا رسول اللَّه؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك . وبايعوه ، فقال عباس بن عبادة : إن شئت لنملين عليهم غداً بأسيافنا ، فقال : لم أؤمر بذلك .

وقال الزهري - ورواه ابن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة - وقاله موسى بن عقبة ، وهذا لفظه : إن العام المقبل حج من الأنصار سبعون رجلاً ، أربعون من ذوي أسنانهم وثلاثون من شُبَّانهم ، أصغرهم أبو مسعود عقبة بن عمرو ، وجابر بن عبد اللَّه ، فلقوه بالعقبة ، ومع رسول اللَّه ﷺ عمه العباس ، فلما أخبرهم بما خصه اللَّه من النبوة والكرامة ، ودعاهم إلى الإسلام وإلى البيعة أجابوه ، وقالوا : اشترط علينا لربك ولنفسك ما شئت . فقال : أشترط لربي أن لا تشركوا به شيئًا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم . فلما طابت بذلك أنفسهم من الشرط أخذ عليهم العباس المواثيق لرسول اللَّه ﷺ بالوفاء ، وعظم

العباس الذى بينهم وبين رسول اللَّه ﷺ ، وذكر أن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد ابن عدى بن النجار . وذكر الحديث بطوله .

قال عروة : فجميع من شهد العقبة من الأنصار سبعون رجلاً وامرأة . وقال ابن إسحاق : سبعون رجلاً وامرأتان ، إحداهما أم عمارة وزوجها وابناهما .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : فحدثنى معبد بن كعب بن مالك بن القين ، عن أخيه عبيد اللَّه ، عن أبيه كعب - رضى اللَّه عنه - قال : خرجنا فى الحجة التى بايعنا فيها رسول اللَّه ﷺ بالعقبة مع مشركى قومنا ، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا ، حتى إذا كنا بظاهر البيداء ، قال : يا هؤلاء تعلمون أنى قد رأيت رأيًا ، واللَّه ما أدرى توافقونى عليه أم لا؟ فقلنا : وما هو يا أبا بشر؟ قال : إنى قد أردت أن أصلى إلى هذه البنية ولا أجعلها منى بظهر . فقلنا : لا واللَّه لا تفعل ، واللَّه ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلى إلا إلى الشام . قال : فإنى واللَّه لمصل إليها . فكان إذا حضرت الصلاة توجه إلى الكعبة ، وتوجهنا إلى الشام ، حتى قدمنا مكة ، فقال لى البراء : يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول اللَّه ﷺ ، حتى أسأله عما صنعت ، فلقد وجدت فى نفسى بخلافكم إياى . قال : فخرجنا نسأل عن رسول اللَّه ﷺ ، فلقينا رجلاً بالأبطح ، فقلنا : هل تدلنا على محمد؟ قال : وهل تعرفانه إن رأيتماه؟ قلنا : لا واللَّه . قال : فهل تعرفان العباس؟ فقلنا : نعم ، وقد كنا نعرفه ، كان يختلف إلينا بالتجارة ، فقال : إذا دخلتما المسجد فانظرا العباس ، فهو الرجل الذى معه . قال : فدخلنا المسجد ، فإذا رسول اللَّه ﷺ والعباس ناحية المسجد جالسين ، فسلمنا ، ثم جلسنا ، فقال رسول اللَّه ﷺ : هل تعرف هذين يا أبا الفضل؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك ، فواللَّه ما أنسى قول رسول اللَّه ﷺ : «**الشاعر**»؟ قال : نعم ، فقال له البراء : يا رسول اللَّه إنى قد كنت رأيت فى سفرى هذا رأيًا ، وقد أحببت أن أسألك عنه . قال : وما ذاك؟ قال : رأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت إليها . فقال له رسول اللَّه ﷺ : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . فرجع إلى قبلة رسول اللَّه ﷺ ، وأهله يقولون : قد مات عليها ، ونحن أعلم به ، قد رجع إلى قبلة رسول اللَّه ﷺ وصلى معنا إلى الشام .

ثم واعدنا رسول اللَّه ﷺ العقبة ، أوسط أيام التشريق ، ونحن سبعون رجلاً للبيعة ، ومعنا عبد اللَّه بن عمرو بن حرام والد جابر ، وإنه لعلى شركه ، فأخذناه فقلنا : يا أبا جابر واللَّه إنا لنرغب بك أن تموت على ما أنت عليه ، فتكون لهذه النار غدًا حطبًا ، وإن اللَّه قد بعث رسولاً يأمر بتوحيده وعبادته ، وقد أسلم رجال من قومك ، وقد واعدنا رسول اللَّه ﷺ للبيعة . فأسلمَ وطهَّرَ ثيابَه ، وحضرها معنا فكان نقيبًا ، فلما كانت الليلة التى وعدنا فيها رسول

اللَّه ﷺ بمنى أول الليل مع قومنا، فلما استثقل الناس من النوم تسللنا من فرشنا تسلل القطا، حتى اجتمعنا بالعقبة، فأتى رسول اللَّه ﷺ وعمه العباس، ليس معه غيره، أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، فكان أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وهو فى منعة من قومه وبلاده، قد منعناه ممن هو على مثل رأينا منه، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، وإلى ما دعوتموه إليه، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما وعدتموه، فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم تخشون من أنفسكم خذلانًا فاتركوه فى قومه، فإنه فى منعة من عشيرته وقومه. فقلنا: قد سمعنا ما قلت، تكلم يا رسول اللَّه. فتكلم ودعا إلى اللَّه، وتلا القرآن، ورَغَّب فى الإسلام، فأجبناه بالإيمان والتصديق له، وقلنا له: خذ لربك ولنفسك. فقال: إنى أبايعكم على أن تمنعونى مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم. فأجابه البراء بن معرور فقال: نعم والذى بعثك بالحق نمنعك مما نمنع منه أُزُرَنَا، فبايعنا يا رسول اللَّه فنحن واللَّه أهل الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر. فعرض فى الحديث أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول اللَّه إن بيننا وبين أقوام حبالاً، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن اللَّه أظهرك ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أسالمُ مَنْ سالمتم وأحارب من حاربتم. فقال له البراء بن معرور: ابسط يدك يا رسول اللَّه نبايعك. فقال رسول اللَّه ﷺ: أخرجوا إلىَّ منكم اثنى عشر نقيبًا، فأخرجوهم له، فكان نقيب بنى النجار: أسعد بن زرارة، ونقيب بنى سلمة: البراء بن معرور، وعبد اللَّه بن عمرو بن حرام، ونقيب بنى ساعدة: سعد بن عبادة، والمنذر ابن عمرو، ونقيب بنى زُرَيق: رافع بن مالك، ونقيب بنى الحارث بن الخزرج: عبد اللَّه بن رواحة، وسعد بن الربيع، ونقيب بنى عوف بن الخزرج: عبادة بن الصامت- وبعضهم جعل بدل عبادة بن الصامت خارجة بن زيد- ونقيب بنى عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة، ونقيب بنى عبد الأشهل- وهم من الأوس- أسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيهان، قال: فأخذ البراء بيد رسول اللَّه ﷺ فضرب عليها، وكان أول من بايع، وتتابع الناس فبايعوا، فصرخ الشيطان على العقبة بأنفذ- واللَّه- صوت سمعته قط، فقال: يا أهل الجباجب هل لكم من مُذَمَّم والصُّباة معه قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هذا أزبُّ العقبة، هذا ابن أزيب، أما واللَّه لأفرغنَّ لك، ارفضُوا إلى رحالكم**». فقال العباس بن عبادة أخو بنى سالم: يا رسول اللَّه، والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا. فقال: «**إنا لم نؤمر بذلك**». فرحنا إلى رحالنا فاضطجعنا، فلما أصبحنا، أقبلت جلة من قريش فيهم الحارث بن هشام، فتى شاب وعليه نعلان له جديدتان، فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا لتستخرجوه من بين أظهرنا، وإنه واللَّه ما من العرب أحد أبغض

إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . فانبعث من هناك من قومنا من المشركين يحلفون لهم باللَّه ، ما كان من هذا من شيء ، وما فعلناه . فلما تثور القوم لينطلقوا قلت كلمة كأني أشركهم في الكلام : يا أبا جابر - يريد عبد اللَّه بن عمرو - أنت سيد من سادتنا وكهل من كهولنا ، لا تستطيع أن تتخذ مثل نعلي هذا الفتى من قريش . فسمعه الحارث ، فرمى بهما إليَّ وقال : واللَّه لتلبسنهما . فقال أبو جابر : مهلاً أحفظت لعمر اللَّه الرجل - يقول : أخجلته - اردد عليه نعليه . فقلت : لا واللَّه لا أردهما ، فألٌ صالح إني لأرجو أن أسلبه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد اللَّه بن أبي بكر ، قال : ثم انصرفوا عنهم فأتوا عبد اللَّه بن أبي يعني ابن سلول فسألوه ، فقال : إن هذا الأمر جسيم وما كان قومي ليتفوتوا عليَّ بمثله . فانصرفوا عنه .

وقال ابن إدريس ، عن ابن إسحاق : حدثني عبد اللَّه بن أبي بكر أن رسول اللَّه ﷺ قال لهم : ابعثوا منكم اثني عشر نقيبًا كفلاء على قومهم ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، فقال أسعد بن زرارة : نعم يا رسول اللَّه ، قال : فأنت نقيب على قومك ، ثم سمى النقباء كرواية معبد بن مالك .

وقال ابن وهب : حدثني مالك ، قال : حدثني شيخ من الأنصار أن جبريل - عليه السلام - كان يشير للنبي ﷺ إلى من يجعله نقيبًا . قال مالك : كنت أعجب كيف جاء من قبيلة رجل ، ومن قبيلة رجلان ، حتى حدثني هذا الشيخ أن جبريل كان يشير إليهم يوم البيعة ، قال مالك : وهم تسعة نقباء من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

وقال : ابن إسحاق :

■ **تسمية من شهد العقبة :**

قلت : تركت النقباء لأنهم قد تقدموا .

فمن الأوس : سلمة بن سلامة بن وَقْش .

ومن بني حارثة : ظُهَير بن رافع ، وأبو بردة بن نيار ، وبهير بن الهيثم .

ومن بني عمرو بن عوف : رفاعة بن عبد المنذر - وعَدَّة ابن إسحاق نقيبًا عوض أبي الهيثم ابن التيهان - وعبد اللَّه بن جبير بن النعمان أمير الرماة يوم أحد ويومئذ استشهد ، ومعن بن عدي قُتِلَ يوم اليمامة ، وعويم بن ساعدة .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلاً .

ومن الخزرج من بني النجار: أبو أيوب خالد بن زيد، ومعاذ بن عفراء وأخوه عوف، وعمارة بن حزم، وقتل يوم اليمامة.

ومن بني عمرو بن مبذول: سهل بن عتيك، بدري.

ومن بني عمرو بن النجار، وهم بنو حُدَيلة: أوس بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل.

ومن بني مازن بن النجار: قيس بن أبي صعصعة، وعمرو بن غزية.

ومن بلحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد، استشهد يوم أحد، وبشير بن سعد، وعبد اللَّه بن زيد صاحب النداء، وخلاد بن سُوَيد، استشهد يوم قُرَيظة، وأبو مسعود عقبة بن عمرو.

ومن بني بياضة: زياد بن لَبيد، وفروة بن عمرو، وخالد بن قيس.

ومن بني زُرَيق: ذكوان بن عبد قَيْس، وكان خرج إلى مكة، فكان مع رسول اللَّه ﷺ، فكان يقال له: مهاجري أنصاري، واستشهد يوم أحد، وعباد بن قيس، والحارث بن قيس.

ومن بني سلمة: بشر بن البراء بن معرور ابن أحد النقباء، وسنان ابن صيفي، والطفيل ابن النعمان، واستشهد يوم الخندق، ومعقل بن المنذر، ومسعود بن يزيد، والضحاك بن حارثة، ويزيد بن حرام، وجبار بن صخر، والطفيل بن مالك.

ومن بني غَنْم بن سواد: سليم بن عمرو، وقطبة بن عامر، ويزيد بن عامر، وأبو اليسر كعب بن عمرو، وصيفي بن سواد.

ومن بني نابي بن عمرو: ثعلبة بن غَنَمة، وقُتِلَ بالخندق، وأخوه عمرو، وعبس بن عامر، وعبد اللَّه بن أنيس، وخالد بن عدي.

ومن بني حرام: جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وثابت بن الجِذع، استشهد بالطائف، وعُمَير بن الحارث، وخَديج بن سلامة، ومعاذ بن جبل.

ومن بني عوف بن الخزرج: العباس بن عبادة، استشهد يوم أحد، وأبو عبد الرحمن يزيد ابن ثعلبة البلوي حليف لهم، وعمرو بن الحارث.

ومن بني سالم بن غنم بن عوف: رفاعة بن عمرو، وعقبة بن وهب.

ومن بني ساعدة: النقيبان سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو الذي كان أميرًا يوم بئر معونة فاستشهد.

وأما المرأتان: فأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى، وأم عُمارة نُسَيبة بنت كعب، حضرت ومعها زوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب وعبد اللّه، وحبيب هو الذى مَثَّل به مسيلمة الكذاب وقطعه عضواً عضواً.

قال ابن إسحاق: فلما تفرق الناس عن البيعة، فتشت قريش من الغد عن الخبر والبيعة، فوجدوه حقًا، فانطلقوا فى طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة، وهرب منذر بن عمرو، فشدوا يدى سعد إلى عنقه بنسعة، وكان ذا شعر كثير، فطفقوا يجبذونه بجمته ويصكونه ويلكزونه، إلى أن جاء مطعَم بن عدى، والحارث بن أمية، وكان سعد يجيرهما إذا قدما المدينة، فأطلقاه من أيديهم وخليا سبيله.

قال: وكان معاذ بن عمرو بن الجموح قد شهد العقبة، وكان أبوه من سادة بنى سلمة، وقد اتخذ فى داره صنماً من خشب يقال له مناف، فلما أسلم فتيان بنى سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو وغيرهما، كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيأخذونه ويطرحونه فى بعض الحفر، وفيها عَذر الناس، منكسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا فى هذه الليلة! ثم يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما واللّه لو أعلم من يصنع بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام فعلوا به مثل ذلك، وفعل مرات، وفى الآخر علق عليه سيفه، ثم قال: إنى واللّه ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، وهذا السيف معك. فلما كان الليل أخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فعلقوه وربطوه به وألقوه فى جب عَذره، فغدا عمرو فلم يجده، فخرج يتبعه حتى وجدوه فى البئر منكسًا مقرونًا بالكلب، فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، وقال:

تاللّه لو كنت إلهًا لم تكن … أنت وكلبٌ وسط بئر فى قَرَن
أفٍّ لمصرعك إلهًا مُسْتَدَن … الآن فَتَّشْنَاك عن سُوء الغبن
الحمد للّه العلىِّ ذى المنن … الواهب الرِّزق وديَّان الدِّين
هو الذى أنقذنى من قبل أن … أكون فى ظُلْمة قبر مُرْتَهَن

❊ ❊

• ذكر أوَّل من هَاجَر إلى المدينة •

عُقَيل وغيره، وعن الزهرى عن عروة، عن عائشة: قال النبى ﷺ للمسلمين بمكة: قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين. وهما الحرَّتان. فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة عند ذلك، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين، وتجَهز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول اللَّه ﷺ: على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر: وترجو ذلك بأبى أنت وأمى؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول اللَّه ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين عنده ورقَ السَّمر أربعة أشهر. أخرجه البخارى(٢١٦).

وقال البكائى، عن ابن إسحاق، قال: فلما أذن اللَّه لنبيه فى الحرب وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة، أمر رسول اللَّه ﷺ قومه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بالأنصار، فخرجوا أرسالاً، فكان أول من هاجر أبو سلمة بن عبد الأسد إلى المدينة، هاجر إليها قبل العقبة الكبرى بسنة، وقد كان قدم من الحبشة مكة، فآذته قريش، وبلغه أن جماعة من الأنصار قد أسلموا، فهاجر إلى المدينة.

فعن أم سلمة، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى وابنى عليه، ثم خرج بى يقودنى. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبْتَنَا عليها، هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد! فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذونى منه، وغضب عند ذلك رهط أبى سلمة، فقالوا: واللَّه لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، فانطلق زوجى إذ فرقوا بيننا، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فلا أزال أبكى حتى أمسى، سنة أو قريبًا منها. حتى مر بى رجل من بنى عمى فرحمنى، فقال: ألا تحَرَّجُون من هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين ولدها؟ فقالوا لى: الحقى بزوجك. قالت: ورد بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى. فارتحلت بعيرى، ثم وضعت سلمة فى حجرى، وخرجت أريد زوجى بالمدينة، وما معى أحد من خلق اللَّه، قلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدرى، فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: قلت: لا واللَّه إلا اللَّه وبُنَىَّ هذا. قال: واللَّه

---

(٢١٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٠٥) حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، به فى حديث طويل.

ما لك من مَتْرَك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بى، فواللَّه ما صحبت رجلاً من العرب، أرى أنه أكرم منه، كان أبدًا إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى، فحط عنه، ثم قيده فى الشجر، ثم تنحى إلى الشجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فرحله، ثم استأخر عنى وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه، فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقُباء، قال: زوجك فى هذه القرية، ثم انصرف راجعًا.

ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة: عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب مع امرأته، ثم عبد اللَّه بن جحش حليف بن أمية، مع امرأته وأخيه أبى أحمد، وكان أبو أحمد ضرير البصر، وكان يمشى بمكة بغير قائد، وكان شاعرًا، وكانت عنده الفرعة بنت أبى سفيان ابن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب، فنزل هؤلاء بقُباء على مبشر بن عبد المنذر.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: فلما اشتدوا على رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، أمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه بالهجرة، فخرجوا رَسَلاً رَسَلاً، فخرج منهم قبل مخرج رسول اللَّه ﷺ: أبو سلمة وامرأته، وعامر بن ربيعة، وامرأته أم عبد اللَّه بنت أبى حثمة، ومصب ابن عمير، وعثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وعبد اللَّه بن جحش، وعثمان بن الشريد، وعمار بن ياسر. ثم خرج عمر وعياش بن أبى ربيعة وجماعة، فطلب أبو جهل والحارث بن هشام عَيَّاشًا، وهو أخوهم لأمهم، فقدموا المدينة فذكروا له حزن أمه، وأنها حلفت لا يظلها سقف، وكان بها برًا، فرق لها وصدقهم، فلما خرجا به أوثقاه وقدما به مكة، فلم يزل بها إلى قبل الفتح.

قلت: وهو الذى كان يدعو له النبى ﷺ فى القنوت: اللَّهم أنْجِ سلمة بن هشام، وعياش ابن أبى ربيعة... الحديث(٢١٧).

قال ابن شهاب: وخرج عبد الرحمن بن عوف، فنزل على سعد بن الربيع، وخرج عثمان، والزبير، وطلحة بن عبيد اللَّه، وطائفة، ومكثَ ناسٌ من الصحابة بمكة، حتى قدموا المدينة بعد مقدمه، منهم: سعد بن أبى وقاص، على اختلاف فيه.

---

(٢١٧) صحيح: أخرجه البخارى (٢٩٣٢) حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن ابن ذكوان، عن الأعرج، عن أبى هريرة، به مرفوعًا وتمامه: «اللهم انج سلمة بن هشام، اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج عياش بن أبى ربيعة، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللَّهم اشدُدْ وطأتك على مُضَر، اللهم سنين كسنى يوسُف».

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: لما اجتمعنا للهجرة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، وقلنا: الميعاد بيننا التناضب من أضاة بني غفار، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حبس. فأصبحت عندها أنا وعياش، وحُبس هشام وفتن فافتتن وقدمنا المدينة فكنا نقول: ما اللَّه بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا اللَّه وآمنوا به وصدقوا رسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم في الدنيا فأنزلت: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]، فكتبتها بيدي كتابًا، ثم بعثتُ بها إلى هشام، فقال هشام بن العاص: فلما قدمت عليَّ خرجت بها إلى ذي طوى أصعد فيها النظر وأصوِّبه لأفهمها، فقلت: اللَّهم فهمنيها، فعرفت إنما أنزلت فينا لما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت برسول اللَّه ﷺ، قال: فقُتِلَ هشام بأجنادين.

وقال عبد العزيز الدراوردي، عن عبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قدمنا من مكة فنزلنا العُصْبة عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، فكان يؤمهم سالم، لأنه كان أكثرهم قرآنا.

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، فقلنا له: ما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ قال: هو مكانه وأصحابه على أثري. ثم أتى بعد عمرو بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، ثم عمار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا، ثم أتانا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر معه، فلم يقدم علينا رسول اللَّه ﷺ حتى قرأت سورًا من المفصل (٢١٨). أخرجه مسلم.

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: ومكث رسول اللَّه ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وإن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم، على أن يأخذوا رسول اللَّه ﷺ، فإما أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه، فأخبره اللَّه بمكرهم في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠]، الآية، فخرج رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر تحت الليل قَبلَ الغار بثور، وعمد عليٌّ فرقد على فراش رسول اللَّه ﷺ يواري عنه العيون.

وكذا قال موسى بن عقبة، وزاد: فباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يجثم على صاحب الفراش فيوثقه، إلى أن أصبحوا، فإذا هم بعلي- رضي اللَّه عنه- فسألوه عن

---

(٢١٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٢٤) و(٣٩٢٥)، ولم يخرجه مسلم.

النبى ﷺ فأخبرهم أنه لا علم له به، فعلموا عند ذلك أنه قد خرج فاراً منهم، فركبوا فى كل وجه يطلبونه.

وكذا قال ابن إسحاق، وقال: لما أيقنت قريش أن محمداً ﷺ قد بويع، وأمر رسول اللَّه ﷺ من كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة، توامروا فيما بينهم فقالوا: الآن، فأجمعوا فى أمر محمد فواللَّه لكأنه قد كر عليكم بالرجال، فأثبتوه أو اقتلوه أو أخرجوه.

فاجتمعوا له فى دار الندوة ليقتلوه، فلما دخلوا الدار اعترضهم الشيطان فى صورة رجل جميل فى بَتٍّ له فقال: أأدخل؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد، سمع بالذى اجتمعتم له، فأراد أن يحضره معكم، فعسى أن لا يعدمكم منه نصح ورأى. قالوا: أجل فادخل. فلما دخل قال بعضهم لبعض: قد كان من الأمر ما قد علمتم، فأجمعوا رأيًا فى هذا الرجل، فقال قائل: أرى أن تحبسوه. فقال النجدى: ما ذا برأى، واللَّه لئن فعلتم ليخرجن رأيه وحديثه إلى من وراءه من أصحابه، فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم، ثم يغلبوكم على ما فى أيديكم من أمركم. فقال قائل منهم: بل نخرجه فننفيه، فإذا غيب عنا وجهه وحديثه ما نبالى أين وقع. قال النجدى: ما ذا برأى، أما رأيتم حلاوة منطقة، وحسن حديثه، وغلبته على من يلقاه، ولئن فعلتم ذلك ليدخل على قبيلة من قبائل العرب فأصفقت معه على رأيه، ثم سار بهم إليكم حتى يطأكم بهم. فقال أبو جهل: واللَّه إن لى فيه لرأيًا، ما أراكم وقعتم عليه، قالوا: وما هو؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش غلامًا جلدًا نهدًا نسيبًا وسيطًا، ثم تعطوهم شفاراً صارمة، فيضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه فى القبائل، فلم تدر عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، ولم يقووا على حرب قومهم، وإنما غايتهم عند ذلك أن يأخذوا العقل فَتَدُونه لهم. قال النجدى: للَّه در هذا الفتى، هذا الرأى وإلا فلا شىء، فتفرقوا على ذلك واجتمعوا له، وأتى رسول اللَّه ﷺ الخبر وأمر أن لا ينام على فراشه تلك الليلة، فلم يبت موضعه، بل بَيَّتَ عليًا فى مضجعه. رواه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى، عن أبيه.

حدثنا ابن إسحاق، عن عبد اللَّه بن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس (ح). قال ابن إسحاق: وحدثنى الكلبى عن باذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس، فذكر معنى الحديث، وزاد فيه: وأذن اللَّه عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بالمدينة «الأنفال» يذكر نعمته عليه وبلاءه عنده ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

• سياق خُروج النبى ﷺ إلى المدينة مُهاجرا •

قال عُقَيل : قال ابن شهاب : وأخبرنى عروة أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا ويأتينا فيه رسول اللَّه ﷺ طرفى النهار بكرة وعشيًا، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد، لقيه ابن الدَّغنة وهو سيد القارة، قال : أين تريد يا أبا بكر؟ قال : أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى. قال : إن مثلك لا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك. وارتحل ابن الدَّغنَّة مع أبى بكر، فطاف فى أشراف قريش، فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرَج، أتَخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق! فأنفذت قريش جوار ابن الدَّغنَّة، وقالوا له : مر أبا بكر يعبد ربه فى داره، فليصل وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن أبناؤنا ونساؤنا. فقال ذلك لأبى بكر، فلبث يعبد ربه ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر، فابتنى مسجدًا بفناء داره وبرز، فيصلى فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر لا يكاد يملك دمعه حين يقرأ، فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدَّغنَّة، فقدم عليهم، فقالوا له : إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه فى داره، وإنه جاوز ذلكَ، وابتنى مسجدًا بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناؤنا ونساؤنا، فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك جوارك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة : فأتى ابن الدَّغنة أبا بكر فقال : قد علمتَ الذى عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له. قال أبو بكر : أرد إليك جوارك وأرضى بجوار اللَّه. ورسول اللَّه ﷺ يومئذ بمكة، فقال رسول اللَّه ﷺ للمسلمين : قد أريتُ دارَ هجرتكم، أريت سَبْخَة ذات نخل بين لابتين. وهما الحَرَّتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول اللَّه ﷺ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة. وتجهز أبو بكر مهاجرًا فقال له رسول اللَّه ﷺ: على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى. قال : هل ترجو بأبى أنت ذلك؟ قال : نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول اللَّه ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر أربعة أشهر. فبينا نحن جلوس فى بيتنا فى نحر الظهيرة، قيل لأبى بكر : هذا رسول اللَّه مقبلاً متقنعًا فى ساعة لم يكن يأتينا

فيها. فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، أما والله إن جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء واستأذن، فأذن له فدخل، فقال لأبى بكر: أخرج من عندك. قال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله. فقال: اخرج فقد أذن لى فى الخروج. قال: فخذ منى إحدى راحلتى. قال: بالثمن. قالت عائشة: فجهزتهما أحث الجهاز، فصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب، فبذلك كانت تسمى «ذات النطاقين»، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل يقال له ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، وهو غلام شاب لقن ثقف، فَيُدْلج من عندهما بسحر، فيصبح فى قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكيدون به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة، ويريح عليهما حين تذهب ساعة من الليل، فيبيتان فى رسل منحتهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من الليالى الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل هاديًا خرِّيتًا، قد غمس يمين حلف فى آل العاص بن وائل، وهو على جاهليته، فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور، فأتاهما براحلتيهما صبيحة ثلاث، فارتحلا، وانطلق عامر بن فهيرة والدليل الديلى، فأخذ بهما فى طريق الساحل. أخرجه البخارى(٢١٩).

عن عمر - رضى الله عنه - قال: والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر، خرج رسول الله ﷺ هاربًا من أهل مكة ليلاً، فتبعه أبو بكر، فجعل يمشى مرة أمامه، ومرة خلفه يحرسه، فمشى رسول الله ﷺ ليلته حتى حفيت رجلاه، فلما رآهما أبو بكر حمله على كاهله، حتى أتى به فم الغار، وكان فيه خَرْق فيه حيَّات، فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شىء يؤذى رسول الله ﷺ فألقمه قدمه، فجعلن يضربنه ويلسعنه - الحيات والأفاعى - ودموعه تتحدر، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ **لا تحزنْ إنَّ الله معنا** ﴾[التوبة: ٤٠]، وأما يومه، فلما ارتدت العرب قلت: يا خليفة رسول الله تألَّفْ الناس وارفق بهم، فقال: جَبَّار فى الجاهية خَوَّار فى الإسلام، بم أتألفهم أبشعر مفتعل أم بقول مفترى! وذكر الحديث.

وهو منكر، سكت عنه البيهقى. وساقه من حديث يحيى بن أبى طالب، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبى، قال: حدثنى فرات بن السائب، عن ميمون، عن ضبة بن محصن، عن عمر. وآفته من هذ الراسبى فإنه ليس بثقة، مع كونه مجهولاً، ذكره الخطيب فى تاريخه فغمزه.

---

(٢١٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٠٥).

وقال الأسود بن عامر: حدثنا إسرائيل، عن الأسود، عن جندب، قال: كان أبو بكر مع رسول اللَّه ﷺ في الغار، فأصاب يده حجر فقال:

إن أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيْتِ وفي سبيل اللَّه مَا لقيت

الأسود: هو ابن قيس، سمع من جندب البجلى، واحتجا به فى الصحيحين.

وقال همام: حدثنا ثابت، عن أنس أن أبا بكر حدثه، قال: كنت مع رسول اللَّه ﷺ فى الغار، فقلت: يا رسول اللَّه لو أن أحدهم ينظر إلى تحت قدميه لأبصرنا، فقال النبى ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما**». متفق عليه(٢٢٠).

وقال ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة أنهم ركبوا فى كل وجه يطلبون النبى ﷺ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به، ويجعلون لهم الجُعْلَ العظيم إلى أن قال: فأجاز بهما الدليل أسفل مكة، ثم مضى بهما حتى جاء الساحل أسفل من عُسْفَان ثم سلك فى أمج، ثم أجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيدًا، ثم سلك فى الخرَّار، ثم أجاز على ثنية المَرَة، ثم سلك نقعًا، مَدْلَجَة ثقيف، ثم استبطن مدلجة محاج، ثم بطن مرجح ذى العَصَوين، ثم أجاز القاحة، ثم هبط للعرج، ثم أجاز فى ثنية الغابر عن يمين ركوبة، ثم هبط بطن رِئم ثم قدم قُباء من قبل العالية.

وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا عون بن عمرو القيسى، قال: سمعت أبا مصعب المكى، قال: أدركت المغيرة بن شعبة وأنس بن مالك وزيد بن أرقم، فسمعتهم يتحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر اللَّه بشجرة فنبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته، وأمر اللَّه العنكبوت فنسجت فسترته، وأمر اللَّه حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش بعصيهم وسيوفهم، فجاء رجل ثم رجع إلى الباقين فقال: رأيت حمامتين بفم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد.

وقال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: اشترى أبو بكر من عازب رحْلاً بثلاثة عشر درهما، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلى، فقال له عازب: لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول اللَّه ﷺ حين خرجتما، والمشركون يطلبونكما.

قال: أدلجنا من مكة ليلاً، فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصرى هل أرى من ظل نأوى إليه، فإذا صخرة فانتهيت إليها، فإذا بقية ظل لها فسوَّيْتُه، ثم

(٢٢٠) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

فرشت لرسول اللَّه ﷺ فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول اللَّه. فاضطجع، ثم ذهبت أنفض ما حولى هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، ويريد منها الذى أريد، يعنى الظل، فسألته: لمن أنت؟ فقال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لى؟ قال: نعم. فأمرته، فاعتقل شاة من غنمه، وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، فضرب إحداهما على الأخرى، فحلب لى كُثْبَةً من لبن، وقد رَوَّيتُ معى لرسول اللَّه ﷺ إداوة، على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول اللَّه ﷺ، فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول اللَّه. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل. قال: فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول اللَّه. قال: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]، فلما أن دنا منا، وكان بيننا وبينه قيدُ رمحين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول اللَّه. وبكيت، فقال: ما يبكيكَ؟ قلت: أما واللَّه ما على نفسى أبكى، ولكنى إنما أبكى عليك. فدعا عليه رسول اللَّه ﷺ فقال: «**اللَّهم اكفناه بما شئت**». فساخت به فرسه فى الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع اللَّه أن ينجينى مما أنا فيه، فواللَّه لأعمِّيَنَّ على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهمًا، فإنك ستمر بإبلى وغنمى بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول اللَّه ﷺ: لا حاجة لنا فى إبلك وغنمك. ودعا له، فانطلق راجعًا إلى أصحابه، ومضى رسول اللَّه ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلاً(٢٢١). أخرجاه من حديث زهير بن معاوية، سمعت أبا إسحاق، قال سمعت البراء. وأخرج البخارى حديث إسرائيل، عن عبد اللَّه بن رجاء، عنه.

وقال عُقيل، عن الزهرى: أخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى أن أباه أخبره، أنه سمع سراقة بن مالك بن جُعْشُم يقول: جاءنا رسلُ كفار قريش يجعلون فى رسول اللَّه ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما فى قتله أو أسره، فبينا أنا جالس فى مجلس قومى بنى مُدْلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة إنى قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكن رأيت فلانًا وفلانًا، انطلقوا باغين، ثم قلَّ ما لبثتُ فى المجلس حتى قمت فدخلت بيتى، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى فتهبطها من وراء أكمة فتحبسها علىَّ، فأخذت برمحى

---

(٢٢١) صحيح. أخرجه البخارى (٣٦١٥)، ومسلم (٣٠١٤).

وخرجت من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض، وخفضت عالية الرمح حتى أتيت فرسى فركبتها، فرفَّعتُها تُقرِّبُ بى، حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى فخررت، فقمت فأهويت بيدى إلى كنانتى، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمتُ بها أضرهم أو لا أضرهم، فخرج الذى أكره: لا أضرهم، فركبت فرسى وعصيت الأزلام، فرفَّعتها تقرب بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول اللَّه ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر التلفت، ساخت يدا فرسى فى الأرض، حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يداها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذى أكره «لا أضرهم»، فناديتهما بالأمان، فوقفا لى وركبت فرسى حتى جئتهما، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما، أنه سيظهر رسول اللَّه ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيكما الدية، وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزؤونى شيئًا، ولم يسألنى، إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لى كتاب موادعة آمن به، فأمر عامر ابن فُهَيرة، فكتب فى رقعة من أدم ثم مضى رسول اللَّه ﷺ. أخرجه البخارى(٢٢٢).

وقال موسى بن عقبة: حدثنا ابن شهاب الزهرى، قال: حدثنى عبد الرحمن بن مالك بن جعشم المدلجى أن أباه أخبره، أن أخاه سراقة ابن جُعْشُم أخبره، ثم ساق الحديث، وزاد فيه: وأخرجت سلاحى ثم لبست لأمتى، وفيه: فكتب لى أبو بكر، ثم ألقاه إلىَّ فرجعتُ فسكتُّ، فلم أذكر شيئًا مما كان حتى فتح اللَّه مكة، وفرغ رسول اللَّه ﷺ من حنين خرجت لألقاه ومعى الكتاب، فدخلت بين كتيبة من كتائب الأنصار، فطفقوا يقرعوننى بالرماح ويقولون: إليك إليك، حتى دنوت من رسول اللَّه ﷺ وهو على ناقته، أنظر إلى ساقه فى غرزه كأنها جُمَّارة، فرفعت يدى بالكتاب فقلت: يا رسول اللَّه هذا كتابك. فقال: «**يوم وفاء وبر ادنُ**». قال: فأسلمت، ثم ذكرت شيئًا أسأل عنه رسول اللَّه ﷺ، قال ابن شهاب: سأله عن الضالة وشىء آخر، قال: فانصرفت وسقتُ إلى رسول اللَّه ﷺ صدقتى.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: حدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت: لما خرج رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، أتى نفر من قريش، فيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك؟ قلت: لا أدرى واللَّه أين أبى، فرفع أبو جهل يده- وكان فاحشًا خبيثًا- فلطمنى على خدى لطمة طرح منها قُرْطى.

(٢٢٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٠٦).

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت: لما خرج رسول اللَّه ﷺ وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فانطلق به معه، فدخل علينا جدى أبو قحافة- وقد ذهب بصره- فقال: واللَّه إنى لأراه فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبه، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها فى كوة من البيت كان أبى يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، قالت: ولا واللَّه ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أسكِّن الشيخ،

وحدثنى الزهرى، أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدثه، عن أبيه، عن عمه سراقة ابن مالك بن جعشم، قال: لما خرج رسول اللَّه ﷺ من مكة مهاجرًا، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده، قال: فبينا أنا جالس، أقبل رجل منا فقال: واللَّه لقد رأيت ركبًا ثلاثة مروا علىَّ آنفًا، إنى لأراهم محمدًا وأصحابه، فأومأت إليه، يعنى أن اسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم، قال: لعله، فمكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتى، فذكر نحو ما تقدم.

قال: وحُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبى بكر قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول اللَّه ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه، ويسمعون صوته، حتى خرج من أعلى مكة، وهو يقول:

جزى اللَّه ربُّ النّاس خيرَ جزائه ... رفيقين حلاَّ خيمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبرِّ ثم تروَّحا ... فأفلحَ مَن أمسَى رفيقَ محمدِ
ليهْنِ بنى كعب مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصَدِ

قالت: فعرفنا حيث وجَّه رسول اللَّه ﷺ وأن وجهه إلى المدينة.

قلت: قد سقت خبر أم معبد بطوله فى صفته ﷺ، كما يأتى إن شاء اللَّه تعالى.

وقال يحيى بن زكريا بن أبى زائدة: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن الأصبهانى، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبى بكر الصديق قال: خرجت مع النبى ﷺ من مكة، فانتهينا إلى حى من أحياء العرب، فنظر رسول اللَّه ﷺ إلى بيت متنِّحيا، فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبدى اللَّه

إنما أنا امرأة وليس معى أحد، فعليكما بعظيم الحى إن أردتم القرى. قال: فلم يجبها، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها، فقالت له: يا بُنَيّ انَطلق بهذه العنز والشفرة إليهما فقل: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبى ﷺ: «**انطلق بالشفرة وجئنى بالقدح**». قال: إنها قد عزبت وليس لها لبن. قال: انطلق، فانطلق فجاء بقدح، فمسح النبى ﷺ ضرعها، ثم حلب حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رَويت، ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئنى بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر، ثم جاَء بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم شرب ﷺ، قال: فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا، فكانت تسميه «المبارك»، وكثر غنمها حتى جلبت جلبًا إلى المدينة، فمر أبو بكر فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمه إن هذا الرجل الذى كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد اللَّه من الرجل الذى كان معك؟ قال: وما تدرين من هو! قالت: لا، قال: هو النبى ﷺ. قالت: فأدخلنى عليه، فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها.

رواه محمد بن عمران بن أبى ليلى، وأسد بن موسى، عن يحيى، وإسناده نظيف لكن منقطع بين أبى بكر، وعبد الرحمن بن أبى ليلى.

أوس بن عبد اللَّه بن بُريدة: أخبرنا الحسين بن واقد، عن ابن بريدة، عن أبيه، أن النبى ﷺ كان يتفاءل، وكانت قريش قد جعلت مائة من الإبل لمن يرده عليهم، فركب بريدة فى سبعين من بنى سهم، فلقى نبى اللَّه ليلاً فقال له: من أنت؟ قال: بُرَيدة. فالتفت إلى أبى بكر فقال: برد أمرنا وصَلُح، ثم قال: وممن؟ قال: من أسلم. قال لأبى بكر: سَلِمْنا، ثم قال: ممن؟ قال: من بنى سهم. قال: خرج سهمك. فأسلم بريدة والذين معه جميعًا، فلما أصبحوا قال بريدة للنبى ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، فحل عمامته ثم شدها فى رمح، ثم مشى بين يدى النبى ﷺ وقال: يا نبى اللَّه تنزل علىَّ. قال: إن ناقتى مأمورة. فسار حتى وقفت على باب أبى أيوب فبركت. قلت: أوس متروك.

وقال الحافظ أبو الوليد الطيالسى: حدثنا عبيد اللَّه بن إياد بن لقيط، قال: حدثنا أبى، عن قيس بن النعمان، قال: لما انطلق النبى ﷺ وأبو بكر مستخفيين مروا بعبد يرعى غنمًا فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندى شاة تحلب، غير أن ها هنا عناقا حملت أول الشتاء، وقد أخدجت وما بقى لها لبن. فقال: ادعُ بها، فدعا بها، فاعتقلها النبى ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجنٍّ فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعى، ثم حلب فشرب، فقال الراعى: باللَّه من أنت، فواللَّه ما رأيت مثلك قط؟ قال: «**أتكتم علىَّ حتى أخبرك**»؟، قال: نعم، قال: فإنى محمد رسول اللَّه. فقال: أنت الذى تزعم قريش أنه

صابئ؟ قال: «**إنهم ليقولون ذلك**». قال: فأشهد أنك نبى، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى، وأنا متبعك. قال: «**إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فائتنا**».

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، عن رجال من قومه، قالوا: لما بلغنا مخرج رسول اللَّه ﷺ من مكة، كنا نخرج كل غداة فنجلس له بظاهر الحَرَّة، نلجأ إلى ظل الجدر حتى تغلبنا عليه الشمس، ثم نرجع إلى رحالنا، حتى إذا كان اليوم الذى جاء فيه رسول اللَّه ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا رجعنا جاء رسول اللَّه ﷺ، فرآه رجل من اليهود، فنادى: يا بنى قَيْلَة هذا جَدُّكم قد جاء، فخرجنا ورسول اللَّه ﷺ قد أناخ إلى ظلٍّ هو وأبو بكر، واللَّه ما ندرى أيهما أسن، هما فى سن واحدة، حتى رأينا أبا بكر ينحاز له عن الظل، فعرفنا رسول اللَّه ﷺ بذلك، وقد قال قائل منهم: إن أبا بكر قام فأظل رسول اللَّه ﷺ بردائه، فعرفناه.

وقال محمد بن حمْيَر، عن إبراهيم بن أبى عبلة: حدثنى عقبة بن وسَّاج، عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قدمَ، يعنى المدينة، وليس فى أصحابه أشمط غير أبى بكر، فغلَّفها بالحناء والكتم(٢٢٣). أخرجه البخارى، من حديث محمد بن حمْيَر.

وقال شعبة: أنبأنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: أول من قدم علينا من الصحابة مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين راكبًا، ثم جاء رسول اللَّه ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يسعون فى الطرق يقولون: جاء رسول اللَّه ﷺ، فما قدم المدينة حتى تعلمت ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ①﴾ [الأعلى: ١]، فى مثلها من المفصل. خ(٢٢٤).

وقال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البراء، فى حديث الرَّحْل، قال أبو بكر: ومضى رسول اللَّه ﷺ وأنا معه، حتى قدمنا المدينة ليلاً، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنى أنزل الليلة على بنى النجار أخوال بنى عبد المطلب أكرمهم بذلك، وقدم الناس حين قدمنا المدينة، فى الطريق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: جاء رسول اللَّه،

---

(٢٢٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩١٩).

(٢٢٤) صحيح: تقدَّم تخريجنا له قريبًا برقم (٢١٨).

جاء رسول اللَّه ﷺ اللَّه أكبر جاء محمد، اللَّه أكبر جاء محمد ﷺ ، فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمرَ. متفق عليه.

وقال هاشم بن القاسم: حدثنا سليمان- هو ابن المغيرة- عن ثابت، عن أنس، قال: إنى لأسعى فى الغلمان يقولون: «جاء محمد»، وأسعى ولا أرى شيئًا، ثم يقولون: «جاء محمد»، فأسعى، حتى جاء النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر فكمنَّا فى بعض جدار المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار، قال: استقبلهما زهاء خمس مائة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، فقالوا: انطلقا آمنَيْن مُطاعَيْن. فأقبل رسول اللَّه ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة، حتى إنَ العَواتق لفَوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ قال: فما رأينا منظرًا شبهًا به يومئذ. صحيح.

وقال الوليد بن محمد المُوَقَّرى وغيره، عن الزهرى، قال: فأخبرنى عروة أن الزبير كان فى ركب تجار بالشام، فقفلوا إلى مكة، فعارضوا رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر بثياب بياض، وسمع المسلمون بمخرج رسول اللَّه ﷺ ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم نحر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظاره، فلما أووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود أطمًا من آطامهم لشأنه، فبصر برسول اللَّه ﷺ وأصحابه مُبَيِّضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معشر العُريب هذا جدُّكم الذى تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فلقوا رسول اللَّه ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم رسول اللَّه ﷺ ذات اليمين، حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف من الأنصار، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر يُذَكِّر الناس، وجلس رسول اللَّه ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول اللَّه ﷺ يحسبه أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول اللَّه ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرفوا رسول اللَّه عند ذلك، فلبث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة.

وأسَّس المسجد الذى أسِّس على التقوى، فصلى فيه، ثم ركب راحلته فسار، فمشى معه الناس، حتى بركت بالمدينة عند مسجده ﷺ ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مرْبَدًا للتمر لسهل وسُهيل، غلامين يتيمين أخوين فى حجر أسعد بن زرارة من بنى النجار، فقال حين بركت به راحلته: «**هذا إن شاء اللَّه المنزل**». ثم دعا الغلامين فساومهما المِرْبَد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك. فأبى حتى ابتاعه وبناه.

وقال عبد الوارث بن سعيد وغيره: حدثنا أبو التياح، عن أنس، قال: لما قدم رسول

اللَّه ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة فى بنى عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فكأنى أنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر ردفَه، وملأ بنى النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبى أيوب. متفق عليه.

وقال عثمان بن عطاء الخُراسانى، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما دخل النبى ﷺ المدينة مر على عبد اللَّه بن أبى وهو جالس على ظهر الطريق، فوقف عليه رسول اللَّه ﷺ ينظر أن يدعوه إلى المنزل، وهو يومئذ سيد أهل المدينة فى أنفسهم، فقال عبد اللَّه: انظر الذين دعوك فأتهم، فعمد إلى سعد بن خيثمة، فنزل عليه فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال، واتخذ مكانه مسجداً فكان يصلى فيه، ثم بناه بنو عمرو، فهو الذى أسس على التقوى والرضوان.

ثم إنه ركب يوم الجمعة، فمرَّ على بنى سالم، فجمَّع فيهم، وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة، واستقبل بيت المقدس، فلما أبصرته اليهود صلى قبلتهم طمعوا فيه للذى يجدونه مكتوبًا عندهم، ثم ارتحل فاجتمعت له الأنصار يعظمون دين اللَّه بذلك، يمشون حول ناقة رسول اللَّه ﷺ، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة، فقال: خلوا سبيل الناقة، فإنما أنزل حيث أنزلنى اللَّه. حتى انتهى إلى دار أبى أيوب فى بنى غنم، فبركت على الباب، فنزل، ثم دخل دار أبى أيوب، فنزل عليه حتى ابتنى مسجده ومسكنه فى بنى غنم، وكان المسجد موضعًا للتمر لابنى أخى أسعد بن زرارة، فأعطاه رسول اللَّه ﷺ، وأعطى ابنى أخيه مكانه نخلاً له فى بنى بياضة، فقالوا: نعطيه رسول اللَّه ﷺ لا نأخذ له ثمنًا، وبنى النبى ﷺ لحمزة ولعلى ولجعفر، وهم بأرض الحبشة، وجعل مسكنهم فى مسكنه، وجعل أبوابهم فى المسجد مع بابه، ثم إنه بدا له، فصرف باب حمزة وجعفر. كذا قال: وهم بأرض الحبشة، وإنما كان علىٌّ بمكة. رواه ابن عائذ، عن محمد بن شعيب، عنه.

وقال موسى بن عقبة: يقال: لما دنا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر من المدينة، وقدم طلحة بن عبيد اللَّه من الشام، خرج طلحة عامداً إلى مكة، لما ذكر له رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، خرج إما متلقيًا لهما، وإما عامداً عمده بمكة، ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه الثياب، فلبس رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر منها.

وقال الوليد بن مسلم، عن عبد اللَّه بن يزيد، عن أبى البَدَّاح بن عاصم بن عدى، عن أبيه: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة يوم الاثنين، لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فأقام بالمدينة عشر سنين.

وقال ابن إسحاق : المعروف أنه قدم المدينة يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، قال : ومنهم من يقول لليلتين مضتا منه . رواه يونس وغيره، عن ابن إسحاق .

وقال عبد اللَّه بن إدريس : حدثنا ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عويم، قال : أخبرنى بعض قومى، قال : قدم رسول اللَّه ﷺ يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، فأقام بقُباء بقية يومه وثلاثة أيام، وخرج يوم الجمعة على ناقته القَصْواء، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه لبث فيهم ثمانى عشرة ليلة .

وقال زكريا بن إسحاق : حدثنا عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال : مكث رسول اللَّه ﷺ بمكة ثلاثة عشرة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين . متفق عليه .

وقال سفيان بن عيينة : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى، عن عجوز لهم، قالت : رأيت ابن عباس يختلف إلى صرْمة بن قيس الأنصارى، كان يروى هذه الأبيات :

ثَوَى فى قُرَيش بِضْعَ عشرةَ حجَّةً ... يُذكِّرُ لو ألْفى صديقًا مُواتيا

ويَعرِضُ فى أهل المواسم نفسَهُ ... فلم يَرَ مَنْ يُؤْوى ولم يَرَ داعيا

فلمّا أتانا واطمأنت به النوى ... وأصبح مسرورًا بطيبةَ راضيا

وأصبحَ ما يَخْشَى ظُلامةَ ظالمٍ ... بعيد ولا يخشى من النّاس راعيا

بَذَلْنا له الأموالَ من جُلِّ مالنا ... وأنْفُسَنا عند الوَغَى والتّآسيا

نُعادى الذى عَادَى من الناس كلّهم ... جميعًا وإنْ كان الحبيبَ المواسيا

ونَعْلَمُ أن اللَّه لا شيءَ غيره ... وأن كتاب اللَّه أصبح هاديا

وقال عبد الوارث : حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال : أقبل نبى اللَّه ﷺ إلى المدينة، وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبى اللَّه ﷺ شاب لا يعرف- يريد دخول الشيب فى لحيته دونه لا فى السن- قال أنس : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول : هذا رجل يهدينى السبيل . فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق، وإنما يعنى طريق الخير . فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال : يا نبى اللَّه هذا فارس قد لحق، فقال : «**اللَّهم اصرعه**» . فصرعه فرسه، ثم قامت تُحَمْحم . فقال : يا نبى اللَّه مُرنى بم شئت . قال : «**تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا**» . قال : فكان أول النهار جاهدًا على رسول اللَّه ﷺ وآخر النهار مَسْلَحة له، فنزل رسول اللَّه ﷺ جانب الحرة، وأرسل إلى الأنصار، فجاؤوا رسول اللَّه، فسلموا عليهما . فقالوا : اركبا آمنين مطاعين . فركبا وحفوا

حولهما بالسلاح، فقيل فى المدينة: جاء رسول اللَّه، جاء رسول اللَّه. وأقبل حتى نزل إلى جانب بيت أبى أيوب، قال: فإنه ليُحَدِّث أهله إذ سمع به عبد اللَّه بن سلام وهو فى نخل لأهله، يخترف لهم منه، فعجَّل أن يضع التى يخترف فيها فجاءه وهى معه، فسمع من نبى اللَّه ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أى بيوت أهلنا أقرب**»؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبى اللَّه هذه دارى، قال: «**اذهب فهيئ لنا مقيلاً**». فذهب فهيأ لهما مقيلاً، ثم جاء فقال: يا نبى اللَّه قد هيأت لكما مقيلاً، قوما على بركة اللَّه فقيلا.

فلما جاء نبى اللَّه ﷺ، جاء عبد اللَّه بن سلام، فقال: أشهد أنك رسول اللَّه حقًا، وأنك جئت بحق، ولقد علمت يهود أنى سيدهم وأعلمهم. وذكر الحديث(٢٢٥). أخرجه البخارى.

* *

---

(٢٢٥) صحيح. أخرجه البخارى (٣٩١١).

• السَّنَة الأولى منَ الهجْرَة •

روى البخارى فى صحيحه[٢٢٦] من حديث الزهرى، عن عروة، عن عائشة أن المسلمين بالمدينة سمعوا مخرج رسول اللَّه ﷺ. فكانوا يغدون إلى الحرة ينتظرونه، حتى يردهم حر الشمس، فانقلبوا يومًا، فأوفى يهودى على أطُم فبصر برسول اللَّه ﷺ وأصحابه مُبَيِّضين يزول بهم السراب، فأخبرنى عروة أن رسول اللَّه ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام. فكسا الزبير- رضى اللَّه عنه- رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر ثياب بياض. قال: فلم يملك اليهودى أن صاح، يا معشر العرب، هذا جدُّكم الذى تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح. فتلقوه بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف يوم الإثنين مع ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس فطفق من لم يعرف رسول اللَّه ﷺ يسلم على أبى بكر حتى أصابت الشمس رسول اللَّه ﷺ، فأقبل أبو بكر يظله بردائه، فعرف الناس عند ذلك رسول اللَّه ﷺ. فلبث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس مسجدهم. ثم ركب راحلته وسار حوله الناس يشمون، حتى بركت به مكان المسجد، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين- وكان مرْبدًا لسهل وسهيل- فدعاهما فاومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: بل نهبه لك يا رسولَ اللَّه. ثم بناه مسجدًا، وكان ينقل اللبن معهم ويقول:

هـذا الحِمالُ، لا حِمالَ خَيْبَرْ — هـــذا أبَرُّ- ربَّنا- وأطْهَرْ

ويقول:

اللَّهُم إنّ الأجْرَ أجْرُ الآخرةْ — فارْحَمِ الأنصارَ والمُهاجِرَةْ

وخرج البخارى من حديث أبى إسحاق عن البراء حديث الهجرة بطوله.

وخرج من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: أقبل النبى ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر. وأبو بكر شيخ يعرف، والنبى ﷺ شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا بين يديك؟ فيقول: رجل يهدينى الطريق، وإنما يعنى طريق الخير إلى أن قال:

---

(٢٢٦) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٠٦) من طريق ابن شهاب، به.

وقال الحافظ فى «الفتح»: هو موصول بإسناد حديث عائشة، وقد أفرده البيهقى فى «الدلائل» وقبله الحاكم فى «الإكليل» من طريق ابن إسحاق «حدثنى محمد بن مسلم هو الزهرى، به» وكذلك أورده الإسماعيلى منفردًا من طريق معمر والمعافى فى الجليس من طريق صالح بن كيسان كلاهما عن الزهرى.

فنزل رسول اللَّه ﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فسلموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركبا، وحَفُّوا دونهما بالسلاح. فقيل في المدينة: جاء نبي اللَّه، جاء نبي اللَّه، فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، وذكر الحديث.

وروينا بإسناد حسن، عن أبي البداح بن عاصم بن عدي، عن أبيه قال: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فأقام في المدينة عشر سنين.

وقال محمد بن إسحاق: فقدم ضُحَى يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، فأقام في بني عمرو بن عوف؛ فيما قيل؛ يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم ظعن يوم الجمعة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها بمن معه. وكان مكان المسجد؛ مرْبَدًا لغلامين يتيمين، وهما سهل وسهيل ابنا رافع بن عمرو من بني النجار فيما قال موسى ابن عقبة، وكانا في حجر أسعد بن زرارة.

وقال ابن إسحاق: كان المربد لسهل وسهيل ابني عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفراء.

وغلط ابن مندة فقال: كان لسهل وسهيل ابني بيضاء، وإنما ابنا بيضاء من المهاجرين.

وأسَّسَ رسول اللَّه ﷺ في إقامته ببني عمرو بن عوف مسجد قُباء. وصلى الجمعة في بني سالم في بطن الوادي. فخرج معه رجال منهم، وهم: العباس بن عبادة، وعتبان بن مالك، فسألوه أن ينزل عندهم ويقيم فيهم، فقال: خلوا الناقة فإنها مأمورة. وسار والأنصار حوله حتى أتى بني بياضة، فتلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، فدعوه إلى النزول فيهم، فقال: دعوها فإنها مأمورة. فأتى دور بني عدي بن النجار؛ وهم أخوال عبد المطلب؛ فتلقاه سليط بن قيس، ورجال من بني عدي، فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم، فقال: دعوها فإنها مأمورة. ومشى حتى أتى دور بني مالك بن النجار، فبركت الناقة في موضع المسجد، وهو مربد تمر لغلامين يتيمين. وكان فيه نخل وخرب، وقبور للمشركين. فلم ينزل عن ظهرها، فقامت ومشت قليلاً، وهو ﷺ لا يَهيجها، ثم التفت فكَرَّت إلى مكانها وبركت فيه، فنزل عنها. فأخذ أبو أيوب الأنصاري رحلَها فحمله إلى داره. ونزل النبي ﷺ في بيت من دار أبي أيوب. فلم يزل ساكنًا عند أبي أيوب حتى بنى مسجده وحُجَرَه في المربد. وكان قد طلب شراءه فأبت بنو النجار من بيعه، وبذلوه للَّه وعوَّضوا اليتيمين. فأمر بالقبور فَنُبِشَت، وبالخرب فسويت. وبنى عضَادتيه بالحجارة، وجعل سَوَاريه من جذوع النخل. وَسقفه بالجريد، وعمل فيه المسلمونَ حِسْبَة.

فمات أبو أمامة أسعد بن زرارة الأنصارى تلك الأيام بالذُّبَحة. وكان من سادة الأنصار ومن نقبائهم الأبرار. ووجد النبى ﷺ وجداً لموته، وكان قد كواه. ولم يجعل على بنى النجار بعده نقيباً وقال: أنا نقيبكم. فكانوا يفخرون بذلك.

وكانت يثرب لم تُمَصَّر، وإنما كانت قرىً مُفَرَّقة: بنو مالك بن النجار فى قرية، وهى مثل المَحلة، وهى دار بنى فلان. كما الحديث: «**خير دور الأنصار دار بنى النجار**»(٢٢٧).

وكان بنو عدى بن النجار لهم دار، وبنو مازن بن النجار كذلك، وبنو سالم كذلك، وبنو ساعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخزرج كذلك، وبنو عمرو بن عوف كذلك، وبنو عبد الأشهل كذلك، وسائر بطون الأنصار كذلك. قال النبى ﷺ: «**وفى كل دور الأنصار خير**»(٢٢٨).

وأمر - عليه السلام - بأن تبنى المساجد فى الدور. فالدار - كما قلنا - هى القرية. ودار بنى عوف هى قُباء. فوقع بناء مسجده ﷺ فى بنى مالك بن النجار، وكانت قرية صغيرة.

وخَرَّج البخارى من حديث أنس أن النبى ﷺ نزل فى بنى عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم أرسل إلى بنى النجار فجاؤوا.

وآخى فى هذه المدة بين المهاجرين والأنصار. ثم فُرِضَت الزكاة. وأسلم الحبر عبد اللَّه بن سلام، وأناس من اليهود، وكفر سائر اليهود.

* *

---

(٢٢٧) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٤ - ٤٢٥)، والبخارى (١٤٨١) و(٣٧٩١)، ومسلم (ص ١٧٨٦) (١٣٩٢) (١٢) من طريق عمرو بن يحيى، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدى، عن أبى حميد الساعدى. به.

(٢٢٨) **صحيح**: راجع تخريجنا السابق فهو جزء من هذا الحديث.

• قصة إسلام ابن سَلاَم •

قال عبد العزيز بن صُهَيب، عن أنس، قال: جاء عبد اللّه بن سلام فقال: أشهد أنك رسول اللّه حقًا. ولقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت. فأرسل إليهم فأتوا، فقال لهم، يا معشر يهود، ويلكم اتقوا اللّه، فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول اللّه فأسلموا. قالوا: ما نعلمه، فأعاد ذلك عليهم ثلاثًا. ثم قال: فأى رجل فيكم عبد اللّه بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاش للّه، ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم، فقال: ويلكم اتقوا اللّه، فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول اللّه حقًا، قالوا: كذبت. فأخرجهم رسول اللّه ﷺ. أخرجه البخارى بأطول منه(٢٢٩).

وأخرج من حديث حُمَيد عن أنس، قال: سمع عبد اللّه بن سلام بقدوم رسول اللّه ﷺ، وهو فى أرض، فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرنى بهن جبريل آنفًا. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: ثم قرأ ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ [البقرة: ٩٧]، أما أول أشراط الساعة، فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت. وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة نزع إلى أمه. فتشهد وقال: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى. فجاؤوا، فقال: أى رجل عبد اللّه بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم؟ قالوا: أعاذه اللّه من ذلك. فخرج فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدًا رسول اللّه. فقالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه. قال: هذا الذى كنت أخاف يا رسول اللّه(٢٣٠).

وقال عوف الأعرابى، عن زرارة بن أوفى، عن عبد اللّه بن سلام قال: لما قدم رسول

---

(٢٢٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩١١) حدثنى محمد، حدثنى عبد الصمد، حدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز بن صُهَيب، به.

(٢٣٠) صحيح: أخرجه أحمد (٣/١٠٨)، والبخارى (٣٣٢٩) و(٣٩٣٨) و(٤٤٨٠)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/٥٢٨ - ٥٢٩)، والبغوى فى «شرح السنة» (٣٧٦٩) من طرق عن حميد، به.

اللَّـه ﷺ المدينة انجفل الناس قبَلَه، قالوا: قدم رسول اللَّه ﷺ. فجئت لأنظر، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شىء سمعته منه أن قال: أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام (٢٣١). صحيح.

وروى أسباط بن نصر، عن السدى، عن أبى مالك، وأبى صالح، عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾ [البقرة: ٨٩] قال: كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم. وكانوا يجدون محمداً فى التوراة، فيسألون اللَّه أن يبعثه فيقاتلون معه العرب. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حين لم يكن من بنى إسرائيل.

* *

---

(٢٣١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذى (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤) و(٣٢٥١)، والدارمى (١/ ٣٤٠)، والحاكم (٣/ ١٣) من طرق عن عوف بن أبى جميلة، به.

وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبى.

قلت: وهو كما قالا.

وقوله: «انجفل الناس قِبَلَهُ» أى ذهبوا إليه مسرعين.

• قصّة بناء المسجد •

قال أبو التياح، عن أنس: فأرسل رسول اللَّه ﷺ إلى ملأ بنى النجار فجاؤوا، فقال: يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا. قالوا: لا واللَّه، لا نطلب ثمنه إلا إلى اللَّه. فكان فيه ما أقول لكم: كان فيه قبور المشركين، وكان فيه خرَبٌ ونخل. فأمر رسول اللَّه ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فَسُوِّيت، وبالنخل فَقطع. فصفوا النخل قبلة، وجعلوا عضادتيه حجارة، وجعلوا ينقلون الصخر، وهم يرتجزون، ورسول اللَّه ﷺ معهم، ويقولون:

اللَّهُم لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخِرَةْ   فانصُرِ الأنصارَ والمُهاجِرَةْ

متفق عليه(٢٣٢). وفى رواية: فاغفر للأنصار.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، فى قصة بناء المسجد: فطفق هو وأصحابه ينقلون اللَّبِنَ، ويقول. وهو ينقل اللبن معهم:

هـذا الحِمالُ، لا حِمالَ خَيْبَرْ   هـذا أبرُّ- ربَّنا- وأطْهَرْ

ويقول:

اللَّهُم لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخِرَةْ   فارْحَمِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ

قال ابن شهاب: فتمثل رسول اللَّه ﷺ بشعر رجل من المسلمين لم يسم فى الحديث. ولم يبلغنى فى الحديث أن رسول اللَّه ﷺ تمثل ببيت شعر غير هذه الأبيات.

ذكره البخارى فى صحيحه.

وقال صالح بن كيسان: حدثنا نافع أن عبد اللَّه أخبره أن المسجد كان على عهد رسول اللَّه ﷺ مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل. فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا. وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه فى عهد رسول اللَّه ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خَشَبًا. وغَيَّره

---

(٢٣٢) صحيح: أخرجه الطيالسى (٢٠٨٥)، وأحمد (٣/ ٢١١- ٢١٢)، والبخارى (٤٢٨) و(١٨٦٨) و(٢١٠٦) و(٢٧٧١) و(٢٧٧٤) و(٢٧٧٩) و(٣٩٣٢)، ومسلم (٥٢٤) (٩)، وأبو داود (٤٥٣)، والنسائى (٢/ ٣٩- ٤٠)، والبيهقى (٢/ ٤٣٨)، والبغوى (٣٧٦٥) من طرق عن عبد الوارث بن سعيد، عن أبى التَّيَّاح، به.

عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج. أخرجه البخارى(٢٣٣).

وقال حماد بن سلمة، عن أبى سنان، عن يعلى بن شداد، عن عبادة، أن الأنصار جمعوا مالاً، فأتوا به النبى ﷺ فقالوا: ابن بهذا المسجد وزينه، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد؟ فقال: ما بى رغبة عن أخى موسى، عريش كعريش موسى.

وروى عن الحسن البصرى فى قوله: «كعريش موسى»؛ قال: إذا رفع يده بلغ العريش، يعنى السقف.

وقال عبد اللَّه بن بدر، عن قيس بن طَلْق بن على، عن أبيه قال: بنيتُ مع النبى ﷺ مسجد المدينة، فكان يقول: قربوا اليمامىَّ من الطين، فإنه من أحسنكم له بناء.

وقال أبو سعيد الخدرى: قال رسول اللَّه ﷺ: المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا. أخرجه مسلم بأطول منه(٢٣٤).

وقال ﷺ: صلاةٌ فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة. صحيح(٢٣٥).

وقال أبو سعيد: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين؛ يعنى فى بناء المسجد،

---

(٢٣٣) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤٤٦) حدثنا على بن عبد الله، قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال حدثنى أبى، عن صالح بن كيسان، به.

(٢٣٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٨ و٨٩)، ومسلم (١٣٩٨)، والترمذى (٣٠٩٩)، والنسائى (٢/ ٣٦)، والحاكم (١/ ٤٨٧) و(٢/ ٣٣٤) من حديث أبى سعيد الخدرى، به.

(٢٣٥) **صحيح**: ورد من حديث أبى هريرة، وابن عمر، وسعد بن أبى وقاص، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن الزبير، رضى الله عنهم جميعًا.

فمن حديث أبى هريرة: أخرجه مسلم (١٣٩٤)، والدارمى (١/ ٣٣٠)، وأحمد (٢/ ٥٢٨) من طرق عنه، به مرفوعًا وإسناده صحيح.

وأما حديث ابن عمر: فقد أخرجه مسلم (١٣٩٥)، والدارمى (١/ ٣٣٠) من طريق عبيد الله، عن نافع، عنه، به. وإسناده صحيح.

وأمَّا حديث سعد بن أبى وقاص: فهو عند أحمد (١/ ١٨٤). وأجتزئ بما ذكرت لعدم الإطالة، وقد خرجت الحديث بإسهاب فى كتاب [الجواب الباهر فى زُوَّار المقابر] ط. دار الجيل بيروت لبنان (ص ٢٣).

فرآه النبى ﷺ، فجعل ينفض عنه التراب ويقول: «**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». أخرجه البخارى[٢٣٦] دون قوله: «**تقتله الفئة الباغية**»، وهى زيادة ثابتة الإسناد.

ونافق طائفة من الأوس والخزرج، فأظهروا الإسلام مداراة لقومهم. فممن ذكر منهم: من أهل قباء: الحارث بن سويد بن الصامت، وكان أخوه خلاد رجلاً صالحًا، وأخوه الجُلاس، دون خلاد فى الصلاح.

ومن المنافقين: نَبْتَل بن الحارث، وبجاد بن عثمان، وأبو حبيبة ابن الأزعر أحد من بَنَى مسجد الضرار، وجارية بن عامر، وابناه: زيد ومُجَمِّع- وقيل: لم يصح عن مجمع النفاق، وإنما ذكر فيهم لأن قومه جعلوه إمام مسجد الضرار- وعباد بن حُنيف، وأخواه سهل وعثمان من فضلاء الصحابة.

ومنهم: بشر، ورافع، ابنا زيد، ومربع، وأوس، ابنا قيظى، وحاطب بن أمية، ورافع ابن وديعه، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس؛ ثلاثتهم من بنى النجار، والجد بن قيس الخزرجى؛ من بنى جُشَم، وعبد اللَّه بن أبى بن سلول، من بنى عوف بن الخزرج، وكان رئيس القوم.

وممن أظهر الإيمان من اليهود ونافق بعد: سعد بن حُنيف، وزيد ابن اللُّصَيت، ورافع بن حرملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وكنانة بن صُوريا.

ومات فيها: البراء بن معرور السلمى أحد نقباء العقبة- رضى اللَّه عنه- وهو أول من بايع النبى ﷺ ليلة العقبة، وكان كبير الشأن.

وتلاحق المهاجرون الذين تأخروا بمكة بالنبى ﷺ، فلم يبق إلا محبوس أو مفتون، ولم

---

(٢٣٦) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٩٠- ٩١)، والبخارى (٤٤٧) و(٢٨١٢) من طريق خالد الحذَّاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبى سعيد، به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٥)، والطيالسى (٢١٦٨) من طريق داود، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد، به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٨)، وابن سعد (٣/ ٢٥٢) من طريق شعبة، عن عمرو بن دينار، عن هشام، عن أبى سعيد مرفوعًا بلفظ: «ويح ابن سُمَيَّة، تقتلُه الفئةُ الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».

وقد خرجت الحديث بإسهاب فى عدة مواضع من كتاب [منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية] منها تعليق رقم (١٨٦) بالجزء الرابع، وغيره من مواضع فراجعه ثمَّت إن شئت زيادة.

يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا أوس اللَّه، وهم حي من الأوس؛ فإنهم أقاموا على شركهم.

ومات فيها: الوليد بن المغيرة المخزومي والد خالد، والعاص بن وائل السهمي والد عمرو بمكة على الكفر.

وكذلك: أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص الأموي توفي بماله بالطائف.

وفيها: أُرِيَ الأذان عبد اللَّه بن زيد، وعمر بن الخطاب، فشرع الأذان على ما رأيا.

وفي شهر رمضان عقد النبي ﷺ لواء لحمزة بن عبد المطلب يعترض عيرا لقريش. وهو أول لواء عقد في الإسلام.

وفيها: بعث النبي ﷺ حارثة وأبا رافع إلى مكة لينقلا بناته وسودة أم المؤمنين.

وفي ذي القعدة عقد لواء لسعد بن أبي وقاص، ليغير على حي من بني كنانة أو بني جهينة. ذكره الواقدي.

وقال عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فكان أول راية عقدها راية عبيدة بن الحارث.

وفيها: آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، على المواساة والحق.

وقد روى أبو داود الطيالسي، عن سليمان بن معاذ، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: آخى رسول اللَّه ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وورَّث بعضهم من بعض، حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥](٢٣٧).

والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين، أن المسلمين كانوا قليليين بالنسبة إلى من بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز، أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر- رضي اللَّه عنه- بل وقبلها- انتشر الإسلام في الأقاليم، فبهذا يظهر لك سبب قلة من توفي في صدر الإسلام، وسبب كثرة من توفي في زمان التابعين فمن بعدهم.

---

(٢٣٧) ضعيف: أخرجه الطيالسي (٢٦٧٦) حدثنا سليمان، به.

قلت: إسناده ضعيف، فيه علتان: الأولى: سليمان، بن قَرْم بن معاذ، أبو داود البصري النحوي، سيئ الحفظ. والعلة الثانية: سماك، هو ابن حرب، صدوق، لكن روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغيَّر بأخرة.

وكان فى هذا القرب أبو قيس بن الأسلت بن جُشَم بن وائل الأوسى الشاعر ، وكان يُعْدَل بقيس بن الخطيم فى الشجاعة والشعر ، وكان يحض الأوس على الإسلام ، وكان قبل الهجرة يتأله ويدعى الحنيفية ، ويحض قريشًا على الإسلام ، فقال قصيدته المشهورة التى أولها :

أيا راكبًا إمّا عَــرَضتَ فبلِّغَنْ　　مُغَلْغَلَةً عــنىّ لُؤَىَّ بن غالب

أقيموا لنا دينًا حنيفا ، فأنتمو　　لنا قادةٌ ، قد يُقْتَدَى بالذَّوائب

روى الواقدى عن رجاله قالوا : خرج ابن الأسلت إلى الشام ، فتعرض آل جفنة فوصلوه ، وسأل الرهبان فدعوه إلى دينهم فلم يرده ، فقال له راهب : أنت تريد دين الحنيفية ، وهذا وراءك من حيث خرجت . ثم إنه قدم مكة معتمرًا ، فلقى زيد بن عمرو بن نفيل ، فقص عليه أمره ، فكان أبو قيس بعد يقول : ليس أحد على دين إبراهيم إلا أنا وزيد . فلما قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة ؛ وقد أسلمت الخزرج والأوس ، إلا ما كان من أوس اللَّه فإنها وقفت مع ابن الأسلت ، وكان فارسها وخطيبها ، وشهد يوم بعاث ، فقيل له : يا أبا قيس ، هذا صاحبك الذى كنت تصف . قال : رجل قد بُعثَ بالحق . ثم جاء إلى النبى ﷺ فعرض عليه شرائع الإسلام ، فقال : ما أحسن هذا وأجمله ، أنظر فى أمرى . وكاد أن يسلم ، فلقيه عبد اللَّه ابن أبى ، فأخبره بشأنه فقال : كرهتَ واللَّه حرب الخزرج . فغضب وقال : واللَّه لا أسلم سنة . فمات قبل السنة .

فروى الواقدى عن ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن أشياخه أنهم كانوا يقولون : لقد سُمِعَ يوحد عند الموت ، واللَّه أعلم .

❊ ❊

• سنة اثنتين من الهجرة •

■ غزوة الأبواء :

فى صفرها غزوة الأبواء، فخرج النبى ﷺ من المدينة غازيًا، واستعمل على المدينة سعد ابن عبادة حتى بلغ وَدَّان يريد قريشا وبنى ضمرة، فوادع بنى ضمرة بن عبد مناة بن كنانة، وعقد ذلك معه سيدهم مخشى بن عمرو، ثم رجع إلى المدينة. وَوَدَّان على أربع مراحل.

■ بعْثُ حمْزة :

ثم فى أحد الربيعين بعث عمه حمزة فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين إلى سيف البحر من ناحية العيص، فلقى أبا جهل فى ثلاث مائة. وقال الزهرى: فى مائة وثلاثين راكبًا. وكان مجدى بن عمرو الجهنى وقومه حلفاء الفريقين جميعًا، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى.

■ بعْثُ عُبيدة :

وبعث فى هذه المدة عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، فى ستين راكبًا أو نحوهم من المهاجرين، فنهض حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقى بها جمعًا من قريش، عليهم عكرمة بن أبى جهل، وقيل مكرز بن حفص، فلم يكن بينهم قتال. إلا أن سعد بن أبى وقاص كان فى ذلك البعث، فرمى بسهم، فكان أول سهم رمى به فى سبيل اللّه.

وفر من الكفار يومئذ إلى المسلمين: المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة، وعتبة بن غزوان المازنى حليف بنى عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصَّلا بالمشركين.

■ غزوة بُواط :

وخرج النبى ﷺ فى ربيع الأول غازيًا، فاستعمل على المدينة السائب أخا عثمان بن مظعون، حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع ولم يلق حربًا.

■ غزوة العُشَيرة :

وخرج غازيًا فى جمادى الأولى، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، حتى بلغ العُشَيرة، فأقام هناك أيامًا، ووادع بنى مُدْلج. ثم رجع فأقام بالمدينة أيامًا. والعشيرة من بطن ينبع.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظى قال: حدثنى أبوك محمد بن خثيم المحاربى، عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلى ابن أبى طالب رفيقين فى غزوة العُشَيرة من بطن ينبع. فلما نزلها رسول اللَّه ﷺ أقام بها شهرًا، فصالح بها بنى مدلج، فقال لى على: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتى هؤلاء؛ نفرًا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم؛ ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشينا النوم فنمنا، فواللَّه ما أهبنا إلا رسول اللَّه ﷺ بقدمه، فجلسنا، فيومئذ قال لعلى: يا أبا تراب، لما عليه من التراب.

■ **بدر الأولى:**

وخرج فى جمادى الآخرة فى طلب كُرْز بن جابر الفهرى، وكان قد أغار على سرح المدينة، فبلغ ﷺ وادى سَفَوان من ناحية بدر، فلم يلق حربًا، وسميت بدرًا الأولى، ولم يدرك كُرْزا.

■ **سرية سعد بن أبى وقَّاص:**

وبعث سعد بن أبى وقّاص فى ثمانية من المهاجرين، فبلغ الخوار، ثم رجع إلى المدينة.

■ **بعث عبد اللَّه بن جَحْش:**

قال عروة: ثم بعث النبى ﷺ - فى رجب - عبد اللَّه بن جحش الأسدى، ومعه ثمانية، وكتب معه كتابًا، وأمره أن لا ينظر فى حتى يسير يومين. فلما قرأ الكتاب وجده: إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بين نخلة والطائف، فترصد لنا قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد اللَّه فى الكتاب قال لأصحابه: قد أمرنى رسول اللَّه ﷺ أن أمضى إلى نخلة، ونهانى أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان يريد الشهادة فلينطلق، ومن كره الموت فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول اللَّه. فمضى ومضى معه الثمانية، وهم: أبو حذيفة بن عتبة، وعُكَّاشة بن محصَن، وعتبة بن غزوان، وسعد بن أبى وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد ابن عبد اللَّه التميمى، وسُهيل بن بيضاء الفهرى، وخالد بن البُكَير.

فسلك بهم على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرْع يقال له بُحْران، أضل سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما، فتخلفا فى طلبه. ومضى عبد اللَّه بمن بقى حتى نزل بنخلة. فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبًا وأَدْمًا، وفيها عمرو بن الحضرمى وجماعة. فلما رآهم القوم هابوهم. فأشرف لهم عكاشة؛ وكان قد حلق رأسه؛ فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم.

وتشاور القوم فيهم، وذلك فى آخر رجب، فقالوا: واللَّه لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام. وترددوا، ثم أجمعوا على قتلهم وأخذ تجارتهم، فرمى واقدُ بن عبد اللَّه عمرَو بن الحضرمى فقتله، واستأسروا عثمان بن عبد اللَّه، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد اللَّه.

وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين، حتى قدموا المدينة. وعزلوا خُمْسَ ما غنموا للنبى ﷺ، فنزل القرآن كذلك. وأنكر النبى ﷺ قتل ابن الحضرمى، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الآية[البقرة: ٢١٧]، وقبل النبى ﷺ الفداء فى الأسيرين. فأما عثمان فمات بمكة كافرًا، وأما الحكم فأسلم واستشهد ببئر معونة.

وصُرِفَت القبلة فى رجب، أو قريبًا منه، واللَّه أعلم.

■ غزوة بدر الكبرى: من السيرة لابن إسحاق، رواية البكَّائى:

قال ابن إسحاق: سمع النبى ﷺ أن أبا سفيان بن حرب قد أقبل من الشام فى عير لقريش وتجارة عظيمة، فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش، منهم: مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص. فقال النبى ﷺ: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل اللَّه ينفلكموها. فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعض، ظنًا منهم أن النبى ﷺ لا يلقى حربًا. واستشعر أبو سفيان فجهز منذرًا إلى قريش يستنفرهم إلى أموالهم. فأسرعوا الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد، إلا أن أبا لهب قد بعث مكانه العاص أخا أبى جهل. ولم يخرج أحد من بنى عدى ابن كعب. وكان أمية بن خلف شيخًا جسيمًا فأجمع القعود. فأتاه عقبة ابن أبى معيط- وهو فى المسجد- بمجمرة وبخور فوضعها بين يديه، وقال: أبا على، استجمر! فإنما أنت من النساء. قال: قبحك اللَّه، ثم تجهز وخرج معهم. وخرج النبى ﷺ فى ثامن رمضان، واستعمل على المدينة عمرو ابن أم مكتوم على الصلاة. ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة. ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير. وكان أمام رسول اللَّه ﷺ رايتان سوداوان؛ إحداهما مع على، والأخرى مع رجل أنصارى. وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ.

فكان مع المسلمين سبعون بعيرًا يعتقبونها، وكانوا يوم بدر ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا. وكان رسول اللَّه ﷺ، وعلى، ومرثد بن أبى مرثد يعتقبون بعيرًا. وكان أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرًا. فلما قرب النبى ﷺ من الصفراء بعث اثنين يتجسسان أمر أبى سفيان. وأتاه الخبر بخروج نفير قريش، فاستشار الناس، فقالوا خيرًا. وقال المقداد بن عمرو: يا رسول اللَّه، امض لما أراك اللَّه فنحن معك، واللَّه لا نقول لك كما قالت بنو

إسرائيل لموسى : «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال النبى ﷺ له خيرًا ودعا له .

وقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك . فَسَرَّ رسول الله ﷺ قولُه ، وقال : سيروا وأبشروا ، فإن ربى قد وعدنى إحدى الطائفتين : إما العير وإما النفير .

وسار حتى نزل قريبًا من بدر . فلما أمسى بعث عليًا والزبير وسعدا فى نفر إلى بدر يلتمسون الخبر . فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم وأبو يسار من مواليهم ، فأتوا بهما النبى ﷺ . فسألوهما فقالا : نحن سقاة لقريش . فكره الصحابة هذا الخبر ورجوا أن يكونوا سقاة للعير . فجعلوا يضربونهما ، فإذا آلمهما الضرب قالا : نحن من عير أبى سفيان . وكان النبى ﷺ يصلى ، فلما سلم قال : إذا صدقا ضربتموهما ، وإذا كذبا تركتموهما . ثم قال : أخبرانى أين قريش؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب . فسألهما : كم ينحرون كل يوم؟ قالا : عشرًا من الإبل أو تسعًا : فقال : القوم ما بين التسع مائة إلى الألف .

وأما اللذان بعثهما النبى ﷺ يتجسسان ، فأناخا بقرب ماء بدر واستقيا فى شنهما ، ومجدى بن عمرو بقربهما لم يفطنا به ، فسمعا جاريتين من حوارى الحى تقول إحداهما للأخرى : إنما تأتى العير غدًا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك . فصرفهما مجدى ، وكان عينا لأبى سفيان . فرجعا إلى النبى ﷺ فأخبراه . ولما قرب أبو سفيان من بدر تقدم وحده حتى أتى ماء بدر فقال لمجدى : هل أحسست أحدًا؟ فذكر له الراكبين ، فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ففته ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع سريعًا فصرف العير عن طريقها ، وأخذ طريق الساحل فنجى ، وأرسل يخبر قريشًا أنه قد نجا فارجعوا . فأبى أبو جهل ، وقال : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ، ونقيم عليه ثلاث ، فتهابنا العرب أبدًا .

ورجع الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة ببنى زهرة كلهم ، وكان فيهم مطاعًا . ثم نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادى .

وسبق النبى ﷺ إلى ماء بدر ، ومنع قريشًا من السبق إلى الماء مطرٌ عظيمٌ لم يصب المسلمين منه إلا ما لبد لهم الأرض . فنزل النبى ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة فقال الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال : بل هو الرأى والحرب

والمكيدة. قال: يا رسول اللَّه، إن هذا ليس لك بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ماء، فنشرب ولا يشربون. فاستحسن النبي ﷺ ذلك من رأيه، وفعل ما أشار به، وأمر بالقُلُب فَغُوِّرَت، وبنى حوضًا وملأه ماء. وبُني لرسول اللَّه ﷺ عريش يكون فيه، ومشى النبي ﷺ على موضع الوقعة، فأرى أصحابه مصارع قريش، يقول: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان. قال: فما عدا واحد منهم مصرعه ذلك.

ثم بعثت قريش فحزروا المسلمين، وكان فيهم فارسان: المقداد والزبير. وأراد عتبة بن ربيعة، وحكيم بن حزام قريشًا على الرجوع فأبوا، وكان الذي صمم على القتال أبو جهل. فارتحلوا من الغد قاصدين نحو الماء، فلما رآهم رسول اللَّه ﷺ مقبلين قال: اللَّهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادُّك وتكذِّب رسولك، اللَّهم فنصرك الذي وعدتني، اللَّهم أحتفهم الغداة. وقال ﷺ - وقد رأى عتبة بن ربيعة من القوم على جمل أحمر - إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا.

وكان خُفَاف بن إيماء بن رَحَضة الغفاري بعث إلى قريش، حين مروا به، ابنًا بجزائر هدية، وقال: إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا. فأرسلوا إليه: أن وصلتك رحمٌ، قد قضيت الذي ينبغي، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا ضعف، وإن كنا إنما نقاتل اللَّه، كما يزعم محمد، ما لأحد باللَّه من طاقة.

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول اللَّه ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ: دعوهم. فما شرب رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، ثم إنه أسلم بعد ذلك، وكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني يوم بدر.

ثم بعثت قريش عمير بن وهب الجُمَحي ليحزر المسلمين، فجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع فقال: هم ثلاث مائة يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مدد؟ وضرب في الوادي، فلم ير شيئًا. فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئًا، ولكني قد رأيت - معشر قريش - البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، واللَّه ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟ فَرَوْا رأيكم. فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، هل لك أن لا تزال تذكر بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع

بالناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى. قال: قد فعلت، أنت علىَّ بذلك، إنما هو حليفى فعلىَّ عقله وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية- والحنظلية أم أبى جهل- فإنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره. ثم قام عتبَة خطيبًا فقال: يا معشر قريش، إنكم واللَّه ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا، واللَّه لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه الرجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه وابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فأتيت أبا جهل فوجدته قد شد درعًا من جرابها فهو يهيؤها فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة قد أرسلنى بكذا وكذا. فقال: انتفخ واللَّه سحره حين رأى محمدًا وأصحابه. كلا، واللَّه لا نرجع حتى يحكم اللَّه بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى محمدًا وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه قد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك. فقام عامر فكشف رأسه وصرخ: واعمراه، واعمراه. فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس رأى عتبة الذى دعاهم إليه.

فلما بلغ عتبة قول أبى جهل: انتفخ واللَّه سحره، قال: سيعلم مُصَفِّر استه من انتفخ سحره. ثم التمس عتبة بيضة لرأسه، فما وجد فى الجيش بيضة تسعة من عظم هامته، فاعتجر على رأسه ببرد له.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى- وكان شرسًا سيئ الخلق- فقال: أعاهد اللَّه لأشربن من حوضهم أو لأهدسنه أو لأموتن دونه. وأتاه فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب- رضى اللَّه عنه- فالتقيا فضربه حمزة فقطع ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا. ثم جاء إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبر يمينه، واتبعه حمزة فقتله فى الحوض.

ثم إن عتبة بن ربيعة خرج للمبارزة بين أخيه شيبة، وابنه الوليد بن عتبة، ودعوا للمبارزة، فخرج إليه عوف ومُعَوِّذ ابنا عفراء وآخر من الأنصار. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال رسول اللَّه ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث، ويا حمزة، ويا على. فلما دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فتسموا لهم. فقال: أكفاء كرام. فبارز عبيدة- وكان أسن القوم- عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز على الوليد. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله. وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله. واختلف عتبة

وعبيدة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه . وكر عليٌّ وحمزة على عتبة فدفَّفا عليه . واحتملا عبيدة إلى أصحابهما .

والصحيح كما سيأتي إنما بارز حمزة عتبة ، وعليٌّ شيبة ، واللَّه أعلم . ثم تزاحف الجمعان . وقد أمر النبى ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال : انضحوهم عنكم بالنبل . وهو ﷺ فى العريش ، ومعه أبو بكر ، وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة رمضان .

قال سفيان ، عن قتادة : إن وقعة بدر صبيحة يوم الجمعة سابع عشر رمضان . وقال قرة بن خالد : سألت عبد الرحمن بن القاسم عن ليلة القدر ، فقال : كان زيد بن ثابت يعظم سابع عشرة ويقول : هى وقعة بدر . وكذلك قال إسماعيل السدى وغيره فى تاريخ يوم بدر ، وقاله عروة بن الزبير ، ورواه خالد بن عبد اللَّه الواسطى عن عمرو بن يحيى عن عامر بن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال : كانت صبيحة بدر سبع عشرة من رمضان ؛ لكن روى قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود فى ليلة القدر قال : تحروها لإحدى عشرة بقين ، صبيحتها يوم بدر ، كذا قال ابن مسعود(٢٣٨) ، والمشهور ما قبله .

ثم عَدَّل رسول اللَّه ﷺ الصفوف بنفسه ، ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر فقط ، فجعل يناشد ربه ويقول : يا رب إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد فى الأرض . وأبو بكر يقول : يا نبى اللَّه ، بعض مناشدتك ربك ، فإن اللَّه منجز لك ما وعدك . ثم خفق ﷺ ، فانتبه وقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك النصر ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع .

فَرُمِىَ مِهْجع - مولى عمر - بسهم ، فكان أول قتيل فى سبيل اللَّه . ثم رُمِىَ حارثة بن سراقة النَجارى بسهم وهو يشرب من الحوض ، فَقُتِلَ .

ثم خرج رسول اللَّه ﷺ إلى الناس يحرضهم على القتال ، فقاتل عمير بن الحُمام حتى قُتِل ، ثم قاتل عوف ابن عفراء - وهى أمه - حتى قتل .

ثم إن رسول اللَّه ﷺ رمى المشركين بحفنة من الحصباء وقال : شاهت الوجوه ، وقال لأصحابه : شدوا عليهم . فكانت الهزيمة ، وقتل اللَّه من قتل من صناديد الكفر : فَقُتِلَ سبعون وأسر مثلهم .

---

(٢٣٨) الصوابُ ما رواهُ ابن عمر مرفوعًا بلفظ : «ليلةُ القدر التمسوها فى العشر الأواخر ، وإن ضَعُفَ أحدُكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ عن السبع البواقى» . أخرجه الطيالسى (١٩١٢) ، وأحمد (٢/ ٤٤ و٧٥ و٩١) ، ومسلم (١١٦٥) (٢٠٩) . وروى مسلم (١١٦٥) (٢١٠) (٢١١) عن ابن عمر مرفوعًا «من كان ملتمسها فليلتمسها فى العشر الأواخر» .

ورجع النبى ﷺ إلى العريش، وقام سعد بن معاذ على الباب بالسيف فى نفر من الأنصار، يخافون على رسول اللَّه ﷺ كرة العدو.

ثم قال النبى ﷺ لأصحابه: إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كُرْهًا لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى أحدًا من بنى هاشم فلا يقتله، ومن لقى أبا البَخْتَرى بن هشام بن الحارث فلا يقتله، ومن لقى العباس فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرهًا. فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس، واللَّه لئن لقيته لألجمنه بالسيف. فبلغت رسول اللَّه ﷺ فقال لعمر: يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول اللَّه ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: دعنى فلأضرب عنق هذا المنافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا آمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن تكفرها عنى الشهادة. فاستشهد يوم اليمامة.

وكان أبو البخترى أكف القوم عن رسول اللَّه ﷺ، وقام فى نقض الصحيفة، فلقيه المُجذَّر بن ذياد البلوى حليف الأنصار، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قد نهانا عن قتلك. فقال: وزميلى جُنادة الليثى؟ فقال المجذر: لا واللَّه ما أمرنا إلا بك وحدك. فقال: لأموتن أنا وهو، لا يتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرْصًا على الحياة. فاقتتلا، فقتله المجذَّر. ثم أتى النبى ﷺ فقال: والذى بعثك بالحق لقد جَهدت عليه أن يستأسر، فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلنى.

وعن عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقًا لى بمكة، قال: فمررت به ومعى أدراع قد استلبتها، فقال لى: هل لك فىَّ، فأنا خير لك من الأدراع؟ قلت: نعم، ها اللَّه إذًا. وطرحت الأدراع، فأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط. أما لكم حاجة فى اللبن؟ يعنى: من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن. ثم جئت أمشى بهما، فقال لى أمية: من الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قلت: حمزة. قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل. فواللَّه إنى لأقودهما، إذ رآه بلال؛ وكان يُعَذِّب بلالاً بمكة، فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف؟ لا نجوت إن نجا. قلت: أى بلال، أبأسيرى؟ قال: لا نجوت إن نجا. قال: أتسمع يا ابن السوداء ما تقول؟ ثم صرخ بلال بأعلى صوته: يا أنصار اللَّه، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا، وأنا أذب عنه. فأخلف رجل السيف، فضرب رجل ابنه فوقع، فصاح أمية صيحة عظيمة، فقلت: انج بنفسك، ولا نجاء، فواللَّه ما أغنى عنك شيئًا. فهبروهما بأسيافهم، فكان يقول: رحم اللَّه بلالاً، ذهبت أدراعى، وفجعنى بأسيرى.

وعن ابن عباس، عن رجل من غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصعدنا فى جبل

يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الدائرة على من تكون، فننتهب مع من ينتهب. فبينا نحن فى الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعت فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم[٢٣٩]، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

رواه عبد اللّٰه بن أبى بكر بن حزم، عمن حدثه، عن ابن عباس.

وروى الذى بعده ابن حزم عمن حدثه من بنى ساعدة عن أبى أسيد مالك بن ربيعة قال: لو كان معى بصرى وكنت ببدر لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى أبى، عن رجال، عن أبى داود المازنى، قال: إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه بالسيف، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى، فعرفت أنه قتله غيرى.

وعن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر.

وأما أبو جهل بن هشام فاحتمى فى مثل الحَرَجة- وهو الشجر الملتف- وبقى أصحابه يقولون: أبو الحكم لا يوصل إليه. قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فلما سمعتها جعلته من شأنى، فصمدت نحوه، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت[٢٤٠] قدمه بنصف ساقه. فواللّٰه ما أشبهها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. فضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى، فتعلقت بجلدة من جنبى، وأجهضنى القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومى، وإنى لأسحبها خلفى. فلما آذتنى وضعت عليها قدمى، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها. قال: ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان.

ثم مر بأبى جهل معوّذ ابن عفراء، فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قُتِلَ، وقتل أخوه عوف قبله. واسم أبيهما: الحارث بن رفاعة بن الحارث الزرقى.

ثم مر عبد اللّٰه بن مسعود بأبى جهل حين أمر النبى ﷺ بالتماسه، وقال فيما بلغنا: إن خفى عليكم فى القتلى فانظروا إلى أثر جرح فى ركبته، فإنى ازدحمت أنا وهو يومًا على مأدبة لعبد اللّٰه بن جدعان، ونحن غلامان؛ وكنت أشف[٢٤١] منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبته

---

(٢٣٩) حيزوم: اسم فرس جبريل، عليه السلام. وقال الجوهرى: حَيْزوم اسم فرس من خيل الملائكة.

(٢٤٠) أطَنَّت: أى قطعت.

(٢٤١) أشَفَّ منه: أى أكبر منه قليلاً.

فجحش[٢٤٢] فيها. قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق، فوضعت رجلى على عنقه. وقد كان ضبث[٢٤٣] بى مرة بمكة، فآذانى ولكزنى. فقلت له: هل أخزاك اللَّه يا عدو اللَّه؟ قال: وبماذا أخزانى، وهل فوق رجل قتلتموه؟ أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟ قلت: للَّه ولرسوله، ثم قال: لقد ارتقيت، يا رويعى الغنم مرتقى صعبًا. قال: فاحتززت رأسه وجئت به رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه، هذا رأس عدو اللَّه أبى جهل. قال: آللَّه الذى لا إله غيره؟ قلت: نعم. وألقيت رأسه بين يدى النبى ﷺ.

ثم أمر بالقتلى أن يطرحوا فى قليب هناك. فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ فى درعه فملأها، فذهبوا ليخرجوه فتزايل، فأقروه به، وألقوا عليه التراب فغيبوه.

فلما ألقوا فى القليب، وقف عليهم النبى ﷺ فقال: «**يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا**». فقالوا: يا رسول اللَّه أتنادى قومًا قد جَيَّفوا؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا**».

وفى رواية: فناداهم فى جوف الليل: يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف. ويا أبا جهل بن هشام. فَعَدَّد من كان فى القليب.

زاد ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: يا أهل القليب، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم؛ كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس.

وعن أنس: لما سُحبَ عتبة بن ربيعة إلى القليب نظر رسول اللَّه ﷺ فى وجه أبى حذيفة ابنه، فإذا هو كئيب متغير. فقال: لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا واللَّه ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكنى كنت أعرف منه رأيًا وحلمًا، فكنت أرجو أن يسلم، فلما رأيت ما أصابه وما مات عليه أحزننى ذلك. فدعا له النبى ﷺ وقال له خيرًا.

وكان الحارث بن ربيعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد ابن المغيرة، وعلى بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج قد أسلموا، فلما هاجر النبى ﷺ حبسهم آباؤهم وعشائرهم، وفتنوهم عن الدين فافتتنوا- نعوذ باللَّه من فتنة الدين-

---

(٢٤٢) جحش: أى انْخَدَش جلده وانْسَحَجَ (أى انقشر).

(٢٤٣) ضَبَثَ بى: أى قبض علىَّ. يُقالُ ضَبَثْتُ على الشيء إذا قبضتُ عليه.

ثم ساروا مع قومهم يوم بدر، فقتلوا جميعًا. وفيهم نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية[النساء: ٩٧].

وعن عبادة بن الصامت، قال: فينا أهل بدر نزلت الأنفال حين تنازعنا فى الغنيمة وساءت فيها أخلاقنا، فنزعه اللَّه من أيدينا وجعله إلى رسوله، فقسمه بين المسلمين على السواء. ثم بعث النبى ﷺ عبد اللَّه بن رواحة، وزيد بن حارثة، بشيرين إلى المدينة. قال أسامة: أتان الخبر حين سوينا على رقية بنت رسول اللَّه ﷺ قبرها، كان رسول اللَّه ﷺ خلفنى عليها مع عثمان.

ثم قفل رسول اللَّه ﷺ ومعه الأسارى؛ فيهم: عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث. فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل، فلما أتى الروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بالفتح، فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذى تهنئونا به؟ فواللَّه إن لقينا إلا عجائز ضُلَّعًا كالبدن المعقلة فنحرناها. فتبسم رسول اللَّه ﷺ وقال: أى ابن أخى، أولئك الملأ. يعنى الأشراف والرؤساء.

ثم قتل النضر بن الحارث العبدرى بالصفراء، وقتل بعرق الظُّبْية عقبة بن أبى معيط، فقال عقبة حين أمر النبى ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، وقيل: على.

وقال حماد بن سَلَمة، عن عطاء بن السائب، عن الشعبى، قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد من بين قريش؟ قال: نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفع حتى ظننت أن عينى ستندران، وجاء مرة أخرى بسَلَى شاة فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى.

■ **واستشهد يوم بدر:**

مهْجع، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الخزاعى، وعاقل بن البكير، وصفوان بن بيضاء، وعمير بن أبى وقاص أخو سعد، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف المطلبى الذى قطع رجله عتبة، مات بعد يومين بالصفراء. وهؤلاء من المهاجرين.

وعُمير بن الحُمام، وابنا عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث فُسْحُم، ورافع بن المعلى الزرقى، وسعد بن خيثمة الأوسى، ومبشر بن عبد المنذر أخو أبى لبابة.

فالجملة أربعة عشر رجلاً.

وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهما ابنا أربعين ومائة سنة. وكان شيبة أكبر بثلاث سنين.

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش: الحيسمان بن عبد اللّه الخزاعى. فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتِلَ عتبة، وشيبة، وأبو جهل، وأمية، وزمعة بن الأسود، ونُبَيه، ومنبه، وأبو البَخْتَرَى بن هشَام. فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد فى الحجر: واللّه إن يعقل هذا فسلوه عنى: فقالوا: ما فعل صفوان؟ قال: ها هو ذاك جالسًا، قد واللّه رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وعن أبى رافع مولى النبى ﷺ قال: كنت غلامًا للعباس وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره الخلاف ويكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر بمصاب قريش كبته اللّه وأخزاه، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزة، وكنت رجلاً ضعيفًا، وكنت أَنْحَتُ الأقداح فى حجرة زمزم، فإنى لجالس أنحت أقداحى، وعندى أم الفضل، وقد سرنا الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر، حتى جلس على طنب (٢٤٤)الحجرة، فكان ظهره إلى ظهرى. فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم. فقال أبو لهب: إلىَّ، فعندك الخبر. قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: واللّه ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا، وايم اللّه ما لمت الناس، لقينا [رجالاً بيضًا] (*)على خيل بُلْق (٢٤٥) بين السماء والأرض، واللّه ما تليق (٢٤٦)شيئًا ولا يقوم لها شىء.

قال أبو رافع: فرفعت طُنُب الحجرة بيدى، ثم قلت: تلك واللّه الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة. قال: وثاورتُه، فحملنى وضرب بى الأرض، ثم برك على يضربنى، وكنت رجلا ضعيفًا. فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة، فلقت فى رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده؟ فقام موليًا ذليلاً، فواللّه ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه اللّه بالعَدَسة فقتلته. وكانت قريش تتقى هذه العدسة كما يتقى الطاعون، حتى قال رجل من قريش لابنيه: ويحكما؟ ألا تستحيان أن أباكما

---

(٢٤٤) الطُّنُب الطَّرَف والنَّاحية.

(*) فى الأصل [رجالٌ بيضٌ]، وهو خطأ نحوى، والصواب: [رجالاً بيضًا] وهو ما أثبتناه.

(٢٤٥) البَلَق بسواد وبياض، وكذلك البُلْقة، بالضم. قال ابن سيده: البَلَق والبُلْقة مصدر الأبلق ارتفاعُ التحجيل إلى الفخذين.

(٢٤٦) ما تُليقُ شيئًا أى لم يُلِقْ شيئًا إلا قطعه حُسَامه.

قد أنتن فى بيته ألا تدفنانه؟ فقالا: نخشى عدوى هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما فواللَّه ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد. ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رضموا عليه الحجارة.

رواه محمد بن إسحاق من طريق يونس بن بُكَير عنه بمعناه. قال: حدثنى الحسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: حدثنى أبو رافع مولى النبى ﷺ.

وروى عباد بن عبد اللَّه بن الزبير، عن أبيه، قال: ناحت قريش على قتلاها ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم.

وكان الأسود بن المطلّب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعَقيل، والحارث. فكان يحب أن يبكى عليهم.

قال ابن إسحاق: ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى، فقدم مكْرَز بن حفص فى فداء سُهَيل بن عمرو، فقال عمر: دعنى يا رسول اللَّه أنزع ثنيتى سهيل يدَلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا فى موطن أبدًا، فقال: لا أمثِّل به فيمثل اللَّه بى، وعسى أن يقوم مقامًا لا تذمه. فقام فى أهل مكة بعد وفاة النبى ﷺ بنحو من خطبة أبى بكر الصديق، وحسن إسلامه.

وانسل المطلب بن أبى وَدَاعه، ففدى أباه بأربعة آلاف درهم، وانطلق به.

وبعثت زينب بنت رسول اللَّه ﷺ فى فداء زوجها أبى العاص بن الربيع بن عبد شمس، بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص. فلما رآها رسول اللَّه ﷺ رق لها، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها. قالوا: نعم، يا رسول اللَّه. وأطلقوه.

فأخذ عليه النبى ﷺ أن يخلى سبيل زينب، وكانت من المستضعفين من النساء، واستكتمه النبى ﷺ ذلك، وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتيانى بها. وذلك بعد بدر بشهر.

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فتجهزت. فقدَّم أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيرًا، فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارًا يقودها. فتحدث بذلك رجال، فخرجوا فى طلبها، فبرك كنانة ونثر كنانته لما أدركوها لذى طوى، فروَّعها هَبَّار بن الأسود بالرمح. فقال كنانة: واللَّه لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهمًا. فتكركر الناس عنه. وأتى أبو سفيان فى جِلة من قريش، فقال: أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك. فكف، فوقف

عليه أبو سفيان فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية أن ذلك على ذل أصابنا، وأن ذلك منا وهن وضعف، ولعمرى ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أنا رددناها، فَسُلَّها سرًا وألحقها بأبيها. قال: ففعل، ثم خرج بها ليلاً، بعد ليال، فسلمها إلى زيد وصاحبه، فقدما بها على النبى ﷺ فأقامت عنده.

فلما كان قبل الفتح، خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام بماله، وبمال كثير لقريش، فلما رجع لقيته سرية فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربًا، فقدموا بما أصابوا. وأقبل أبو العاص فى الليل، حتى دخل على زينب، فاستجار بها فأجارته، وجاء فى طلب ماله. فلما خرج ﷺ إلى الصبح وكبر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

وبعث النبى ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: «**إن هذا الرجل منا حيث قدعلمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به**». قالوا: بل نرده، فردوه كله. ثم ذهب به إلى مكة، فأدى إلى كل ذى مال ماله. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحد منكم عندى مال؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًا كريمًا. قال: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أكل أموالكم.

ثم قدم على رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس قال: رد عليه النبى ﷺ زينب على النكاح الأول، لم يُحْدث شيئًا.

ومن الأسارى: الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى، أسره عبد الله بن جحش، وقيل: سليط المازنى.

وقدم فى فدائه أخواه: خالد بن الوليد، وهشام بن الوليد، فافتكَّاه بأربعة آلاف درهم، وذهبا به.

فلما افتُدى أسلم، فقيل له فى ذلك فقال: كرهت أن يظنوا بى أنى جزعت من الأسر، فحبسوه بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدعو له فى القنوت، ثم هرب ولحق برسول الله ﷺ بعد الحديبية، وتوفى قديمًا؛ لعل فى حياة النبى ﷺ؛ فبكته أم سلمة، وهى بنت عمه:

يا عين فابكــى للــوليـ ـد بن الوليد بن المغيــرة
قد كان غَيْثًا فــى السنيـ ـن ورحمةً فينا وميرَه(٢٤٧)
ضَخْم الدَّسيعة(٢٤٨) ماجدًا يســمو إلى طلب الوَتيره
مثل الــوليـد بن الــوليد أبى الــوليد كَفَى العَشيره

ومن الأسرى: أبو عزة عمرو بن عبد اللَّه الجمحى. كان محتاجًا ذا بنات، قال للنبى ﷺ: قد عرفت أنى لا مال لى، وأنى ذو حاجة وعيال، فامنن على. فمنَّ عليه، وشرط عليه أن لا يظاهر عليه أحد.

وقال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية، بعد مصاب أهل بدر بيسير، فى الحجر، وكان عمير من شياطين قريش، وممن يؤذى المسلمين، وكان ابنه وهيب فى الأسرى، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: [واللَّه ما فى العيش بعدهم خير](*)، فقال عمير: صدقت، واللَّه لولا دين علىَّ ليس عندى له قضاء، وعيال أخشى عليهم، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة؛ ابنى أسير فى أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: علىّ دينك وعيالك. قال: فاكتم علىَّ. ثم شحذ سيفه وسمه، ومضى إلى المدينة.

فبينا عمر فى نفسر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، إذ نظر عمر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحًا بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو اللَّه عمير، قال: وهو الذى حزرنا يوم بدر. ثم دخل على النبى ﷺ فقال: هذا عمير. قال: أدخله علىَّ. فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه، فلببه به، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول اللَّه فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث. ثم دخل به فقال- عليه السلام: أرسله يا عمر، ادن يا عمير. فدنا، ثم قال: أنعموا صباحًا، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم. قال: فما بال السيف فى عنقك؟ قال: قبحها اللَّه من سيوف، وهل أغنت شيئًا؟ قال: اصدقنى ما الذى جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك. قال: بلى، قعدت أنت وصفوان فى الحجر، وقَصَّ له ما قالا. فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسوله، قد كنا يا رسول اللَّه نكذبك بما تأتينا به من خبر السماء، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا

(٢٤٧) الميرة: الطعام.
(٢٤٨) الدَّسيعة: مائدة الرجل إذا كانت كريمة.
(*) وقع فى الأصل[واللَّه أنَّ فى العيش بعدهم لخير]، والصواب: ما أثبتناه وهو ما يقتضيه السياق.

وصفوان فواللَّه لأعلم ما أتاك به إلا اللَّه، فالحمد للَّه الذى هدانى للإسلام. فقال: النبى ﷺ: فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره. ففعلوا.

ثم قال: يا رسول اللَّه إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور اللَّه، شديد الأذى لمن كان على دين اللَّه، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى اللَّه ورسوله، لعل اللَّه أن يهديهم، وإلا آذيتهم فى دينهم. فأذن له ولحق بمكة. وكان صفوان يعد قريشًا يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكبًا فأخبره عن إسلامه، فحلف لا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بشىء أبدًا. ثم أقام يدعو إلى الإسلام، ويؤذى المشركين، فأسلم على يديه ناس كثير.

■ بقية أحاديث غزوة بدر:

وهى كالشرح لما قدَّمناه، منها:

قال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا: فنزل على أمية بن خلف- وكان أمية ينزل عليه إذا سافر إلى الشام- فقال لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس فطف قال: فبينما هو يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال: من أنت. قال: سعد. قال: أتطوف آمنًا وقد آويتم محمدًا وأصحابه، وتلاحيا. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى. فقال: واللَّه لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك بالشام. وجعل أمية يقول: لا ترفع صوتك. فغضب وقال: دعنا منكم، فإنى سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياى؟ قال: نعم. قال: واللَّه ما يكذب محمد. فكاد أن يحدث، فرجع فقال لامرأته: أتعلمين ما قال أخى اليثربى؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أن محمدًا يزعم أنه قاتلى. قالت: فواللَّه ما يكذب. فلما خرجوا لبدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما علمت ما قال اليثربى. قال: فإنى إذن لا أخرج. فقال له أبو جهل: إنك من أشراف أهل الوادى فسر معنا يومًا أو يومين. فسار معهم، فقتل. أخرجه البخارى (٢٤٩).

وأخرجه أيضًا من حديث إبراهيم بن يوسف بن أبى إسحاق السبيعى، عن أبيه، عن جده، وفيه: فلما استنفر أبو جهل الناس وقال: أدركوا عيركم، كره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس تخلفت- وأنت سيد أهل الوادى- تخلفوا

---

(٢٤٩) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٣٢) حدثنى أحمد بن إسحاق، حدثنا عُبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، به.

معك. فلم يزل به حتى قال: إذ غلبتني فواللَّه لأشترين أجود بعير مكة. ثم قال: يا أم يا صفوان جهزيني فما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا. فلما خرج أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره، فلم يزل بذاك حتى قتله اللَّه ببدر. البخاري(٢٥٠).

وذكر الزهري قال: إنما خرج رسول اللَّه ﷺ بمن خرج من أصحابه يريدون عير قريش التي قدم بها أبو سفيان من الشام، حتى جمع اللَّه بين الفئتين من غير ميعاد. قال اللَّه- تعالى: ﴿**إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**﴾ [الأنفال: ٤٢].

■ **رُؤيا عاتكة:**

قال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني حسين بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(ح) قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة، قالا:

رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مَقْدم ضمضم بن عمرو الغفاري على قريش مكة بثلاث ليال، رؤيا، فأصبحت عاتكة فأعظمتها، فبعثت إلى أخيها العباس فقالت له: يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا ليدخلن منها على قومك شر وبلاء. فقال: وما هي؟ قالت: رأيت فيما يرى النائم أن رجلاً أقبل على بعير له فوقف بالأبطح فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فاجتمعوا إليه، ثم أرى بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه. ثم مَثَل به بعيرُه فإذا هو على رأس الكعبة، فقال: انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث. ثم أرى بعيره مثل به على رأس أبي قبيس، فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث. ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت في أسفله ارفضَّت(٢٥١) فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها.

فقال العباس: واللَّه إن هذه لرؤيا، فاكتميها. فقالت: أنت فاكتمها، لئن بلغت هذه قريشًا ليؤذننا. فخرج العباس من عندها، فلقي الوليد بن عتبة- وكان له صديقًا- فذكرها له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه، فتحدث بها، ففشا الحديث، فقال العباس: واللَّه إني لغاد

---

(٢٥٠) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٥٠) حدثني أحمد بن عثمان، حدثنا شُريح بن مسلمة، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، به.

(٢٥١) ارفضَّت: أي تفرقت.

إلى الكعبة لأطوف بها، فإذا أبو جهل فى نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل تعال. فجلست إليه فقال: متى حَدَثَتْ هذه النبية فيكم؟ ما رضيتم يا بنى عبد المطلب أن ينبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم، سنتربص بكم هذه الثلاث التى ذكرت عاتكة، فإن كان حقًا فسيكون، وإلا كتبنا عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.

قال: فواللَّه ما كان إليه منى من كبير، إلا أنى أنكرت ما قالت، وقلت: ما رأت شيئًا ولا سمعتُ بهذا، فلما أمسيتُ لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقلن: صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، فلم يكن عندك فى ذلك غيَر. فقلت: قد واللَّه صدقْتُن وما كان عندى فى ذلك من غير إلا أنى أنكرت، ولا تعرضُنَّ لَه، فإن عاد لأكفينّه.

فغدوت فى اليوم الثالث أتعرض له ليقول شيئًا فأشاتمه، فواللَّه إنى لمقبل نحوه، وكان رجلاً حديد الوجه، حديد النظر، حديد اللسان، إذ ولَّى نحو باب المسجد يشتد، فقلت فى نفسى: اللَّهم العنه، كل هذا فرقًا أن أشاتمه. وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم ابن عمرو، وهو واقف بعيره بالأبطح؛ قد حَوَّل رحله وشق قميصه وجدع بعيره؛ يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد، فالغوث الغوث! فشغله ذلك عنى، وشغلنى عنه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا، فأصاب قريشًا ما أصابهم يوم بدر، فقال عاتكة:

ألم تكن الرؤيا بحقٍّ وجاءكم بتصديقها فَلٌّ من القوم هارب

فقلتم ولم أكذِب: كذبت وإنما يكذِّبنا بالصِّدْق مَنْ هو كاذبُ

وقال أبو إسحاق: سمعت البراء يقول: استُصْغِرْت أنا وابن عمر يوم بدر. وكنا- أصحاب محمد- نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاث مائة وبضعة عشر، كعدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر، وما جازه إلا مؤمن. أخرجه البخارى(٢٥٢).

---

(٢٥٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٥٥) و(٣٩٥٦) من طريق شعبة، عن أبى إسحاق، عن البراء قال: استُصْغِرتُ أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيِّفًا على ستين، والأنصارُ نيِّفًا وأربعين ومائتينَ». وأخرجه البخارى (٣٩٥٧) حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال سمعتُ البراء- رضى الله عنه- يقول: حدثنى أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر: بضعةَ عشرَ وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز النهر إلاَّ مؤمن». وأخرجه البخارى (٣٩٥٨) حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، به.

وقال: سمعت البراء يقول: كان المهاجرون يوم بدر نيِّفًا وثمانين. أخرجه البخارى[(٢٥٣)].

وقال ابن لهيعة: حدثنى يزيد بن أبى حبيب، حدثنى أسلم أبو عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصارى يقول: قال لنا رسول اللَّه ﷺ ونحن بالمدينة: هل لكم أن نخرج فنلقى العير لعل اللَّه يغنِّمنا؟ قلنا: نعم. فخرجنا، فلما سرنا يومًا أو يومين أمرنا أن نتعادَّ، ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرناه بعدتنا، فسر بذلك وحمد اللَّه، وقال: عدة أصحاب طالوت.

وقال ابن وهب: حدثنى حيى بن عبد اللَّه، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى، عن عبد اللَّه بن عمرو أن رسول اللَّه ﷺ خرج يوم بدر بثلاث مائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت فدعا لهم رسول اللَّه ﷺ حين خرج فقال: اللَّهم إنهم حفاة فاحملهم، اللَّهم إنهم عراة فاكسهم، اللَّهم إنهم جياع فأشبعهم. ففتح اللَّه لهم، فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا.

وقال أبو إسحاق، عن البراء، قال: لم يكن يوم بدر فارس غير المقداد.

وقال أبو إسحاق، عن حارثة بن مُضَرِّب: إن عليًا قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما منا أحد إلا وهو نائم إلا رسول اللَّه ﷺ، فإنه يصلى إلى شجرة ويدعو حتى أصبح، ولقد رأيتنا وما منا أحد فارس يومئذ إلا المقداد. رواه شعبة عنه.

ومن وجه آخر عن على، قال: ما كان معنا إلا فرسان. فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود.

وعن إسماعيل بن أبى خالد، عن البهى، قال: كان يوم بدر مع رسول اللَّه ﷺ فارسان، الزبير على الميمنة، والمقداد على الميسرة.

وقال عروة: كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيما الزبير.

---

(٢٥٣) الذى رواه البخارى(٣٩٥٦) عن البراء قال: استصغرتُ أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيِّفًا على ستين، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين».

وقال الحافظ فى «الفتح»: وقد وقع عند الحاكم من طريق عبد الملك بن إبراهيم الجسرى، عن شعبة فى هذا الحديث: «إن المهاجرين كانوا نيفًا وثمانين» وهو خطأ فى هذه الرواية لإطباق أصحاب شعبة على ما وقع فى البخارى- أى فى الحديث (٣٩٥٦)- وفيه «نيفًا على ستين».

وقال حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللَّه، قال: كنا يوم بدر نتعاقب ثلاثة على بعير، فكان عليٌّ وأبو لبابة زميلي رسول اللَّه ﷺ. فكان إذا حانت عقبة رسول اللَّه ﷺ يقولان له: اركب حتى نمشي. فيقول: إني لست بأغنى عن الأجر منكما، ولا أنتما بأقوى على المشي مني.

المشهور عند أهل المغازي: مرثد بن أبي مرثد الغنوي بدل أبي لُبابة، فإن أبا لبابة رده النبي ﷺ واستخلفه على المدينة.

وقال معمر: سمعت الزهري يقول: لم يشهد بدرًا إلا قرشي أو أنصاري أو حليف لهما.

وعن الحسن، قال: كان فيهم اثنا عشر من الموالي.

وقال عمرو العنقزي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي عنه قال: أخذنا رجلين يوم بدر، أحدهما عربي والآخر مولى، فأفلت العربي وأخذنا المولى؛ مولى لعقبة بن أبي معيط؛ فقلنا: كم هم؟ قال: كثير عددهم شديد بأسهم، فجعلنا نضربه، حتى انتهينا به إلى رسول اللَّه ﷺ، فأبى أن يخبره، فقال رسول اللَّه ﷺ: كم ينحرون من الجزر؟ فقال: في كل يوم عشرًا. فقال رسول اللَّه ﷺ: القوم ألف، لكل جزور مائة.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنا عبد اللَّه بن أبي بكر، أن سعد بن معاذ قال لرسول اللَّه ﷺ: ألا نبني لك عريشًا، فتكون فيه، وننيخ لك ركائبك ونلقى عدونا، فإن أظهرنا اللَّه عليهم فذاك، وإن تكن الأخرى فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو علموا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك. ويوادونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول اللَّه ﷺ خيرًا ودعا له. فبُنيَ لرسول اللَّه ﷺ عريش، فكان فيه وأبو بكر ما معهما غيرهما.

وقال البخاري: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا إسرائيل، عن مخارق، عن طارق بن شهاب، سمع ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون صاحبه كان أحب إليَّ مما عُدل به: أتى النبي ﷺ، وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك، قال: فرأيت رسول اللَّه ﷺ أشرق لذلك، وسره(٢٥٤).

---

(٢٥٤) صحيح. أخرجه البخاري (٣٩٥٢) و(٤٦٠٩) حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، به.

وقال مسلم وأبو داود: حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ ندب أصحابه فانطلق إلى بدر، فإذا هم بروايا قريش، فيها عبد أسود لبني الحَجَّاج، فأخذه أصحاب النبي ﷺ فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟ فيقول: واللَّه ما لي بشيء من أمره علم، ولكن هذه قريش قد جاءت، فيهم أبو جهل، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف. قال: فإذا قال لهم ذلك ضربوه، فيقول: دعوني دعوني أخبركم. فإذا تركوه قال كقوله سواء، والنبي ﷺ يصلي وهو يسمع ذلك. فلما انصرف، قال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم وتدعونه إذا كذبكم، هذه قريش قد أقبلت لتمنع أبا سفيان.

قال أنس: وقال رسول اللَّه ﷺ: هذا مصرع فلان غدًا؛ ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان، ووضع يده على الأرض.

قال: والذي نفسي بيده ما جاوز أحد منهم عن موضع يده ﷺ. قال: فأمر بهم رسول اللَّه ﷺ، فأخذ بأرجلهم، فسحبوا فألقوا في قليب بدر(٢٥٥). صحيح.

وقال حماد أيضًا، عن ثابت، عن أنس؛ أن رسول اللَّه ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة- كذا قال، والمعروف ابن معاذ- فقال: إيانا تريد يا رسول اللَّه؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول اللَّه ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً. وساق الحديث المذكور قبل هذا. أخرجه مسلم(٢٥٦).

ورواه أيضًا من حديث سليمان بن المغيرة أخصر منه عن ثابت؛ عن أنس: حدثنا عمر، قال: إن رسول اللَّه ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس: هذا مصرع فلان إن شاء اللَّه غدًا، هذا مصرع فلان إن شاء اللَّه غدًا. فوالذي بعثه بالحق، ما أخطأوا تلك الحدود، وجعلوا يصرعون حولها، ثم ألقوا في القَلِيب.

---

(٢٥٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢١٩- ٢٢٠ و٢٥٧- ٢٥٨)، ومسلم (١٧٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١) من طرق عن حماد بن سلمة، به.

(٢٥٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٧٩) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، به.

وقوله: «أن نُخيضها البحر لأخَضناها»: يعني الخيل. أي لو أمرتنا بإدخال خيولنا في البحر وتمشيتنا إياها فيه لفعلنا.

برك الغماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل. وقيل: بلدتان وقال القاضي عياض وغيره: هو موضع بأقاصي هجر.

وجاء النبى ﷺ فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا. فقلت: يا رسول اللَّه أتكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا علىَّ.

وقال شعبة، عن أبى إسحاق، عن حارثة، عن على، قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول اللَّه ﷺ تحت سمرة يصلى ويبكى، حتى أصبح.

وقال أبو على عبيد اللَّه بن عبد المجيد الحنفى: حدثنا عبيد اللَّه بن عبد الرحمن بن موهب، قال: أخبرنى إسماعيل بن عون بن عبيد اللَّه بن أبى رافع، عن عبد اللَّه بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، عن أبيه، عن جده، عن على، قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال، ثم جئت لأنظر إلى رسول اللَّه ﷺ ما فعل، فجئت فإذا هو ساجد يقول: يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم؛ لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول أيضًا. غريب.

وقال الأعمش، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عبد اللَّه، قال: ما سمعت مناشدًا ينشد حقًا أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر: جعل يقول: اللَّهم أنشدك عهدك ووعدك، اللَّهم إن تَهْلك هذه العصابة لا تعبد، ثم التفت وكأن شقَّ وجهه القمر؛ فقال: كأنما أنظر إلى مصارع القوم عشية.

وقال خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبى ﷺ قال وهو فى قبته يوم بدر: اللَّهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللَّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا. فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك حسبك يا رسول اللَّه فقد ألححت على ربك؛ وهو فى الدرع. فخرج وهو يقول: ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)** ﴾ [القمر]، أخرجه البخارى.

وقال عكرمة بن عمار: حدثنى أبو زُمَيل سماك الحنفى، قال: حدثنى ابن عباس، عن عمر، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه، مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبى اللَّه كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما عدك. فأنز اللَّه ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)** ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمده اللَّه بالملائكة. فحدثنى ابن

عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس: أقدم حيزوم. إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع. فجاء الأنصارى، فحدث ذاك رسول اللَّه ﷺ فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة. فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين. أخرجه مسلم (٢٥٧).

وقال سلامة بن روح، عن عُقَيل، حدثنى ابن شهاب قال: قال أبو حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال أبو أسيد الساعدى بعدما ذهب بصره: يا ابن أخى، واللَّه لو كنت أنا وأنت ببدر، ثم أطلق اللَّه لى بصرى لأريتك الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة، غير شكٍّ ولا تمارٍ.

وقال الواقدى: حدثنا ابن أبى حبيبة، عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عباس. وحدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: يا أبا بكر أبشر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض. فلما نزل إلى الأرض، تغيب عنى ساعة ثم طلع، على ثناياه النقع يقول: «أتاك نصر اللَّه إذ دعوته».

وقال عكرمة، عن ابن عباس، أن النبى ﷺ قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب. أخرجه البخارى (٢٥٨).

وقال موسى بن يعقوب الزمعى: حدثنى أبو الحويرث، قال: حدثنى محمد بن جبير بن مطعم أنه سمع عليًا- رضى اللَّه عنه- خطب الناس فقال: بينما أنا أمتح (٢٥٩) من قليب بدر إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها ثم ذهبت، ثم جاءت ريح شديدة كالتى قبلها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة، وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة، وجاءت ريح ثالثة كان فيها إسرافيل فى ألف. فلما هزم اللَّه أعداءه حملنى رسول اللَّه ﷺ على فرسه، فجرت بى، فوقعت على عقبى، فدعوت اللَّه فأمسكت، فلما استويت عليها طعنت بيدى هذه فى القوم حتى اختضب هذا، وأشار إبطه. غريب، وموسى فيه ضعف.

---

(٢٥٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٦٣) حدثنا هناد بن السَّرى، حدثنا ابن المبارك، عن عكرمة بن عمار، به.
قوله «خُطِمَ أنفُهُ»: الخُطم الأثر على الأنف.

(٢٥٨) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٩٥) و(٤٠٤١) حدثنى إبراهيم بن موسى، أخبرنا عبد الوهاب، حدثنا خالد، عن عكرمة، به.

(٢٥٩) أمْتَح: أستقى من البئر بالدلو من أعلى البئر.

وقوله: «حملنى على فرسه» لا يعرف إلا من هذا الوجه.

وقال يحيى بن بُكَير: حدثنى محمد بن يحيى بن زكريا الحميرى، قال: حدثنا العلاء بن كثير، قال: حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، قال: حدثنى أبو أمامة بن سهل، قال: قال أبى: يا بُنَى لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها فى ظهورهم ويوم حنين عمائم حمرًا، ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا.

وجاء فى قوله- تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الأنفال: ١٢]؛ ذكر الواقدى، عن إبراهيم بن أبى حبيبة؛ حدثه عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون من الناس، يثبتونهم، فيقول: إنى قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا. إلى غير ذلك من القول.

وقال إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن حارثة، عن على، قال: لما قدمنا المدينة، أصبنا من ثمارها فاجتويناها وأصابنا بها وَعْكٌ، فكان النبى ﷺ يتخبر عن بدر. فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول اللَّه ﷺ إلى بدر- وهى بئر- فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين: رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط. فأما القرشى فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم واللَّه كثير عددهم شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبى ﷺ فقال له: كم القوم؟ قال: هم كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد أن يخبره كم هم فأبى، ثم سأله: كم ينحرون كل يوم من الجزور؟ فقال: عشرة. فقال نبى اللَّه ﷺ: القوم ألف، كل جزور بمائة وتبعها.

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ(٢٦٠) من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف(٢٦١) نستظل تحتها. وبات رسول اللَّه ﷺ يدعو ربه ويقول: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى**

---

(٢٦٠) الطَش: الضعيف القليل.

(٢٦١) الحَجفَة: التُّرْس وجمعها حَجَف، قيل: هى من الجلود خاصة، وقيل: هى من جلود الإبل مُقَوَّرة.

الأرض». فلما طلع الفجر نادى رسول اللَّه ﷺ: الصلاة جامعة. فجاء الناس من تحت الشجر والحجف والجرف(٢٦٢) فصلى بنا رسول اللَّه ﷺ وحض على القتال، ثم قال: إن جمع قريش عند هذه الضِّلَع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منا وضايقناهم إذا رجل منهم يسير في القوم على جمل أحمر، فقال رسول اللَّه ﷺ: يا على ناد لى حمزة- وكان أقربهم من المشركين- مَنْ صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ ثم قال رسول اللَّه ﷺ: إن يك فى القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول: يا قوم إنى أرى أقوامًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة، وقد تعلمون أنى لست بأجبنكم. فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا؟ واللَّه لو غيرك يقول هذا لأعضضته. قد مُلِئَتْ جوفُك رعبًا، فقال: إياى تعنى يا مصفرٍّ استه؟ ستعلم اليوم أينا أجبن؟

فبرز عُتْبَة وابنه الوليد وأخوه حمية، فقال: من يبارز؟ فخرج من الأنصار شببة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بنى عمنا. فقال رسول اللَّه ﷺ: قم يا على، قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث. فقتل اللَّه عُتبة، وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة. فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير برجل من بنى هاشم أسيرًا فقال الرجل: إن هذا واللَّه ما أسرنى، ولقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق، ما أراه فى القوم. فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول اللَّه. فقال: «**اسكت، فقد أيدك اللَّه بملك كريم**». قال: فأسر من بنى عبد المطلب: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث.

وقال إسحاق بن منصور السَّلُولى: حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عبد اللَّه، قال: لقد قلوا فى أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جنبى: أتراهم سبعين؟ قال أراهم مائة. فأسرنا رجلاً فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفًا.

وقال سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم بدر: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. قال: يقول عُمير بن الحُمَام الأنصارى: يا رسول اللَّه عرضها السموات والأرض؟ فقال: نعم. قال: بخ بخ! قال: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فأخرج

(٢٦٢) الجَرف: موضع الخِصْب والكلأ المُلْتف، وهى أماكن رعى الإبل.

تُمَيْرَات من قرنه(٢٦٣) فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة. فرمى بهن، ثم قاتل حتى قُتِلَ. أخرجه مسلم(٢٦٤).

وقال عبد الرحمن بن الغسيل، عن حمزة بن أبى أسيد، عن أبيه؛ قال: قال رسول اللّهﷺ حين اصطففنا يوم بدر: إذا أكثبوهم؛ يعنى: إذا غشوكم، فارموهم بالنبل، واستبقوا نبلكم. أخرجه البخارى(٢٦٥).

وروى عمر بن عبد اللّه بن عروة، عن عروة بن الزبير، قال: جعل رسول اللّه ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر: يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بنى عبد اللّه، وشعار الأوس: يا بنى عبيد اللّه. وسمى خيله: خيل اللّه.

أخبرنا أبو محمد عبد الخالق بن عبد السلام، وابنة عمه ست الأهل بنت علوان- سنة ثلاث وتسعين- وآخرون قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الفقيه، قال: أنبأتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا الحسين بن طلحة، قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن مهدى، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا محمود بن خداش، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو هاشم، عن أبى مجلز، عن قيس بن عُبَاد، قال: سمعت أبا ذر- رضى اللّه عنه- يقسم قسمًا: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، أنها نزلت فى الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلى، وعبيدة بن الحارث- رضى اللّه عنهم- وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة(٢٦٦).

أخرجه البخارى عن يعقوب الدورقى وغيره، ومسلم عن عمرو بن زرارة، عن هشيم، عن أبى هاشم يحيى بن دينار الرمانى الواسطى، عن أبى مجلز لاحق بن حُمَيد السدوسى البصرى. وهو من الأبدال العوالى.

وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى المطلبى، أمه ثقفية، وكان أسن من النبى ﷺ بعشر سنين، أسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن مظعون فى وقت.

---

(٢٦٣) قرنه: أى جعبة النشاب.

(٢٦٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠١) من طريق هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، به.

(٢٦٥) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٨)، والبخارى (٣٩٨٤) و(٣٩٨٥)، وأبو داود (٢٦٦٣) من طريق أبى أحمد الزبيرى، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل، به.

(٢٦٦) صحيح: أخرجه البخارى (٤٧٤٣) قال حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا هشيم، أخبرنا أبو هاشم، به. وأخرجه البخارى (٤٧٤٤) من طريق معتمر بن سليمان قال سمعتُ أبى، قال حدثنا أبو مِجْلَز، به.

وهاجر هو وأخواه الطفيل والحصين. وكان عبيدة كبير المنزلة عند النبى ﷺ، وكان مربوعًا مليحًا، توفى بالصفراء. وهو الذى بارز عتبة بن ربيعة، فاختلفا ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، كما تقدم. وقد جَهَّزه النبى ﷺ فى ستين راكبًا من المهاجرين أمَّره عليهم؛ فكان أول لواء عقده النبى ﷺ لواء عبيدة، فالتقى بقريش وعليهم أبو سفيان عند ثنية المرة، فكان أول قتال فى الإسلام. قاله محمد بن إسحاق.

وقال ابن إسحاق وغيره عن الزهرى، عن عبد اللَّه بن ثعلبة بن صُعَيْر أن المستفتح يوم بدر أبو جهل، قال لما التقى الجمعان: اللَّهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف، فأَحِنْه الغداة. فقتل، ففيه أنزلت: ﴿**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**﴾ [الأنفال: ١٩].

وقال معاذ بن معاذ: حدثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزيادى، سمع أنسًا يقول: قال أبو جهل: ﴿**اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السَّماء أو ائتنا بعذاب أليم (٣٢)**﴾ [الأنفال: ٣٢]، فنزلت: ﴿**وما كان اللهُ ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللهُ معذبهم وهم يستغفرون (٣٣)**﴾ [الأنفال: ٣٣]، متفق عليه[٢٦٧].

وعن ابن عباس فى قوله: ﴿**وما لهم ألاَّ يعذبهم اللهُ**﴾ [الأنفال: ٣٤]، قال: يوم بدر بالسيف. قاله عبد اللَّه بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عنه.

وبه عنه فى قوله: ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين**﴾ [الأنفال: ٧]، قال: أقبلت عير أهل مكة تريد الشام- كذا قال- فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول اللَّه ﷺ يريدون العير. فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير، فسبقت العير رسول اللَّه ﷺ، وكان اللَّه وعدهم إحدى الطائفتين. وكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم، وأيسر شوكة وأحضر مغنمًا.

فسار رسول اللَّه ﷺ يريد القوم، فكره المسلمون مسيرهم لشوكة القوم، فنزل رسول اللَّه ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دَعْصة، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان فى قلوبهم القنط يوسوسهم: تزعمون أنكم أولياء اللَّه وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم كذا. فأنزل اللَّه عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، فأذهب اللَّه عنهم رجز الشيطان، وصار الرمل؛ يعنى ملبدًا. وأمدهم اللَّه بألف من الملائكة. وجاء إبليس فى جند من الشياطين، معه رايته فى صورة رجال بنى مدلج، والشيطان فى

---

(٢٦٧) صحيح: أخرجه البخارى (٤٦٤٨) و(٤٦٤٩)، ومسلم (٢٧٩٦) من طريق عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبى، حدثنا شعبة، به.

صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال للمشركين: ﴿**لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم**﴾ [الأنفال: ٤٨]، فلما اصطف القوم قال أبو جهل: اللّهم أولانا بالحق فانصره.

ورفع رسول اللّه ﷺ يده فقال: يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدًا. فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها فى وجوههم. فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين نزع يده وولى مدبرًا وشيعته. فقال الرجل: يا سراقة، أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: ﴿**إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله**﴾ [الأنفال: ٤٨]

وقال يوسف بن الماجشون: أخبرنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: إنى لواقف يوم بدر فى الصف، فنظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما. فتمنيت أن أكون بين أضلع (٢٦٨) منهما. فغمزنى أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول اللّه ﷺ، والذى نفسى بيده إن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزنى الآخر فقال لى مثلها. فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبى ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قال: لا. قال: فنظر فى السيفين، فقال: كلاهما قتله. وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو، والآخر معاذ بن عفراء. متفق عليه (٢٦٩).

وقال زهير بن معاوية: حدثنا سليمان التيمى، قال: حدثنى أنس، عنه قال: قال رسول

---

(٢٦٨) الأضلع: الشديدُ القويُّ الأضلاع.

(٢٦٩) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ١٩٢- ١٩٣)، والبخارى (٣١٤١) و(٣٩٦٤)، ومسلم (١٧٥٢) والطحاوى (٣/ ٢٢٧- ٢٢٨)، وأبو يعلى (٨٦٦)، والحاكم (٣/ ٤٢٥)، والبيهقى (٦/ ٣٠٥- ٣٠٦ و٣٠٦) من طريق أبى سلمة يوسف بن يعقوب الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، به.

وأخرجه البزار (١٠١٣) من طريق أبى سلمة، عن عبد الواحد بن أبى عون، عن صالح، به.

وأخرجه بنحوه البخارى (٣٩٨٨) من طريق سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، به.

وقوله «سوادى سواده»: أى شخصى شخصه.

اللَّـه ﷺ : من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: أنت أبو جهل؟ فأخذ بلحيته. فقال: هل فوق رجل قتلتموه، أو قتله قومه؟. أخرجه البخاري ومسلم(٢٧٠).

وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن عبد اللَّه أنه أتى أبا جهل فقال: قد أخزاك اللَّه. فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه؟ أخرجه البخاري(٢٧١).

وقال عَثَّام بن علي: حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيدة، عن عبد اللَّه، قال: انتهيتُ إلى أبي جهل وهو صريع، وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعي سيف رث. فجعلت أنقف رأسه بسيفي، وأذكر نقفًا كان ينقف رأسي بمكة، حتى ضَعُفَتْ يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدبرة، لنا أو علينا؟ ألست رويعينا بمكة؟ قال: فقتلته. ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل. فقال: آللَّه الذي لا إله إلا هو؟فاستحلفني ثلاث مرار. ثم قام معي إليهم، فدعا عليهم.

ورُوي نحوه عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق وفيه: فاستحلفني وقال: اللَّه أكبر، الحمد للَّه الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق فأرنيه. فانطلقت فأريته. فقال: هذا فرعون هذه الأمة.

وروي عن أبي إسحاق أن النبي ﷺ لما بلغه قتله خر ساجدًا.

وقال الواقدي: وقف رسول اللَّه ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال: يرحم اللَّه ابني عفراء، فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر. فقيل: يا رسول اللَّه، ومن قتله معهما؟ قال: الملائكة، وابن مسعود قد شَرِكَ في قتله.

---

(٢٧٠) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٧٣)، وأحمد (٣/ ١١٥ و١٢٩ و٢٣٦)، والبخاري (٣٩٦٢) و(٣٩٦٣) و(٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠)، وأبو يعلى (٤٠٦٣) و(٤٠٧٤)، وأبو عونة (٤/ ٢٢٨ و٢٢٨-٢٢٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٩٢)، وفي «الدلائل» (٣/ ٨٦) من طرق عن سليمان التيمي، به.

ابنا عفراء: هما معاذ ومعوِّذ، وعفراء أمُّهما.

وهل فوق رجل قتلتموه: أي لا عار عليَّ في قتلكم إياي.

(٢٧١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٦١) حدثنا ابن نُمير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل، به.

وقوله: هل أعْمَد من رجل قتلتموه»: أعْمَد بالمهملة أفعل تفضيل من عمد أي هلك، يُقال عمد البعير عَمَدًا بالتحريك إذا ورم سنامه من عض القتب فهو عميد، ويكنى بذلك عن الهلاك، وقيل غير ذلك. وقيل معنى أعمد أعجب، وقيل بمعنى أغضب، وقيل معناه هل زاد على سيد قتله قومه قاله أبو عبيدة.

وقال أبو نعيم: حدثنا سلمة بن رجاء، عن الشعثاء؛ امرأة من بنى أسد، قالت: دخلت على عبد اللَّه بن أبى أوفى، فرأيته صلى الضحى ركعتين، فقالت له امرأته: إنك صليت ركعتين. فقال: إن رسول اللَّه ﷺ صلى الضحى ركعتين حين بشر بالفتح، وحين جىء برأس أبى جهل.

وقال مجالد، عن الشعبى أن رجلاً قال للنبى ﷺ: إنى مررت ببدر، فرأيت رجلاً يخرج من الأرض، فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الأرض، ثم يخرج، فيفعل به مثل ذلك مرارًا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة**».

وقال البخارى ومسلم من حديث ابن أبى عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا أنس، عن أبى طلحة أن رسول اللَّه ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مُخَبَّث. وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرَصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث، أمرَ براحلته فشد عليها، ثم مشى ما تبعه أصحابه، فقالوا: ما نراه إلا ينطلق لبعض حاجته، حتى قام على شَفَة الرَّكى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم اللَّه ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يا رسول اللَّه، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

قال قتادة: أحياهم اللَّه حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندامة(٢٧٢). صحيح.

وقال هشام، عن أبيه، عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ وقف على قليب بدر فقال: إنهم ليسمعون ما أقول. قال عروة: فبلغ عائشة فقالت: ليس هكذا قال رسول اللَّه ﷺ، إنما قال: إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق، إنهم قد تبوؤوا مقاعدهم من جهنم، إن اللَّه يقول: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ (٢٣)**﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣]، أخرجه البخارى(٢٧٣).

ما روت عائشة لا ينافى ما روى ابن عمر وغيره، فإن علمهم لا يمنع من سماعهم قوله -عليه السلام- وأما إنك لا تسمع الموتى، فحق لأن اللَّه أحياهم ذلك الوقت كما يحيى الميت لسؤال منكر ونكير.

---

(٢٧٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٠٦٥) و(٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥) من طريق سعيد بن أبى عروبة، به.

(٢٧٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٨٠) و(٣٩٨١) حدثنا عثمان، حدثنا عبدة، عن هشام به.

وقال عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس فى قوله: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]؛ قال: هم كفار من قريش. ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾ [إبراهيم: ٢٨]؛ قال: النار يوم بدر. أخرجه البخارى(٢٧٤).

وقال إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما فرغ رسول اللَّه ﷺ من القتلى قيل له: عليك العير ليس دونها شىء. فناداه العباس وهو فى الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال: لمَ؟ قال: لأن اللَّه- عز وجل- وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك. هذا إسناد صَحيح، رواه جعفر بن محمد بن شاكر، عن أبى نعيم، عنه.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثنى خبيب بن عبد الرحمن قال: ضرب خُبيب بن عدى يوم بدر فمال شقه، فتفل عليه رسول اللَّه ﷺ، ولأمَه وردَّه، فانطبق.

أحمد بن الأزهر: حدثنا عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن أبى عمران الجونى، عن أنس أو غيره قال: شهد عمير بن وهب الجمحى بدرًا كافرًا، وكان فى القتلى. فمر به رجل فوضع سيفه فى بطنه، فخرج من ظهره. فلما برد عليه الليل لحق بمكة فصح. فاجتمع هو وصفوان بن أمية فقال: لولا عيالى ودَينى لكنت الذى أقتل محمدًا. فقال صفوان: وكيف تقتله؟ قال: أنا رجل جرىء الصدر جواد لا أُلْحَق، فأضربه وألحق بالجبل فلا أدرك. قال: عيالك فى عيالى ودينك علىَّ. فانطلق فشحذ سيفه وسَمَّه، وأتى المدينة، فرآه عمر فقال للصحابة: احفظوا أنفسكم فإنى أخاف عميرًا إنه رجل فاتك، ولا أدرى ما جاء به. فأطاف المسلمون برسول اللَّه ﷺ، وجاء عمير، متقلدًا سيفه، إلى النبى ﷺ فقال: أنعم صباحًا. قال: ما جاء بك يا عمير؟ قال: حاجة. قال: فما بال السيف؟ قال: قد حملناها يوم بدر فما أفلحت ولا أنجحت. قال: فما قولك لصفوان وأنت فى الحجر؟ وأخبره بالقصة. فقال عمير: قد كنت تحدثنا عن خبر السماء فنكذبك، وأراك تعلم خبر الأرض. أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، بأبى أنت وأمى، أعطنى منك علمًا يعلم أهل مكة أنى أسلمت. فأعطاه، فقال عمر: لقد جاء عمير وإنه لأضل من خنزير، ثم رجع وهو أحب إلىَّ من ولدى.

وقال يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا عكاشة الذى قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع فى يده، فأتى رسول اللَّه ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب، فقال: قاتل بهذا. فلما أخذه هزه فعاد سيفًا فى يده، طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة. فقاتل بها، حتى فتح اللَّه على رسوله،

---

(٢٧٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٧٧) حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، به.

ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول اللّه ﷺ ، حتى قُتِلَ فى قتال أهل الردة وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمى القوى .

هكذا ذكره ابن إسحاق بلا سند .

وقد رواه الواقدى، قال: حدثنى عمر بن عثمان الجحشى، عن أبيه، عن عمته، قالت: قال عكاشة بن محصن: انقطع سيفى يوم بدر، فأعطانى رسول اللّه ﷺ عودًا، فإذا هو سيف أبيض طويل. فقاتلت به.

وقال الواقدى: حدثنى أسامة بن زيد الليثى، عن داود بن الحصين، عن جماعة، قالوا: انكسر سيف سلمة بن أسلم يوم بدر، فبقى أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول اللّه ﷺ قضيبًا كان فى يده من عراجين، فقال: اضرب به. فإذا هو سيف جيد. فلم يزل عنده حتى قُتِلَ يوم جسر أبى عُبَيد.

■ **ذكر غزوة بدر: من مغازى موسى بن عقبة فإنها من أصح المغازى :**

قد قال إبراهيم بن المنذر الحزامى: حدثنى مُطَرِّف ومعن وغيرهما أن مالكًا إذا سئل عن المغازى قال: عليك بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة، فإنه أصح المغازى.

قال محمد بن فُلَيح، عن موسى بن عقبة قال: قال ابن شهاب. (ح) وقال إسماعيل بن أبى أويس: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة- وهذا لفظه- عن عمه موسى بن عقبة، قال: مكث رسول اللّه ﷺ بعد قتل ابن الحضرمى شهرين، ثم أقبل أبو سفيان فى عير لقريش، ومعه سبعون راكبًا من بطون قريش؛ منهم: مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص، وكانوا تجارًا بالشام، ومعهم خزائن أهل مكة، ويقال: كانت عيرهم ألف بعير. ولم يكن لقريش أوقية فما فوقها إلا بعثوا بها مع أبى سفيان؛ إلا حُوَيطب بن عبد العزى، فلذلك تخلف عن بدر فلم يشهدها. فَذُكروا لرسول اللّه ﷺ وأصحابه، وقد كانت الحربُ بينهم قبل ذاك، فبعث عدى ابن أبى الزغباء الأنصارى، وبَسْبَس بن عمرو، إلى العير، عينًا له، فسارا، حتى أتيا حيًا من جهينة، قريبًا من ساحل البحر، فسألوهم عن العير، فأخبروهما بخبر القوم. فرجعا إلى رسول اللّه ﷺ فأخبراه. فاستنفر المسلمين للعير، فى رمضان.

قدم أبو سفيان على الجُهَنيين وهو متخوف من المسلمين، فسألهم فأخبروه خبر الراكبين، فقال أبو سفيان: خذوا من بعر بعيريهما. ففته فوجد النوى فقال: هذه علائف أهل يثرب. فأسرع وبعث رجلاً من بنى غفار يقال له، ضَمْضَم بن عمرو، إلى قريش أن انفروا فاحموا عيركم من محمد وأصحابه. وكانت عاتكة قد رأت قبل قدوم ضمضم؛ فذكر رؤيا عاتكة.

إلى أن قال: فقدم ضمضم فصاح: يا آل غالب بن فهر انفروا فقد خرج محمد وأهل يثرب يعترضون لأبي سفيان. ففزعوا، وأشفقوا من رؤيا عاتكة، ونفروا على كل صعب وذلول، وقال أبو جهل: أيظن محمد أن يصيب مثل ما أصاب بنخلة؟ سيعلم أنمنع عيرنا أم لا؟

فخرجوا بخمسين وتسع مائة مقاتل، وساقوا مائة فرس، ولم يتركوا كارهًا للخروج. فأشخصوا العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وأخاه عقيلاً، إلى أن نزلوا الجُحفة.

فوضع جُهَيم بن الصلت بن مخرمة المطلبي رأسه فأغفى، ثم نزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الذي وقف عليَّ آنفًا. قالوا: لا، إنك مجنون. فقال: قد وقف عليَّ فارس فقال: قُتِلَ أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وزمعة، وأبو البختري، وأمية بن خلف، فعد جماعة. فقالوا: إنما لعب بك الشيطان. فَرُفِعَ حديثه إلى أبي جهل، فقال: قد جئتمونا بكذب بني عبد المطلب مع كذب بني هاشم، سترون غدا من يقتل.

وخرج رسول الله ﷺ في طلب العير، فسلك على نقب بني دينار، ورجع حين رجع من ثنية الوداع، فنفر في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، وأبطأ عنه كثير من أصحابه وتربصوا. وكانت أول وقعة أعز الله فيها الإسلام.

فخرج في رمضان ومعه المسلمون على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد. وكان زميل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، ليس مع الثلاثة إلا بعير واحد. فساروا، حتى إذا كانوا بعرق الظُّبْية لقيهم راكب من قبل تهامة، فسألوه عن أبي سفيان فقال: لا علم لي به. فقالوا: سلِّم على رسول الله ﷺ. قال: وفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم. وأشاروا إليه فقال له: أنت رسول الله؟ قال: نعم. قال: إن كنت رسول الله فحدثني بما في بطن ناقتي هذه. فغضب سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري، فقال: وقعتَ على ناقتك فحملت منك. فكره رسول الله ﷺ ما قال سلمة فأعرض عنه.

ثم سار لا يلقاه خبر ولا يعلم بنَفْرة قُريش، فقال رسول الله ﷺ: أشيروا علينا. فقال أبو بكر: أنا أعلم بمسافة الأرض، أخبرنا عَدي بن أبي الزغباء: أن العير كانت بوادي كذا.

وقال عمر: يا رسول الله، إنها قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك، فتأهب لذلك.

فقال: أشيروا عليَّ.

قال المقداد بن عمرو: إنا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متّبعون.

فقال: أشيروا عليّ.

فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارته ظنّ سعد أنه يستنطق الأنصار شفقًا أن لا يستحوذوا معه، أو قال: أن لا يستجلبوا معه على ما يريد، فقال. لعلك يا رسول اللّه تخشى أن لا تكون الأنصار يريدون مواساتك، ولا يرونها حقًا عليهم، إلا بأن يروا عدوًا في بيوتهم وأولادهم ونسائهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيبعنهم، فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذته منا أحب إلينا مما تركته علينا، فواللّه لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن لسرنا معك. فقال رسول اللّه ﷺ: سيروا على اسم اللّه- عز وجل- فإني قد أريتُ مصارع القوم. فعمد لبدر.

وخفض أبو سفيان فلصق بساحل البحر، وأحرز ما معه، فأرسل إلى قريش، فأتاهم الخبر بالجُحْفَة. فقال أبو جهل: واللّه لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم بها. فكره ذلك الأخنس ابن شريق وأشار بالرجعة، فأبوا وعصوه، فرجع ببني زهرة فلم يحضر أحد منهم بدرًا. وأرادت بنو هاشم الرجوع فمنعهم أبو جهل.

ونزل رسول اللّه ﷺ على أدنى شيء من بدر، ثم بعث عليًا والزبير وجماعة يكشفون الخبر، فوجدوا وارد قريش عند القليب، فوجدوا غلامين فأخذوهما فسألوهما عن العير، فطفقا يحدثانهم عن قريش، فضربوهما. وذكر الحديث، إلى أن قال: فقام رسول اللّه ﷺ فقال: أشيروا عليّ في المنزل.

فقام الحُباب بن المنذر السلمي: أنا يا رسول اللّه عالم بها وبقُلُبها؛ إن رأيتَ أن تسير إلى قليب منها قد عرفتها كثيرة الماء عذبة، فتنزل عليها وتسبق القوم إليها ونغوّر ما سواها.

فقال: سيروا، فإن اللّه قد وعدكم إحدى الطائفتين.

فوقع في قلوب ناس كثير الخوف. فتسارع المسلمون والمشركون إلى الماء، فأنزل اللّه تلك الليلة مطرًا واحدًا؛ فكان على المشركين بلاءً شديدًا منعهم أن يسيروا، وكان على المسلمين ديمة خفيفة لبد لهم الأرض، فسبقوا إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، فاقتحم القوم في القليب فماحوها[٢٧٥] حتى كثر ماؤها، وصنعوا حوضًا عظيمًا، ثم غوروا ما سواه من المياه.

---

(٢٧٥) قال الأزهري عن الليث: المَيْحُ في الاستقاء أن ينزل الرجلُ إلى قرار البئر إذا قلّ ماؤها، فيملأ الدلو بيده يَميحُ فيها بيده ويَميحُ أصحابه.

ويقال: كان مع رسول اللَّه ﷺ فرسان؛ على أحدهما: مصعب بن عمير، وعلى الآخر: سعد بن خيثمة. ومرة الزبير بن العوام، والمقداد.

ثم صفَّ رسول اللَّه ﷺ على الحياض، فلما طلع المشركون قال رسول اللَّه ﷺ - فيما زعموا: «**اللَّهم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك**». واستنصر المسلمون اللَّه واستغاثوه، فاستجاب اللَّه لهم.

فنزل المشركون وتعبأوا للقتال، ومعهم إبليس فى صورة سراقة المُدْلجى يحدثهم أن بنى كنانة وراءه قد أقبلوا لنصرهم.

قال: فسعى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة فقال: هل لك أن تكون سيد قريش ما عشت؟ قال: فأفعل ماذا؟ قال: تجير بين الناس وتحمل دية ابن الحضرمى، وبما أصاب محمد فى تلك العير، فإنهم لا يطلبون من محمد غير هذا. قال عتبة: نعم قد فعلت، ونعمًا قلتَ، فاسع فى عشيرتك فأنا أتحمل بها. فسعى حكيم فى أشراف قريش بذلك.

وركب عتبة جملاً له، فسار عليه فى صفوف المشركين فقال: يا قوم أطيعونى ودعوا هذا الرجل؛ فإن كان كاذبًا ولى قتله غيركم من العرب فإن فيهم رجالاً لكم فيهم قرابة قريبة، وإنكم إن تقتلوهم لا يزال الرجل ينظر إلى قاتل أخيه أو ابنه أو ابن أخيه أو ابن عمه، فيورث ذلك فيكم إحنًا وضغائن. وإن كان هذا الرجل ملكا كنتم فى ملك أخيكم. وإن كان نبيًّا لم تقتلوا النبى فَتُسَبُّوا به. ولن تخلصوا إليهم حتى يصيبوا أعدادكم، ولا آمن أن تكون لهم الدبرة عليكم.

فحسده أبو جهل على مقالته: وأبى اللَّه إلا أن ينفذ أمره، وعتبة يومئذ سيد المشركين.

فعمد أبو جهل إلى ابن الحضرمى - وهو أخو المقتول- فقال: هذا عتبة يُخذِّل بين الناس، وقد تحمل بدية أخيك، يزعم أنك قابلها، أفلا تستحيون من ذلك أن تقبلوا الدية؟ وقال لقريش: إن عتبة قد علم أنكم ظاهرون على هذا الرجل ومن معه، وفيهم ابنه وبنو عمه، وهو يكره صلاحكم. وقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك(٢٧٦). وأمر النساء أن يعولن عَمرًا، فقمن يصحن: واعمراه واعمراه؛ تحريضًا على القتال.

---

(٢٧٦) يُقالُ للجبان الذي ملأ الخوفُ جوفهُ انتفخ سَحْرُك وهو الرئة حتى رفع القلب إلى الحُلقوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وبلغت القُلُوبُ الحناجر وتظُنُّون بالله الظُّنونا (١٠)﴾ [الأحزاب: ١٠]، وكذلك قوله: ﴿وأنذرهُم يوم الآزفة إذ القُلُوبُ لدى الحناجر﴾ [غافر: ١٨]؛ كلٌّ هذا يُدلُّ على أن انتفاخ السَّحْر مثلٌ لشدَّة الخوف وتمكن الفزع، وأنه لا يكون من البطنة.

وقام رجال فتكشفوا؛ يعيرون بذلك قريشا، فأخذت قريش مصافها للقتال. فذكر الحديث إلى أن قال: فأسر نفر ممن أوصى بهم رسول اللّه ﷺ أن لا يقتلوهم إلا أبا البخترى، فإنه أبى أن يستأسر، فذكروا له أن رسول اللّه ﷺ قد أمرهم أن لا يقتلوه إن استأسر، فأبى. ويزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البخترى، ويأبى عُظْم الناس إلا أن المجذّر هو الذى قتله. بل قتله أبو داود المازنى.

قال: ووجد ابن مسعود أبا جهل مصروعًا، بينه وبين المعركة غير كثير، مُقَنَّعًا فى الحديد واضعًا سيفه على فخذيه ليس به جرح، ولا يستطيع أن يحرك منه عضواً، وهو منكب ينظر إلى الأرض. فلما رآه ابن مسعود أطاف حوله ليقتله وهو خائف أن يثور إليه، وأبو جهل مقنع بالحديد، فلما أبصره لا يتحرك ظن أنه مثبت جراحًا، فأراد أن يضربه بسيفه، فخشى أن لا يغنى سيفه شيئًا، فأتاه من ورائه، فتناول قائم سيفه فاستله وهو منكب، فرفع عبد اللّه سابغة البيضة عن قفاه فضربه، فوقع رأسه بين يديه ثم سلبه. فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح، وأبصر فى عنقه خدرًا، وفى يديه وفى كتفيه كهيئة آثار السياط، فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال النبى ﷺ: ذلك ضرب الملائكة.

قال: وأذلَّ اللّهُ بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين، فلم يبق بالمدينة منافق ولا يهودى إلا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر. وكان ذلك يوم الفرقان؛ يوم فرق اللّه بين الشرك والإيمان.

وقالت اليهود: تيقنًا أنه النبى الذى نجد نعته فى التوراة، واللّه لا يرفع راية بعد اليوم إلا ظهرت.

وأقام أهل مكة على قتلاهم النَّوْحَ بمكة شهراً.

ثم رجع النبى ﷺ إلى المدينة، فدخل من ثنية الوداع.

ونزل القرآن فعرفهم اللّه نعمته فيما كرهوا من خروج رسول اللّه ﷺ إلى بدر، فقال: ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** ﴿٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٥]، وثلاث آيات معها.

ثم ذكر موسى بن عقبة الآيات التى نزلت فى سورة الأنفال فى هذه الغزوة وآخرها.

وقال رجال ممن أسر: يا رسول اللّه، إنا كنا مسلمين، وإنما أخرجنا كُرْهًا، فعلام يؤخذ منا الفداء؟ فنزلت: ﴿ **قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٧٠].

حذفتُ من هذه القصة كثيرا مما سلف من الأحاديث الصحيحة استغناء بما تقدم .

وقد ذكر هذه القصة - بنحو قول موسى بن عقبة - ابن لهيعة عن أبى الأسود، عن عروة، ولم يذكر أبا داود المازنى فى قتل أبى البخترى، وزاد يسيرًا .

وقال هو وابن عقبة : إن عدد من قُتلَ من المسلمين ستة من قريش، وثمانية من الأنصار . وقُتلَ من المشركين تسعة وأربعون رجلاً، وأسر تسعة وثلاثون رجلاً . كذا قالا .

وقال ابن إسحاق : استشهد أربعة من قريش وسبعة من الأنصار . وقُتلَ من المشركين بضعة وأربعون، وكانت الأسارى أربعة وأربعين أسيرًا .

وقال الزهرى عن عروة : هُزِمَ المشركون وقتل منهم زيادة على سبعين، وأسر مثل ذلك .

ويشهد لهذا القول حديث البراء الذى فى البخارى؛ قال : أصاب النبى ﷺ وأصحابه من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيرًا وسبعين قتيلاً، وأصابوا منا يوم أحد سبعين .

وقال حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد، أن النبى ﷺ خلَّف عثمان وأسامة بن زيد على بنته رقية أيام بدر . فجاء زيد بن حارثة على العضباء، ناقة رسول اللَّه ﷺ بالبشارة . قال أسامة : فسمعت الهَيْعَة، فخرجت فإذا أبى قد جاء بالبشارة، فواللَّه ما صدقت حتى رأينا الأسارى، فضرب رسول اللَّه ﷺ لعثمان بسهمه .

وقال عبدان بن عثمان : حدثنا ابن المبارك، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - قال : أرسل النجاشى إلى جعفر بن أبى طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو فى بيت، عليه خلقان جالس على التراب . قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال . فقال : أبشركم بما يسركم؛ إنه جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن اللَّه قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان، التقوا بواد يقال له بدر، كثير الأراك، كأنى أنظر إليه، كنت أرعى به لسيدى - رجل من بنى ضمرة - إبله . فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب، ليس تحتك بساط، وعليك هذه الأخلاق؟ قال : إنا نجد فيما أنزل اللَّه على عيسى - عليه السلام - أن حقًا على عباد اللَّه أن يحدثوا تواضعًا عندما أحدث لهم من نعمته . فلما أحدث اللَّه لى نصر نبيه أحدثت له هذا التواضع .

ذكر مثل هذه الحكاية الواقدى فى مغازيه بلا سند .

* *

فصل: فى غنائم بدر والأسرى

قال خالد الطَّحان، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم بدر: من فعل كذا وكذا، فله من النفل كذا وكذا. قال: فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرايات. فلما فتح اللَّه عليهم قالت المشيخة: كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم، فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى. فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول اللَّه ﷺ لنا. فأنزل اللَّه- تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفالِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥)﴾ [الأنفال]، يقول: فكان ذلك خيرًا لهم. فكذلك أيضًا: أطيعونى فإنى أعلم بعاقبة هذا منكم. أخرجه أبو داود.

ثم ساقه من وجه آخر عن داود بإسناده. وقال: فقسمها رسول اللَّه ﷺ بالسواء.

وقال عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن أبيه، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه، عن ابن عباس، أن النبى ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر.

وقال عمر بن يونس: حدثنى عكرمة بن عمَّار، قال: حدثنى أبو زُمَيل، قال: حدثنى ابن عباس، قال: حدثنى عمر قال: لما كان يوم بدر، فذكر القصة.

قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول اللَّه ﷺ: ما ترون فى هؤلاء؟ فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى اللَّه أن يهديهم إلى الإسلام. فقال رسول اللَّه ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا واللَّه يا رسول اللَّه لا أرى الذى رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكِّنَّا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان؛ نسيب لعمر؛ فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول اللَّه ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت: فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر يبكيان. قلت: يا رسول اللَّه أخبرنى من أى شىء تبكيان، فإن وجدت بكاءً بكيتُ، وإلا تباكيت لبكائكما. فقال: أبكى للذى عرض علىَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ علىَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة؛ شجرة قريبة من نبى اللَّه ﷺ. وأنزل اللَّه- تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٩]، فأحل اللَّه لهم الغنيمة. أخرجه مسلم(٢٧٧).

(٢٧٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٦٣) من طريق ابن المبارك، عن عكرمة بن عمار، به فى حديث طويل.

وقال جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بن عبد اللَّه، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر قال لهم رسول اللَّه ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فقال عبد اللَّه بن رواحة: أنت في واد كثير الحطب فأضرم نارًا ثم ألقهم فيها. فقال العباس: قطع اللَّه رحمك. فقال عمر: قادتهم ورؤوسهم قاتلوك وكذبوك، فاضرب أعناقهم. فقال أبو بكر: عشيرتك وقومك.

ثم دخل رسول اللَّه ﷺ لبعض حاجته. فقالت طائفة: القول ما قال عمر. فخرج رسول اللَّه ﷺ فقال: ما تقولون في هؤلاء؟ إن مثل هؤلاء كمثل إخوة لهم كانوا من قبلهم؛ قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]، وقال موسى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، وقال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٨]، وأنتم قوم بكم عَيْلَة، فلا ينفلتَنَّ أحد منهم إلا بفداء أو بضربة عنق. فقلت: إلا سهيل بن بيضاء فإنه لا يقتل، قد سمعته يتكلم بالإسلام. فسكت. فما كان يوم أخوف عندي أن يُلْقي اللَّه عليّ حجارة من السماء من يومي ذلك، حتى قال رسول اللَّه ﷺ: إلا سُهَيل بن بيضاء(٢٧٨).

وقال ابن إسحاق، عن البراء أو غيره، قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال العباس: ليس هذا أسرني، فقال رسول اللَّه ﷺ لقد آزرك اللَّه بملك كريم.

وقال ابن إسحاق: حدثني من سمع عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو السلمي، فقال النبي ﷺ: كيف أسرته؟ فقال: لقد أغلق عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا وكذا. فقال: لقد أعانك عليه ملك كريم. وقال للعباس: افد نفسك وابن أخيك عقل ابن أبي طالب، ونوفل بن الحارث. فأبى وقال: إني

---

(٢٧٨) ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٤١٧) و(١٤/ ٣٧٠- ٣٧٢)، وأحمد (١/ ٣٨٣- ٣٨٤)، والترمذي (١٧١٤) و(٣٠٨٤)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٧- ٢٠٨) من طريق أبي معاوية، حدثنا الأعمش، به.

قلت: إسناده ضعيف؛ لانقطاعه بين أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأبيه، فإنه لم يسمع منه وأبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير، والأعمش، هو سليمان بن مهران.

وعمرو بن مرة: هو المرادي الكوفي.

كنت مسلمًا وإنما استكرهونى . قال : اللَّه أعلم بشأنك إن يك ما تَدَّعى حقًا فاللَّه يجزيك بذلك ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافد نفسك .

وكان قد أخذ معه عشرون أوقية ذهبًا ، فقال : يا رسول اللَّه احسبها لى من فدائى . قال : لا ، ذاك شىء أعطانا اللَّه منك .

وقال عبد العزيز بن عمران الزهرى ، وهو ضعيف : حدثنى محمد بن موسى ، عن عمارة ابن عمار بن أبى اليَسر ، عن أبيه ، عن جده قال : نظرت إلى العباس يوم بدر ، وهو قائم كأنه صنمٌ وعيناه تذرفان ، فقلت : جزاك اللَّه من ذى رحم شرًا ، تقاتل ابن أخيك مع عدوه؟ قال : ما فعل ، أقُتِلَ؟ قلت : اللَّه أعزُّ له وأنصر من ذلك . قال : ما تريد إلىَّ؟ قلت : إسار ، فإن رسول اللَّه ﷺ نهى عن قتلك . قال : ليست بأول صلته . فأسرته .

وروى ابن إسحاق ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : فبعثت قريش فى فداء أسراهم . وقال العباس : إنى كنت مسلمًا . فنزل فيه ﴿ **إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٧٠] ، قال العباس : فأعطانى اللَّه مكان العشرين أوقية عشرين عبدًا كلهم فى يده مال يضرب به ، مع أرجو من المغفرة .

وقال أزهر السمان ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن على ، وبعضهم يرسله ، قال : قال النبى ﷺ فى الأسارى يوم بدر : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء ، واستشهد منكم بعدتهم .

وكان آخر السبعين ثابت بن قيس ، قُتِلَ يوم اليمامة .

هذا الحديث داخل فى معجزاته ﷺ ، وإخباره عن حكم اللَّه فيمن يستشهد ، فكان كما قال .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثنى نُبيه بن وهب العبدرى ، قال : لما أقبل رسول اللَّه ﷺ بالأسارى فرقهم على المسلمين ، وقال : استوصوا بهم خيرًا . قال نُبيه : فسمعت من يذكر عن أبى عزيز ، قال : قال : كنت فى الأسارى يوم بدر ، فسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : استوصوا بالأسارى خيرًا . فإن كان ليقدَّم إليهم الطعام فما تقع بيد أحدهم كسرة إلا رمى بها إلى أسيره ، ويأكلون التمر . فكنت أستحى فآخذ الكسرة فأرمى بها إلى الذى رمى بها إلىَّ ، فيرمى بها إلىَّ .

أبو عزيز هو أخو مصعب بن عمير، يقال: إنه أسلم. وقال ابن الكلبى وغيره: إنه قتل يوم أحد كافرًا.

وعن ابن عباس، قال: جعل النبى ﷺ فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مائة.

أخرجه أبو داود من حديث شعبة، عن أبى العنبس، عن أبى الشعثاء عنه.

وقال أسباط، عن إسماعيل السدى: كان فداء أهل بدر: العباس، وعقيل ابن أخيه، ونوفل، كل رجل أربع مائة دينار.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى العباس بن عبد اللَّه بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم بدر: إنى قد عرفت أن ناسًا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدًا منهم فلا يقتله، ومن لقى أبا البخترى بن هشام فلا يقتله، ومن لقى العباس فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهًا. فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا وإخواننا ونترك العباس؟ واللَّه لئن لقيته لألحمنّه بالسيف. فبلغت رسول اللَّه ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول اللَّه بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول اللَّه ائذن لى فأضرب عنقه فواللَّه لقد نافق.

فكان أبو حذيفة بعد قول: واللَّه ما آمن من تلك الكلمة التى قلت، ولا أزال منها خائفا، إلا أن يكفرها اللَّه عنى بشهادة. فاستشهد يوم اليمامة.

قال ابن إسحاق: إنما نهى رسول اللَّه ﷺ عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف القوم عن رسول اللَّه ﷺ وهو بمكة.

وكان العباس أكثر الأسرى فداء لكونه موسرًا، فافتد نفسه بمائة أوقية ذهب.

وقال ابن شهاب: حدثنى أنس أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول اللَّه ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا فداءه. فقال: لا واللَّه لا تذرُنَّ درهمًا. أخرجه البخارى.

وقال إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قالوا: يا رسول اللَّه، بعدما فرغ من بدر، عليك بالعير ليس دونها شيء. فقال العباس وهو فى وثاقه: لا يصلح. قال: ولِمَ؟ قال: لأن اللَّه وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك.

وقد ذُكِرَ إرسال زينب بنت رسول اللَّه ﷺ بقلادتها فى فداء أبى العاص زوجها، رضى اللَّه عنهما.

وقال سعيد بن أبى مريم: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثنا ابن الهاد، قال: حدثنى عمر بن عبد اللَّه بن عروة بن الزبير، عن عروة، عن عائشة: أن رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة- أو ابن كنانة- فخرجوا فى أثرها. فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها، وألقت ما فى بطنها وأهريقت دمًا. فتحملت. فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية. فقالت بنو أمية: نحن أحق بها. وكانت تحت أبى العاص، فكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول لها هند: ها من سبب أبيك. قالت: فقال رسول اللَّه ﷺ لزيد بن حارثة: ألا تنطلق فتأتى بزينب! فقال: بلى يا رسول اللَّه. قال: فخذ خاتمى فأعطها إياه. فانطلق زيد، فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيًا فقال له: لمن ترعى؟ قال: لأبى العاص. قال: فلمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد. فسار معه شيئًا ثم قال له: هل لك أن أعطيك شيئًا تعطيها إياه، ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم. وانطلق الراعى حتى دخل فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم، فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا. فسكتت، حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فقال لها: اركبى بين يدى على بعيره. فقالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدى. وركبت وراءه حتى أتت المدينة.

فكان رسول اللَّه ﷺ يقول: هى أفضل بناتى، أصيبت فىَّ.

قال: فبلغ ذلك على بن الحسين، فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغنى عنك أنك تحدثه تتنقص به فاطمة؟ فقال عروة: واللَّه ما أحب أن لى ما بين المشرق والمغرب وأنى أتنقص فاطمة حقًا هو لها، وأما بعد فلك أن لا أحدثه أبدًا.

■ **أسماء من شهد بدراً :**

جمعها الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد فى جزء كبير. فذكر من أجمع عليه ومن اختُلفَ فيه من البدريين، ورتبهم على حروف المعجم. فبلغ عددهم ثلاث مائة وبضعة وثلاثين رَجلاً. وإنما وقعت هذه الزيادة فى عددهم من جهة الاختلاف فى بعضهم.

وقد جاء فى فضلهم حديث سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على، قال: بعثنى رسول اللَّه ﷺ وأبا مرثد الغنوى، والزبير، والمقداد، وكلنا فارس، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، وهو موضع بين مكة والمدينة. فذكرت الحديث، ومكاتبة حاطب بن أبى بلتعة قريشًا. فقال عمر: دعنى أضرب عنقه فقد خان اللَّه ورسوله. فقال:

«أليس هو من أهل بدر؟ وما يدريك لعل اللّه اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة. أو قد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر وقال: اللّه ورسوله أعلم. متفق عليه(٢٧٩).

وقال الليث، عن أبى الزبير، عن جابر، أن عبدًا لحاطب بن أبى بلتعة جاء يشكوه فقال: يا رسول اللّه ليدخلن حاطب النار. فقال: كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية. أخرجه مسلم(٢٨٠).

وقال يحيى بن سعيد الأنصارى، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقى- وكان أبوه بدريًا- أنه كان يقول لابنه: ما أحب أنى شهدت بدرًا ولم أشهد العقبة. قال: سأل جبريل النبى ﷺ: كيف أهل بدر فيكم؟ قال: خيارنا. قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم خيار الملائكة. أخرجه البخارى(٢٨١).

■ **ذكر طائفة من أعيان البدريّين:**

أبو بكر، وعمر، وعلى، واحتُبس عنها عثمان يمرض زوجته رقية بنت النبى ﷺ فتوفيت فى العشر الأخير من رمضان يوم قدوم المسلمين المدينة من بدر، وضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره.

ومن البدريين: سعد بن أبى وقاص. وأما سعيد بن زيد، وطلحة بن عبيد اللّه، فكانا بالشام، فقدما بعد بدر وأسهم لهما النبى ﷺ.

الزبير بن العوام، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف، حمزة بن عبد المطلب،

---

(٢٧٩) صحيح: أخرجه الحميدى (٤٩)، وأحمد (١/ ٧٩)، والبخارى (٣٠٠٧) و(٤٢٧٤) و(٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذى (٣٣٠٥)، وأبو يعلى (٣٩٤) و(٣٩٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٤٦)، وفى «دلائل النبوة» (٥/ ١٧)، والبغوى فى «معالم التنزيل» (٤/ ٣٢٨) من طرق عن سفيان، عن عمرو، عن الحسن بن محمد، عن عبيد الله بن أبى رافع، عن على، به.
قلت: إسناده صحيح، عمرو، هو ابن دينار. والحسن بن محمد، هو ابن على بن أبى طالب.
وروضة خاخ: موضع قرب حمراء الأسد من المدينة.

(٢٨٠) صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة (١٢/ ١٥٥)، وأحمد (٣/ ٣٤٩)، ومسلم (٢١٩٥)، والترمذى (٣٨٦٤)، والنسائى فى «فضائل الصحابة» (١٩١)، والحاكم (٣/ ٣٠١)، والطبرانى فى «الكبير» (٣٠٦٤) من طرق عن الليث، به.

(٢٨١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٩٢) و(٣٩٩٣) من طريق يحيى بن سعيد، به.

زيد بن حارثة، عبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه: الطفيل، والحصين، وابن عمه: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وأربعتهم لم يُعقبوا، مصعب بن عمير العبدرى، المقداد ابن الأسود، عبد اللَّه بن مسعود، صهيب بن سنان، أبو سلمة بن عبد الأسد، عمار بن ياسر، زيد بن الخطاب أخو عمر.

ومن أعيان الأنصار، من الأوس: سعد بن معاذ.

ومن بنى عبد الأشهل: عباد بن بشر، محمد بن مسلمة، أبو الهيثم بن التيهان.

ومن بنى ظفر: قتادة بن النعمان.

ومن بنى عمرو بن عوف: مبشر بن عبد المنذر، وأخوه: رفاعة. ولم يحضرها أخوهما أبو لبابة، لأن النبى ﷺ رده فاستعمله على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره.

■ **ومن بنى النجار:**

أبو أيوب خالد بن زيد، عوف، ومُعَوِّذ، ومعاذ، بنوالحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن عوف، وهم بنو عفراء، أبى بن كعب، أبو طلحة زيد بن سهل، بلال مولى أبى بكر، عبادة بن الصامت، معاذ بن جبل الخزرجى، عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، عتبان بن مالك الخزرجى، عُكَاشة بن محصن، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمى، معاذ بن عَمرو بن الجموح. حشرنا اللَّه فى زمرتهم. وقد ذكرنا من استشهد منهم.

■ **وقُتل من المشركين:**

حنظلة بن أبى سفيان بن حرب، وعبيد بن سعيد بن العاص، وأخوه: العاص، وعتبة، وشيبة، ابنا ربيعة، وولد عتبة: الوليد، وعقبة بن أبى معيط، قُتل صبرًا، والحارث بن عامر النوفلى، وابن عمه طُعيمة بن عدى، وزمعة بن الأسود، وابنه: الحارث، وأخوه: عقيل، وأبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد- واسمه العاص- ونوفل بن خويلد أخو خديجة، والنضر بن الحارث، قتل صبرًا بعد يومين، وعمير بن عثمان التيمى عم طلحة بن عبيد اللَّه، وأبو جهل، وأخوه: العاص بن هشام، ومسعود بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة، وأبو قيس أخو خالد بن الوليد، والسائب بن أبى السائب المخزومى، وقيل لم يُقْتَل، بل أسلم بعد ذلك، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، ومنبه ونُبَيه: ابنا الحجاج بن عامر السهمى، وولدا مُنَبِّه: الحارث، والعاص، وأمية بن خلف الجُمَحى، وابنه: على.

وذكر ابن إسحاق وغيره سائر المقتولين، وكذا سمى الذين أسروا. تركتهم خوفًا من التطويل.

وفى رمضان: فرض اللَّه صوم رمضان، ونسخ فرضية يوم عاشوراء. وفى آخره: فُرِضت الفطرة.

وفى شوال: دخل النبى ﷺ بعائشة، وهى بنت تسع سنين.

وفى صفر: توفى أبو جبير المطعم بن عدى بن نوفل- ونوفل هو أخو هاشم بن عبد مناف ابن قصى- توفى مشركًا عن سن عالية، وكان من عقلاء قريش وأشرافهم. وهو الذى قال رسول اللَّه ﷺ: لو كان المطعم ابن عدى حيًا وكلمنى فى هؤلاء النتنى لأجبته. وكانت له عند النبى ﷺ يد، لأنه قام فى نقض الصحيفة.

وفيها توفى أبو السائب عثمان بن مظعون- رضى اللَّه عنه- ابن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح الجمحى، بعد بدر بيسير. وقد شهدها هو وأخواه: قدامة، وعبد اللَّه.

وعثمان هذا أحد السابقين، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ولما قدم أجاره الوليد بن المغيرة أيامًا. ثم رد على الوليد جواره. وكان صوامًا قوامًا قانتًا للَّه.

وفيها: توفى أبو سلمة (ت ق) عبد اللَّه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم- رضى اللَّه عنه- مرجع رسول اللَّه ﷺ من بدر. وهو ابن عمَّة النبى ﷺ وأخوه من الرضاعة، وأمه برة بنت عبد المطلب. من السابقين الأولين، شهد بدرًا، وتزوجت أم سلمة بعده بالنبى ﷺ، وروت عنه القول عند المصيبة، وقيل توفى سنة ثلاث بعد أحد أو قبلها.

وفيها: ولد عبد اللَّه بن الزبير، بالمدينة، والمسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم: بمكة.

■ **قِصَّة النجاشي: من السيرة:**

ثم إن قريشًا قالوا: إن ثأرنا بأرض الحبشة، فانتُدِبَ إليها عمرو بن العاص، وابن أبى ربيعة.

قال الزهرى: بلغنى أن مخرجهما كان بعد وقعة بدر.

فلما بلغ النبى ﷺ مخرجهما، بعث عمرو بن أمية الضَّمرى بكتابه إلى النجاشى.

وقال سعيد بن المسيب وغيره: فبعث الكفار مع عمرو بن العاص، وعبد اللَّه بن أبى

ربيعة للنجاشى، ولعظماء الحبشة هدايا. فلما قدما على النجاشى قبل الهدايا، وأجلس عمرو ابن العاص على سريره. فكلم النجاشى فقال: إن بأرضكم رجالاً منا ليسوا على دينك ولا على ديننا، فادفعهم إلينا. فقال عظماء الحبشة للنجاشى: صدق، فادفعهم إليه. فقال: حتى أكلمهم.

وقال الزهرى، عن أبى بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة، قالت: نزلنا الحبشة، فجاورنا بها خير جار، النجاشى، أمنا على ديننا وعبدنا اللَّه- عز وجل- لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى مع رجلين بما يُستَطرف من مكة. وكان من أعجب ما يأتيه منها: الأدم. فجمعوا له أدمًا كثيراً، ولم يتركوا بطريقًا عنده إلا أهدوا له. وبعثوا عبد اللَّه بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص وقالوا: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلِّما النجاشى. فقدما، وقالا لكل بطريق: إنه قد ضوى(٢٨٢) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، خالفوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم. وقد بعثنا أشرافنا إلى الملك ليردهم، فإذا كلمناه فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا. فقالوا: نعم.

ثم قربا هداياهما إلى النجاشى فقبلها، فكلماه. فقالت بطارقته: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم. فغضب النجاشى، ثم قال: لاها اللَّه أبدًا، لا أرسلهم إليهم. قوم جاورونى ونزلوا بلادى، واختارونى على سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقولون.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول اللَّه ﷺ. فلما جاء رسوله اجتمعوا، وقال بعضهم لبعض: ما تقولون إذا جئتموه؟. قالوا: نقول واللَّه ما عَلَّمَنا اللَّه، وأمرنا به نبينا، كائن فى ذلك ما كان. فلما جاؤوه وقد دعا النجاشى أساقفته، ونشروا مصاحفهم حوله، سألهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من الملل.

قالت: فَكَلَّمَه جعفر بن أبى طالب، فقال: أيها الملك: كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء إلى الجار ويأكل القوى منا الضعيف. كنا على ذلك حتى بعث اللَّه إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعا إلى اللَّه لنعبده وحده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد اللَّه

(٢٨٢) ضوى: أوى ولجأ.

ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. وعد أمور الإسلام. قال: فصدقناه واتبعناه، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، وآثرناك على من سواك فرغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك.

قال: فهل معك شىء مما جاء به عن اللّه؟ قال جعفر: نعم. فقرأ. ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم: ١]

قالت: فبكى النجاشى وأساقفته حتى أخضَلوا لحاهم، حين سمعوا القرآن.

فقال النجاشى: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا، فواللّه لا أسلمهم إليكما أبدًا.

قالت: فلما خرجنا من عنده، قال عمرو بن العاص: واللّه لآتينه غدًا بما أستأصل به خضراءهم. فقال له ابن أبى ربيعة؛ وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا. قال: فواللّه لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبد.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيمًا. فأرسل إلينا ليسألنا. قالت: ولم ينزل بنا مثلها.

فقال: ما تقولون فى عيسى؟

فقال جعفر: نقول فيه الذى جاء به نبينا: عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، وأخذ منها عودًا، وقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا المقدار.

قال: فتناخرت بطارقته(٢٨٣) حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم واللّه. ثم قال لجعفر وأصحابه: اذهبوا آمنين. ما أحب أن لى دَبْر ذهب، وأنى آذيت واحدًا منكم- والدبر بلسان الحبشة: الجبل- ردوا عليهما هديتهما، فلا حاجة لنا فيها، فواللّه ما أخذ اللّه فىَّ الرشوة فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه. فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به.

قالت: فواللّه إنا لعلى ذلك، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه، فواللّه ما علمنا

---

(٢٨٣) تناخرت بطارقته: أى تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور.

حزنًا قط أشد من حزن حزناه عند ذلك، تخوفًا أن يظهر عليه من لا يعرف حقنا. فسار إليه النجاشى، وبينهما عرض النيل.

فقال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: من يخرج حتى يحضر الوقعة ويخبرنا؟ فقال الزبير بن العوام: أنا أخرج. وكان من أحدث القوم سنًا. فنفخوا له قربة فجعلها فى صدره، وسبح عليها إلى الناحية التى فيها الوقعة، ودعونا اللَّه للنجاشى، فواللَّه إنا لعلى ذلك، متوقعون لما هو كائن، إذ طلع علينا الزبير يسعى ويلوح بثوبه: ألا أبشروا، فقد ظهر النجاشى، وأهلك اللَّه عدوه. فواللَّه ما علمنا فرحة مثلها قط.

ورجع النجاشى سالمًا، واستوسق له أمر الحبشة. فكنا عنده فى خير منزل، حتى قدمنا على رسول اللَّه ﷺ بمكة (٢٨٤).

أخرجه أبو داود من حديث ابن إسحاق عن الزهرى.

وهؤلاء قدموا مكة، ثم هاجروا إلى المدينة، وبقى جعفر وطائفة بالحبشة إلى عام خيبر.

وقد قيل إن إرسال قريش إلى النجاشى كان مرتين، وأن المرة الثانية كان مع عمرو: عمارة بن الوليد المخزومى أخو خالد. ذكر ذلك ابن إسحاق أيضًا. وذكر ما دار لعمرو بن العاص مع عمارة بن الوليد من رمية إياه فى البحر، وسعى عمرو به إلى النجاشى فى وصوله إلى بعض حرمه أو خدمه، وأنه ظهر ذلك فى ظهور طيب الملك عليه، وأن الملك دعا بسحرة فسحروه ونفخوا فى إحليله. فتبرر ولزم البرية، وهام، حتى وصل إلى موضع رام أهله أخذه فيه، فلما قربوا منه فاضت نفسه فمات.

وقال ابن إسحاق، قال الزهرى: حدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر عن أم سلمة، فقال: هل تدرى ما قوله: ما أخذ اللَّه منى الرشوة حين ردّ علىَّ ملكى فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه؟ قلت: لا. قال: فإن عائشة حدثتنى أن أباه كان ملك قومه، لم يكن له ولد إلا النجاشى. وكان للنجاشى عم، له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت

---

(٢٨٤) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢٠١- ٢٠٣)، وابن هشام فى «السيرة» (١/ ٢٣٤- ٢٣٧) (ط. دار الحديث)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠١- ٣٠٤)، وأبو نعيم فى «دلائل النبوة» (١٩٤) من طريق محمد بن إسحاق، حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، به.

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال البخارى ومسلم خلا محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى، فإنه صدوق يُدَلِّسُ، وقد صَرَّحَ بالتحديث فأمنَّا شرَّ تدليسه.

مملكة الحبشة . فقالت الحبشة : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه لتوارث بنوه ملكه بعده، ولبقيت الحبشة دهراً . قالت : فقتلوه وملكوا أخاه . فنشأ النجاشى مع عمه . وكان لبيبًا حازماً، فغلب على أمر عمه . فلما رأت الحبشة ذلك قالت : إنا نتخوف أن يملكه بعده، ولئن مُلِّك ليقتلنا بأبيه . فشموا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا . فقال : ويلكم! قتلتُ أباه بالأمس، وأقتله اليوم؟ بل أخرجه . قال : فخرجوا به فباعوه من تاجر بست مائة درهم . فانطلق به فى سفينة . فلما كان العشى، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمه يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته . ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هو مَحَمَّق(٢٨٥) ليس فى ولده خير . فمرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ما هم فيه . فقال بعضهم لبعض : تعلموا، واللّه أن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم . قال : فخرجوا فى طلبه وطلب الذى باعوه منه، حتى أدركوه فأخذوه منه . ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج وأجلسوه على سرير الملك . فجاء التاجر فقال : إما أن تعطونى مالى وإما أن أكلمه فى ذلك . فقالوا : لا نعطيك شيئًا . قال : إذن واللّه أكلمه . قالوا : فدونك . فجاءه فجلس بين يديه، فقال : أيها الملك، ابتعت غلامًا من قوم بالسوق بست مائة درهم، حتى إذا سرت به أدركونى، فأخذوه ومنعونى دراهمى . فقال النجاشى : لتعطنه غلامه أو دراهمه . قالوا : بل نعطيه دراهمه .

قالت : فلذلك يقول : ما أخذ اللّه منى رشوة حين رد علىَّ ملكى، فآخذ الرشوة فيه . وكان ذلك أول ما خُبِر من صلابته فى دينه وعدله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة، قالت : لما مات النجاشى كان يُتَحَدَّث أنه لا يزال على قبره نور .

قال : وَحدثنى جعفر بن محمد، عن أبيه، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفنًا، وقال : اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب : هو يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته .

ثم جعله فى قبائه وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال : يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما

(٢٨٥) مُحَمَّقٌ: أى بالغ الحماقة . وحقيقة الحُمق : وَصنْعُ الشَّىء فى غير موضعه مع العلم بقُبحه .

بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم؟ قالوا: هو ابن اللَّه فوضع يده على صدره، على قبائه، وقال: هو يشهد أن عيسى بن مريم. لم يزد على هذا شيئًا، وإنما يعنى على ما كتب. فرضوا وانصرفوا.

فبلغ ذلك النبى ﷺ، فلما مات صلى عليه واستغفر له- رضى اللَّه عنه- وإنما ذكرنا بعد بدر استطرادًا، واللَّه أعلم.

■ **سرِيّة عُمَيْر بن عَدِىّ الخَطْمىّ:**

ذكر الواقدى أن رسول اللَّه ﷺ بعثه لخمس بقين من رمضان، إلى عصماء بنت مروان، من بنى أمية بن زيد، وكانت تعيب الإسلام، وتحرض على النبى ﷺ، وتقول الشعر، فجاءها عمير بالليل فقتلها غيلة.

■ **غزوة بنى سُلَيم:**

قال ابن إسحاق: لم يقم رسول اللَّه ﷺ، منصرفه عن بدر بالمدينة، إلا سبعة أيام. ثم خرج بنفسه يريد بنى سُلَيم، واستخلف على المدينة سباع عُرْفُطَة الغفارى، وقيل: ابن أم مكتوم. فبلغ ماء يقال له: الكُدْر، فأقام عليه ثلاثًا، ثم انصرف، ولم يلق أحدًا.

■ **سرِيّة سالم بن عُمَيْر لقتل أبى عَفَك**

وذكر الواقدى أن أبا عفك اليهودى، كان قد بلغ مائة وعشرين سنة، وهو من بنى عمرو ابن عوف، كان يؤذى النبى ﷺ، ويقول الشعر، ويحرض عليه. فانتدب له سالم بن عمير، فقتله غيلة، فى شوال منها.

■ **غزوة السَوِيق: فى ذى الحِجَّة:**

قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: كان أبو سفيان بن حرب، حين بلغه وقعة بدر، نذر أن لا يمس رأسه دهن ولا غسل، ولا يقرب أهله، حتى يغزو محمداً ويحرق فى طوائف المدينة. فخرج من مكة سراً خائفًا، فى ثلاثين فارسًا، ليحل يمينه. حتى نزل بجبل من جبال المدينة يقال له: نبت. فبعث رجلاً أو رجلين من أصحابه، وأمرهما أن يحرقا أدنى نخل يأتيانه من نخل المدينة. فوجدا صوراً من صيران نخل العريض. فأحرقا فيها وانطلقا، وانطلق أبو سفيان مسرعًا.

وخرج رسول اللَّه ﷺ، حتى بلغ قرقرة الكدر ففاته أبو سفيان، فرجع.

وذكر مثل هذا ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة، وقال: وركب المسلمون في آثارهم، فأعجزوهم وتركوا أزوادهم، فسميت غزوة أبي سفيان: غزوة السَّوِيق.

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان، وحدثني من لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، قالوا:

لما رجع أبو سفيان إلى مكة، ورجع فَلُّ قريش من يوم بدر، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا. فخرج في مائتي راكب، إلى أن نزل بجبل يقال له: نبت، على نحو بريد من المدينة. ثم خرج من الليل حتى أتى حيي بن أخطب، فضرب عليه بابه، فلم يفتح له وخافه. فانصرف إلى سلاَّم بن مشْكَم، وكان سيد بني النضير، فأذن له وقراه، وأبطن له من خبر الناس. ثم خرج في عقب لَيلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً، فأتوا ناحية العُرَيض، فوجدوا رجلين من المسلمين، فقتلوهما وردُّوا ونذر بهم الناس.

فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، قد رموا زادًا لهم في جُرُب، وسويقًا كثيرًا، يتخففون منها للنجاء. فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ فقال: نعم. قال: وذلك بعد بدر بشهرين.

وفي هذه السنة: تزوج عثمان بأم كلثوم، رضي الله عنهما.

وفيها تزوج علي- رضي الله عنه- بفاطمة الزهراء، رضي الله عنها.

قال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن علي- رضي الله عنه- قال: خُطِبَتْ فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: علمت أن فاطمة خُطِبَتْ إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا. قالت: فما يمنعك أن تأتيه فيزوجك؟ فقلت: وعنديَ شيء أتزوج به؟ قالت: إنك إن جئته زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني، حتى دخلت على رسول الله ﷺ، وكان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فأفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم. فقال: ما حاجتك، ألك حاجة؟ فسكت. ثم قال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قلت: نعم. قال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا والله. فقال: ما فعلت درعٌ سلّحْتُكها؟ فوالذي نفس علي بيده إنها لَحُطميَّة ما ثمنها أربعة دراهم. فقلت: عندي. فقال: قد زوجتكها، فابعث إليَّ بها. فإن كانت لصَداق فاطمة، رضي الله عنها.

وقال أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما تزوج على فاطمة- رضى اللَّه عنهما- قال له النبى ﷺ: أعطها شيئًا. قال: ما عندى شيء. قال: أين درعك الحُطَمِيَّة؟. أخرجه أبو داود(٢٨٦).

وقال عطاء بن السائب، عن أبيه، عن على- رضى اللَّه عنه- قال: جهز رسول اللَّه ﷺ فاطمة فى خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها إذْخِر(٢٨٧).

وفيها: توفى سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الخزرجى الساعدى، والد سهل بن سعد. وكان تجهز إلى بدر فمات قبلها فى رمضان. فيقال: إن النبى ﷺ ضرب له بسهمه، ورده على ورثته.

وفيها: بعد بدر، توفى خُنَيس بن حذافة السهمى، أحد المهاجرين، شهد بدرًا. وتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب.

وفى شوال: بنى النبى ﷺ بعائشة- رضى اللَّه عنها- وعمرها تسع سنين.

* *

---

(٢٨٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٢٥) و(٢١٢٧)، والنسائى (٦/ ١٣٠)، وأبو يعلى (٢٤٣٩)، والطبرانى (١٢٠٠٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٦١) من طريق عكرمة، عن ابن عباس، به.
وأخرجه النسائى (٦/ ١٢٩- ١٣٠)، والبيهقى (٧/ ٢٥٢) من طريق هشام بن عبد الملك، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن على، فجعله من «مسند على».
وأخرجه أحمد (١/ ٨٠)، وابن سعد (٨/ ٢٠)، والبيهقى (٧/ ٢٣٤) من طريق سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه، عن رجل قد سماه، سمع عليًا.. فذكره.

(٢٨٧) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٨٤ و١٠٤ و١٠٦)، وفى «فضائل الصحابة» (١١٩٤) والنسائى (٦/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ١٨٥)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٣/ ١٦١) من طريق عطاء بن السائب، به.
قلت: إسناده حسن، عطاء بن السائب، صدوق، وقد روى عنه زائدة بن قدامة- ممن روى عنه- قبل الاختلاط.

• ثُمَّ دَخَلَت سَنَةُ ثلاث من الهجرة •

■ غزوة ذى أمر :

فى المحرم، غزا النبى ﷺ نجدًا، يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان، فأقام بنجد صفرا كله، ورجع من غير حرب. قاله ابن إسحاق.

وأما الواقدى فقال: كانت فى ربيع الأول، وأن غيبته أحدعشر يومًا. ثم روى عن أشياخه، عن التابعين: عبد اللَّه بن أبى بكر بن حزم، وغيره، قالوا: بلغ النبى ﷺ أن جمعًا من غطفان، من بنى ثعلبة، بذى أمر، قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المسلمين، واللَّه أعلم.

■ غزوة بحران :

قال ابن إسحاق: أقام رسول اللَّه ﷺ بالمدينة، ربيع الأول. ثم غزا يريد قريشًا.

قال عبد الملك بن هشام: فبلغ بُحْران، معدنًا بالحجاز، فأقام هناك ربيع الآخر كله، وجمادى الأولى.

وبُحْران من ناحية الفُرع. ثم رجع ولم يلق كيدًا.

وقال الواقدى: غزا النبى ﷺ بنى سُلَيم ببُحْران، لست خلون من جمادى الأولى. وبحران من ناحية الفُرْع بينها وبين المدينة ثمانية برد. فغاب عشر ليال. وكان بلغه أن بها جمعًا من بنى سُلَيم، فخرج فى ثلاث مائة، واستخلف ابن أم مكتوم. الفُرْع: بضم الفاء وسكون الراء بين مكة والمدينة.

■ غزوة بنى قَينُقاع : مثلث النون :

ذكرها ابن إسحاق هكذا، بعد غزوة الفُرْع.

وأما الواقدى، فقال: كانت يوم السبت نصف شوال، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة. فحاصرهم إلى هلال ذى القعدة.

وقال البكائى: قال ابن إسحاق: ومن حديثهم أن رسول اللَّه ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من اللَّه مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد اللَّه إليكم. قالوا: يا محمد،

إنك تُرى أنا كقومك؟ لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة. إنا واللّه لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الرجال.

عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ**﴾ الآيتين[آل عمران: ١٢].

وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال: وعن أبى عون، قال: كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجَلَب لها فباعته بسوقهم، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فلَم تفعل، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فأغضب المسلمين ووقع الشر.

وحدثنى عاصم، قال: فحاصرهم رسول اللّه ﷺ حتى نزلوا على حكمه. فقام إليه عبد اللّه بن أبى بن سلول حين أمكنه اللّه منهم، فقال: يا محمد، أحسن فى مواليَّ. فأعرض عنه، فأدخل يده فى جيب درع رسول اللّه ﷺ، فقال له رسول اللّه ﷺ: أرسلنى، وغضب، أرسلنى، ويحك. قال: واللّه لا أرسلك حتى تحسن فى مواليَّ: أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دراع، قد منعونى من الأحمر والأسود، تحصدهم فى غداة واحدة، إنى واللّه امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول اللّه ﷺ: هم لك.

وحدثنى أبى إسحاق، عن عبادة بن الوليد، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول اللّه ﷺ، تشبث بأمرهم ابن سلول وقام دونهم.

قال: ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول اللّه ﷺ، وكان أحد بنى عوف، لهم من حلفه مثل الذى لابن سلول، فجعلهم إلى رسول اللّه ﷺ، وتبرأ إلى اللّه ورسوله من حلفهم، وقال: أتولى اللّه ورسوله والمؤمنين، فنزلت فيه وفى ابن سلول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[المائدة: ٥١ – ٥٥]، وذلك لتولى عبادةُ اللّه ورسولَه.

وذكر الواقدى: أن النبى ﷺ حاصرهم خمس عشرة ليلة، إلى هلال ذى القعدة. وكانوا

أول من غدر من اليهود، وحاربوا حتى قذف اللَّه فى قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكمه، وأن له أموالهم. فأمر ﷺ بهم فكُتِّفُوا، واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمى، من بنى السَّلْم، فكلم عبد اللَّه بن أبى فيهم رسول اللَّه ﷺ، وألح عليه. فقال: خذهم. وأمر بهم أن يجلوا من المدينة، وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت، فلحقوا بأذرعات، فما كان أقل من بقائهم فيها. وتولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة، ثم خُمِّسَت، وأخذ النبى ﷺ من سلاحهم ثلاثة أسياف، ودرعين، وغير ذلك.

■ غزوة بنى النَّضِير:

قال معمر، عن الزهرى، عن عروة: كانت غزوة بنى النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول اللَّه ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فأنزلت ﴿**هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ الآيات [الحشر: ٢].

فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يُصبهم جلاء. وكان اللَّه قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى.

وقوله: ﴿**لأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾، فكان جلاؤهم ذلك أول حشر فى الدنيا إلى الشام.

ويرويه عُقَيل عن الزهرى، قوله. وأسنده زيد بن المبارك الصنعانى، قال: حدثنا محمد ابن ثور، عن معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة. وذكر عائشة فيه غير محفوظ.

وقال ابن جُرَيج، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر: أن يهود بنى النضير، وقريظة حاربوا رسول اللَّه ﷺ، فأجلى بنى النضير، وأقر قريظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربوا بعد ذلك. أخرجه البخارى(٢٨٨).

وقال معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم باللَّه لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بجمعنا حتى نقتل مقاتلكم ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك عبد اللَّه بن أبى وأصحابه، اجتمعوا لقتال رسول اللَّه ﷺ، فبلغه ذلك فلقيهم فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما

---

(٢٨٨) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٢٨) حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، به.

كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟ فلما سمعوا ذلك تفرقوا. فبلغ ذلك كفار قريش فكتبوا، بعد بدر، إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة والحصن وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء. وهى الخلاخيل.

فلما بلغ كتابهم للنبى ﷺ، أجمعت بنو النضير بالغدر، وأرسلوا إلى النبى ﷺ: اخرج إلينا فى ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبرًا، حتى نلتقى بمكان المَنْصَف، فيسمعوا منك، فإن صَدَّقوا وآمنوا بك آمنا بك. فقص خبرهم.

فلما كان الغد، غدا عليهم رسول اللَّه ﷺ بالكتائب فحصرهم، فقال لهم: إنكم واللَّه لا تأمنون عندى إلا بعهد تعاهدونى عليه. فأبوا أن يعطوه عهدًا، فقاتلهم يومهم ذلك.

ثم غدا على بنى قريظة بالكتائب، وترك بنى النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم.

وغدا إلى بنى النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء. فجلت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبوابهم وخشبهم. فكان نخل بنى النضير لرسول اللَّه ﷺ خاصة، أعطاه اللَّه إياها، فقال: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾ [الحشر: ٦]، يقول: بغير قتال. فأعطى النبى ﷺ أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانوا ذوى حاجة. وبقى منها صدقة رسول اللَّه ﷺ التى فى أيدى بنى فاطمة، رضى اللَّه عنها.

وذهب موسى بن عقبة، وابن إسحاق إلى أن غزوة بنى النضير كانت بعد أحد، وكذلك قال غيرهما. ورواه ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة. وهذا حديث موسى وحديث عروة: إن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى عقل الكلابيين. وكانوا- يزعمون- قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول اللَّه ﷺ، فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة. فلما كلمهم رسول اللَّه ﷺ فى عقل الكلابيين، قالوا: اجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور. فجلس بأصحابه، فلما خلوا والشيطان معهم، ائتمروا بقتل رسول اللَّه ﷺ وقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن، فاستريحوا منه تأمنوا. فقال رجل: إن شئتم ظهرت فوق البيت الذى هو تحته فدليت عليه حجرًا فقتلته. فأوحى اللَّه إليه فأخبره بشأنهم وعصمه، فقام كأنه يقضى حاجة. وانتظره أعداء اللَّه، فراث عليه. فأقبل رجل من المدينة فسألوه عنه فقال: لقيته قد دخل أزقة المدينة. فقالوا لأصحابه: عجل أبو

القاسم أن نقيم أمرنا فى حاجته. ثم قام أصحاب رسول اللَّه ﷺ فرجعوا ونزلت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ** ﴾ الآية[المائدة: ١١].

وأمر رسول الله ﷺ بإجلائهم، وأن يسيروا حيث شاؤوا. وكان النفاق قد كثر بالمدينة. فقالوا: أين تخرجنا؟ قال: أخرجكم إلى الحشر. فلما سمع المنافقون ما يراد بأوليائهم أرسلوا إليهم: إنا معكم محيانا ومماتنا، إن قوتلتم فلكم علينا النصر، وإن أخرجتم لم نتخلف عنكم. وسيد اليهود أبو صفية حيى بن أخطب. فلما وثقوا بأمانى المنافقين عظمت غرتهم ومنَّاهم الشيطان الظهور، فنادوا النبى ﷺ وأصحابه: إنا، واللَّه، لا نخرج ولئن قاتلتنا لنقاتلنك.

فمضى النبى ﷺ لأمر اللَّه فيهم، وأمر أصحابه فأخذوا السلاح ثم مضى إليهم، وتحصنت اليهود فى دورهم وحصونهم. فلما انتهى النبى ﷺ إلى أزقتهم وحصونهم كره أن يمكنهم من القتال فى دورهم وحصونهم، وحفظ اللَّه له أمره وعزم له على رشده، فأمر أن يهدم الأدنى فالأدنى من دورهم، وبالنخل أن تحرق وتقطع، وكف اللَّه أيديهم وأيدى المنافقين فلم ينصروهم، وألقى فى قلوب الفريقين الرعب. ثم جعلت اليهود كلما خلص رسول اللَّه ﷺ من هدم ما يلى مدينتهم، ألقى اللَّه فى قلوبهم الرعب، فهدموا الدور التى هم فيها من أدبارها، ولم يستطيعوا أن يخرجوا على النبى ﷺ، وأصحابه يهدمون شيئًا فشيئًا. فلما كادت اليهود أن يبلغ آخر دورها، وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا منوهم، فلما يئسوا مما عندهم، سألوا النبى ﷺ الذى كان عرض عليهم قبل ذلك، فقاضاهم على أن يجليهم، ولهم أن يحملوا ما استقلت به الإبل إلا السلاح. وطاروا كل مطير، وذهبوا كل مذهب. ولحق بنو أبى الحقيق بخيبر ومعهم آنية كثيرة من فضة، فرآها النبى ﷺ والمسلمون. وعمد حيى بن أخطب حتى قدم مكة على قريش، فاستغواهم على رسول اللَّه ﷺ. وبين اللَّه لرسوله حديث أهل النفاق، وما بينهم وبين اليهود، وكانوا قد عيروا المسلمين حين قطعوا النخل وهدموا. فقالوا: ما ذنب الشجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون؟ فأنزل اللَّه ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ** ﴾ سورة الحشر. ثم جعلها نفلاً لرسوله، فقسمها فيمن أراه اللَّه من المهاجرين. وأعطى منها أبا دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حُنَيف، الأنصاريين. وأعطى - زعموا - سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق.

وكان إجلاء بنى النضير فى المحرم سنة ثلاث.

وأقامت بنو قُرَيظة فى المدينة فى مساكنهم، لم يؤمر فيهم النبى ﷺ بقتل ولا إخراج حتى فضحهم اللَّه بحيى بن أخطب وبجموع الأحزاب.

هذا لفظ موسى بن عقبة، وحديث عروة بمعناه، إلى إعطاء سعد السيف.

وقال موسى بن عقبة وغيره، عن نافع، عن عبد اللّه أن رسول اللّه ﷺ قطع نخل بنى النضير وحرق، ولها يقول حسان بن ثابت:

وهانَ على سراة بنى لُؤىٍّ حـريقٌ بالبُـوَيْرَة مُسْـتَطِير

وفى ذلك نزلت هذه الآية: ﴿ما قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، متفق عليه(٢٨٩).

وقال عمرو بن دينار، عن الزهرى، عن مالك بن أوس، عن عمر، أن أموال بنى النضير كانت مما أفاء اللّه على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول اللّه ﷺ خالصة ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عُدَّة فى سبيل اللّه. أخرجاه(٢٩٠).

■ **سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة:**

قال ابن إسحاق: وسرية زيد التى بعثه رسول اللّه ﷺ فيها، حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان، على القردة، ماء من مياه نجد.

وكان من حديثها أن قريشًا خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون إلى الشام حين جرت وقعة بدر، فسلكوا طريق العراق. فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان، واستأجروا رجلاً من بنى بكر ابن وائل يقال له: فرات بن حيان يدلهم. فبعث رسول اللّه ﷺ زيد بن حارثة، فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزهم الرجال، فقدم بها على رسول اللّه ﷺ.

■ **غزوة قَرْقَرَة الكُدْر:**

قال الواقدى: إنها فى المحرم سنة ثلاث. وهى ناحية معدن بنى سليم. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

وكان ﷺ بلغه أن بهذا الموضع جمعًا من سليم وغطفان. فلم يجد فى المحال أحدًا. ووجد رعاء منهم غلام يقال له يسار، فانصرف رسول اللّه ﷺ وقد ظفر بالنعم، فانحدر

---

(٢٨٩) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٣١) و(٤٠٣٢)، ومسلم (١٧٤٦) من طرق عن نافع، به.

(٢٩٠) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٣٣) من طريق شعيب، ومسلم (١٧٥٧) (٤٩) من طريق مالك، عن الزهرى، به.

إلى المدينة فاقتسموها بصرار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خمس مائة بعير، وأسلم يسار.

القرقرة أرض ملساء، والكُدْر طير في ألوانها كدرة، ومنهم من يقول: قرارة الكدر، يعني أنها مستقر هذا الطير.

■ **مقتل كعب بن الأشرف:**

قال ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير: حدثني عبد اللَّه بن أبي بكر، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، قالا: بعث رسول اللَّه ﷺ حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة، فبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وبعث عبد اللَّه بن رواحة إلى أهل العالية، فبشروا ونعوا أبا جهل وعتبة والملأ من قريش. فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف لعنه اللَّه قال: ويلكم، أحق هذا؟ هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس. ثم خرج إلى مكة، فنزل على عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص، وكانت عند المطلب ابن أبي وداعة، فجعل يبكي على قتلى قريش، ويحرض على رسول اللَّه ﷺ، فقال:

طَحَنَتْ رحى بدرٍ لمهلك أهلها ... ولمثل بَدْرٍ تستهلُّ وتَدْمَعُ
قُتِلَت سُراةُ الناسِ حول حياضهم ... لا تَبْعَدوا إنّ الملوكَ تُصَرَّعُ
كم قد أصيب بها من ابيضَ ماجد ... ذي بهجة تأوي إليه الضُّيَّعُ
ويقول أقوامٌ أذلّ بسخطهم ... إن ابنَ الاشرف ظلّ كعبًا يَجْزَعُ
صَدَقُوا، فليتَ الأرضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظلّت تَسوخُ بأهلها وَتصدَّعُ
نُبِّئْتُ أن بني كِنانَة كلَّهم ... خشعوا لقتل أبي الوليد وجُدِّعوا

قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة فشبب بأم الفضل بنت الحارث، فقال:

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم؟

في كلام له. ثم شبب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

وقال موسى بن عقبة: كان ابن الأشرف قد آذى رسول اللَّه ﷺ بالهجاء، وركب إلى قريش فقدم عليهم فاستغواهم على رسول اللَّه ﷺ، فقال له أبو سفيان: أناشدك اللَّه، أديننا أحب إلى اللَّه أم دين محمد وأصحابه؟ قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً. ثم خرج مقبلاً وقد أجمع رأي المشركين على قتال رسول اللَّه ﷺ معلنًا بعداوته وهجائه.

وقال محمد بن يونس الجمَّال المُخَرِّمى – الذى قال فيه ابن عدى : كان عندى ممن يسرق الحديث . قلت : لكن روى عنه مسلم – حدثنا ابن عيينة ، قال : حدثنا عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم حيى بن أخطب ، وكعب بن الأشرف مكة على قريش فحالفوهم على قتال رسول اللَّه ﷺ . فقالوا لهم : أنتم أهل العلم القديم وأهل الكتاب ، فأخبرونا عنا وعن محمد ، قالوا : ما أنتم وما محمد؟ قالوا : نحن ننحر الكوماء(٢٩١) ، ونسقى اللبن على الماء ، ونفك العُنَاة ، ونسقى الحجيج ، ونصل الأرحام . قالوا : فما محمد؟ قالوا : صنبور(٢٩٢) قطع أرحامنا واتَّبعه سراق الحجيج بنو غفار . قالوا : لا ، بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً . فأنزل اللَّه ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ﴾ الآية [النساء : ٥١]

قال سفيان : كانت غفار سرقة فى الجاهلية .

وقال إبراهيم بن جعفر بن محمود بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللَّه ، قال : ولحق كعب بن الأشرف بمكة إلى أن قدم المدينة معلنًا بمعاداة النبى ﷺ وهجائه ، فكان أول ما خرج منه قوله :

أذَاهِـــبٌ أنتَ لم تَحْـلُلْ بمَنْقَبَةٍ ... وتاركٌ أنت أمَّ الفضـل بالحَـرَمِ!
صفراءُ رادعةٌ لو تُعْصَـرُ انْعَصَرَتْ ... من ذى البـواريز والحنَّاء والكَتَـمِ
إحْدَى بنى عامرٍ هَـامَ الفُؤادُ بها ... ولو تشاء شَفَتْ كَعْبًا مـن السَّـقَمِ
. . . (٢٩٣) لم أرَ شمسًا قبلها طَلَعَتْ ... حتـى تبدَّتْ لنا فـى ليلـةِ الظُّلَمِ

وقال :

* طحنت رحى بدر لمهلك أهلها *

الأبيات .

فقال النبى ﷺ يومًا : من لكعب بن الأشرف؟ فقد آذانا بالشعر وقوى المشركين علينا . فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول اللَّه . قال : فأنت . فقام فمشى ثم رجع فقال : إنى قائل ، فقال : قل فأنت فى حل : فخرج محمد ، بعد يوم أو يومين ، حتى أتى كعبًا وهو فى حائط فقال : يا كعب ، جئت لحاجة ، الحديث .

---

(٢٩١) الكوماء : الناقة المُشْرِفة السَّنام عاليتَه .
(٢٩٢) الصُّنْبور : الأبْتَرُ ، لا عقبَ له .
(٢٩٣) بياض بالأصل ، وكتب على هامشه : «لعله : أقسمتُ» .

وقال ابن عيينة: قال عمرو بن دينار: سمعت جابرًا يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى اللَّه ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول اللَّه، أعجب إليك أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لى أن أقول شيئًا. قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وقد عنانا، وإنى قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضا لتملنه. قال: إنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا. قال: ارهنونى نساءكم. قال: نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنونى أبناءكم. قال: كيف نرهنك أبناءنا فيقال رهن بوسق أو وسقين؟ قال: فأى شىء؟ قال: نرهنك اللأمة. فواعده أن يأتيه ليلاً، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاه من الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو أخى أبو نائلة ومحمد بن مسلمة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب. قال: محمد: إذا ما جاء فإنى قائل بشعره فأشمه ثم أشمكم، فإذا رأيتمونى أثبَتُّ يدى فدونكم. فنزل إليهم متوشحًا، وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال محمد: ما رأيت كاليوم ريحًا، أى: أطيب، أتأذن لى أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم شمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لى؟ يعنى ثانيًا. قال: نعم. فلما استكمن منه قال: دونكم. فضربوه فقتلوه. وأتوا النبى ﷺ فأخبروه. أخرجه البخارى(٢٩٤).

وقال شعيب بن أبى حمزة، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كعب بن مالك، عن أبيه، أن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعرًا، وكان يهجو رسول اللَّه ﷺ ويحرض عليه كفار قريش فى شعره. وكان رسول اللَّه ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم عبدة الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحَلْقة والحصون، وهو حلفاء الأوس والخزرج، فأراد رسول اللَّه ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلمًا وأبوه مشرك أو أخوه، وكان المشركون واليهود حين قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة يؤذونه أشد الأذى، فأمر اللَّه رسوله والمسلمين بالصبر والعفو، فقال- تعالى: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [البقرة: ١٠٩].

فأمر رسول اللَّه ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا ليقتلوا كعبًا، فبعث إليه سعدُ محمَد بن

---

(٢٩٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١) من طريق سفيان بن عيينة، به.

مسلمة وأبا عبس، والحارث ابن أخي سعد بن معاذ في خمسة رهط أتوه عشية، وهو في مجلسهم بالعوالي. فلما رآهم كعب أنكرهم وكاد يذعر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءت بنا إليك حاجة. قال: فليدنُ إليَّ بعضكم فليحدثني بها. فدنا إليه بعضهم فقال: جئناك لنبيعك أدراعًا لنا لنستنفق أثمانها. فقال: واللَّه لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم، قد نزل بكم هذا الرجل. فواعدهم أن يأتوه عشاء حين يهدأ عنهم الناس. فجاؤوا فناداه رجل منهم، فقام ليخرج فقالت امرأته: ما طرقوك ساعتهم هذه لشيء تحب. فقال: بل إنهم قد حدثوني حديثهم. فاعتنقه أبو عبس، وضربه محمد بن مسلمة بالسيف، وطعنه بعضهم بالسيف في خاصرته. فلما قتلوه فزعت اليهود ومن كان معهم من المشركين. فغدوا على رسول اللَّه ﷺ حين أصبحوا فقالوا: إنه طُرِقَ صاحبنا الليلة وهو سيد من ساداتنا فَقُتِل، فذكر لهم رسول اللَّه ﷺ الذي كان يقول في أشعاره، ودعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى أن يَكتب بينه وبينهم كتابًا، فكتب بينهم صحيفة. وكانت تلك الصحيفة بعده عند علي. أخرجه أبو داود.

وذكر موسى بن عقبة وغيره أن عباد بن بشر كان معهم، فأصيب في وجهه بالسيف أو رجله.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ومشى رسول اللَّه ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم جههم وقال: انطلقوا على اسم اللَّه، اللَّهم أعنهم.

وذكر البكائي، عن ابن إسحاق هذه القصة بأطول مما هنا وأحسن عبارة، وفيه: فاجتمع في قتله محمد، وسلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة الأشهلي، وعباد بن بشر، وأبو عبس بن جبر الحارثي. فقدَّموا إلى ابن الأشرف سلكان، فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرًا، ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف، إني قد جئت لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني. قال: أفعل. قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة، وقُطِعَتْ عنا السبل حتى ضاع العيال وجُهِدْنا. فقال: أنا ابن الأشرف! أما واللَّه لقد أخبرتك يا ابنَ سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقولَ. فقال: إني أردت أن تبيعنا طعامًا ونرهنك ونوثق لك، وتحسن في ذلك فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا، إن معي أصحابًا لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم، وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء. قال: فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه. واجتمعوا، وساق القصة.

قال ابن إسحاق: وأطلق رسول اللَّه ﷺ قتل اليهود، وقال: من ظفرتم به من اليهود فاقتلوه. وحينئذ أسلم حويصة بن مسعود، وكان قد أسلم قبله أخوه مُحَيِّصة. فقتل محيصةُ ابنَ سُنَيْنَة اليهودى التاجر، فقال حُوَيِّصة قبل أن يسلم وجعل يضرب أخاه ويقول: أى عدو اللَّه قتلته؟ أما واللَّه لرب شحم فى بطنك من ماله. فقال: واللَّه لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك. قال: واللَّه إن دينًا بلغ بك هذا لعجب. فأسلم حُوَيِّصة.

وفى رمضان: وُلِدَ السيد أبو محمد الحسن بن على، رضى اللَّه عنهما.

وتزوج النبى ﷺ بحفصة بنت عمر.

وفى هذه السنة: تزوج أيضًا بزينب بنت خُزَيمة، من بنى عامر بن صعصعة، وهى أم المساكين، فعاشت عنده شهرين أو ثلاثة، وتوفيت. وقيل: أقامت عنده ثمانية أشهر، فاللَّه أعلم.

■ غزْوة أحُد: وكانت فى شوال:

قال شيبان، عن قتادة: واقَعَ نبىُّ اللَّه ﷺ يوم أحد من العام المقبل بعد بدر فى شوال، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شوال. وكان أصحابه يومئذ سبع مائة، والمشركون ألفين أو ما شاء اللَّه من ذلك.

وقال ابن إسحاق: للنصف من شوال.

وقال مالك: كان القتال يومئذ فى أول النهار.

وقال بُرَيد بن عبد اللَّه، عن أبى بردة، عن أبى موسى، عن النبى ﷺ، قال: رأيت أنى قد هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء اللَّه به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فى رؤياى بقرًا، واللَّه خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء اللَّه به من الخير وثواب الصدق الذى آتانا يوم بدر. أخرجاه(٢٩٥).

---

(٢٩٥) صحيح على شرط الشيخين: أخرجه البخارى (٣٦٢٢) و(٤٠٨١) و(٧٠٣٥)و(٧٠٤١)، ومسلم (٢٧٢٢)، وابن ماجه (٣٩٢١)، والدارمى (٢/ ١٢٩)، والبغوى (٣٢٩٦) من طريق أبى أسامة، عن بُريد، عن أبى بُردة، عن أبى موسى، به.

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأبو أسامة، هو حماد بن أسامة.

وبُريد: هو ابن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى.

وقال ابن وهب: أخبرنى ابن أبى الزناد، عن أبيه، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه، عن ابن عباس قال: تنفل رسول اللَّه ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد. وذلك أنه لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأى رسول اللَّه ﷺ أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا: تخرج بنا يا رسول اللَّه إليهم نقاتلهم بأحد، ورجوا من الفضيلة أن يصيبوا ما أصاب أهل بدر. فما زالوا برسول اللَّه ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندموا وقالوا: يا رسول اللَّه، أقم فالرأى رأيك. فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم اللَّه بينه وبين عدوه. قالوا: وكان ما قال لهم رسول اللَّه ﷺ قبل أن يلبس أداته: إنى رأيت أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة، وأنى مردفٌ كبشًا فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أن سيفى ذا الفقار فُلَّ فأولته فَلاً فيكم، ورأيت بقرًا تذبح، فبقرُ واللَّهُ خيرٌ، فبقر واللَّه خير(٢٩٦).

وقال يونس، عن الزهرى فى خروج النبى ﷺ إلى أحد، قال: حتى إذا كان بالشوط من الجنانة، انخزل عبد اللَّه بن أبى بقريب من ثلث الجيش. ومضى النبى ﷺ وأصحابه وهم فى سبع مائة. وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل.

وقال ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة قال: فخرج رسول اللَّه ﷺ والمسلمون وهم ألف، والمشركون ثلاثة آلاف. فنزل رسول اللَّه ﷺ أحدًا، ورجع عنه عبد اللَّه بن أبى فى ثلاث مائة، فسُقِطَ فى أيدى الطائفتين، وهمتا أن تفشلا، والطائفتان: بنو سلمة وبنو حارثة.

---

(٢٩٦) حسن: أخرجه ابن هشام (٣/ ١٩) (ط. دار الحديث) من طريق محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم مرسلاً.

وأخرجه الحاكم (٢/ ١٢٨- ١٢٩)، ومن طريقه البيهقى فى «السنن» (٧/ ٤١)، وفى «دلائل النبوة» (٣/ ٢٠٤- ٢٠٥) من طريق عبد الله بن وهب، عن ابن أبى الزناد، به.

قلت: إسناده حسن، ابن أبى الزناد، هو عبد الرحمن بن أبى الزناد، عبد الله بن ذكوان، المدنى، مولى قريش، صدوق، حسن الحديث. وبقية رجال إسناده ثقات.

وأخرجه أوله إلى قوله «يوم أحد»: الترمذى فى إثر الحديث (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والطحاوى (٣/ ٣٠٢)، والطبرانى (١٠٧٣٣)، والحاكم (٣/ ٣٩)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٠٤)، وفى «الدلائل» (٣/ ١٣٦- ١٣٧) من طرق عن ابن أبى الزناد، به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى. وقال الترمذى حسن غريب.

وأخرجه أحمد (١/ ٢٧١) مختصرًا حدثنا سُرَيج، حدثنا ابن أبى الزناد، به.

وقال ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر: ﴿**إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا**﴾ [آل عمران: ١٢٢]، بنو سلمة وبنو حارثة، ما أحبُّ أنها لم تنزل لقوله: ﴿**وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾ (٢٩٧) [آل عمران: ١٢٢]، متفق عليه.

وقال شعبة، عن عدى بن ثابت، سمع عبد اللَّه بن يزيد يحدث، عن زيد بن ثابت، قال: لما خرج رسول اللَّه ﷺ إلى أحد، رجع ناس خرجوا معه. فكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ**﴾ [النساء: ٨٨]، فقال رسول اللَّه ﷺ: إنها طَيْبَة تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة (٢٩٨). متفق عليه.

وقال ابن أبى نجيح، عن مجاهد: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩]، قال ميزهم يوم أحد.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق قال: كان من حديث أحد، كما حدثنى الزهرى، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر، والحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم كل قد حدث بعض الحديث، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد، أن كفار قريش لما أصيب منهم أصحاب القليب، ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بالعير، مشى عبد اللَّه بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له فى تلك العير تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا. فاجتمعوا لحرب رسول اللَّه ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة.

وكان أبو عزة الجُمَحى قد من عليه رسول اللَّه ﷺ، وكان ذا عيال وحاجة، فقال: يا رسول اللَّه، إنى فقير ذو عيال وحاجة، فامنن علىَّ. فقال له صفوان: يا أبا عزة، إنك أمرؤ شاعر، فأعنا بلسانك فاخرج معنا، فقال: إن محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه. قالوا: بلى، فأعنا بنفسك، فلك اللَّه علىَّ إن رجعت أن أعينك، وإن أصبت أن أجعل بناتك

---

(٢٩٧) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٥١) و(٤٥٥٨) من طريق سفيان بن عيينة، به.

(٢٩٨) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٥٠)، ومسلم (٢٧٧٦) من طريق شعبة، به.

مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة، ويقول:

إيهًا بنى عبد مناة الرِّزام(٢٩٩) أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ

لا تَعدونى نصركم بعد العام لا تُسْلمونى لا يحلّ إسلامْ

وخرج مسافع بن عبد مناف الجمحى إلى بنى مالك بن كنانة يدعوهم إلى حرب رسول اللَّه ﷺ، ويقول شعرًا. ودعا جبير بن مطعم غلامًا له حبشيًا يقال له وحشى، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها، فقال له: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق. فخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها، وخرجوا معهم بالظُّعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا. وخرج أبو سفيان، وهو قائد الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام، حتى نزلوا بَعْيَنين بجبل أحد ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة. فقال رسول اللَّه ﷺ: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قتلناهم فيها. وكان يكره الخروج إليهم. فقال رجال ممن فاته يوم بدر: يا رسول اللَّه، اخرج بنا إليهم لا يرون أنا جبنا عنهم. فلم يزالوا برسول اللَّه ﷺ حتى دخل فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ الناس من الصلاة. فذكر خروجه وانخزال ابن أبى بثلث الناس، فاتبعهم عبد اللَّه والد جابر، يقول: أذكركم اللَّه أن تخذلوا قومكم ونبيكم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. وقالت الأنصار: يا رسول اللَّه، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ قال: لا حاجة لنا فيهم. ومضى حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال. وتعبأ للقتال وهو فى سبع مائة، وأمَّر على الرماة عبد اللَّه بن جبير وهم خمسون رجلاً، فقال: انضحوا عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وظاهر رسول اللَّه ﷺ بين درعين، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير. وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف معهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على الميمنة خالدًا، وعلى الميسرة عكرمة.

وقال سلام بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كانت راية رسول

---

(٢٩٩) الرِّزام من الرجال: الصعب المتشدد. وذكر ابن منظور البيتين فى «لسان العرب» ثم قال: ويُروى الرُّزَّام جمع رازِم.

اللّه ﷺ يوم أحد مرطًا أسود كان لعائشة، وراية الأنصار يقال لها العُقاب، وعلى ميمنته على، وعلى ميسرته المنذر بن عمرو الساعدى، والزبير بن العوام كان على الرجال، ويقال المقداد بن الأسود، وكان حمزة على القلب، واللواء مع مصعب بن عمير، فقتل، فأعطاه النبى ﷺ عليًا، قال: ويقال: كانت له ثلاثة ألوية، لواء إلى مصعب بن عمير للمهاجرين، ولواء إلى على، ولواء إلى المنذر.

وقال ثابت، عن أنس أن رسول اللّه ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال: من يأخذ منى هذا السيف بحقه؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. فقال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال له أبو دُجانة سماك: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين(٣٠٠). أخرجه مسلم.

وقال ابن إسحاق: حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خَرَشة، أخو بنى ساعدة، فقال: وما حقه؟ قال: أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى. قال: فأنا آخذه يا رسول اللّه. فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، وكان إذا قاتل علَّم بعصابة له حمراء فاعتصب بها على رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين. فبلغنا أن رسول اللّه ﷺ قال حين رآه يبختر: إنها لمشية يبغضها اللّه إلا فى مثل هذا الموطن.

وقال عمرو بن عاصم الكلابى: حدثنى عبيد اللّه بن الوازع، قال: حدثنى هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوام، قال: عرض رسول اللّه ﷺ سيفًا يوم أحد فقال: من يأخذه بحقه؟ فقمت فقلت: أنا يا رسول اللّه. فأعرض عنى، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: أنا يا رسول اللّه، فما حقه؟ قال: أن لا تقتل به مسلمًا ولا تفر به عن كافر. قال: فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة، فقلت:

---

(٣٠٠) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٠) من طريق على بن عبد العزيز ومحمد بن كثير قالا حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، به. وهو صحيح الإسناد.

وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٠) من طريق عمرو بن عاصم الكلابى، حدثنى عبيد الله بن الوازع بن ثور، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير بن العوام، به.

قلت: وإسناده ضعيف، آفته عبيد الله بن الوازع الكلابى، فإنه مجهول كما قال الحافظ فى «التقريب».

وأخرجه البيهقى (٩/ ١٥٥) من حديث هنيدة رجل من خزاعة مرفوعًا.

وله شواهد ذكرها الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٦/ ١٠٨- ١٠٩).

لأنظرن إليه كيف يصنع. قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه، حتى انتهى إلى نسوة فى سفح جبل معهن دفوف لهن، فيهن امرأة وهى تقول:

نحـــنُ بناتُ طــارقْ　　نمشى على النَّمارقْ[(٣٠١)]

إن تُقْبِـــلوا نُعانقْ　　أو تُـدْبِــرُوا نُفــارقْ

فراق غير وامِق[(٣٠٢)]

قال: فاهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها، ثم كف عنها. فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلا رفعك السيف على المرأة ثم لم تضربها. قال أكرمت سيف رسول اللَّه ﷺ أن أقتل به امرأة.

وروى جعفر بن عبد اللَّه بن أسلم، مولى عمر، عن معاوية بن معبد بن كعب بن مالك أن رســول اللَّه ﷺ قال حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها لمشية يبغضها اللَّه إلا فى مثل هذا الموطن.

وقال ابن إسحاق، عن الزهرى وغيره: إن رجلاً من المشركين خرج يوم أحد، فدعا إلى البراز، فأحجم الناس عنه حتى دعا ثلاثًا، وهو على جمل له، فقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على بعيره، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير جميعًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: الذى يلى حضيض الأرض مقتول. فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه. ثم إن النبى ﷺ قرب الزبير فأجلسه على فخذه وقال: إن لكل نبى حواريًا والزبير حوارى.

قال ابن إسحاق: واقتتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس، وحمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، وآخرون.

وقال زهير بن معاوية: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء يحدث، قال: جعل رسول اللَّه ﷺ على الرماة يوم أحد، وكانوا خمسين، عبد اللَّه بن جبير، وقال: إذا رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال: فهزمهم. فأنا واللَّه رأيت النساء يشتددن على الجبل قد بدت خلاخيلهن وسوقهن رافعات ثيابهن. فقال أصحاب عبد اللَّه بن جبير: الغنيمة، أى قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد اللَّه لهم: أنسيتم ما قال لكم رسول

---

(٣٠١) النمارق: الوسائد.

(٣٠٢) الوامق: المُحب.

اللَّـه ﷺ؟ فقالوا: لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة: فأتوهم فَصُرِفَت وجوههم فأقبلوا منهزمين. فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم. فلم يبق مع رسول اَللّه ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فأصابوا منا سبعين.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات. فنهاهم رسول اللَّه ﷺ أن يجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثًا. ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت يا عدو اللَّه، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك. فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون مُثْلَةً لم آمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: اعلُ هبل، اعلُ هبل.

فقال رسول اللَّه ﷺ ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: اللَّه أعلى وأجل.

ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول اللَّه ﷺ. ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: اللَّه مولانا ولا مولى لكم. أخرجه البخاري.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: فحدثني الحصين بن عبد الرحمن، عن محمود ابن عمرو بن يزيد بن السكن، أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم أحد حين غشيه القوم: من رجل يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السكن في خمسة من الأنصار، وبعض الناس يقول: هو عمارة ابن زياد بن السكن، فقاتلوا دون رسول اللَّه ﷺ، رجل ثم رجل يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زيادًا أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. ثم فاءت من المسلمين فئة فأجهضوهم عنه، فقال رسول اللَّه ﷺ: أدنوه مني. فأدنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول اللَّه ﷺ.

وتَرَّسَ دون رسول اللَّه ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو مُنْحَنٍ على رسول اللَّه ﷺ حتى كثرت فيه النبل.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، وغيره، عن أنس، أن رسول اللَّه ﷺ أفْرِد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: من يردهم عنا ولهَ الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، وتقدم آخر فقاتل حتى قتل. فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا. رواه مسلم.

وقال سليمان التيمي، عن أبي عثمان، قال: لم يبق مع رسول اللَّه ﷺ، في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة بن عبيد اللَّه وسعد، عن حديثهما. متفق عليه.

وقال قيس بن أبى حازم : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ، يعنى يوم أحد . أخرجه البخارى .

وقال عبد اللّه بن صالح : حدثنى يحيى بن أيوب ، عن عمارة بن غَزية ، عن أبى الزبير مولى حكيم بن حزام ، عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول اللّه ﷺ يومَ أحد ، فبقى معه أحد عشر رجلاً من الأنصار ، وطلحة بن عبيد اللّه ، وهو يصعد فى الجبل ، فلحقهم المشركون . فقال : ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة : أنا يا رسول اللّه . قال : كما أنت يا طلحة . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول اللّه . فقاتل عنه ، وصعد رسول اللّه ﷺ ومن معه ، ثم قُتلَ الأنصارى فلحقوه فقال : ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة مثل قوله ، وقال رسول اللّه ﷺ مَثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول اللّه ، فأذن له فقاتل ورسول اللّه ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتلَ فلحقوه . فلم يزل رسول اللّه ﷺ يقول مثل قوله ويقول طلحة : أنا فيحبسه . ويستأذنه رجل من الأنصار فيأذن له ، حتى لم يبق معه إلا طلحة ، فغشوهما ، فقال النبى ﷺ : من لهؤلاء؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله ، فقال : حس فقال رسول اللّه ﷺ : لو قلت بسم اللّه أو ذكرت اسم اللّه لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك فى جو السماء . ثم صعد رسول اللّه ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وقال عبد الوارث : حدثنا عبد العزيز ، عن أنس ، قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول اللّه ﷺ ، وأبو طلحة بين يدى رسول اللّه ﷺ يجوّب عنه بحجفة معه . وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة . وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فينثرها لأبى طلحة . ويشرف نبى اللّه ﷺ فينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : يا نبى اللّه ، بأبى أنت وأمى ، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، وأم سليم وإنهما مشمرتان أرى خدم سوقهما ، تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم .

ولقد وقع السيف من يد أبى طلحة من النعاس إما مرتين أو ثلاثة . متفق عليه .

وقال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول اللّه ﷺ حتى قُتلَ ، قَتَله ابن قميئة الليثى ، وهو يظنه رسول اللّه ﷺ . فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً .

ولما قُتلَ مصعب أعطى رسول اللّه ﷺ اللواء على بن أبى طالب ورجالاً من المسلمين .

وقال موسى بن عقبة : واستجلبت قريش من شاؤوا من مشركى العرب ، وسار أبو سفيان

في جمع قريش. ثم ذكر نحو ما تقدم، وفيه: فأصابوا وجهه، يعني النبي ﷺ وقصموا رَبَاعيته، وخرقوا شَفَته. يزعمون أن الذي رماه عُتبة بن أبي وقاص.

وعنده- يعني عند ابن عقبة- المنام، وفيه: فأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام، فإن دخلوا علينا في الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت. وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن. فأبى كثير من الناس إلا الخروج، وعامتهم لم يشهدوا بدرًا. قال: وليس مع المسلمين فرس.

وكان حامل لواء المشركين طلحة بن عثمان، أخو شيبة العبدري، وحامل لواء المسلمين رجل من المهاجرين، فقال: أنا عاصم إن شاء اللّه لما معي، فقال له طلحة بن عثمان: هل لك في المبارزة؟ فقال: نعم فبدره ذلك الرجل فضرب بالسيف على رأسه حتى وقع السيف في لحيته.

فكان قتل صاحب المشركين تصديقًا لرؤيا رسول اللّه ﷺ في قوله أراني أني مردف كبشا.

فلما صُرِعَ انتشر النبي ﷺ وأصحابه، وصاروا كتائب متفرقة، فجاسوا العدو ضربًا حتى أجهضوهم عن أثقالهم. وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات، كل ذلك تُنْضَح بالنبل فترجع مفلولة. وحمل المسلمون فنهكوهم قتلاً، فلما أبصر الرماة الخمسون أن اللّه قد فتح، قالوا: واللّه ما نجلس ها هنا لشيء. فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ﷺ أن لا يتركوها، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ﷺ، فأوجفت الخيل فيهم قتلاً، وكان عامتهم في العسكر. فلما أبصر ذلك المسلمون اجتمعوا، وصرخ صارخ: أخراكم أخراكم، قُتلَ رسول اللّه ﷺ. فَسُقطَ في أيديهم، فَقُتلَ منهم من قتل، وأكرمهم اللّه بالشهادة. وأصعَد الناس في الشعب لا يلوَون على أحد، وثَبت اللّه نبيه، وأقبل يدعو أصحابه مُصَعِّدًا في الشعب، والمشركون على طريقه، ومعه عصابة منهم طلحة بن عبيد اللّه والزبير، وجعلوا يسترونه حتى قُتلوا إلا ستة أو سبعة.

ويقال: كان كعب بن مالك أول من عرف عيني رسول اللّه ﷺ، حين فُقدَ، من وراء المغفر. فنادى بصوته الأعلى: اللّه أكبر، هذا رسول اللّه، فأشار إليه- زعَموا- رسول اللّه ﷺ أن اسكت. وجرح رسول اللّه ﷺ في وجهه وكسرت رَبَاعيته.

وكان أُبَي بن خلف قال حين افْتُدي: واللّه إن عندي لفرسًا أعلفها كل يوم فَرْقَ ذرة، ولأقتلن عليها محمدًا. فبلغ قوله رسولَ اللّه ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء اللّه. فأقبل أبي

مقنعا فى الحديد على فرسه تلك يقول: لا نجوت إن نجا محمد. فحمل على رسول اللَّه ﷺ. قال موسى: قال سعيد بن المسيب: فاعترض له رجال، فأمرهم رسول اللَّه ﷺ فخلوا طريقه، واستقبله مصعب بن عمير يقى رسول اللَّه ﷺ، فقتل مصعبًا. وأبصر رسول اللَّه ﷺ ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة والدرع، فطعنه فيها بحربته، فوقع أبى عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم.

قال سعيد: فكُسِرَ ضلع من أضلاعه، ففى ذلك نزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا: ما جزعك؟ إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول اللَّه ﷺ: بل أنا أقتل أبيًا. ثم قال: والذى نفسى بيده، لو كان هذا الذى بى بأهل المجاز لماتوا أجمعون. فمات قبل أن يقدم مكة.

وقال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير، عن أبيه، عن جده، أن الزبير قال: واللَّه لقد رأيتنى أنظر إلى خدم سوق هند وصواحباتها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب لوائهم، حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

قال ابن إسحاق: لم يزل لواؤهم صريعًا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلاذوا به.

وقال ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله- تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ أى: تقتلونهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ يعنى: إقبال من أقبل منهم على الغنيمة، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ﴾، ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢- ١٥٣]، يعنى النصر. ثم أديل للمشركين عليهم بمعصيتهم الرسول حتى حصبهم النبى ﷺ.

وروى السدى، عن عبد خير، عن عبد اللَّه، قال: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت فينا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: هُزِم المشركون يوم أحد هزيمة بينة، فصرخ إبليس: أى عباد اللَّه أخراكم، فرجعت أولاهم واجتلدوا هم وأخراهم. فنظر حذيفة فإذا هو

بأبيه اليمان، فقال: أبى، أبى، فواللَّه ما نحجزوا عنه حتى قتلوه. فقال حذيفة: غفر اللَّه لكم. قال عروة: فواللَّه ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لقى اللَّه. أخرجه البخارى.

وقال ابن عون، عن عُمَير بن إسحاق، عن سعد بن أبى وقاص، قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدى رسول اللَّه ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد اللَّه. رواه يونس بن بكير، عن ابن عون، عن عمير مرسلاً، وزاد: فعثر فَصُرِع مستلقيًا وانكشفت الدرع عن بطنه، فزرقه الحبشى العبد، فبقره.

وقال عبد العزيز بن أبى سلمة، عن عبد اللَّه بن الفضل الهاشمى، عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى، قال: خرجت مع عبيد اللَّه بن عدى بن الخيار إلى الشام. فلما أن قدمنا حمص قال لى عبيد اللَّه: هل لك فى وحشى نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشى يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك فى ظل قصره كأنه حميت. فجئنا حتى وقفنا عليه يسيرًا فسلمنا، فرد علينا السلام. وكان عبيد اللَّه معتجرًا بعمامته، ما يرى وحشى إلا عينيه ورجليه. فقال عبيد اللَّه: يا وحشى، تعرفنى؟ فنظر إليه فقال: لا واللَّه إلا أنى أعلم أن عدى بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم فثال بنت أبى العيص، فولدت غلامًا بمكة فاسترضعته، فحملتُ ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، لكأنى نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد اللَّه عن وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم. إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن الخيار ببدر. فقال لى مولاى جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر. فلما خرج الناس عن عَيْنَيْن- وعينون جبل تحت أحد، بينه وبين أحد واد- خرجتُ مع الناس إلى القتال. فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع، فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة، فقال: ياسباع يا ابن مقطعة البظور، تحُادّ اللَّه ورسوله؟ ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب. قال فمكنت لحمزة تحت صخرة حتى مر علىَّ، فرميته بحربتى فأضعها فى ثُنَّته حتى خرجت من وركه، فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجتُ إلى الطائف. قال: وأرسلوا إلى رسول اللَّه ﷺ رسلاً، وقيل: إنه لا يهيج الرسل، فخرجت معهم. فلما رآنى قال: أنت وحشى؟ قلت: نعم. قال: الذى قتل حمزة؟ قلت: نعم، قد كان الأمر الذى بلغك. قال: ما تستطيع أن تغيِّب عنى وجهك؟ قال: فرجعت. فلما توفى رسول اللَّه ﷺ وخرج مسيلمة، قلت: لأخرجن إليه لعلِّى أقتله فأكافئ به حمزة. فخرجت مع الناس وكان من أمرهم ما كان، فإذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر رأسه. قال: فأرميه بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال سليمان بن يسار: فسمعت ابن عمر يقول: قالت: جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود. أخرجه البخارى.

وقال ابن إسحاق: ذكر الزهرى، قال: كان أول من عرف رسول اللَّه ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: قُتِلَ رسول اللَّه ﷺ - كعب بن مالك. قال: عرفت عينيه تزهران من تحت الغفر، فناديت: يَا معشر المسلمين. أبشروا، هذا رسول اللَّه ﷺ. فأشار إلى أن انصت، ومعه جماعة. فلما أسند فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول: يا محمد، لا نجوت إن نجوت. . . الحديث.

وقال هاشم بن هاشم الزهرى: سمعت سعيد بن المسيب، سمع سعدًا يقول: نثل لى رسول اللَّه ﷺ كنانته يوم أحد، وقال: ارم، فداك أبى وأمى. أخرجه البخارى.

وقال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد اللَّه، عن أبيه، عن جده، عن الزبير، قال: فرأيت رسول اللَّه ﷺ قد ظاهر بين درعين يومئذ، فلم يستطع أن ينهض إليها، يعنى إلى صخرة فى الجبل، فجلس تحته طلحة بن عبيد اللَّه فنهض رسول اللَّه ﷺ حتى استوى عليها. فقال رسول اللَّه ﷺ: أوجب طلحة.

وقال حُمَيد وغيره، عن أنس، قال: غاب أنس بن النضر، عم أنس ابن مالك، عن قتال بدر، فقال: غبت عن أول قتال رسول اللَّه ﷺ المشركين، لئن اللَّه أشهدنى قتالاً ليرين اللَّه ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللَّهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعنى المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المسلمين من الهزيمة. فمشى بسيفه فلقيه سعد ابن معاذ، فقال: أى سعد، إنى لأجد ريح الجنة دون أحد، واها لريح الجنة! فقال: سعد يا رسول اللَّه فما استطعت أن أصنع كما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، فما عرفناه، حتى عرفته أخته ببنانه، فكنا نتحدث أن هذه الآية ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: ٢٣]، نزلت فيه وفى أصحابه. متفق عليه، لكن مسلم من حديث ثابت البنانى، عن أنس.

وقال محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، أن عمرو بن أُقَيْش كان له ربًا فى الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه. فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمى؟ قالوا: بأحد. فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا. قال: إنى قد آمنت. فقاتل حتى جُرِح، فحمل جريحًا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه، حمية

لقومك أو غضبا للَّه؟ قال: بل غضبًا للَّه ورسوله. فمات فدخل الجنة وما صلى صلاة. أخرجه أبو داود.

وقال حيوة بن شُرَيح المصري: حدثني أبو صخر حميد بن زياد، أن يحيى بن النضر حدثه عن أبي قتادة، قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أرأيت إن قاتلت في سبيل اللَّه حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة كان أعرج، فقال رسول اللَّه ﷺ: نعم، فَقُتِلَ يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر رسول اللَّه ﷺ فقال: كأني أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة. وأمر بهما وبمولاهما فَجُعلوا في قبر واحد.

وقال ابن عُيينة، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب قال: قال عبد اللَّه بن جحش: اللَّهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني بم ذاك، فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيب: إني لأرجو أن يبر اللَّه آخر قسمه كما أبر أوله.

وروى الزُّبير بن بكار في «الموفَقيات»، أن عبد اللَّه بن جَحْش، انقطع سيفه، قال: فأعطاه النبي ﷺ عرجونًا فصار في يده سيفًا. فكان يُسَمَّى العرجون، ولم يزل يتناول حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار. وكان عبد اللَّه من السابقين، أسلم قبل دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة هو وإخوته وشهد بدرًا.

وقال معمر، عن سعيد بن عبد الرحمن الجَحْشي: حدثنا أشياخنا أن عبد اللَّه بن جحش جاء إلى رسول اللَّه ﷺ يوم أحد وقد ذهب سيفه، فأعطاه النبي ﷺ عسيبًا من نخل، فرجع في يد عبد اللَّه سيفًا. مرسل.

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: بعثني النبي ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: إن رأيته فأقره مني السلام وقل له: يقول لك رسول اللَّه كيف تجدك؟ فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة، فقتل: إن رسول اللَّه ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول اللَّه السلام وعليك، قل له: يا رسول اللَّه أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند اللَّه إن خلص إلى رسول اللَّه ﷺ وفيكم شفر يطرف. قال: وفاضت نفسه. أخرجه البيهقي، ثم ساقه فيما بعد من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد اللَّه بن عبد الرحمن المازني، منقطعًا، فهو شاهد لما رواه خارجة.

وقال موسى بن عقبة: ثم انكفأ المشركون إلى أثقالهم، لا يدرى المسلمون ما يريدون. فقال النبى ﷺ: إن رأيتموهم ركبوا وجعلوا الأثقال تتبع آثار الخيل، فهم يريدون أن يدنوا من البيوت والآطام التى فيها الذرارى، وأقسم باللَّه لئن فعلوا لأواقعنهم فى جوفها، وإن كانوا ركبوا الأثقال وجنبوا الخيل فهم يريدون الفرار. فلما أدبروا بعث رسول اللَّه ﷺ سعد ابن أبى وقاص فى آثارهم. فلما رجع قال: رأيتهم سائرين على أثقالهم والخيل مجنوبة. قال: فطابت أنفس القوم، وانتشروا يبتغون قتلاهم. فلم يجدوا قتيلاً إلا وقد مثلوا به، إلا حنظلة بن أبى عامر، وكان أبوه مع المشركين فترك لأجله. وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلاً فدفع صدره برجله ثم قال: ذنبان أصبتَهما، قد تقدمتُ إليك فى مصرعك هذا يا دبيس، ولعمر اللَّه إن كنت لواصلاً للرحم برًا بالوالد.

ووجدوا حمزة بن عبد المطلب قد بُقِرَ بطنه وحُملَت كبده، احتملها وحشى وهو قتله، فذه بكبده إلى هند بنت عتبة فى نذر نذرته حين قتل أبَاها يوم بدر. فدُفِنَ فى نمرة كانت عليه، إذا رفعت إلى رأسه بدت قدماه، فغطوا قدمية بشىء من الشجر.

وقال الزهرى: فقال النبى ﷺ: زملوهم بدمائهم، فإنه ليس أحد يكلم فى اللَّه إلا وهو يأتى يوم القيامة وجرحه يدمى، لونه لون الدم وريحه ريح المسك.

وقال: إن المشركين لن يصيبوا منا مثلها. وقد كان أبو سفيان ناداهم حين ارتحل المشركون: إن موعدكم الموسم، موسم بدر. وهى سوق كانت تقوم ببدر كل عام. فقال رسول اللَّه ﷺ: قولوا له: نعم.

قال: ودخل النبى ﷺ المدينة، وإذا النَّوْح فى الدور. قال: ما هذا؟ قالوا: نساء الأنصار يبكين قتلاهم. وأقبلت امرأة تحمل ابنها وزوجها على بعير، قد ربطتهما بحبل ثم ركبت بينهما، وحُمِلَ قتلى، فدفنوا فى مقابر المدينة، فنهاهم عن ذلك وقال: واروهم حيث أصيبوا.

وقال لما سمع البكاء: لكنَّ حمزة لا بواكى له. واستغفر له، فسمع ذلك سعد بن معاذ وابن رواحة وغيرهما، فجمعوا كل نائحة وباكية بالمدينة، فقالوا: واللَّه لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم رسول اللَّه ﷺ، فلما سمع رسول اللَّه بالبكاء، قال: ما هذا؟ قال: فأخبر، فاستغفر لهم وقال لهم خيراً، وقال: ما هذا أردت وما أحب البكاء، ونهى عنه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن نافع الأنصارى، قال: انتهى أنس بن النضر إلى عمر، وطلحة، ورجال قد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا:

قُتلَ رسول اللَّه ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول اللَّه ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتلَ .

قال ابن إسحاق : وقد كان حنظلة بن أبى عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود . فضرب حنظلة بالسيف فقتله . وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، يعنى حنظلة ، فسألوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبته قالت : خرج وهو جنب حين سمع الهيعة . فقال النبى ﷺ : لذلك غسلته الملائكة .

وقال البكَّائى ، عن ابن إسحاق : وخَلَص العدو إلى رسول اللَّه ﷺ فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رُبَاعيته ، وشج فى وجهه ، وكُلمت شفته . وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص . فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس ، قال : كُسرَت رَبَاعية النبى ﷺ يوم أحد ، وشج فى وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فنزلت ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** (١٢٨) ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وقال عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، قال : جُرحَ رسول اللَّه ﷺ ، وكُسرت رُباعيته ، وهُشمتْ البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ تغسل الدم ، وعَلىٌّ يسكب الماء علَيه بالمجَن . فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير أحرقته ، حتى إذا صَار رماداً ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم . أخرجاه .

ورواه مسلم من حديث سعيد بن أبى هلال ، عن أبى حازم ، عن سهل ، قال : رأيت رسول اللَّه ﷺ يوم أحد أصيبت رباعيته وهشمت بيضته . وذكر باقى الحديث .

وقال معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة ، قال رسول اللَّه ﷺ : اشتد غضب اللَّه على قوم فعلوا برسول اللَّه ، وهو يشير إلى رباعيته ، اشتد غضبُ اللَّه على رجل يقتله رسول اللَّه فى سبيل اللَّه متفق عليه .

وللبخارى مثله من حديث عكرمة ، عن ابن عباس . لكن فيه : دَمَّوا وجه رسول اللَّه ، بدل ذكر رباعيته .

وقال ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد اللَّه : أخبرنى عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، قالت : كان أبو بكر إذا ذُكر يوم أحد بكى ثم قال : ذاك يوم كان كله يوم طلحة . ثم أنشأ يحدث ، قال : كنت أول من فَاء يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول

اللَّهﷺ دونه. وأراه قال: يحميه، فقلت: كن طلحة، حيث فاتنى، قلت: يكون رجلاً من قومى أحب إلىَّ، وبينى وبين المشرق رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول اللَّه ﷺ منه، وهو يخطف المشى خطفًا لا أخطفه. فإذا هو أبو عبيدة. فانتهينا إلى رسول اللَّه ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه، وقد دخل فى وجهه حلقتان من حلق المغفر. قال رسول اللَّه ﷺ: عليكما صاحبكما، يريد طلحة وقد نُزِفَ. فلم نلتفت إلى قوله، وذهبت لأنزع ذلك من وجهه. فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى. فكره أن يتناولها بيده فيؤذى النبى، فأزم عليهما بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين. ووقعت ثنيته مع الحلقة. وذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى. ففعل ما فعل فى المرة الأولى، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة. فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتمًا، فأصلحنا من شأن النبى ﷺ، ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار، فإذا بضع وسبعون، أقل أو أكثر، من بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه. فأصلحنا من شأنه.

وروى الواقدى عن ابن أبى سبرة، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبى فروة، عن أبى الحويرث، عن نافع بن جبير، قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أحدًا، فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية، ورسوله ﷺ وسطها، كل ذلك يصرف عنه. ولقد رأيت عبد اللَّه بن شهاب الزهرى يقول يومئذ: دلونى على محمد، فلا نجوت إن نجا. ورسول اللَّهﷺ إلى جنبه ما معه أحد، ثم تجاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان، فقال: واللَّه ما رأيته، أحلف باللَّه أنه منا ممنوع، خرجنا أربعة فتعاهدنا على قتله، فلم نخلص إلى ذلك.

قال الواقدى: الثبت عندنا أن الذى رمى رسول اللَّه ﷺ فى وجنتيه: ابن قَمِئَة، والذى رمى شفتيه وأصاب رباعيته: عتبة بن أبى وقاص.

وقال ابن إسحاق: حدثنى صالح بن كيسان، عمن حدثه، عن سعد بن أبى وقاص، قال: واللَّه ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص، وإن كان ما علمته لسيئ الخلق مبغضًا فى قومه، ولقد كفانى منه قول رسول اللَّه ﷺ: «**اشتد غضب اللَّه من دَمَّى وجه رسول اللَّه**».

وقال معمر، عن الزهرى، عن عثمان الجَزَرى، عن مقسم أن النبى ﷺ دعا على عتبة حين كسر رباعيته: اللَّهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرًا. فما حال عليه الحول حتى مات كافرًا إلى النار. مرسل.

ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث، قال: حدثنى عمر بن السائب، أنه بلغه أن والد

أبي سعيد الخدري، لما جرح النبي ﷺ يوم أحد، مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض، فقيل له: مجه. فقال: لا واللَّه لا أمجه أبدًا. ثم أدبر فقاتل، فقال النبي ﷺ: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**». فاستُشْهِد.

قال ابن إسحاق قال حسان بن ثابت:

إذا اللَّـه جازَى مَعْشَـرًا بفِعَالِهمْ ونَصْرِهم الرَّحمنَ ربَّ المشـارق
فأخـزاك ربي يا عُتَيْب بن مالك ولَقَّاك قبلَ الموت إحدى الصَّواعق
بَسَـطْتَ يمينًا للنَّبيّ تَعَمُّدًا فادميْتَ فاهُ، قُطِّعْـتْ بالبَوارق
فَهَلاَّ ذكرتَ اللَّـه والمنزِلَ الذي تصيرُ إليه عند إحـدى البَوائق

قال ابن إسحاق: وعن أبي سعيد الخدري، أن عتبة كسر رباعية النبي ﷺ اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد اللَّه بن شهاب شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليٌّ بيد رسول اللَّه ﷺ، ورفعه طلحة حتى استوى قائمًا. ومص مالك بن سنان، أبو أبي سعيد، الدم عن وجهه ثم ازدرده، فقال رسول اللَّه ﷺ: من مسَّ دمه دمي لم تمسه النار. منقطع.

قال البكائي: قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر، أن رسول اللَّه ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتُها، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده. وأصيبت يومئذ عين قتادة، حتى وقعت عَلى وجنته. فحدثني عاصم بن عمر أن رسول اللَّه ﷺ ردها بيده، وكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما.

وقال الواقدي: حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن عمته، عن أمها، عن المقداد بن عمرو قال: فربما رأيت رسول اللَّه ﷺ قائمًا يوم أحد يرمي عن قوسه، ويرمي بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول اللَّه ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه.

هذان الحديثان ضعيفان، وفيهما أنه رمى بالقوس.

وقال سليمان بن أحمد نزيل واسط: حدثنا محمد بن شعيب، قال: سمعت إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة، يحدث عن عياض بن عبد اللَّه بن سعد بن أبي سرح، عن أبي سعيد الخدري، عن قتادة بن النعمان، وكان أخا أبي سعيد لأمه، أن عينه ذهبت يوم أحد، فجاء بها إلى النبي ﷺ فردها، فاستقامت.

وقال يحيى الحمانى : حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن قتادة بن النعمان ، أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا النبى ﷺ فقال : لا . فدعا به فغمز حدقته براحته . فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت .

كذا قال ابن الغسيل : يوم بدر .

وقال موسى بن عقبة : إن أبا حذيفة بن اليمان ، واسمه حُسَيل بن جبير حليف للأنصار ، أصابه المسلمون ، زعموا ، فى المعركة لا يدرون من أصابه . فتصدق حذيفة بدمه على من أصابه .

قال موسى : وجميع من استشهد من المسلمين تسعة وأربعون رجلاً .

وقتل من المشركين ستة عشر رجلاً .

وقال ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، قال : حَمَل أبىُّ بن خلف على النبى ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير ، فقتل مصعبًا . وأبصر رسول اللَّه ﷺ ترقوة أبىٍّ فطعنه بحربته فوقع عن فرسه ، ولم يخرج منها دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور .

وروى نحوه الزهرى ، عن ابن المسيب .

وذكره الواقدى ، عن يونس بن محمد ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد اللَّه بن كعب بن مالك ، عن أبيه .

قال الواقدى : وكان ابن عمر يقول : مات أبَى ببطن رابغ ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذا نار تأجج لى فهبتُها ، فإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يصيح : العطش . ورجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول اللَّه ﷺ ، هذا أبى بن خلف .

وقال عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : ما نُصرَ النبى ﷺ فى موطن كما نصر يوم أحد . فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس : بينى وبين من أنكر ذلك كتاب اللَّه ، إن اللَّه- تعالى- يقول فى يوم أحد : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾ والحس : القتل ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ** ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٢] ، وإنما عنى بهذا الرماة . وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع . وقال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . فلما غنم رسول اللَّه ﷺ وانكفأ عسكر المشركين ، نزلت

الرماة فدخلوا فى العسكر ينتهبون، وقد التفَّت صفوف أصحاب رسول اللَّه ﷺ فهم هكذا، وشبك أصابعه، والتبسوا. فلما خَلّى الرماة تلك الخَلَة التى كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبى ﷺ، فضرب بعضهم بعضًا، والتبسوا. وقتل من المسلمين ناس كثير. وقد كان لرسول اللَّه ﷺ وأصحابه أول النهار، حتى قُتِلَ من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، وصاح الشيطان: قُتِلَ محمد. فلم يشك فيه أنه حق. وساق الحديث.

وقال سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: كنت ممن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفى من يدى مرارًا. أخرجه البخارى.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: رفعت رأسى يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم أحد إلا وهو يميد تحت حَجَفته من النعاس. فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

وقال يحيى بن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير، قال: واللَّه لكأنى أسمع قول مُعَتِّب بن قُشَير، وإن النعاس ليغشانى ما أسمعها منه إلا كالحلم، وهو يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وروى الزهرى، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن أبيه، عن أبيه، قال: ألقى علينا النوم يوم أحد.

وقال ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر، والزهرى وجماعة، قالوا: كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر اللَّه به المؤمنين، ومحق به المنافقين ممن كان يظهر إسلامه بلسانه، ويوم أكرم اللَّه فيه بالشهادة غير واحد، وكان مما نزل من القرآن فى يوم أحد ستون آية من آل عمران.

وقال المدائنى، عن سَلاَّم بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كانت راية رسول اللَّه ﷺ يوم أحد مرْطًا أسود كان العائشة، وراية الأنصار يقال لها العُقَاب، وعلى الميمنة علىٌّ، وعلى الميسرة المُنذر بن عمرو الساعدى، والزبير بن العوام على الرجال، ويقال المقداد بن عمرو، وحمزة بن عبد المطلب على القلب.

ولواء قريش مع طلحة بن أبى طلحة فقتله علىٌّ- رضى اللَّه عنه- فأخذ اللواء سعد بن أبى طلحة فقتله سعد بن مالك، فأخذه عثمان بن أبى طلحة، فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، فأخذه الجُلاس بن طلحة، فقتله ابن أبى الأقلح أيضًا، ثم كلاب والحارث ابنا

طلحة، فقتلهما قُزْمَان حليف بنى ظفر، وأرطاة بن عبد شرحبيل العبدرى قتله مصعب بن عمير، وأخذه أبو يزيد بن عمير العبدرى، وقيل عبد حبشى لبنى عبد الدار، قتله قُزْمان.

قال ابن إسحاق: وبقى اللواء ما يأخذه أحد، وكانت الهزيمة على قريش.

وقال مروان بن معاوية الفَزَارى: حدثنا عبد الواحد بن أيمن، قال: حدثنا عبيد بن رفاعة الزرقى، عن أبيه، قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول اللّه ﷺ: استووا حتى أثنى على ربى. فصاروا خلفه صفوفًا فقال: **«اللّهم لك الحمد كله، اللّهم لا قابض لما بسطت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت. اللّهم ابسط علينا من بركاتك، أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول. اللّهم عائذاً بك من سوء ما أعطيتنا وشر ما منعت منا، اللّهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللّهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللّهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللّهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق»**.

هذا حديث غريب منكر، رواه البخارى فى الأدب، عن على بن المدينى، عن مروان.

■ عدد الشهداء:

قد مر أن البخارى أخرج من حديث البراء، أن المشركين أصابوا منا سبعين.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: يا رب السبعين من الأنصار، سبعين يوم أحد، وسبعين يوم بئر معونة، وسبعين يوم مؤتة، وسبعين يوم اليمامة.

وقال عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، قال: قُتلَ من الأنصار فى ثلاثة مواطن سبعون سبعون: يوم أحد، ويوم اليمامة، ويوم جسر أبى عبيدَ.

وقال ابن جريج: أخبرنى عمر بن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله- تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، قال: قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين.

وأما ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة، فقال: جميع من قتل مع رسول اللّه ﷺ يوم أحد، من قريش والأنصار: أربعة، أو قال: سبعة وأربعون رجلاً. وجميع من قتل يوم أحد، يعنى من المشركين تسعة عشر رجلاً.

وقال موسى بن عقبة : جميع من استشهد من المسلمين ، من قريش والأنصار سبعة وأربعون رجلاً .

وقال ابن إسحاق : جميع من استُشْهد من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار ، يوم أحد ، خمسةٌ وستون رجلاً . وجميع قتلى المشركين اثنان وعشرون .

قلت : قول من قال سبعين أصح . ويحمل قول أصحاب المغازى هذا على عدد من عرف اسمه من الشهداء ، فإنهم عدوا أسماء الشهداء بأنسابهم .

قال ابن إسحاق : استشهد من المهاجرين :

حمزة ، وعبد اللَّه بن جحش بن رئاب الأسدى ، حليف بنى عبد شمس ، وهو ابن عمة رسول اللَّه ﷺ ، وقد دُفِنَ مع حمزة فى قبر واحد ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن عثمان ، ولقبه شماس ، وهو عثمان بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم القرشى المخزومى ، ابن أخت عتبة بن ربيعة ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ، ولقب شماسًا لملاحته .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان الأوسى ، أخو سعد ، وابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ ، والحارث بن أنيس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسلمة ، وعمرو ، ابنا ثابت بن وقش ، وعمهما : رفاعة بن وقش ، وصيفى بن قيظى ، وأخوه : حباب ، وعباد ابن سهل ، وعبيد بن التيهان ، وحبيب بن زيد ، وإياس بن أوس ، الأشهليون ، واليمان أبو حذيفة ، حليف لهم ، ويزيد بن حاطب بن أمية الظفرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن قيس ، وغسيل الملائكة حنظلة بن أبى عامر الراهب ، ومالك بن أمية ؛ وعوف بن عمرو ، وأبو حية ابن عمرو بن ثابت ، وعبد اللَّه بن جبير بن النعمان ، أمير الرماة ، وأنس بن قتادة ، وخيثمة والد سعد بن خيثمة ، وحليفه : عبد اللَّه بن سلمة العجلانى ، وسُبيع بن حاطب بن الحارث ، وحليفه : مالك بن أوس ، وعمير بن عدى الخطمى . وكلهم من الأوس .

واستشهد من الخزرج : عمرو بن قيس النجارى ، وابنه : قيس ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن علقمة ، وعمرو بن مطرف ، وإياس بن عدى ، وأوس ، أخو حسان بن ثابت ، وهو والد شداد بن أوس ، وأنس بن النضر بن ضمضم ، وقيس ابن مخلد ، وعشرتهم من بنى النجار ، وعبد لهم اسمه : كيسان ، وسليم بن الحارث ، ونعمان ابن عبد عمرو ، وهما من بنى دينار بن الحارث .

ومن بنى الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبى زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو ابن أبى زهير، وأوس بن أرقم بن زيد، أخو زيد بن أرقم.

ومن بنى خُدْرة: مالك بن سنان، وسعيد بن سويد، وعتبة بن ربيع.

ومن بنى ساعدة: ثعلبة بن سعد بن مالك، وثقف بن فروة، وعبد الله بن عمرو بن وهب، وضمرة، حليف لهم من جُهَينة.

ومن بنى عوف بن الخزرج، ثم من بنى سالم: عمرو بن إياس، ونوفل بن عبد الله، وعُبادة بن الحسحاس، والعباس بن عبادة بن نضلة، والنعمان بن مالك، والمجذر بن ذياد البلوى، حليف لهم.

ومن بنى الحُبْلَى: رفاعة بن عمرو.

ومن بنى سواد بن مالك: مالك بن إياس.

ومن بنى سلمة: عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وكانا متواخيين وصهرين، فدُفنا فى قبر واحد، وخلاد بن عمرو بن الجموح، ومولاه أسير، أبو أيمن، مولى عمرو.

ومن بنى سواد بن غُنْم: سليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهيل بن قيس.

ومن بنى زُرَيق: ذكوان بن عبد قيس، وعبيد بن المُعَلَّى بن لوذان.

قال ابن إسحاق: وزعم عاصم بن عمر بن قتادة أن ثابت بن وقش قتل يومئذ مع ابنيه.

وذكر الواقدى جماعة قُتلوا سوى من ذكرنا.

وقال البكائى: قال ابن إسحاق، عن محمود بن لبيد، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رُفِعَ حُسَيل بن جابر - والد حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه - وهما شيخان كبيران: «لا أبالك، ما ننتظر؟ فوالله ما بقى لواحد نا من عمره إلا ظمء حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد. أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة مع رسوله؟ فخرجا حتى دخلا فى الناس، ولم يعلم بهما. فأما ثابت فقتله المشركون، وأما حسيل فقتله المسلمون ولا يعرفونه.

قال: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجل أتى لا يُدْرَى ممن هو، يقال له قُزْمان، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر له: إنه لمن أهل النار. فلما كان يوم أحد قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بنى ظفر،

فجعلوا يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ والله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك لما قاتلت. فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهمًا فقتل به نفسه.

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتلَ يومئذ مُخَيْريق، وكان أحد بني ثعلبة بن العيطون، قال لما كان يوم أحد: يا معشر يهود، واللَّه لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت. فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول اللَّه ﷺ فقاتل معه حتى قتل. فقال رسول اللَّه ﷺ فيما بلغنا: مخيريق خير يهود.

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معن يمثلن بالقتلى. يجدعن الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خَدَمًا، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها:

نحنُ جَزَيْناكم بيومِ بدر والحرب بعد الحربِ ذاتُ سعْرِ
ما كان عن عتبة لي من صبْر ولا أخي، وعمّه وبكري
شفيتُ صدري وقضيتُ نذْري شفَيْتَ وَحْشيُّ غليلَ صدْري

وقتل من المشركين - على ما ذكر ابن إسحاق - أحد عشر رجلاً من بني عبد الدار، وهم:

طلحة، وأبو سعيد، وعثمان: بنو أبي طلحة عبد اللَّه بن عبد العزى. ومولاهم: صؤاب، وبنو طلحة المذكور: مسافع، والحارث، والجُلاس، وكلاب، وأبو زيد بن عمير أخو مصعب بن عمير، وابن عمه: أرطاة بن شرحبيل بن هاشم، وابن عمهم: قاسط بن شريح.

ومن بني أسد: عبد اللَّه بن حُمَيد بن زهير الأسدي، وسباع بن عبد العزى الخزاعي حليف بني أسد.

وأربعة من بني مخزوم: أخو أم سلمة: هشام بن أبي أمية بن المغيرة، والوليد بن العاص ابن هشام بن المغيرة، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وحليفهم خالد بن الأعلم.

ومن بني زهرة: أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، حليف لهم.

ومن بني جمح: أبي بن خلف، وأبو عزة عمرو بن عبد اللَّه بن عمير، أمر رسول اللَّه ﷺ بضرب عنقه صبرًا، وذلك أنه أسر يوم بدر، وأطلقه النبي ﷺ بلا فداء لفقره، وأخذ

عليه أن لا يعين عليه، فنقض العهد وأسر يوم أحد، فقال رسول اللَّه ﷺ: واللَّه لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدًا مرتين. وأمر به فضربت عنقُه. وقيل لم يؤسر سواه.

ومن بنى عامر بن لؤى: عبيد بن جابر، وشيبة بن مالك.

وقال سليمان بن بلال، عن عبد الأعلى بن عبد اللَّه بن أبى فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبى هريرة، ورواه حاتم بن إسماعيل، عن عبد الأعلى- فأرسله مرة وأسنده مرة- عن أبى ذر عوض أبى هريرة، أن النبى ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول- على طريقه- فوقف عليه ودعا له، ثم قرأ: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ثم قال: «**أشهد أن هؤلاء شهداء عند اللَّه يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام**».

وقال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، وحدثنيه بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب، قال: لما رأى رسول اللَّه ﷺ ما بحمزة من المثل- جدع أنفه ولعب به- قال: «**لولا أن تجزع صفية وتكون سُنَّةً من بعدى ما غُيِّبَ حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير**».

وحدثنى بريدة، عن محمد بن كعب، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم. فلما رأى أصحاب رسول اللَّه ﷺ ما به من الجزع قالوا: لئن ظفرنا بهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد، فأنزل اللَّه- تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة. فعفا رسول اللَّه ﷺ.

وروى ابن إسحاق، عن شيوخه الذين روى عنهم قصة أحد، أن صفية أقبلت لتنظر إلى حمزة- وهو أخوها لأبويها- فقال رسول اللَّه ﷺ لابنها الزبير: إلقها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها. فلقيها فقال: أى أمه، إن رسول اللَّه ﷺ يأمرك أن ترجعى. قالت: ولم؟ فقد بلغنى أنه مثل بأخى، وذلك فى اللَّه، فما أرضانا بما كان من ذلك، فلأحتسبن ولأصبرن إن شاء اللَّه. فجاء الزبير فأخبره قولها، قال: فخل سبيلها. فأتته، فنظرت إليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به فَدُفِنَ.

وقال أبو بكر بن عياش، عن يزيد بن أبى زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: لما قُتِلَ حمزة أقبلت صفية، فلقيت عليًا والزبير، فأرياها أنهما لا يدريان. فجاءت النبى ﷺ فقالَ: فإنى أخاف على عقلها. فوضع يده على صدرها ودعا لها، فاسترجعت وبكت. ثم جاء فقام

عليه وقد مُثِّل به فقال: «**لولا جزع النساء لتركته حتى يُحْشَرَ من حواصل الطير وبطون السباع**». ثم أمر بالقتلى فجعل يصلى عليهم سبع تكبيرات، ويرفعون ويترك حمزة، ثم يجاء بسبعة فيكبر عليهم سبعا، حتى فرغ منهم.

وحديث جابر أن النبى ﷺ لم يصل عليهم أصح.

وفى الصحيحين من حديث عقبة بن عامر أن النبى ﷺ صلى على قتلى أحد صلاته على الميت. فاللَّه أعلم.

عثمان بن عمر، وروح بن عبادة، بإسناد الحاكم فى «المستدرك» إليهما: حدثنا أسامة بن زيد، عن الزهرى، عن أنس، قال: لما كان يوم أحد، مر رسول اللَّه ﷺ بحمزة وقد جُدِعَ ومثل به، فقال: لولا أن تجد صفيةُ تركته حتى يحشره اللَّه من بطون الطير والسباع. فكفنه فى نمرة، ولم يصل على أحد من الشهداء غيره... الحديث.

وقال يحيى الحمانى: حدثنا قيس - هو ابن الربيع - عن ابن أبى ليلى - عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال رسول اللَّه ﷺ يوم قتل حمزة ومثل به: «**لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين منهم**» فنزلت: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾ الآية النحل: ١٢٦]، فقال رسول اللَّه ﷺ: بل نصبر يا رب. إسناده ضعيف من قبل قيس.

وقد روى نحوه حجاج بن منهال، وغيره، عن صالح المرى - وهو ضعيف - عن سليمان التيمى، عن أبى عثمان النهدى، عن أبى هريرة، وزاد: فنظر إلى منظر لم ينظر إلى شىء قط أوجع لقلبه منه.

أخبرنا محد بن محمد بن صاعد القاضى، قال: حدثنا الحسن بن أحمد الزاهد ببيت المقدس سنة تسع وعشرين وست مائة، قال: أخبرنا أحمد بن محمد السلفى، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن على، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد اللَّه بن جعفر الفارسى، قال: حدثنا يعقوب الفسوى، قال: حدثنا عبد اللَّه بن عثمان، قال: حدثنا عيسى بن عبيد الكندى، قال: حدثنى ربيع بن أنس، قال: حدثنى أبو العالية، عن أبى بن كعب أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة، منهم حمزة، فمثلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا من الدهر لَنُرْبِيَنَّ عليهم.

فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، مرتين، فأنزل اللَّه على نبيه ﷺ: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾ الآية [النحل: ١٢٦]، فقال النبى ﷺ: كُفُّوا عن القوم.

وقال يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: جاءت صفية يوم أحد ومعها ثوبان لحمزة، فلما رآها رسول اللَّه ﷺ كره أن ترى حمزة على حاله، فبعث إليها الزبير يحبسها وأخذ الثوبين. وكان إلى جنب حمزة قتيل من الأنصار، فكرهوا أن يتخيروا لحمزة، فقال: أسهموا بينهما، فأيهما طار له أجود الثوبين فهو له. فأسهموا بينهما، فكُفِّنَ حمزة فى ثوب والأنصارى فى ثوب.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى الزهرى، عن عبد اللَّه بن ثعلبة بن صعير، قال: لما أشرف رسول اللَّه ﷺ على قتلى أحد، قال: أنا الشهيد على هؤلاء، ما من جريح يجرح فى اللَّه إلا بُعثَ يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك، انظروا أكثرهم جمعًا للقرآن فاجعلوه أمام صاحبه فى القبر. فكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر.

قال ابن إسحاق: وحدثنى والدى، عن رجال من بنى سلمة، أن رسول اللَّه ﷺ قال حين أصيب عمرو بن الجموح، وعبد اللَّه بن عمرو بن حرام: اجمعوا بينهما، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا. قال أبى: فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التى مرت على قبور الشهداء، استُصْرِخنا عليهم وقد انفجرت عليهما فى قبرهما، فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غُطِّى بهماَ وجوههما، وعلى أقدامهما شىء من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنيان كأنما دفنا بالأمس.

وهذا هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم الأنصارى السلمى، سيد بنى سلمة. قال ابن سعد وغيره: شهد بدرًا. وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح هو الذى قطع رجل أبى جهل، وقضى النبى ﷺ بسلبه لمعاذ. وكان عمرو بن الجموح زوج أخت عبد اللَّه بن عمرو بن حرام.

ثابت البنانى، عن عكرمة، قال: كان مناف فى بيت عمرو بن الجموح، فلما قدم مصعب ابن عمير المدينة، بعث إليهم عمرو: ما هذا الذى جئتمونا به؟ قالوا: إن شئت جئنا وأسمعناك، فواعدهم فجاؤوا فقرأ عليه: ﴿**الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ①﴾ [يوسف: ١]، فقرأ ما شاء اللَّه أن يقرأ، فقال: إن لنا مؤامرة فى قومنا- وكان سيد بنى سلمة- فخرجوا، فدخل على مناف، فقال: يا مناف، تعلم واللَّه ما يريد القوم غيرك، فهل عندك من نكير؟ قال: فقلده سيفًا، وخرج فقام أهله فأخذوا السيف، فجاء فوجدهم أخذوا السيف، فقال: يا مناف أين السيف ويحك، إن العنز لتمنع استها، واللَّه ما أرى فى أبى جعار غدًا من خير. ثم قال لهم: إنى ذاهب إلى مالى فاستوصوا بمناف خيرًا. فذهب فكسروا مناف وربطوه

مع كلب ميت. فلما جاء رأى مناف، فبعث إلى قومه فجاؤوه، فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى، أنت سيدنا، قال: فإني أشهدكم أني قد آمنت بمحمد. فلما كان يوم أحد قال النبي ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» فقام وهو أعرج، فقاتل حتى قتل.

أبو صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: نعم الرجل عمرو بن الجموح.

وروى محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، وروى فطر بن خليفة، عن حبيب بن أبي ثابت وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: يا بني سلمة من سيدكم؟ قالوا: الجد بن قيس، وإنا لنبخله، قال: وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح.

وقد قال الواقدي: لم يشهد بدرًا، ولما أراد الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا: قد عذرك اللَّه وبك عرج، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: أما أنت فقد عذرك اللَّه. وقال لبنيه: لا تمنعوه لعل اللَّه يرزقه الشهادة. فخرج فاستُشْهِد هو وابنه خَلاَّد.

إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى، أن عمرو بن الجموح قال لبنيه: منعتموني الجنة يوم بدر، واللَّه لئن بقيت لأدخلن الجنة. فكان يوم أحد في الرعيل الأول.

وقال حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: استصرخنا إلى قتلانا يوم أحد، وذلك حين أجرى معاوية العين، فأتيناهم فأخرجناهم تتثنى أطرافهم رِطَابًا، على رأس أربعين سنة. قال حماد: وزادني صاحب لي في الحديث: فأصاب قدم حمزة فانثَعَبَ دمًا.

وقال ابن عيينة، عن الأسود، عن نُبَيح العَنَزِي، عن جابر، أن رسول اللَّه ﷺ أمر بقتلى أحد أن يردوا إلى مصارعهم.

وقال أبو عوانة: حدثنا الأسود بن قيس، عن نُبَيح العنزي، عن جابر، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ، إلى المشركين لقتالهم، فقال لي أبي: ما عليك أن تكون في النظارة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فواللَّه لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي. فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة، لتدفنهما في مقابرنا، فجاء رجل ينادي: ألا إن رسول اللَّه ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها. فبينما أنا في خلافة معاوية، إذ جاءني رجل فقال: يا جابر، قد واللَّه أثار أباك عمال معاوية فبدت طائفة منه. قال: فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته، لم يتغير منه شيء إلا ما لم يَدَع القتيل، فواريته.

وقال حسين المعلم، عن عطاء عن جابر، قال: لما حضر أحد قال أبى: ما أرانى إلا مقتولاً، وإنى لا أترك بعدى أعز علىَّ منك غير نفس رسول اللَّه ﷺ، وإن على دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا. فأصبحنا فكان أول قتيل، فدفنت معه آخر فى قبر، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّة غير أذنه. أخرجه البخارى.

وقال الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر، أن رسول اللَّه ﷺ، كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب، ثم يقول: أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه فى اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا. أخرجه البخارى عن قتيبة، عن الليث، عنه.

وقال أيوب، عن حميد بن هلال، عن هشام بن عامر، قال: قالوا يوم أحد: يا رسول اللَّه قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر؟ قال: احفروا وأوسعوا وأعمقوا واجعلوا الاثنين والثلاثة فى القبر، وقدموا أكثرهم قرآنًا.

ومنهم من يقول: حميد بن هلال، عن سعيد بن هشام بن عامر، عن أبيه.

وقال شعبة، عن ابن المنكدر: سمعت جابرًا يقول: لما قُتِلَ أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عنه، وجعل أصحاب النبى ﷺ ينهونى، ورسول اللَّه ﷺ لا ينهانى، وقال: لا تبكيه، أو ما تبكيه، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه. أخرجاه.

وأخرج البخارى من حديث جابر أن رسول اللَّه ﷺ أمر بدفن قتلى أحد فى دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم. وكان يجمع بين الرجلين فى الثوب الواحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه فى اللحد.

وقال على بن المدينى: حدثنا موسى بن إبراهيم الأنصارى، سمع طلحة بن خراش، قال: سمعت جابر بن عبد اللَّه، قال: نظر إلىَّ رسول اللَّه ﷺ، فقال: ما لى أراك مهتمًا؟ قلت: يا رسول اللَّه قتل أبى وترك دينًا وعيالاً، فقال: ألا أخبرك؟ ما كلم اللَّه أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا، فقال له: يا عبدى سلنى أعطك، فقال: أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيًا، فقال: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون، قال يا رب فأبلغ من ورائى، فأنزل اللَّه- عز وجل-: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩].

ويروى نحوه عن عروة، عن عائشة.

وكان أبو جابر من سادة الأنصار شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وهو عبد اللَّه ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة. وأمه الرباب بنت قيس من بنى سلمة. شهد معه العقبة ولده جابر.

وقال إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: أتىَ ابن عوف بطعام فقال: قُتلَ مصعب بن عمير- وكان خيرًا منى- فلم يوجد له إلا بردة يكَفن فيها، ما أظننا إلا قد عجلَت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا. أخرجه البخارى.

وقال الأعمش، عن أبى وائل، عن خبَّاب، قال: هاجرنا مع رسول اللَّه ﷺ نبتغى وجه اللَّه، فوجب أجرنا على اللَّه، فمنا من ذهب لم يأكل من أجره، وكان منهم مصعب بن عمير، قُتلَ يوم أحد، ولم يكن له إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرَج رأسه، فقال رسول اللَّه ﷺ: غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذْخِر. ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبُها. متفق عليه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى عبد الواحد بن أبى عون، عن إسماعيل بن محمد ابن سعد بن أبى وقاص، قال: كات امرأة من الأنصار من بنى دينار قد أصيب زوجها وأخوها يوم أحد. فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ قالوا: خيرًا، يا أم فلان. فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشاروا لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل؛ أى: هين. ويكون فى غير ذا بمعنى عظيم.

وعن أبى برزة أن جُلَيبيبًا كان من الأنصار، فقال النبى ﷺ ذات يوم لرجل: «**زوجنى ابنتك**». قال: نعم ونعَمة عين. قال: «**لست أريده لنفسى**». قال: فلمن؟ قال: «**لجليبيب**». قال: حتى أستأمر أمها. فأتاها فأجابت: لرسول اللَّه ﷺ؟ قال: إنما يريد ابنتك لجليبيب. قالت: أجليبيب؟ لا لعمر اللَّه لا أزوجه. فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبنى؟ قالا: رسول اللَّه. قالت: أفتردون عليه أمره؟ ادفعونى إلى رسول اللَّه ﷺ فإنه لن يضيعنى. فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال: شأنك بها. فزوجها جليبيبًا، ودعا لهما. فبينما رسول اللَّه ﷺ فى مغزى له قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا. قال: لكنى أفقد جليبيبًا، فاطلبوه. فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه. فقال رسول اللَّه ﷺ: هذا منى وأنا منه قتل سبعة ثم قتلوه. فوضعوه على ساعديه ثم حفروا له، ماله سرير إلا ساعدا رسول اللَّه ﷺ حتى وضعه فى قبره. قال ثابت البنانى: فما فى الأنصار أنفق منها.

أخرجه مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن كنانة بن نعيم، عن أبى برزة.

وقال الأعمش، عن عبد اللَّه بن مرة، عن مسروق: سألنا عبد اللَّه بن مسعود عن قوله- تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش. قال: فبينما هم كذلك إذ اطَّلع عليهم ربك اطِّلاعةً فقال: سلونى ما شئتم. فقالوا: يا ربنا وما نسألك، ونحن نسرح فى الجنة فى أيها شئنا؟ فلما رأوا أن لا يتركوا من أن يسألوا قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا فى الدنيا فنقتل فى سبيلك. فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا، تُرِكُوا. أخرجه مسلم.

وقال عبد اللَّه بن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبى الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال النبى ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل اللَّه أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق، لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد. قال اللَّه- تعالى: «**أنا أبلغهم عنكم**»، فأنْزِلَت: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر ابن عبد اللَّه، عن أبيه: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: إذا ذُكِرَ أصحاب أحد: أما واللَّه لوددت أنى غودرت مع أصحاب نُحْصِ الجبل يقول: قُتِلْتُ معهم.

وقال الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن عقبة بن عامر، أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إنى فرطكم وأنا شهيد عليكم (٣٠٣). الحديث أخرجه البخارى.

وروى العطاف بن خالد: حدثنى عبد الأعلى بن عبد اللَّه بن أبى فروة، عن أبيه؛ أن النبى ﷺ زار قبور الشهداء بأحد.

---

(٣٠٣) صحيح :أخرجه أحمد (٤/ ١٤٩ و ١٥٣- ١٥٤)، والبخارى (١٣٤٤) و(٣٥٩٦) و(٤٠٨٥) و(٦٤٢٦) و(٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦)، وأبو داود (٣٢٢٣)، والنسائى (٤/ ٦١- ٦٢)، والطحاوى (١/ ٥٠٤)، والبيهقى (٤/ ١٤)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٧٦٧)، والبغوى (٣٨٢٣) من طرق عن الليث بن سعد، به.

وروى عبد العزيز بن عمران بن موسى: عن عَبَّاد بن أبى صالح، عن أبيه عن أبى هريرة قال: كان رسول اللَّه ﷺ يأتى قبور الشهداء، فإذا أتى فُرْضَةَ الشِّعب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وكان يفعله أبو بكر ثم عمر بعده ثم عثمان.

وذكر نحو هذا الحديث الواقدى فى «مغازيه» بلا سند.

وقال أبو حسان الزيادى: ومات فى شوال يوم جمعة عمرو بن مالك الأنصارى أحد بنى النجار، فخرج رسول اللَّه ﷺ إلى أحد فصلى عليه فى موضع الجَبَّان. وكان أول من فُعِلَ به ذلك.

■ **غزوة حمراء الأسد:**

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد من يوم الأحد يعنى صبيحة وقعة أحد؛ أذَّن مؤذن رسول اللَّه ﷺ فى الناس لطلب العدو، وأذن مؤذنه: لا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس. وإنما خرج رسول اللَّه ﷺ مرهبًا للعدو ليبلغهم أنه قد خرج فى أثرهم وليظنوا به قوة.

وقال ابن لهيعة: حدثنا أبو الأسود، عن عروة، قال: قدم رجل فاستخبره النبى ﷺ عن أبى سفيان، فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون، يقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكة القوم وحدهم، ثم تركتموهم ولم تبيدوهم، وقد بقى منهم رؤوس يجمعون لكم. فأمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه- وبهم أشد القرح- بطلب العدو، ليسمعوا بذلك. وقال: لا ينطلقن معى إلا من شهد القتال. فقال عبد اللَّه بن أبى: أركب معك؟ قال: لا. فاستجابوا للَّه والرسول على ما بهم من البلاء. فانطلقوا، فطلبهم النبى ﷺ حتى بلغ حمراء الأسد.

وقال ابن إسحاق: حدثنى عبد اللَّه بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان؛ أن رجلاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من بنى عبد الأشهل قال: شهدت أحدًا مع رسول اللَّه ﷺ أنا وأخ لى، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول اللَّه ﷺ بالخروج فى طلب العدو، قلت لأخى، فقال لى: تفوتنا غزوة مع رسول اللَّه ﷺ؟ وواللَّه ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح. فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ، وكنت أيسر جراحة منه، فكان إذا غُلبَ حملته عُقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. فخرج رسول اللَّه ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاث ثم رجع.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: يا ابن أختى كان أبواك تعنى- الزبير وأبا بكر- من الذين استجابوا للَّه والرسول من بعد ما أصابهم القرح. قال: لما انصرف المشركون من أحد وأصاب النبى ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا فقال: من ينتدب لهؤلاء فى آثارهم حتى يعلموا أن بنا قوة؟ قال: فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين خرجوا فى آثار القوم، فسمعوا بهم. وانقلبوا بنعمة من اللَّه وفضل لم يمسسهم سوء. قال: لم يلقوا عدوًا(٣٠٤). أخرجاه.

وقال ابن إسحاق: حدثنى عبد اللَّه بن أبى بكر بن حزم أن معبدًا الخزاعى مر برسول اللَّه ﷺ وهو بحمراء الأسد. وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول اللَّه ﷺ، صَفْوُهم معه لا يخفون عليه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، واللَّه لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن اللَّه عافاك فيهم. ثم خرج حتى لقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرَّجْعة وقالوا: أصبنا حد أصحاب محمد وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكوَّن على بقيتهم فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال: ما وراءك؟ قال: محمد قد خرج فى طلبكم فى جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما تقول؟ قال: واللَّه ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل. قال: فواللَّه لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم. قال: فإنى أنهاك ذاك، واللَّه لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا. قال: وما قلت؟ قال:

كادَتْ تُهَدُّ من الأصوات رَاحلتى ... إذ سالَت الأرض بالجُرْد الأبابيل(٣٠٥)
تَرْدى بأسْد كرام لا تَنابلَة ... عند اللقاء، ولا ميل مَعازيل(٣٠٦)
فَظَلْت عَدْوًا أظنُّ الأرضَ مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيس غير مخذول
فقلتُ: ويلَ ابنِ حرب من لقائكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَت(٣٠٧) البَطْحاءُ بالجيل(٣٠٨)

---

(٣٠٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٧٧) حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية، عن هشام، به.

(٣٠٥) الجُرْد: من الخيل والدَّوابِّ كلّها: القصير الشَّعر. وفرس أجرد: قصير شعر.
والأبابيل: الجماعات.

(٣٠٦) المعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٣٠٧) تَغَطْمَطَت: التغطط هو الصوت مع بَحَح.

(٣٠٨) الجيل: كل صنف من الناس.

إنى نذرتُ لأهـــلِ البَسْلِ ضاحيةً لكـــلِّ ذى إرْبة منهـــم ومَعْقُول(٣٠٩)

من جَيْشِ أحمَــدَ، لا وَخْشٍ تَنَابلة وليـــسَ يُوصفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيَل(٣١٠)

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومر ركب من عبد القيس، فقال أبو سفيان: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، لنمتار، فقال: أما أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة، وأحمل لكم على إبلكم هذه زبيبًا بعكاظ غدًا إذا وافيتموه؟ قالوا: نعم. قال: إذا جئتم محمدًا فأخبروه أنا قد أجمعنا الرجعة إلى أصحابه لنستأصلهم. فلما مر الركب برسول اللَّه ﷺ وهو بحمراء الأسد أخبروه. فقال هو والمسلمون: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل. فأنزلت: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾ الآيات[آل عمران: ١٧٣].

وقال البكائى: قال ابن إسحاق: وكان عبد اللَّه بن أبى بن سلول، كما حدثنى الزهرى، له مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرفًا له في نفسه وفي قومه. فكان إذا جلس رسول اللَّه ﷺ يوم الجمعة يخطب قام فقال: أيها الناس هذا رسول اللَّه ﷺ بين أظهركم أكرمكم اللَّه به وأعزكم به، فعزروه وانصروه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل كفعله، فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أى عدو اللَّه، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس ويقول: واللَّه لكأنى قلت هُجْرًا أن قمت أشد أمره: فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: مالك؟ ويلك! قال: قمت أشد أمره فوثب علىَّ رجال من أصحابه يجبذوننى ويعنفوننى، لكأنما قلت هُجْرًا. قال: ويلك ارجع يستغفر لك رسول اللَّه ﷺ. قال: واللَّه ما أبغى أن يستغفر لى.

فائدة: قال الواقدى: حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه. وحدثنا سعيد بن محمد بن أبى زيد، قال: حدثنا يحيى بن عبد العزيز بن سعيد، قالوا: كان سويد بن الصامت قد قتل ذيادًا، فقتله به المجذَّر بن ذياد، فهيج بقتله وقعة بعاث. فلما قدم النبى ﷺ المدينة أسلم المجذر، والحارث بن سويد بن الصامت، فشهدا بدرًا. فجعل الحارث يطلب مجذَّرًا ليقتله بأبيه. فلما كان يوم أحد أتاه من خلفه فقتله.

---

(٣٠٩) أهل البَسْل: البَسْل ثمانية أشهر حُرُم كانت لقومٍ لهم صيتٌ وذِكْر فى غطفان وقيس. والمقصود أهل غطفان وقيس أو أهل مكة.

والضاحية: البارزة للشمس. وذى الإربة: الإرْبة والأربةُ: الدَّهاء والبصر بالأمور، وهو من العقل.

(٣١٠) الوَخْشُ: رذالة الناس وصغارهم وغيرهم.

والتنابلة: قال ابن سيدة: التِّنْبال والتِّنْبَل والتِّنْبالة الرجل القصير.

فلما رجع النبى ﷺ من حمراء الأسد أتاه جبريل فأخبره بأنه قتل مجذَّرًا. فركب رسول اللّه ﷺ إلى قباء، فأتاه الحارث بن سويد فى ملحفة مورسة. فلما رآه دعا عويم بن ساعدة وقال: اضرب عنق الحارث بمجذر بن ذياد. فقال: واللّه ما قتلته رجوعًا عن الإسلام ولكن حمية، وإنى أتوب إلى اللّه وأخرج ديته وأصوم وأعتق. وجعل يتمسك بركاب النبى ﷺ إلى أن فرغ من كلامه. فقال النبى ﷺ: قدمه يا عُوَيم فاضرب عنقه. فضرب عنقَه على باب المسجد، واللّه أعلم.

* *

• السَّة الرابعَة من الهجرة •

■ سريّة أبى سَلمَة إلى قطن فى أوّلها :

قال الواقدى : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى ، عن سلمة بن عبد اللَّه بن عمر بن أبى سلمة بن عبد الأسد ، وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحدًا ، وكان نازلاً فى بنى أمية بن زيد بالعالية ، حين تحول من قباء فَجُرِحَ بأحد ، وأقام شهرًا يداوى جرحه . فلما كان هلال المحرم دعاه رسول اللَّه ﷺ وقال : اخرج فى هذه السرية فقد استعملتك عليها ، وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم . وكان معه خمسون ومائة ، فساروا حتى انتهوا إلى أدنى قَطَن- ماء من مياههم- فيجدون سرحًا لبنى أسد ، فأغاروا عليه وأخذوا مماليك ثلاثة ، وأفلت سائرهم . ثم رجع إلى المدينة فغاب بضع عشرة ليلة .

قال عمر بن عثمان : فحدثنى عبد الملك بن عبيد ، قال : لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه ، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة .

■ غزوة الرَّجيع :

وهى فى صفر من السنة الرابعة ، فيما ورخه الواقدى ، وقال : هى على سبعة أميال من عُسْفَان . فحدثنى موسى بن يعقوب ، عن أبى الأسود ، قال : بعث رسول اللَّه ﷺ أصحاب الرجيع عيونًا إلى مكة ليخبروه .

قال إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب : أخبرنى عمر بن أسيد ابن جارية الثقفى ، أن أبا هريرة قال : بعث رسول اللَّه ﷺ عشرة رهط عينًا ، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهَدْأة ؛ بين عُسْفان ومكة ذُكروا لحى من هُذَيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام . فاقتصوا آثارَهم ، حتى وجدوا مأكلهم التمر ، فقالوا : نوى يثرب ، فاتبعوا آثارهم . فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى قَرْدَد ، أى : فدفد من الأرض فأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم : انزلوا- فأعطوا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق أنَّ لا نقتل منكم أحدًا . فقال عاصم : أما أنا فواللَّه لا أنزل فى ذمة مشرك ، اللَّهم أخبر عنا نبيك . فرموهم بالنبل ، فقتلوا عاصمًا فى سبعة من أصحابه ، ونزل إليهم ثلاثة على العهد والميثاق : خُبَيب ، وزيد بن الدَّثنة ، وآخر . فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها . فقال الرجل الثالث : هَذا أول الغدر ، واللَّه لا أصحبكم إن لى بهؤلاء أسوة . يريد القتلى . فجروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبهم ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب ، وزيد ، حتى

باعوهما بمكة بعد وقعة بدر . فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا . وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر .

● وفائدة :

قال الدمياطى : هذا وهم، ما شهد خُبيب بن عدى الأوسى بدرًا ولا قتل الحارث بن عامر، إنما الذى شهدها وقتله هو خبيب بن أساف الخزرجى .

رَجْعٌ، قال : فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فأستعار من بعض بنات الحارث موسىً يستحد بها للقتل فأعارته . فدرج بُنَىٌّ لها وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال : أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، فقالت : واللَّه ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، واللَّه لقد رأيته، أو وجدته، يأكل قطْفًا من عنب وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول : إنه لرزق رزقه اللَّه خبيبًا . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم : دعونى أركع ركعتين . فتركوه فركع ركعتين، ثم قال : واللَّه لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع من القتل لزدت، اللَّهم أحصهم عددًا، واقتلهم بَددًا، ولا تبق منهم أحدًا، وقال :

فلستُ أبالى حين أقْتل مُسْلمًا ... على أىِّ جنب كان فى اللَّه مَصْرَعى

وذلك فى ذات الإلـه، وإنْ يشأ ... يباركْ على أوصال شلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه أبو سِرْوَعة عقبة بن الحارث فقتله .

وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم، قُتِلَ صبرًا، الصلاة .

واستجاب اللَّه لعاصم يوم أصيب، فأخبر رسولُ اللَّه ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم . وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت ليؤتوا منه بشىء يعرف، وكان قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث اللَّه على عاصم مثل الظُّلة من الدبر، فحمته من رسلهم فلم يقدروا على أن يقطعوا منه شيئًا .

أخرجه البخارى[(٣١١)] .

---

(٣١١) صحيح : أخرجه البخارى (٣٩٨٩)، وأحمد (٢/ ٢٩٤- ٢٩٥) من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، به .

وقوله «الدَّبْر» : بسكون الباء النحل . وقيل : «الزَّنابير . والظُّلَّة : السحاب .

وقال موسى بن عقبة، وغير واحد: بعث رسول اللَّه ﷺ عاصم بن ثابت وأصحابه عينًا له، فسلكوا النجدية، حتى إذا كانوا بالرجيع. فذكروا القصة.

قال موسى: ويقال: كان أصحاب الرجيع ستة منهم: عاصم، وخُبيب، وزيد بن الدثنة، وعبد اللَّه بن طارق- حليف لبنى ظفر- وخالد بن البُكَير الليثى، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى؛ حليف حمزة. وساق حديثهم.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن نفرًا من عُضَل والقارة قدموا على رسول اللَّه ﷺ المدينة بعد أحد، فقالوا: إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك ليفقهونا فى الدين ويقرئونا القرآن، فبعث رسول اللَّه ﷺ معهم خبيب بن عدى.

قال ابن إسحاق: بعث معهم ستة، أمَّر عليهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى. وسماهم كما قال موسى.

قال ابن إسحاق: فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع- ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدء- غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هُذَيلاً، فلم يَرُع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم. فقالوا لهم: واللَّه ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة، ولكم عهد اللَّه وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد، وعاصم، وابن البُكَير فقالوا: واللَّه لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا. وأرادت هذيل أخذ رأس عاصم ليبيعوه من سُلاَفة بنت سعد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد، لئن قدرت على عاصم لتشربن فى قحْفه الخمر، فمنعته الدبر، فانتظروا ذهابها عنه، فأرسل اللَّه الوادى فحمل عاصمًا فذهب بهِ.

وقد كان عاصم أعطى اللَّه عهدًا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا تنجسًا. وأسروا خبيبًا، وابن الدَّثنة، وعبد اللَّه بن طارق، ثم مضوا بهم إلى مكة ليبيعوهم، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد اللَّه يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: حدثنى يحيى، عن أبيه عباد بن عبد اللَّه بن الزبير، عن عقبة بن الحارث، سمعته يقول: ما أنا واللَّه قتلت خبيبًا، لأنا كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى، ثم أخذ بيدى وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله.

ثم ذكر ابن إسحاق أن خُبيبًا قال :

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حولى وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمع
وكُلُّهم مُبْدى العداوة جاهدٌ علىَّ لأنى فى وثاق مُضَيَّع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءَهم وقُرِّبتُ من جذع طويل مُمَنَّع
إلى اللَّه أشكو غُربَتى ثم كُربَتى وما أرصدَ الأحزابُ لى عند مصرعى
فذا العرشِ صبَّرنى على ما يُراد بى فقد بضَّعوا لحمى وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الإله وإنْ يشأ يُبارِكْ على أوْصال شلو مُمَزَّع
وقد خيَّرونى الكفرَ والموتُ دُونه وقد هَمَلتْ عَيناى من غير مَجْزَع
وما بى حِذارُ الموت، إنى لميّتٌ ولكن حِذارى جَحْمُ نار بمُلْقَع
وواللَّه لم أحْفَلْ إذا متُّ مسلمًا على أى جنب كان فى اللَّه مَصْرَعى
فلست بمُبدٍ للعدوّ تخَشُّعًا ولا جَزَعًا إنّى إلى اللَّه مَرْجِعى

وقال يونس بن بكير، وجعفر بن عون، عن إبراهيم بن إسماعيل: حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية أن أباه حدثه عن جده، وكان النبى ﷺ بعثه عينًا؛ قال: فجئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون، فأطلقته فوقع بالأرض، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً، ثم التفت فلم أر خبيبًا، فكأنما ابتلعته الأرض.

زاد جعفر بن عون: فلم تذكر لخُبيب رِمَّة حتى الساعة.

■ **غزوة بئر معُونة:**

قال ابن إسحاق: بعث رسول اللَّه ﷺ أصحاب بئر معونة فى صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وقال موسى بن عقبة قال الزهرى: حدثنى عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كعب بن مالك، ورجال من أهل العلم، أن عامر بن مالك الذى يُدْعَى مُلاعب الأسنة، قدم على رسول اللَّه ﷺ وهو مشرك، فعرض عليه رسول اللَّه ﷺ الإسلام، فَأبى أن يسلم، وأهدى لرسول اللَّه ﷺ هدية. فقال: إنى لا أقبل هدية مشرك. فقال: ابعث معى من شئت من رسلك، فأنا لهم جار، فبعث رهطًا، فيهم المنذر بن عمرو الساعدى؛ وهو الذى يقال له: أعنَقَ ليموتَ، بعثه عينًا له فى أهل نجد، فسمع بهم عامر بن الطفيل، فاستنفر بنى عامر، فأبوا أن يطيعوه،

فاستنفر بنى سليم فنفروا معه، فقتلوهم ببئر معونة، غير عمرو بن أمية الضمرى، فإنه أطلقه عامر ابن الطفيل، فقدم على رسول اللَّه ﷺ.

وقال ابن إسحاق: حدثنى والدى، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد اللَّه بن أبى بكر بن حزم، وغيرهما، قالوا: قدم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر، مُلاعب الأسنة على رسول اللَّه ﷺ المدينة، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد لو بعَثت معى رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. قال: أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو البراء: أنا لهم جار. فبعث المنذر بن عمرو فى أربعين رجلاً، فيهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان؛ أخو بنى عدى بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصلت السُّلَمى، ورافع بن ورقاء الخُزاعى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، فى رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم. ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول اللَّه ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلم ينظر فى الكتاب حتى قتل الرجل. ثم استصرخ بنى سُلَيم فأجابوه وأحاطوا بالقوم، فقاتلوهم حتى استشهدوا كلهم إلا كعب بن زيد، من بنى النجار تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى. فعاش حتى قُتلَ يوم الخندق.

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية ورجل من الأنصار، فلم يخبرهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: واللَّه إن لهذه الطير لشأنًا، فأقبلا فنظرا، فإذا القوم فى دمائهم وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة. فقال الأنصارى لعمرو: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول اللَّه ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصارى: لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قُتلَ فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لأخبر عنه الرجال. وقاتل حتى قتل وأسروا عمرا. فلما أخبرَهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه. فلما كان بالقرقرة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا فى ظل هو فيه، وكان معهما عهد من رسول اللَّه ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو. حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما. فلما قدم على رسول اللَّه ﷺ أخبره، فقال: قد قتلت قتيلين، لأدينَّهما. ثم قال رسول اللَّه ﷺ: هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارهًا متخوفًا. فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر أبا براء، فحمل ربيعة ولد أبى براء على عامر بن الطفيل فطعنه فى فخذه فأشواه، فوقع من فرسه، وقال: هذا عمل أبى براء؛ إن متُّ فدمى لعمى فلا يُتبَعَنَّ به، وإن أعش فسأرى رأيى.

وقال موسى بن عقبة: ارتث فى القتلى كعب بن زيد، فقتل يوم الخندق.

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت، عن أنس أن ناسًا جاؤوا إلى النبى ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن، والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، وفيهم خالى حرام بن ملحان، يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد، ويحتطبون فيبيعون ويشترون به الطعام لأهل الصفة، فبعثهم رسول اللَّه ﷺ إليهم، فتعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. قالوا: اللَّهم بلغ عنا نبيك أن قد لقيناك فرضيت عنا ورضينا عنك. قال: وأتى رجل خالى من خلفه فطعنه بالرمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا وقالوا: اللَّهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. رواه مسلم(٣١٢).

وقال همام وغيره، عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبى طلحة: حدثنى أنس أن رسول اللَّهﷺ بعث خاله حرامًا فى سبعين رجلاً فقتلوا يوم بئر معونة. وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل، وكان أتى النبى ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال: أن يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، قال: فَطُعِنَ فى بيت امرأة من بنى فلان، فقال: غدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بنى فلان ائتونى بفرَسى، فركبه فمات على ظهر فرسه. وانطلق حرام ورجلان معه أحدهما أعرج فقال: كونا قريبًا منى حتى آتيهم فإن آمنونى كنت كُفْوًا، وإن قتلونى أتيتم أصحابكم. فأتاهم حرام فقال: أتؤمنونى أبلغكم رسالة رسول اللَّه ﷺ؟ فجعل يحدثهم، وأومأوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه. قال همام، وأحسبه قال: فزت ورب الكعبة. قال: وقُتِلَ كلهم إلا الأعرج، كان فى رأس الجبل.

قال أنس: أنزل علينا، ثم كان من المنسوخ، «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضيناه». فدعا رسول اللَّه ﷺ ثلاثين صباحًا على رِعْل وذكوان وبنى لحيان وعُصَيَّة عصت اللَّه ورسوله.

أخرجه البخارى، وقال: ثلاثين صباحًا، وهو الصحيح(٣١٣).

وروى نحوه قتادة، وثابت، وغيرهما، عن أنس. وبعضهم يختصر الحديث، وفى بعض طرقه: سبعين صباحًا.

قال سليمان بن المغيرة، عن ثابت، قال: كتب أنس فى أهله كتابًا فقال: اشهدوا معاشر

---

(٣١٢) صحيح: أخرجه مسلم (٦٧٧) حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عفان، حدثنا حماد، به.

(٣١٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٩١) حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا همام، به.

القراء. فكأنى كرهت ذلك، فقلت: لو سميتهم بأسمائهم وأسماء آبائهم؛ فقال: وما بأس أن أقول لكم معاشر القراء، أفلا أحدثكم عن إخوانكم الذين كنا ندعوهم على عهد رسول اللَّه ﷺ القراء؟ قال: فذكر أنس سبعين من الأنصار كانوا إذا جنهم الليل أووا إلى مُعَلِّم بالمدينة فيبيتون يدرسون، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكان معلَّقًا بحُجَر رسول اللَّه ﷺ. فلما أصيب خُبيب، بعثهم رسول اللَّه ﷺ فكان فيهم خالى حرام. فأتوا على حى من بنى سليم، فقال حرام لأميرهم: دعنى، فلأخبر هؤلاء أنا ليس إياهم نريد فيخلون وجوهنا. فأتاهم فقال ذلك، فاستقبله رجل منهم برمح فأنفذه به. قال: فلما وجد حرام مس الرمح قال: اللَّه أكبر فزت ورب الكعبة. قال: فانطووا عليهم فما بقى منهم مخبر. قال: فما رأيت رسول اللَّه ﷺ وجد على شىء وجده عليهم. فقال أنس: لقد رأيت رسول اللَّه ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم: فلما كان بعد ذلك، إذا أبو طلحة يقول: هل لك فى قاتل حرام؟ قلت: ما له، فعل اللَّه به وفعل. فقال: لا تفعل، فقد أسلم.

وقال أبو أسامة: حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان عامر بن فهيرة غلامًا لعبد اللَّه بن الطفيل بن سخبرة، أخى عائشة لأمها؛ وكانت لأبى بكر منحة، فكان يروح بها ويغدو، ويصبح فَيَدَّلج إليهما ثم يسرح فلا يفطن به أحد من الرعاء، ثم خرج بهما يعقبانه حتى قدم المدينة معهما. فَقُتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، وأسر عمرو بن أمية. فقال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل. قال: هذا عامر بن فهيرة. فقال: لقد رأيته بعدما قُتلَ رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض. وذكر الحديث. أخرجه البخارى(٣١٤).

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى البراء على عامر بن الطفيل:

بَنى أمّ البَنين ألَمْ يرُعْكُمْ ... وأنتُمْ من ذَوائب أهلِ نَجْدِ
تَهكُّم عامرٍ بأبى بَرَاء ... ليُخْفِرَهُ، وما خَطَأٌ كَعَمْدِ
ألا أبْلغْ ربيعَةَ ذا المَسَاعى ... فما أحدثْتَ فى الحَدَثَان بعدى
أبوك أبو الحُرُوب أبو بَرَاءٍ ... وخالُك ماجدٌ حكَمُ بن سَعْدِ

(٣١٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٩٣) حدثنا عُبيدُ بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، به.

■ **ذكر الخلاف في غزوة بني النضير : وقد تقدمت في سنة ثلاث :**

ذهب الزهرى إلى أنها كانت قبل أحد . وقال غير واحد : كانت بعد أحد ، وبعد بئر معونة .

أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا الحسن بن على بن الحسين بن البن ، قال : أخبرنا جدى ، قال : أخبرنا أبو القاسم المصيصى ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أبى نصر ، قال : أخبرنا على بن أبى العقب ، قال : أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، قال : حدثنا محمد بن عائذ ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، قال : خرج رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه إلى بنى النضير يستعينهم فى عقل الكلابيين . وكانوا ، زعموا ، قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه يحضونهم على القتال ودلوهم على العورة فلما كلمهم رسول الله ﷺ فى عقل الكلابيّين ، قالوا : اجلس أبا القاسم ، حتى تطعم وترجع بحاجتك . ثم ساق الحديث كله ، وتقدمَ ذكره .

وقال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير أقبل عمرو بن سُعْدَى فأطاف بمنازلهم ، فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بنى قريظة فيجدهم فى الكنيسة فينفخ فى بوقهم ، فاجتمعوا . فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم- وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله فى اليهودية- قال : رأيت اليوم عبرًا قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم ومَلَكَها غيرُهم ، وخرجوا خروج ذل . ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة . فقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ، بيته فى بيته آمنًا ، وأوقع بابن سُنينة سيدهم ، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم جد يهود ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج منهم إنسان رأسه حتى سباهم ، وكُلِّمَ فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيت فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدًا ، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبى ، وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان وابن جواس ، وهما أعلم يهود ، جاءانا من بيت المقدس يتوكَّفَان قدومه ، أمرا باتباعه ، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ، فأسكت القوم ، فأعاد هذا القول ونحوه ، وتخوفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال ابن باطا : قد والتوراة قرأت صفته التى أنزلت على موسى ، ليس فى المثانى التى أحدثنا . فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال : أنت . قال كعب : ولمَ- والتوراة- ما حُلْتُ بينك وبينه قط ، قال الزبير : أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا فى ذلك ، إلى أن قال كعب : ما عندى فى أمره إلا ما قلت ، ما تطيب نفسى أن أصبر تابعًا .

وقال ابن إسحاق : كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول سنة أربع وحاصرهم النبى ﷺ ست ليال ، ونزل تحريم الخمر ، واللَّه أعلم .

■ غزوة بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : خرج رسول اللَّه ﷺ فى جمادى الأول ، على رأس ستة أشهر من صلح بنى قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرة .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن عبد اله بن أبى بكر بن محمد بن حزم ، وغيره ، قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول اللَّه ﷺ طالبا لدمائهم ليصيب من بنى لحيان غرة ، فسلك طريق الشام وورَّى على الناس أنه لا يريد بنى لحيان ، حتى نزل أرضهم - وهم من هذيل - فوجدهم قد حذروا فتمنعوا فى رؤوس الجبال . فقال رسول اللَّه ﷺ : لو أنا هبطنا عُسْفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة . فخرج رسول اللَّه ﷺ فى مائتى راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كُراع الغميم ثم انصرفا إليه . فذكر أبو عياش الزرقى أن رسول اللَّه ﷺ صلىَ بعسفان صلاة الخوف .

وقال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان كانت بعد قُرَيظة ، فاللَّه أعلم .

■ غزوة ذات الرَقاع :

قال ابن إسحاق : إنها فى جمادى الأولى سنة أربع ، وهى غزوة خصفة من بنى ثعلبة من غطفان .

وقال محمد بن إسماعيل - رحمه اللَّه : كانت بعد خيبر ، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر ، يعنى وشهدها . قال : وإنما جاء أبو هريرة فأسلم أيام خيبر .

وقال ابن إسحاق : فى هذه الغزوة سار رسول اللَّه ﷺ حتى نزل نخلاً ، فلقى بها جمعًا من غَطَفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب . وقد خاف الناس بعضهم بعضًا ، حتى صلى رسول اللَّه ﷺ بأصحابه صلاة الخوف . ثم انصرف بالناس .

وقال الواقدى : إنما سميت ذات الرقاع لأنه جبل كان فيه بقع حمرة وسواد وبياض ، فسُمِّى ذات الرقاع . قال : وخرج رسول اللَّه ﷺ لعشر خلون من المحرم ، على رأس سبعة وأربعين شهرًا ، قدم صرارًا لخمس بقين من المحرم .

وذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد والشُّقْرة .

قال الواقدى: فحدثنى الضحاك بن عثمان، عن عبيد اللَّه بن مقسم، عن جابر، وحدثنى هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن جابر، قال: وعن مالك، وغيره، عن وهب بن كيسان، عن جابر، قال: قدم قادم بجلب له، فاشترى بسوق النَّبْط، وقالوا: من أين جلبك؟ قال: جئت به من نجد، وقد رأيت أنمارًا وثعلبة قد جمعوا لكم جموعًا، وأراكم هادين عنهم. فبلغ رسول اللَّه ﷺ قوله، فخرج فى أربع مائة من أصحابه- وقيل سبع مائة- وسلك على المضيق، ثم أفضى إلى وادى الشُّقْرة، فأقام بها يومًا، وبث السرايا، فرجعوا إليه مع الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحدًا، وقد وطئوا آثارًا حديثة. ثم سار النبى ﷺ فى أصحابه، حتى أتى محالهم، فإذا ليس فيها أحد، وهربوا إلى الجبال، فهم مُطلُّون على النبى ﷺ. وخاف الناس بعضهم بعضًا. وفيها صلى رسول اللَّه ﷺ بأصحابه صلاَة الخوف.

وقال عبد الملك بن هشام: وإنما قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم. قال: ويقال ذات الرقاع شجرة هناك. والظاهر أنهما غزوتان.

وقال شعيب، عن الزهرى: حدثنى سنان بن أبى سنان الدؤلى، وأبو سلمة، عن جابر أنه غزا مع رسول اللَّه ﷺ قبل نجد، فلما قفل قفل معه، فأدركته القائلة فى واد كثير العضَاه، فنزل وتفرق الناس فى العضَاه يستظلون بالشجر، وقال هو تحت شجرة فَعلَّق بها سيفه، فنمنا نومة، فإذا رسول اللَّه ﷺ يدعونا فأجبناه، فإذا عنده أعرابى جالس، فقال رسول اللَّه ﷺ: إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو فى يده صَلْتًا، فقال: من يمنعك منى؟ قلت: اللَّه. فشام السيف وجلس. فلم يعاقبه رسول اللَّه ﷺ، وقد فعل ذلك. متفق عليه. وشام: أغمد.

قال أبو عوانة، عن أبى بشر: اسم الأعرابى «غورث بن الحارث».

ثم روى أبو بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر، قال: قاتل رسول اللَّه ﷺ محارب ابن خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث، حتى قام على رأس رسول اللَّه ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك منى؟ قال: اللَّه. قال: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول اللَّه ﷺ فقال: من يمنعك منى؟ قال: كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنى رسول اللَّه؟ قال: لا، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله. فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ثم ذكر صلاة الخوف، وأنه صلى بكل طائفة ركعتين. وهذا حديث صحيح إن شاء اللَّه.

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: حدثنى وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد اللَّه، قال:

خرجت مع رسول اللَّه ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول اللَّه ﷺ جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول اللَّه ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قلت: يا رسول اللَّه أبطأ بي جملي هذا. قال: أنخه. وساق قصة الجمل.

■ غزوة بدر المَوْعِد:

قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وروى عن عروة: أن رسول اللَّه ﷺ استنفر المسلمين لموعد أبي سفيان بدراً. وكان أهلاً للصدق والوفاء ﷺ، فاحتمل الشيطان أولياءه من الناس، فمشوا في الناس يخوِّفونهم، وقالوا: قد أخبرنا أن قد جمعوا لكم مثل الليل من الناس، يرجون أن يوافقوكم فيتنهبوكم، فالحذر الحذر لا تغدوا. فعصم اللَّه المسلمين من تخويف الشيطان فاستجابوا للَّه ولرسوله وخرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذي خرجنا له، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. وكان بدر متجراً يوافي في كل عام. فانطلقوا حتى أتوا موسم بدر، فقضوا منه حاجتهم، وأخلف أبو سفيان الموعد، فلم يخرج هو ولا أصحابه.

وأقبل رجل من بني ضَمْرة، بينه وبين المسلمين حلف، فقال: واللَّه إن كنا لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد، فما أعملكم إلى أهل هذا الموسم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ، وهو يريد أن يبلغ ذلك عدوه من قريش: أعملنا إليه موعد أبي سفيان وأصحابه وقتالهم، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك حلفهم ثم جالدناكم. فقال الضمري: معاذ اللَّه.

قال: وذكروا أن ابن الحُمَام قدم على قريش، فقال: هذا محمد وأصحابه ينتظرونكم لموعدكم. فقال أبو سفيان: قد واللَّه صدق. فنفروا وجمعوا الأموال، فمن نشط منهم قووه، ولم يقبل من أحد منهم دون أوقية. ثم سار حتى أقام بمجنة من عُسْفان ما شاء اللَّه أن يقيم، ثم ائتمر هو وأصحابه، فقال أبو سفيان: ما يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه السمر وتشربون من اللبن، ثم رجع إلى مكة، وانصرف رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة بنعمة من اللَّه وفضل، وكانت تلك الغزوة تدعى غزوة جيش السَّويق. وكانت في شعبان سنة أربع.

وقال الواقدي: كانت بدر الموعد، وتسمى بدر الصغرى، لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره- عليه الصلاة والسلام- وأنه خرج في ألف وخمس مائة من أصحابه، واستخلف على المدينة عبد اللَّه بن رواحة، وكان موسم بدر يجتمع فيه العرب لهلال ذي القعدة إلى ثامنة. فأقام بها المسلمون ثمانية أيام وباعوا بضائع، فربح الدرهم درهمًا، فانقلبوا بنعمة من اللَّه وفضل.

■ غزوة الخندق :

قال موسى بن عقبة : كانت فى شوال سنة أربع . وقال ابن إسحاق : كانت فى شوال سنة خمس . فاللَّه أعلم .

ويقوى الأول قول ابن عمر إنه عُرِضَ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة ، فلم يجزه النبى ﷺ ، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابنَ خمس عشرة فأجازه . لكن هذه التقوية مردودة بما سنذكره فى سنة خمس ، إن شاء اللَّه تعالى .

وفيها : توفى عبد اللَّه ابن رقية بنت رسول اللَّه ﷺ ، وأبوه عثمان- رضى اللَّه عنه- عن ست سنين . ونزل أبوه فى حفرته .

وفيها : فى شعبان ولد الحسين بن على- رضى اللَّه عنهما .

وفيها قُتلَ عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وأصحابه . وقد ذكروا . وكنية عاصم : أبو سليمان ، واسم جده أبى الأقلح : قيس بن عصمة من بنى عمرو بن عوف ، ومن ذريته الأحوص الشاعر ابن عبد اللَّه بن محمد بن عاصم بن ثابت .

وكان عاصم من الرماة المذكورين ، ثبت يوم أحد وقتل غير واحد ، وشهد بدراً .

■ وقُتل يوم بئر معونة من الصحابة :

عامر بن فهيرة مولى الصديق- رضى اللَّه عنه- وكان من سادة المهاجرين .

ومن قريش : الحكم بن كيسان المخزومى ، ونافع بن بديل بن ورقاء السهمى .

وقتل يومئذ من الأنصار : الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول أبو سعد . فعن محمد بن إبراهيم التيمى ، أن النبى ﷺ آخى بين الحارث بن الصمة وصهيب . وقال الواقدى : شهد الحارث أحداً ، وثبت مع رسول اللَّه ﷺ وبايعه على الموت ، وقُتلَ عثمان بن عبد اللَّه بن المغيرة . وعن المسْوَر بن رفاعة أن الحارث خرج مع رسول اللَّه ﷺ إلَى بدر ، فكُسرَ بالروحاء ، فرده رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجره . قال ابن سعد : وله ذرية بالمدينة وبغداد .

حرام بن ملحان ، واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، شهد بدراً ، وهو أخو أم سليم ، قال لما طُعنَ يوم بئر معونة : فزت ورب الكعبة ، رحمه اللَّه ورضى عنه .

عطية بن عمرو ، من بنى دينار . وهذا لم أره فى الصحابة لابن الأثير .

المنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود الساعدى، أحد النقباء ليلة العقبة. شهد بدرًا وأحدًا. وخنيس هو المعروف بالمعْنِق ليموتَ.

أنس بن معاوية بن أنس، أحد بنى النجار.

أبو شيخ بن ثابت بن المنذر، وسهل بن سعد، من بنى النجار كلاهما.

معاذ بن ناعض الزرقى، بدرى. عروة بن الصلت السلمى حليف الأنصار.

مالك بن ثابت، وأخوه: سفيان، كلاهما من بنى النبيت.

فهؤلاء الذين حُفظَت أسماؤهم من الشهداء السبعين الذين صح أنه نزل فيهم «بلغو عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضَى عنا وأرضانا» ثم نُسخَت.

وقيل: بل كانوا اثنين وعشرين راكبًا. ولعل الراوى عد الركاب دون الرجالة.

أخبرنا إسماعيل بن أبى عمرو، أخبرنا ابن البن، قال: أخبرنا جدى، قال: أخبرنا ابن أبى العلاء، قال: أخبرنا ابن أبى نصر، قال: أخبرنا ابن أبى العقب، قال: أخبرنا أحمد بن البسرى، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: أخبرنى حجوة بن مدرك الغسانى، عن الحسن ابن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- قال: بعث عامر بن مالك ملاعب الأسنة إلى رسول اللَّه ﷺ ابعث إلىَّ رهطًا ممن معك يبلغونى عنك وهم فى جوارى. فأرسل إليه المنذر بن عمرو- رضى اللَّه عنه- فى اثنين وعشرين راكبًا، فلما أتوا أدانى أرض بنى عامر بعث أربعة ممن معه إلى بعض مياههم، أو قال إلى بعضهم. قال: وسمع عامر بن الطفيل فأتاهم فقاتلهم فقتلهم. قال: ورجع الأربعة رهط الذين كان وجه بهم المنذر، فلما دنوا إذا هم بنسور تحوم، قالوا: إنا لنرى نسوراً تحوم، وإنا نرى أصحابنا قد قتلوا. فلما أتوهم قال رجلان منهم: لا نطلب الشهادة بعد اليوم، فقاتلا حتى قتلا. ورجع الرجلان إلى رسول اللَّه ﷺ، فلقيا رجلين من بنى عامر فسألاهما ممن هما فأخبراهما فقتلاهما وأخذا ما معهما. وأتيا رسول اللَّه ﷺ فأخبراه خبر أصحابهم وخبر الرجلين العامريين، وأتياه بما أصابا لهما. فعرف رسول اللَّه ﷺ حلتين كان كساهما، فقال: قد كانا منا فى عهد. فوداهما إلى قومهما دية الحرين المسلمين.

وقال حسان بعد موت عامر بن مالك يُحَرِّض ابنه ربيعة:

* بنى أم البنين ألم يَرُعْكم *

فذكر الأبيات

فقال ربيعة: هل يرضى منى حسان طعنة أطعنها عامرًا؟ قيل: نعم، فشد عليه فطعنه فعاش منها.

وفيها توفيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد اللَّه بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة القيسية الهوازنية العامرية الهلالية- رضى اللَّه عنها- وكانت تسمى أم المساكين لإحسانها إليهم، تزوجت أولاً بالطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف- رضى اللَّه عنه- ثم طلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث- رضى اللَّه عنه- فاستشهد يوم بدر، ثم تزوجها رسول اللَّه ﷺ فى رمضان سنة ثلاثة، ومكثت عنده على الصحيح ثمانية أشهر، وقيل: كانت وفاتها فى آخر ربيع الآخر، وصلى عليها النبى ﷺ ودفنها بالبقيع، ولها نحو ثلاثين سنة.

وفيها تزوج النبى ﷺ أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبى أمية واسمه حذيفة، وقيل: سهيل، ويدعى زاد الراكب؛ ابن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، وكانت قبله عند ابن عمة النبى ﷺ أبى سلمة عبد اللَّه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم، وأمه برة بنت عبد المطلب، وهاجر بها إلى الحبشة فولدت له هناك زينب، وولدت له سلمة وعمر ودرة، وكان أخا النبى ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما وحمزة ثويبة مولاة أبى لهب، ويقال إنه كان أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أول من هاجر إلى الحبشة، ثم كان أول من هاجر إلى المدينة، ولما عبر إلى اللَّه كان الذى أغمضه رسول اللَّه ﷺ، ثم دعا له، وكان قد جرح بأحد جرحًا، ثم انتقض عليه، فمات منه فى جمادى الآخرة سنة أربع. فلما توفى تزوجها النبى ﷺ، حين حلت فى شوال، وكانت من أجمل النساء؛ وهى آخر نسائه وفاة.

ثم تزوَّج بعدها بأيام يسيرة، بنت عمته أم الحكم؛ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدى، وكان اسمها برة فسماها زينب. وكانت هى وإخوتها من المهاجرين، وأمهم أميمة بنت عبد المطلب، وهى التى نزلت هذه الآية فيها: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى اللَّه من السماء. وفيها نزلت آية الحجاب، وتزوجها وهى بنت خمس وثلاثين سنة.

وفى هذه السنة رجم النبى ﷺ اليهودى واليهودية اللذين زنيا.

وفيها توفيت أم سعد بن عبادة، ورسول اللَّه ﷺ غائب فى بعض مغازية، ومعه ابنها سعد، قال قتادة، عن سعيد بن المسيب: أن النبى ﷺ صلى على قبر أم سعد بعد أشهر، واللَّه أعلم.

• السَّنَة الخامسَة من الهجرة•

■ غزوة ذات الرقاع:

خرج لها رسول اللَّه ﷺ لعشر خلون من المحرم. قاله الواقدى كما تقدم. وقال ابن إسحاق: إنها فى جمادى الأولى سنة أربع.

■ غزوة دُومة الجندل: وهى بضمّ الدّال:

قيل سُمِّيَتْ بدومى بن إسماعيل- عليه السلام- لكونها كانت منزله. ودومة بالفتح موضع آخر. وهذه الغزوة كانت فى ربيع الأول. ورجع النبى ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدًا.

وقال المدائنى: خرج ﷺ فى المحرم، يريد أكيدر دومة، فهرب أكيدر، وانصرف النبى ﷺ.

وقال الواقدى: حدثنى ابن أبى سبرة، عن عبد اللَّه بن أبى لبيد، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن. وحدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد اللَّه بن أبى بكر وغيرهما، قالوا: أراد رسول اللَّه ﷺ أن يقرب إلى أدنى الشام ليرهب قيصر، وذُكرَ له أن بدومة الجندل جمعًا عظيمًا يظلمون من مر بهم. وكان بها سوق وتجار، فخرج رسول اللَّه ﷺ فى ألف يسير الليل ويكمن النهار، ودليله مذكور العُذْرى، فنكَّب عن طريقهم، فلما كان بينه وبين دُومة يوم قوى، قال له: يا رسول اللَّه إن سوائمهم ترعى عندك، فأقم حتى أنظر. وسار مذكور حتى وجد آثار النعم، فرجع وقد عرف مواضعهم، فهجم بالنبى ﷺ على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب، وجاء الخبر إلى دومة فتفرقوا، ورجع النبى ﷺ.

وهى عن المدينة ستة عشر يومًا، وبينها وبين دمشق خمس ليال للمُجد، وبينها وبين الكوفة سبع ليال، وهى أرض ذات نخل، يزرعون الشعير وغيره، ويسقونَ على النواضح، وبها عين ماء.

■ غزوة المُرَيْسِيع:

وتسمى غزوة بنى المصطلق، كانت فى شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزوم به.

قال الواقدى: استخلف النبى ﷺ فيها على المدينة زيد بن حارثة. فحدثنى شعيب بن عباد عن المسور بن رفاعة، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ فى سبع مائة.

وقال يونس بن بكير: قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر، وعبد اللَّه بن أبى بكر، قالوا: خرج رسول اللَّه ﷺ، وبلغه أن بنى المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية أم المؤمنين، فسار النبى ﷺ حتى نزل بالمريسيع، ماء من مياههم؛ فأعَدوا لرسول اللَّه ﷺ فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهزم رسول اللَّه ﷺ بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونَفَّل نساءهم وأبناءهم وأموالهم، وأقام عليهم من ناحية قُدَيد والساحل.

وقال الواقدى، عن معمر وغيره: أن بنى المصطلق من خُزَاعة كانوا ينزلون ناحية الفُرْع، وهم حلفاء بنى مُدْلج، وكان رأسهم الحارث بن أبى ضرار، وكان قد سار فى قومه ومن قدر عليه، وابتاعوا خيلاً وسلاحًا، وتهيؤوا للمسير إلى رسول اللَّه ﷺ.

قال الواقدى: وحدثنى سعيد بن عبد اللَّه بن أبى الأبيض، عن أبيه، عن جدته، وهى مولاة جويرية، سمعتْ جُويرية تقول: أتانا رسول اللَّه ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبى يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والعدة ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجنى رسول اللَّه ﷺ ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنه رعب من اللَّه، وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنا نرى رجالاً بيضًا على خيل بلق، ما كنا نراهم قبل ولا بعد.

قال الواقدى: ونزل رسول اللَّه ﷺ الماء، وضُرِبَتْ له قبة من أدم، ومعه عائشة وأم سلمة، وصفَّ رسول اللَّه ﷺ أصحابه، ثم أمر عمرَ فنادى فيهم، قولوا: لا إله إلا اللَّه، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، ففعل عمر، فأبوا. فكان أول من رمى رجل منهم بسهم، فرمى المسلمون ساعة بالنبل، ثم إن رسول اللَّه ﷺ أمر أصحابه أن يحملوا، فحملوا، فما أفلت منهم إنسان، فَقُتِلَ منهم عشرة وأسر سائرهم، وقُتِلَ من المسلمين رجل واحد.

وقال ابن عون: كتبتُ إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال، فكتب: إنما كان ذلك فى أول الإسلام، قد أغار رسول اللَّه ﷺ على بنى المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسْقَى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم، فأصاب يومئذ- أحسبه قال: جويرية- وحدثنى ابن عمر بذلك، وكان فى ذلك الجيش. متفق عليه.

وقال إسماعيل بن جعفر، عن ربيعة الرأى، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، عن ابن مُحَيْريز، سمع أبا سعيد يقول: غزونا مع رسول اللَّه ﷺ بنى المصطلق فسبينا كرائم العرب، وطالت علينا العُزْبة، ورغبنا فى الفداء فأردنا أن نستمتع ونعزل، فسألنا رسول اللَّه ﷺ فقال:

لا عليكم أن لا تفعلوا، ما كتبَ اللَّهُ خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون. متفق عليه، عن قتيبة عن إسماعيل.

■ **تزوج رسُولِ اللَّه ﷺ بجويرية:**

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما قَسَمَ رسول اللَّه ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاَّحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول اللَّه ﷺ تستعينه في كتابتها، فواللَّه ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: سيرى منها مثل ما رأيت. فلما دخلت على رسول اللَّه ﷺ قالت: أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبتُ فأعني. فقال: أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت: نعم، ففعل رسول اللَّه ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول اللَّه ﷺ. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها. وكان اسمها برة فسماها رسول اللَّه ﷺ جويرية.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن يحيى بن حبان، وعبد اللَّه بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، في قصة بني المصطلق: فبينا النبي ﷺ مقيم هناك، إذ اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري أجير عمر، وسنان بن زيد. قال: فحدثني محمد بن يحيى أنهما ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار. وقال جهجاه: يا معشر المهاجرين. وكان زيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد اللَّه بن أبي، يعني: ابن سلول، فلما سمعها قال: قد ثاورونا في بلادنا. واللَّه ما أعُدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، واللَّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من عنده من قومه، فقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما واللَّه لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم. فسمعها زيد، فذهب بها إلى رسول اللَّه ﷺ وهو غليم، وعنده عمر فأخبره الخبر. فقال عمر: يا رسول اللَّه مر عباد بن بشر فليضرب عنقه. فقال: كيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟ لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل. فلما بلغ ذلك ابن أبي أتى النبي ﷺ يعتذر، وحلف له باللَّه ما قال ذلك، وكان عند قومه بمكان. فقالوا: يا رسول اللَّه ﷺ عسى أن يكون هذا الغلام أوهم. وراح رسول اللَّه ﷺ مهجرًا في ساعة كان لا يروح فيها. فلقيه أسيد بن حضير فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال:

واللَّه لقد رُحْتَ في ساعة منكرة . فقال : أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ؟ فقال : يا رسول اللَّه فأنت واللَّه العزيز وهو الذليل . ثم قال : يا رسول اللَّه ارفق به ، فواللَّه لقد جاء اللَّه بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فإنه ليرى أن قد استلبته مُلْكًا . فسار رسول اللَّه ﷺ بالناس بقية يومه وليلته ، حتى أصبحوا وحتى اشتد الضحى . ثم نزل بالناس بقية يومه وليلته ، حتى أصبحوا وحتى اشتد الضحى . ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا . ونزلت سورة المنافقين .

وقال ابن عُيينة : حدثنا عمرو بن دينار ، قال : سمعتُ جابرًا يقول : كنا مع النبي ﷺ في غزاة ، فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول اللَّه ﷺ : ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها مُنْتنَة . فقال عبد اللَّه بن أبي سلول : أو قد فعلوها؟ واللَّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز مَنها الأذل . قال : وكانت الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم النبي ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك . فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه . متفق عليه(٣١٥) .

وقال عُبَيد اللَّه بن موسى : أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي ، قال : حدثنا زيد بن أرقم ، قال : غزونا مع رسول اللَّه ﷺ ، وكان معنا ناس من الأعراب . فكنا نبتدر الماء ، وكانت الأعراب يسبقوننا ، فيسبق الأعرابي أصحابه ، فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه ، فأتى أنصاري فأرخى زمام ناقته لتشرب فمنعه ، فانتزع حجرًا فغاض الماء ، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه ، فأتى عبد اللَّه بن أبي فأخبره فغضب وقال : لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه ﷺ حتى ينفضوا من حوله؛ يعني الأعراب . وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منه الأذل . قال زيد : فسمعته فأخبرت عمي ، فانطلق فأخبر رسول اللَّه ﷺ ، فحلف وجحد ، فصدَّقه رسول اللَّه ﷺ وكذبني . فجاء إليَّ عمي فقال : ما أردت أن مقتك رسول اللَّه ﷺ وكذبك المسلمون . فوقع عليَّ من الغم ما لم يقع على أحد قط . فبينا أنا أسير مع رسول اللَّه ﷺ وقد خفقتُ برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول اللَّه ﷺ فَعَرَكَ أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد أو الدنيا . ثم إن أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول اللَّه ﷺ ؟

---

(٣١٥) صحيح: أخرجه الحميدي (١٢٣٩)، والطيالسي (١٧٠٨)، والبخاري (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) (٦٣)، والترمذي (٣٣١٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٧٧)، وأبو يعلى (١٨٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٥٣- ٥٤) من طرق عن سفيان بن عيينة، به .

قلت: ما قال لي شيئًا. فقال أبشر. فلما أصبحنا قرأ رسول اللَّه ﷺ سورة المنافقين حتى بلغ منها: ﴿الْأَذَلَّ﴾[المنافقون: ٨].

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: سمعت عبد اللَّه بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا من حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرتُ ذلك لعمي فذكره لرسول اللَّه ﷺ، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم وكذبني، فأصابني هم، فأنزل اللَّه- تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فأرسل إليَّ رسول اللَّه ﷺ فقرأها علي، وقال: إن اللَّه صدقك يا زيد. أخرجه البخاري(٣١٦).

وقال أنس بن مالك: زيد بن أرقم هو الذي يقول له رسول اللَّه ﷺ: «**هذا الذي أوفى اللَّه له بأذنه**». أخرجه البخاري، من حديث عبد اللَّه بن الفضل، عن أنس(٣١٧).

وقال الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، أن النبي ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أن رسول اللَّه ﷺ قال: بعثت هذه الريح لموت منافق. قال: فقدم المدينة فإذا منافق عظيم قد مات. أخرجه مسلم(٣١٨).

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: فلما نزل رسول اللَّه ﷺ من طريق عُمان سَرَّحوا ظهرهم، وأخذتهم ريح شديدة، حتى أشفق الناس منها، وقيل: يا رسول اللَّه ما شأن هذه الريح؟ فقال: مات اليوم منافق عظيم النفاق، ولذلك عصفت الريح وليس عليكم منها بأس إن شاء اللَّه، وذلك في قصة بني المصطلق.

وقال يونس، عن ابن إسحاق، عن شيوخه الذين روى عنهم قصة بني المصطلق، قالوا: فانصرف رسول اللَّه ﷺ، حتى إذا كان ببقعاء من أرض الحجاز دون البقيع هبت ريح شديدة فخافها الناس. فقال رسول اللَّه ﷺ: لا تخافوا فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفر. فوجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات يومئذ، وكان من بني قَيْنُقَاع، وكان قد أظهر الإسلام وكَان كهفًا للنافقين.

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة من بني المصطلق، أتاه

---

(٣١٦) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٠٠) حدثنا عبد اللَّه بن رجاء، حدثنا إسرائيل، به.

(٣١٧) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٠٦) من طريق موسى بن عقبة، قال حدثني عبد اللَّه بن الفضل، به.

(٣١٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٨٢) حدثني أبو كُريب محمد بن العلاء، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، به.

عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن أبى ، فقال : يا رسول اللَّه بلغنى أنك تريد قتل أبى ، فإن كنت فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فواللَّه لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى ، ولكنى أخشى أن تأمر به رجلاً مسلمًا فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد اللَّه يمشى فى الأرض حيًا حتى أقتله ، فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار . فقال النبى ﷺ: بل نحسن صحبته ونترفق به ما صحبنا ، واللَّه أعلم .

■ حديث الإفك : وكان فى هذه الغزوة

قال سليمان بن حرب : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، والنعمان بن راشد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن النبى ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه . قالت : فأقرع بيننا فى غَزَاة المريسيع ، فخرج سهمى ، فهلك فىَّ من هلك .

وكذلك قال ابن إسحاق ، والواقدى وغيرهما : أن حديث الإفك فى غزوة الـمُرَيْسِيع .

وروى عن عباد بن عبد اللَّه ، قال : قلت يا أماه حدثينى حديثك فى غزوة الـمُرَيْسِيع .

قرأت على أبى محمد عبد الخالق بن عبد السلام ، ببعلبك ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، قال : أخبرنا أبو الحسين عبد الحق اليوسفى ، قال : أخبرنا أبو سعد بن خُشَيْش ، قال : أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد ، قال : أخبرنا ميمون بن إسحاق ، قال : حدثنا أحمد ابن عبد الجبار ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لقد تُحُدِّث بأمرى فى الإفك واستفيض فيه وما أشعر . وجاء رسول اللَّه ﷺ ومعه أناس من أصحابه ، فسألوا جارية لى سوداء كانت تخدمنى ، فقالوا : أخبرينا ما علمك بعائشة؟ فقالت : واللَّه ما أعلم منها شيئًا أعيب من أنها ترقد ضحى حتى إن الداجن داجن أهل البيت تأكل خميرها . فأداروها وسألوها حتى فطنت ، فقالت : سبحان اللَّه ، والذى نفسى بيده ما أعلم على عائشة إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر . قالت : فكان هذا وما شَعَرْتُ .

ثم قام رسول اللَّه ﷺ خطيبًا ، فحمد اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فأشيروا علىَّ فى أناس أَبَنُوا (*) أهلى ، وايم اللَّه إن علمت على أهلى من سوء قط ، وأبنوهم بمن واللَّه إن علمت عليه سوء قط ، ولا دخل على أهلى إلا وأنا شاهد ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى . فقال سعد بن معاذ : أرى يا رسول اللَّه أن تضرب أعناقهم . فقال رجل من

(*) أبنوا : أى اتَّهموا .

الخزرج- وكانت أم حسان من رهطه، وكان حسان من رهطه: واللَّه ما صدقت، ولو كان من الأوس ما أشرت بهذا. فكاد يكون بين الأوس والخزرج شر فى المسجد، ولا علمت بشىء منه، ولا ذكره لى ذاكر، حتى أمسيت من ذلك اليوم فخرجتُ فى نسوة لحاجتنا، وخرجت معنا أم مسطح- بنت خالة أبى بكر- فإنا لنمشى ونحن عامدون لحاجتنا، عثرت أمُّ مسطح فقالت: تعس مسطح. فقلت: أى أم، أتسبين ابنك؟ فلم تراجعنى. فعادت ثم عثرت، فقالت: تعس مسطح. فقلت: أى أم أتسبين ابنك صاحب رسول اللَّه ﷺ؟ فلم تراجعنى. ثم عثرت الثالثة، فقالت: تعس مسطح. فقلت: أى أم، أتسبين ابنك صاحب رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: واللَّه ما أسبه إلا من أجلك وفيك. فقلت: وفى أى شأنى؟ قالت: وما علمت بما كان؟ فقلت: لا، وما الذى كان؟ قالت: أشهد أنك مبرأة مما قيل فيك. ثم بقرت لى الحديث، فلأكر راجعة إلى البيت ما أجد مما خرجت له قليلاً ولا كثيرًا. وركبتنى الحمى فَحُممت. فدخل علىَّ رسول اللَّه ﷺ فسألنى عن شأنى، فقلت: أحدنى موعوكة، ائذن لى أذهبَ إلى أبوىَّ. فأذن لى، وأرسل، معى الغلام، فقال: امش معها. فجئت فوجدت أمى فى البيت الأسفل، ووجدت أبى يصلى فى العلو، فقلت لها: أى أمه، ما الذى سمعت؟ فإذا هى لم ينزل بها من حيث نزل منى، فقالت: أى بنية وما عليك، فما من امرأة لها ضرائر تكون جميلة يحبها زوجها إلا وهى يقال لها بعض ذلك. فقلت: وقد سمعه أبى؟ فقالت: نعم، فقلت: وسمعه رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: ورسول اللَّه ﷺ. فبكيت، فسمع أبى البكاء، فقال: ما شأنها؟ فقالت: سمعت الذى تحدث به. ففاضت عيناه يبكى، فقال: أى بنية، ارجعى إلى بيتك، فرجعت وأصبح أبواى عندى، حتى إذا صُلِّيَت العصر دخل رسول اللَّه ﷺ وأنا بين أبوى، أحدهما عن يمينى والآخر عن شمالى، فحمدَ اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد يا عائشة إن كنت ظلمت أو أخطأت أو أسأت فتوبى وراجعى أمر اللَّه واستغفرى، فوعظنى، وبالباب امرأة مَن الأنصار قد سلمت، فهى جالسة بباب البيت فى الحجرة، وأنا أقول: ألا تستحيى أن تذكر هذا، والمرأة تسمع، حتى إذا قضى كلامه قلت لأبى وغمزتُه: ألا تكلمه؟ فقال: وما أقول له؟ والتفتُّ إلى أمى فقلت: ألا تكلمينه؟ فقالت: وماذا أقول له؟ فحمدت اللَّه وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد فواللَّه لئن قلت لكم أن قد فعلت واللَّه يشهد أنى لبريئة ما فعلت لتقولن قد باءت به على نفسها واعترفت به، ولئن قلت لم أفعل واللَّه يعلم أنى لصادقة ما أنتم بمصدقى. لقد دخل هذا فى أنفسكم واستفاض فيكم، وما أجد لى ولكم مثلاً إلا قول أبى يوسف العبد الصالح؛ وما أعرف يومئذ اسمه: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (١٨) ﴾ [يوسف: ١٨].

ونزل الوحى ساعة قضيتُ كلامى ، فعرفت واللَّه البشر فى وجه رسول اللَّه ﷺ قبل أن يتكلم . فمسح جبهته وجبينه ثم قال : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل اللَّه عذرك . وتلا القرآن . فكنت أشد ما كنت غضبًا ، فقال لى أبواى : قومى إلى رسول اللَّه ﷺ . فقلت : واللَّه لا أقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما ولكنى أحمد اللَّه الذى برأنى . لقد سمعتم فما أنكرتم ولا جادلتم ولا خاصمتم .

فقال الرجل الذى قيل له ما قيل ، حين بلغه نزول العذر : سبحان اللَّه ، فوالذى نفسى بيده ما كشفت قط كنف أنثى . وكان مسطح يتيمًا فى حجر أبى بكر ينفق عليه ، فحلف لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدا . فأنزل اللَّه ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور : ٢٢] ، فقال أبو بكر : بلى واللَّه يا رب ، إنى أحب أن تغفر لى وفاضت عيناه فبكى ، رضى اللَّه عنه[٣١٩] . وهذا عال حسن الإسناد ، أخرجه البخارى تعليقًا ؛ فقال : وقال أبو أسامة ، عن هشام بن عروة . فذكره .

وقال الليث - واللفظ له - وابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب : أخبرنى عروة ، وابن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه ، عن حديث عائشة ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها اللَّه ؛ وكل حدثنى بطائفة من الحديث ، وبعض حديثهم يصدق بعضًا ، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض . قالت : كان رسول اللَّه ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ، فخرج سهمى ، فخرجت معه بعدما نزل الحجاب ، وأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه . فسرنا حتى إذا فرغ رسول اللَّه ﷺ من غزوته تلك ، وقفل ودنونا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فَقُمْتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى ، فإذا عقد لى من جَزْعِ ظَفار قد انقطع ، فالتمسته ، وحبسنى ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى واحتملوا هودجى ، فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبتُ . وهم يحسبون أنى فيه . وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العُلْقة[٣٢٠] من الطعام ، فلم يستنكروا خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا . فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب . فأممت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلىَّ ، فبينا أنا جالسة غلبتنى عينى فنمت . وكان صفوان بن

---

(٣١٩) صحيح . أخرجه البخارى (٤١٤١) من طرق عن عائشة ، به فى حديث طويل .

(٣٢٠) العلقة : البُلْغَةُ من الطعام .

المعطل السُلَمى ثم الذكوانى من وراء الجيش. فأدلج فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتانى فعرفنى حين رآنى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت، فخمرت وجهى بجلبابى، واللَّه ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه. فأناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك. وكان الذى تولى الإفك عبد اللَّه بن أبى بن سلول. فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمتُ شهرًا، والناس يفيضون فى قول أهل الإفك، ولا أشعر بشىء من ذلك. وهو يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول اللَّه ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى. إنما يدخل علىَّ فَيُسَلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف. فذلك الذى يريبنى ولا أشعر بالشر، حتى خرجت يومًا بعدما نَقَهْتُ. فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع؛ وهو مُتَبَرَّزُنا؛ وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبَل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف نتخذها عند بيوتنا. فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رُهْم بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى، قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أى هَنْتَاه، أو لم تسمعى ما قال؟ قلت: وماذا؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك. فازددت مرضًا على مرضى. فلما رجعت إلى بيتى ودخل علىَّ رسول اللَّه ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لى أن آتى أبوَىَّ؟ وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لى، فجئت أبوىَّ فقلت لأمى: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قال: يا بنية هونى عليك، فواللَّه لَقَلَّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر، إلا كثرن عليها. فقلت: سبحان اللَّه، ولقد تحدث الناس بهذا؟ فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكى.

فدعا رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد- حين استلبث الوحى- يستأمرهما فى فراق أهله. فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود، فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرًا. وأما على فقال: يا رسول الله لم يضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك؟ قال: لا والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول، فقال

وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنا أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت فى أهلى إلا خيرًا ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما كان يدخل على أهلى إلا معى . فقام سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج- وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا- ولكن احتملته الحمية ، فقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فبكيت يومى ذلك وليلتى لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم . فأصبح أبواى عندى ، وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع ، حتى يظنان أن البكاء فالق كبدى . فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى ، استأذنت علىَّ امرأةٌ من الأنصار فجلست تبكى معى . فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه فى شأنى شىء . قالت : فتشهد حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه . قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قَلَصَ دمعى حتى ما أحس منه قطرة . فقلت لأبى : أجب رسول الله فيما قال . قال : والله ما أدرى ما أقول له . فقلت لأمى : أجيبى رسول الله . قالت : ما أدرى ما أقول له . فقلت وأنا يومئذ حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن : إنى والله لقد علمت لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إنى بريئة ، والله يعلم أنى بريئة ، لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة لتصدقُنّى ، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (١٨) ﴾ [يوسف : ١٨] ، ثم تحولت فاضطجعت على فراشى ، وأنا أعلم أنى بريئة وأن الله يبرئنى ببراءتى . ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيًا يتلى ، ولشأنى كان فى نفسى أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها . قالت : فوالله ما قام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو فى يوم شاتٍ من ثقل القول الذى ينزل عليه . فلما سُرِّى عنه وهو يضحك كان أول كلمة تكلم

بها: يا عائشة أما والله لقد برأك الله. فقالت أمى: قومى إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله. وأنزل الله تعالى: ﴿ **إنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ** ﴾ [النور: ١١]، العشر الآيات كلها.

فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة. فأنزل الله- تعالى: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى. فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى، فقالت: أحمى سمعى وبصرى ما علمت إلا خيرًا، وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختُها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. متفق عليه من حديث يونس الأيلى.

وقال أبو معشر: حدثنى أفلح بن عبد الله بن المغيرة، عن الزهرى، قال: كنت عند الوليد ابن عبد الملك فذكر الحديث بطوله عن الأربعة عن عائشة، فقال الوليد: وما ذاك؟ قال: إن رسول الله ﷺ غزا غزوة بنى المصطلق فساهم بين نسائه، فخرج سهمى وسهم أم سلمة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهرى، قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال: الذى تولى كبره منهم علىٌّ. فقلت: لا. حدثنى سعيد، وعروة، وعلقمة، وعبيد الله كلهم سمع عائشة تقول: الذى تولى كبره عبد الله بن أبى. فقال لى. فما كان جرمه؟ قلت: سبحان الله، أخبرنى رجلان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئًا فى أمرى. أخرجه البخارى.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التى نزل بها عذرى على الناس، نزل فأمر برجلين وامرأة ممن كان تكلم بالفاحشة فى عائشة فجلدوا الحد. قال: وكان رماها ابن أبى، ومِسْطَح، وحسان، وحَمْنَة بنت جحش.

وقال شعبة، عن سليمان، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة- رضى الله عنها- فشبب بأبيات له:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصبحُ غَرْثَى من لحُومِ الغوافلِ

قالت: لستَ كذاك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل اللَّه- عز وجل: ﴿ **والَّذى تولَّىٰ كِبْرَهُ منهُم لهُ عَذابٌ عظيمٌ** ⑪ ﴾ [النور: ١١]، قالت: وأى عذاب أشد من العمى؟ وقالت: كان يرد عن النبى ﷺ(٣٢١). متفق عليه.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى، قال: وكان صفوان بن المُعَطَّل قد كثر عليه حسان فى شأن عائشة، وقال يعرِّض به:

أمْسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا وابنُ الفُرَيْعةِ أمسى بيضةَ البلدِ

فاعترضه صفوان ليلة وهو آت من عند أخواله بنى ساعدة، فضربه بالسيف على رأسه، فيعدو عليه ثابت بن قيس، فجمع يديه إلى عنقه بحبل أسود وقاده إلى دار بنى حارثة، فلقيه عبد اللَّه بن رواحة، فقال: ما هذا؟ فقال: ما أعجبك! عدا على حسان بالسيف، فواللَّه ما أراه إلا قد قتله. فقال: هل علم رسول اللَّه ﷺ بما صنعتَ به؟ فقال: لا. فقال: واللَّه لقد اجترأت، خل سبيله فسنغدو على رسول اللَّه ﷺ فنعلمه. ... فخلَّ سبيله. فلما أصبحوا غدوا على النبى ﷺ فذكروا له ذلك فقال: أين ابن المُعَطَّل؟ فقام إليه، فقال: ها أنذا يا رسول اللَّه، فقال: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: آذانى وكثَّر علىَّ ولم يرض حتى عَرَّض بى فى الهجاء، فاحتملنى الغضب، وها أنذا، فما كان علىَّ من حق فخذنى به. فقال رسول اللَّه ﷺ: ادعوا لى حسان، فأتى به؛ فقال: يا حسان: أتشوَّهت على قومى أن هداهم اللَّه للإسلام، يقول: تنفَّستَ عليهم يا حسان، أحسن فيما أصابك. فقال: هى لك يا رسول اللَّه. فأعطاه رسول اللَّه ﷺ سيرين القبطية. فولدت له عبد الرحمن، وأعطاه أرضًا كانت لأبى طلحة تصدق بها على رسول اللَّه ﷺ.

وحدثنى يعقوب بن عتبة، أن صفوان بن المعطَّل قال حين ضرب حسان:

تلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عنك فإننى غلامٌ إذا هُوجيتُ لَستُ بشاعرِ

وقال حسان لعائشة- رضى اللَّه عنها:

---

(٣٢١) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨) حدثنى بشر بن خالد، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، به.

وأخرجه البخارى (٤٧٥٦)، ومسلم (٢٤٨٨) من طريق ابن أبى عدى، أنبأنا شعبة، به.

وأخرجه البخارى (٤٧٥٥) من طريق سفيان، عن الأعمش، به.

رأيتُك وليَغْفر لك اللّـه، حُـرّةً ... من المُحْصَنات غـير ذات غَوائلِ
حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُزَنُّ بريبـة ... وتُصْبحُ غَرْثَى من لُحُـوم الغَوافلِ
وإن الذى قد قيل ليـس بلائق ... بك الدّهرَ بل قِيلُ امرئ مُتَماحِلِ
فإن كنت أهجـوكم كما بلّغوكم ... فلا رفعتْ سـوطى إلىَّ أناملى
فكيف ووُدّى ما حَييتُ ونُصْرَتى ... لآل رسـول اللّه زَين المَحافل
وإنّ لهم عـزًا يُرَى النّاسُ دونه ... قِصارًا، وطـال العزّ كلّ التَّطاوُلِ

منها:

عقيلةُ حَىّ مـن لُؤَىّ بن غالبِ ... كِرَام المساعى مَجْدُهُـم غير زائلِ
مهذّبَةٌ قد طيّبَ اللّـه خيمَها ... وطَهَّرها من كلّ سـوءٍ وباطلِ

استشهد صفوان فى وقعة أرمينية سنة تسع عشرة. قاله ابن إسحاق.

وعن عائشة قالت: لقد سألوا عن ابن المُعَطَّل فوجدوه حصورًا ما يأتى النساء. ثم قتل بعد ذلك شهيدًا.

■ غزوةُ الخَنْدَق:

قال الواقدى: وهى غزوة الأحزاب، وكانت فى ذى القعدة.

قالوا: لما أجلى رسول اللّه ﷺ بنى النضير ساروا إلى خيبر، وخرج نفر من وجوههم إلى مكة فألبوا قريشًا ودعوهم إلى حرب رسول اللّه ﷺ وعاهدوهم على قتاله، وواعدوهم لذلك وقتًا. ثم أتوا غطفان وسليمًا فدعوهم إلى ذلك، فوافقوهم.

وتجهزت قريش وجمعوا عبيدهم وأتباعهم، فكانوا فى أربعة آلاف، وقادوا معهم نحو ثلاث مائة فرس من سوى الإبل. وخرجوا وعليهم أبو سفيان بن حرب، فوافتهم بنو سليم بمر الظهران، وهم سبع مائة. وتلقتهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدى، وخرجت فزارة وهم فى ألف بعير يقودهم عيينة بن حصن، وخرجت أشجع وهم أربع مائة يقودهم الحارث بن عوف. وقيل: إنه رجع ببنى مرة، والأول أثبت، فكان جميع الأحزاب عشرة آلاف، وأمر الكل إلى أبى سفيان. وكان المسلمون فى ثلاثة آلاف. هذا كلام الواقدى.

وأما ابن إسحاق فقال: كانت غزوة الخندق فى شوال.

قال: وكان من حديثها أن سلام بن أبى الحُقَيق، وحيى بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وهوذة، فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول اللّه ﷺ قدموا مكة فدعوا قريشًا إلى القتال، وقالوا: إنا نكون معكم حتى نستأصل محمدًا. فقالت قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل كتاب وعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق وفيهم نزل: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** (٥١) ﴾ الآيات [النساء: ٥١]، فلما قالوا ذلك لقريش سَرَّهم ونشطوا إلى الحرب واتعدوا لهم. ثم خرج أولئك النفر اليهود حتى جاؤوا غطفان، فدعوهم فوافقوهم.

فخرجت قريش، وخرجت غطفان وقائدهم عُيينة فى بنى فزارة، والحارث بن عوف المرى فى قومه، ومسعود بن رُخَيلة فيمن تابعه من قومه أشجع. فلما سمع بهم النبى ﷺ حفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده، وأبطأ عن المسلمين فى عمله رجال منافقون، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. وكان فى حفره أحاديث بلغتنى، منها: بلغنى أن جابرًا كان يحدث أنهم اشتدت عليهم كُدْية فشكوها إلى رسول اللّه ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء اللّه، ثم نضح الماء على الكُدْية حتى عادت كثيبًا.

وحدثنى سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبد اللّه، قال: عملنا مع رسول اللّه ﷺ فى الخندق، فكانت عندى شُوَيهة، فقلت: واللّه لو صنعناها لرسول اللّه ﷺ، فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئًا من شعير، فصنعت لنا منه خبزًا، وذبحت تلك الشاة فشويناها، فلما أمسينا وأراد رسول اللّه ﷺ الانصراف، وكنا نعمل فى الخندق نهارًا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، فقلت: يا رسول اللّه إنى قد صنعتُ كذا وكذا، وأحب أن تنصرف معى، وإنما أريد أن ينصرف معى وحده. فلما قلت له ذلك، قال: نعم. ثم أمر صارخًا فصرخ أن انصرفوا مع رسول اللّه ﷺ إلى بيت جابر. فقلت: إنا للّه وإنا إليه راجعون، فأقبل وأقبل الناس معه، فجلس وأخرجناها إليه، فبَرَّك وسَمَّى، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها.

وحدثنى سعيد بن ميناء أنه حُدِّث أن ابنة لبشير بن سعد قالت: دعتنى أمى عمرة بنت رواحة فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى، ثم قالت: أى بنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبد اللّه بغدائهما. فانطلقت بها فمررت برسول اللّه ﷺ وأنا ألتمس أبى وخالى، فقال: ما هذا معك؟ قلت: تمر بعثت به أمى إلى أبى وخالى، قال: هاتيه. فصببته فى كَفَّى رسول اللّه ﷺ فملأتهما، ثم أمر بثوب فَبُسِطَ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده:

اصرخ فى أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء. فاجتمعوا فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

وحدثنى من لا أتهم، عن أبى هريرة، أنه كان يقول حين فُتِحَت هذه الأمصار فى زمان عمر وعثمان وما بعده: افتحوا ما بدا لكم، والذى نفسى بيده، أو نفس أبى هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى اللّه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

وقال: وحُدِّثت عن سلمان الفارسى، قال: ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىَّ، ورسول اللّه ﷺ قريب منى، فلما رآنى أضرب نزل وأخذ المعْوَل فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته أخرى، ثم ضَرب الثالثة فلمعت أخرى. قلت: بأبى أنت وأمى يا رسول اللّه ما هذا؟ قال: أو قد رأيت؟ قلت: نعم. قال: أما الأولى، فإن اللّه فتح علىَّ بها اليمن، وأما الثانية، فإن اللّه فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن اللّه فتح علىَّ بها المشرق.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ النبى ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من دومة بين الجُرُف وزُغَابة فى عشر آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وغطفان، فنزلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب تَعْمر إلى جانب أحد. وخرج رسول اللّه ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع فى ثلاثة آلاف، فعسكروا هنالك، والخندق بينه وبين القوم. فذهب حُيى بن أخطب إلى كعب بن أسد القُرَظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وقد كان وادع رسول اللّه ﷺ على قومه، فلما سمع كعب بحُيى أغلق دونه الحصن فأبى أن يفتح له، فناداه: يا كعب افتح لى. قال: إنك امرؤ مشؤوم، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا. قال: ويحك افتح لى أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: واللّه إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها. فأحفظه، ففتح له فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دُومة، وبغطفان على قادتها وسادتها فأنزلتهم بذنب تعمر إلى جانب أحد، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال له كعب: جئتنى واللّه بذل الدهر وبجهام(٣٢٢) قد هراق ماءه

(٣٢٢) الجَهام، بالفتح: السحاب الذى لاماء فيه، وقيل: الذى قد هراق ماءهُ مع الريح.

برعد وبرق ليس فيه شيء، يا حُيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء. فلم يزل حيي بكعب حتى سمح له بأن أعطاه عهدًا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب عهده وبرئ مما كان بينه وبين النبي ﷺ.

ولما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ بعث سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، سيدا الأنصار، ومعهما عبد اللَّه بن رواحة وخوات بن جُبير، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفُتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان فيه حدة، فقال له ابن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فسلموا عليه، وقالوا: عَضل والقَارة، أي كَغَدر عَضل والقارة بأصحاب الرجيع خُبيب وأصحابه. فقال رسول اللَّه ﷺ: اللَّه أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين. فعظُم عند ذلك الخوف.

قال اللَّه- تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا (١١)**﴾ الآيات [الأحزاب: ١٠، ١١].

وتكلم المنافقون حتى قال معتب بن قُشير أحد بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. فأقام رسول اللَّه ﷺ وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار.

ثم إن النبي ﷺ بعث إلى عُيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما، فجرى بينه وبينهما صلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك.

فلما أراد رسول اللَّه ﷺ أن يفعل، بعث إلى السعْدين فاستشارهما، فقالا: يا رسول اللَّه أمرًا تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك اللَّه به لا بد لنا منه، أم شيئًا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، واللَّه ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: يا رسول اللَّه، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا اللَّه بالإسلام وأعزنا

بك نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال: فأنت وذاك. فأخذ سعد الصحيفة فمحاها، ثم قال: ليجهدوا علينا.

وأقام رسول الله ﷺ والأحزاب، فلم يكن بينهم قتال إلا فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيؤوا للقتال يا بني كنانة فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العربَ تكيدها، قال: فتيمموا مكانًا من الخندق ضيقًا فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه بهم في السبخة بين الخندق وسلع.

وخرج عليٌّ - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة، فأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَمًا ليُرى مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارزني؟ فبرز له علي - رضي الله عنه - فقال: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتهما منه. قال: له أجل. قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال. قال له: لمَ يا ابن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي - كرم الله وجهه -: لكني والله أحب أن أقتلك. فحَميَ عمرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٍّ فتنازلا وتجاولا، فقتلَه علي - رضي الله عنه - وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عكرمة يومئذ رمحه وانهزم. وقال علي - رضي الله عنه - في ذلك:

نصَرَ الحجارةَ من سفاهة رأيه ... ونَصَرتُ دينَ محمّد بضراب
نازلتُهُ فتركتُهُ مُتَجَدّلاً ... كالجِذْع بين دكَادك وروابي
لا تَحْسَبُنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيه يا معشرَ الأحزاب

وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل، أن عائشة - رضي الله عنها - كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فمر سعد وعليه درع مُقَلَّصة قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة يرفل بها ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَد الهَيْجا حَمَلْ ... لا بأسَ بالموت إذا حانَ الأجَلْ

فقالت له أمه: الحق أي بُنَي فقد أخّرت. قالت عائشة: فقلت لها يا أم سعد لوددت أن

درع سعد كانت أسبغ مما هى. فَرُمِيَ سعد بسهم قطع منه الأكحل، ورماه ابن العَرقة فلما أصابه، قال: خذها منى وأنا ابن العَرقة. فقال له سعد: عَرّق اللَّه وجهك فى النار، اَللَّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلىَّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللَّهم إن كنت وضعت الحرب بينهم وبيننا فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة.

وكانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع- حصن حسان بن ثابت- وكان معها فيه مع النساء والولدان، قالت: فمر بنا يهودى فجعل يُطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة ونقضت وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، والنبى ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا. فقالت: يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، وإنى واللَّه ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شُغِلَ عنا رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله. قال: فغفر اللَّه لك يا ابنة عبد المطلب، واَللَّه لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئًا، احتجزت ثم اخذت عمودًا ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغت رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لى بسلبه من حاجة.

وأقام رسول اللَّه ﷺ وأصحابه فيما وصف اللَّه- تعالى- من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

وروى نحوه يونس بن بُكَير، عن هشام بن عروة، عن أبيه.

ثم إن نعيم بن مسعود الغطفانى أتى رسول اللَّه ﷺ فأسلم، وقال: إن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت يا رسول اللَّه. قال: إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنا ما استطعت فإن الحرب خُدْعة.

فأتى قريظة- وكان نديمًا لهم فى الجاهلية- فقال لهم: قد عرفتم ودى إياكم. قالوا: صدقت. قال: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم وبه أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدروا أن تتحولوا عنه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزَة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا حتى تناجزوه. فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه: قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدًا، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت علىَّ حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموه علىَّ. قالوا: نفعل. قال: تَعَلَّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم. فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنًا منكم من رجالكم فلا تفعلوا.

ثم خرج فأتى غَطفان. فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىَّ، ولا أراكم تتهمونى. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. قال: فاكتموا عنى. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال، وكان من صُنْع اللَّه لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان، إلى بنى قريظة، عكرمة بن أبى جهل فى نفرمن قريش وغطفان، فقالوا: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا. فأرسلوا إليهم الجواب أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: واللَّه لقد حدثكم نعيم بن مسعود بحق. فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا واللَّه ما ندفع إليكم رجلاً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلون، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا واللَّه لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا. فأبوا عليهم. وخَذَّل اللَّه بينهم.

فلما أُنْهِيَ ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم.

قال: فحدثنى يزيد بن أبى زياد، عن محمد بن كعب القرظى، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة: يا أبا عبد اللَّه، رأيتم رسول اللَّه ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخى.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللَّه لقد كنا نجهد. فقال: واللَّه لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا. فقال: يا ابن أخى واللَّه لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ بالخندق، وصلى هَوِيًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع- يشْرُط له رَسول اللَّه ﷺ الرجعة- أسأل اللَّه أن يكون رفيقى فى الجنة. فما قام أحد من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد. فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن لى من القيام بد حين دعانى، فقال: يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم، فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا. فذهبتُ فدخلت فى القوم، والريح وجنود اللَّه تفعل بهم ما تفعل، لا يقر لهم قرار ولا نار ولا بناء. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة- رضى اللَّه عنه-: فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت: من أنت، فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم واللَّه ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فواللَّه ما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول اللَّه ﷺ أن لا تحدث شيئًا حتى تأتينى، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال: فرجعتُ إلى رسول اللَّه ﷺ وهو قائم يصلى فى مِرْط لبعض نسائه مُراحل- وهو ضَرْبٌ من وشى اليمن فَسَّرَه ابن هشام- فلما رآنى أدخلنىَ إلى رجليه وطرح علىَّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنى لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

قال اللَّه- تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** (٢٥) ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وهذا كله من رواية البكائى عن محمد بن إسحاق.

وقال يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، أن رجلاً قال لحذيفة: صحبتم رسول اللَّه ﷺ وأدركتموه، فذكر الحديث نحو حديث محمد بن كعب، وفى آخره: فجعلتُ أخبر رسول اللَّه ﷺ عن أبى سفيان، فجعل يضحك حتى جعلت أنظر إلى أنيابه.

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، أن رسول اللَّه ﷺ قاتل يوم بدر فى رمضان سنة اثنين، ثم قاتل يوم أحد فى شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق، وهو يوم الأحزاب وبنى

قريظة، فى شوال سنة أربع. وكذا قال عروة فى حديث ابن لهيعة عن أبى الأسود عنه. كذا قالا: سنة أربع، وقالا: فى قصة الخندق إنها كانت بعد أحد بسنتين.

وقال قتادة من رواية شيبان عنه: كان يوم الأحزاب بعد أحُد بسنتين، فهذا هو المقطوع به. وقول موسى وعروة إنها فى سنة أربع وهم بين، ويشبهه قول عبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر: «عرضنى رسول اللَّه ﷺ يوم أحد، وأنا ابن أربع عشرة، فلم يجزنى. فلما كان يوم الخندق عرضت عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى»، فيحمل قوله على أنه كان قد شرع فى أربع عشرة سنة، وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة، وزاد عليها فلم يعد تلك الزيادة. والعرب تفعل هذا فى عددها وتواريخها وأعمارها كثيرًا، فتارة يعتدون بالكسر ويعدونه سنة، وتارة يسقطونه. وذهب بعض العلماء إلى ظاهر هذا الحديث وعضدوه بقول موسى بن عقبة وعروة أن الأحزاب فى شوال سنة أربع، وذلك مخالف لقول الجماعة، ولما اعترف به موسى وعروة من أن بين أحد والخندق سنتين، واللَّه أعلم.

وقال أبو إسحاق الفزارى، عن حميد، عن أنس، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ فى غداة باردة إلى الخندق، والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق بأيديهم، ولم يكن لهم عبيد: فلما رأى ما بهم من الجوع والنصب قال:

اللَّهُمَّ إن العيش عيشُ الآخره   فاغفرْ للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له:

نحن الّذين بايعوا محمَّدًا   على الجهاد ما بقينا أبدا

أخرجه البخارى(٣٢٣). ولمسلم نحوه من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت.

وقال عبد الوارث: حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس نحوه، وزاد، قال: ويؤتون بمثل حفنتين شعيرًا يصنع لهم بإهالة سَنِخَة وهى بَشِعة فى الحلق، ولها ريح منكرة فتوضع بين يدى القوم. أخرجه البخارى(٣٢٤).

وقال شعبة وغيره: حدثنا أبو إسحاق، سمع البراء يقول: كان رسول اللَّه ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى التراب بياض إبطه وهو يقول:

---

(٣٢٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٩٩) حدثنا عبد اللَّه بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن حميد، به.

(٣٢٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٠٠) حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، به.

اللَّهُمَّ لولا أنتَ ما اهتَدَيْنا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا
فأنْزِلَنْ سَكينةً علينا وثَبِّت الأقدامَ إن لاَقَينا
إنَّ الألَى قد بَغَوا علينا وإنْ أرادوا فتنةً أبَيْنَا

رفع بها صوته. أخرجه البخارى(٣٢٥).

وعنده أيضًا من وجه آخر: ويمد بها صوته.

وقال عبد الواحد بن أيمن المخزومى، عن أبيه، سمع جابرًا يقول: كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كَدَّانة- وهى الجبل- فقلنا: يا رسول اللَّه: إن كَدَّانة قد عَرَضت فقال: رُشُّوا عليها. ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع، فأخذ المعول أو المسحاة فسمى ثلاثًا ثم ضرب، فعادت كثيبًا أهْيَلَ، فقلت له: ائذن لى يا رسول اللَّه إلى المنزل، ففعل، فقلت للمرأة: هل عندك من شيء؟ وذكر نحو ما تقدم وما سقناه من مغازى ابن إسحاق. أخرجه البخارى(٣٢٦).

وقال هوذة بن خليفة: حدثنا عوف الأعرابى، عن ميمون بن أستاذ الزهرانى، قال: حدثنى البراء بن عازب، قال: لما كان حين أمرنا سول اللَّه ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ، فلما رآها أخذ المعول وقال: بسم اللَّه، وضرب ضربة فكسر ثلثها. فقال: اللَّه أكبر أعطيت مفاتيح الشام، واللَّه إنى لأبصر قصورها الحمر إن شاء اللَّه. ثم ضرب الثانية وقطع ثلثًا آخر فقال: اللَّه أكبر أعطيت مفاتيح فارس، واللَّه إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض. ثم ضرب الثالثة فقال: بسم اللَّه، فقطع بقية الحجر فقال: اللَّه أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، واللَّه إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة.

وقال الثورى: حدثنا ابن المنكدر، سمعت جابرًا يقول: قال رسول اللَّه ﷺ يوم

---

(٣٢٥) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٠٤) حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، به.

(٣٢٦) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٠١) حدثنا خَلاَّد بن يحيى، حدثنا عبد الواحد بن أيمن، به.

(٣٢٧) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣١٤ و٣٦٥)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٩٢)، والبخارى (٢٨٤٦) و(٢٨٤٧) و(٢٩٩٧) و(٧٢٦١) و(٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٥)، والترمذى (٣٧٤٥) والنسائى فى «الفضائل» (١٠٧) و(١٠٨)، وابن ماجه (١٢٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٣١) من طرق عن محمد بن المنكدر، به.

الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. فقال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. فقال: «**إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير**». أخرجه البخارى[٣٢٧].

وقال الحسن بن الحسن بن عطية العوفى: حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [الأحزاب: ٩]، قال: كان ذلك يوم أبى سفيان؛ يوم الأحزاب.

﴿**وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ**﴾ [الأحزاب: ١٣]، قال: هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق.

قوله: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ**﴾ الآية [الأحزاب: ٢٢]، قال: لأن اللَّه قال لهم فى سورة البقرة: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢١٤]، فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق، تأول المؤمنون ذلك، ولم يزدهم إلا إيمانًا وتسليمًا.

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رجلاً من المشركين قُتلَ يوم الأحزاب، فبعث المشركون إلى رسول اللَّه ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثنى عَشر ألفًا، فقال: لا خير فى جسده ولا فى ثمنه.

وقال الأصمعى: حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، قال: ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد اللَّه بن المغيرة بالسيف على مغفره فقدَّه إلى القَرَبُوس[٣٢٨]، فقالوا: ما أجود سيفك، فغضب، يريد أن العمل ليده لا لسيفه.

قال شعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن على: أن رسول اللَّه ﷺ كان يوم الأحزاب قاعدًا على فُرْضة من فرض الخندق، فقال ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس، ملأ اللَّه قبورهم وبيوتهم نارًا، أو بطونهم. أخرجه مسلم[٣٢٩].

---

(٣٢٨) القربوس: حنْوُ السَّرْج، وللسَّرْج قربوسان، فأما القربوس المقدم ففيه العضدان، وهما رِجْلا السَّرْج، ويقال لهما حنْوَاهُ. والقَرَبُوس الآخر فيه رِجْلا المُؤخرة، وهما حنْوَاهُ.

(٣٢٩) صحيح: أخرجه مسلم (٦٢٧) (٢٠٤)، والطبرى فى «تفسيره» (٥٤٢٥)، وأبو يعلى (٣٨٨) من طريق شعبة، به. =

وقال يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن جابر، أن عمر يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش، وقال: يا رسول اللَّه ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال رسول اللَّه ﷺ: وأنا واللَّه ما صليتها بعد. فنزلتُ مع رسول اللَّه، أحسبه قال إلى بُطْحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى المغرب. متفق عليه.

وقال جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمى، عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة بن اليمان، فقال رجل: لو أدركتُ رسول اللَّه ﷺ لقاتلت معه وأبليت. فقال: أنت كنت تفعل ذاك؟ لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقَرٍّ، فقال رسول اللَّه ﷺ: ألا رجل يأتى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة؟ فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله. ثم قال: يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم. فلم أجد بدًا إذ دعانى باسمى أن أقوم. فقال ائتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىَّ. قال: فمضيت كأنما أمشى فى حمام حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يَصْلى ظهره بالنار. فوضعتُ سهمى فى كبد قوسى وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول اللَّه ﷺ: لا تذعرهم علىَّ، ولو رميته لأصبته. قال: فرجعت كأنما أمشى فى حمام فأتيت رسول اللَّه ﷺ، ثم أصابنى البرد حين فرغت وقُررت، فأخبرت رسول اللَّه ﷺ، فألبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها، فلم أزل نائمًا حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول اللَّه ﷺ: «**قم يا نومان**». أخرجه مسلم(٣٣٠).

وقال أبو نُعيم: حدثنا يوسف بن عبد اللَّه بن أبى بردة، عن موسى بن أبى المختار، عن بلال العبسى، عن حذيفة: أن الناس تفرقوا عن رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب، فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتانى رسول اللَّه ﷺ وأنا جاث من البرد، فقال: انطلق إلى عسكر الأحزاب. فقلت: والذى بعثك بالحق ما قمت إليك مِن البرد إلا حياء منك. قال: فانطلق يا ابن اليمان فلا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلىَّ. فانطلقت إلى عسكرهم، فوجدت أبا سفيان يوقد النار فى عصبة حوله، قد تفرق الأحزاب عنه، حتى إذا جلست فيهم، حس

= وأخرجه أحمد (١/ ١٢٢)، والبخارى (٢٩٣١) و(٤١١١) و(٤٥٣٣) و(٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧)، وأبو داود (٤٠٩)، والدارمى (١/ ٢٨٠)، والبغوى فى «شرح السنة» (٣٨٨) من طريق هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلمانى، عن على، به.

(٣٣٠) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٨٨)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٥٤)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٤٨- ١٤٩)، وفى «الدلائل» (٣/ ٤٤٩- ٤٥٠) من طريق جرير، به.

أبو سفيان أنه دخل فيهم من غيرهم، فقال: يأخذ كل رجل منكم بيد جليسه. قال: فضربت بيدى على الذى عن يمينى فأخذت بيده، ثم ضربت بيدى إلى الذى عن يسارى فأخذت بيده. فكنت فيهم هُنية. ثم قمت فأتيت رسول اللَّه ﷺ وهو قائم يصلى، فأومأ إلىَّ بيده أن: ادن، فدنوت. ثم أومأ إلىَّ فدنوت. حتى أسبل علىَّ من الثوب الذى عليه وهو يصلى. فلما فرغ قال: ما الخبر؟ قلت: تفرق الناس عن أبى سفيان، فلم يبق إلا فى عصبة يوقد النار، قد صب اللَّه عليه من البرد مثل الذى صب علينا، ولكنا نرجو من اللَّه ما لا يرجو.

وقال عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد الحنفى، عن عبد العزيز ابن أخى حذيفة، قال: ذكر حذيفة مشاهدهم، فقال جلساؤه: أما واللَّه لو كنا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: لا تمنوا ذلك، فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب. وساق الحديث مطولاً.

وقال إسماعيل بن أبى خالد: حدثنا ابن أبى أوفى، قال: دعا رسول اللَّه ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللَّهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللَّهم اهزمهم وزلزلهم**»(٣٣١). متفق عليه.

وقال الليث: حدثنى المقبرى، عن أبيه، عن أبى هريرة أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول: «**لا إله إلا اللَّه وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده فلا شىء بعده**». متفق عليه(٣٣٢).

وقال إسرائيل وغيره، عن أبى إسحاق، عن سليمان بن صُرَد، قال: قال رسول اللَّه ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا؛ نسير إليهم**». أخرجه البخارى(٣٣٣).

---

(٣٣١) صحيح: أخرجه الحميدى (٧١٩)، وأحمد (٤/ ٣٥٣) والبخارى (٢٩٣٣) و(٤١١٥) و(٦٣٩٢) و(٧٤٨٩)، ومسلم (١٧٤٢)، والترمذى (١٦٧٨)، والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٦٠٢)، وابن ماجه (٢٧٩٦)، والبغوى (١٣٥٣) من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد، به.

(٣٣٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤)، وأحمد (٢/ ٣٠٧ و٣٤١ و٤٩٤) من طرق عن الليث، به.

قوله «وغلب الأحزاب وحدَهُ»: أى قبائل الكفار، المتحزبين عليه وحده. أى من غير قتال الآدميين بل أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها.

وقوله «فلا شىء بعده»: أى سواه.

(٣٣٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤١١٠) حدثنى عبد اللَّه بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، به.

وقال خارجة بن مصعب، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾ [الممتحنة: ٧]، قال: تزويج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين. كذا روى الكلبي وهو متروك.

وذهب العلماء في أمهات المؤمنين أن هذا حكم مختص بهن ولا يتعدى التحريم إلى بناتهن ولا إلى إخوتهن ولا أخواتهن.

■ **واستشهد يوم الأحزاب:**

عبد اللَّه بن سهل بن رافع الأشهلي، تفرد ابن هشام بأنه شهد بدرًا.

وأنس بن أوس بن عتيك الأشهلي، والطفيل بن النعمان بن خنساء، وثعلبة بن عنمة؛ كلاهما من بني جشم بن الخزرج.

وكعب بن زيد أحد بني النجار، أصابه سهم غَرْب، وقد شهد هؤلاء الثلاثة بدرًا.

ذكر ابن إسحاق أن هؤلاء الخمسة قتلوا يوم الأحزاب.

وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، قال: قُتِلَ من المشركين يوم الخندق: نوفل ابن عبد اللَّه بن المغيرة المخزومي؛ أقبل على فرس له ليوثبه الخندق، فوقع في الخندق فقتله اللَّه، وكبر ذلك على المشركين وأرسلوا إلى رسول اللَّه ﷺ: إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه: فرد إليهم رسول اللَّه ﷺ: إنه خبيث الدية لعنه اللَّه ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه، ولا أرب لنا في ديته.

■ **غزوة بَنِي قُرَيْظَة:**

وكانوا قد ظاهروا قريشًا وأعانوهم على حرب رسول اللَّه ﷺ. وفيهم نزلت ﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ**﴾ الآيتين [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

قال هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما رجع رسول اللَّه ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وقال: وضعتَ السلاح؟ واللَّه ما وضعناه، اخرج إليهم. قال: فأين؟ قال: هاهنا. وأشار إلى بني قريظة. فخرج النبي ﷺ. متفق عليه[٣٣٤].

---

(٣٣٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤١١٧)، ومسلم (١٧٦٩) (٦٥)، وأحمد (٦/ ٥٦ و١٣١ و٢٨٠) من طريق هشام، به.

وقال حُميد بن هلال، عن أنس: **كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا من سكة بني غنم، موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة. البخاري**[(٣٣٥)].

وقال جويرية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: **نادى فينا رسول اللَّه ﷺ يوم انصرف من الأحزاب أن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون قريظة. وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول اللَّه ﷺ وإن فاتنا الوقت. فما عنف واحدًا من الفريقين**. متفق عليه[(٣٣٦)].

وعند مسلم في بعض طرقه: الظهر بدل العصر. وكأنه وَهْمٌ.

وقال بشر بن شعيب، عن أبيه، قال: حدثنا الزهري، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كعب بن مالك، أن عمه عبيد اللَّه بن كعب أخبره أن رسول اللَّه ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر، فتبدى له جبريل- عليه السلام- فقال: عَذيرَك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد. فوثب رسول اللَّه ﷺ فَزِعًا فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة. فلبسوا السلاح، فلم يأتوا بنَي قريظة حتى غربت الشمس، فاختصم الناس عند غروبها، فقال بعضهم: إن رسول اللَّه ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة، وإنما نحن في عزيمة رسول اللَّه ﷺ، فليس علينا إثم. وصلى طائفة من الناس احتسابًا، وتركت طائفة حتى غربت الشمس فصلوا حين جاؤوا بني قريظة. فلم يعنف رسول اللَّه ﷺ واحدًا من الفريقين.

وروى نحوه عبد اللَّه بن عمر، عن أخيه عبد اللَّه، عن القاسم، عن عائشة، وفيه أن رجلاً سلم علينا ونحن في البيت، فقام رسول اللَّه ﷺ فَزِعًا، فقمت في إثره، فإذا بدحية الكلبي، فقال رسول اللَّه ﷺ: هذا جبريل يأمرني أن أذهبَ إلى بني قريظة، وقال: وضعتم السلاح، لكنا لم نضع السلاح، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد. وفيه: فمر رسول اللَّـه ﷺ بمجالس بينه وبين بني قريظة، فقال: هل مر بكم من أحد؟ قالوا: مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج. قال: ليس ذاك بدحية الكلبي ولكنه جبريل أُرْسلَ إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب. فحاصرهم النبي ﷺ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحَجَف حتى يسمعهم كلامه. فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير، فقالوا: يا أبا

---

(٣٣٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤١١٨) حدثنا موسى، حدثنا جرير بن حازم، عن حميد بن هلال، به.

(٣٣٦) صحيح: أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) من طريق جويرية بن أسماء، به.

ووقع عند مسلم [الظهر] بدل [العصر].

القاسم لم تك فحَّاشًا. فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه، فحكم فيهم أن تُقْتَلَ مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم.

وقال محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده علقمة، عن عائشة، قالت: جاء جبريل وعلى ثناياه النقع، فقال: أوضعت السلاح؟ واللَّه ما وضعته الملائكة، اخرج إلى بنى قريظة. فلبس رسول اللَّه ﷺ لأمته، وأذن بالرحيل، ثم مر على بنى عمرو فقال: من مر بكم؟ قالوا: دحية. وكان دحية يشبه لحيته ووجهه جبريل. فأتاهم فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد، وذكر الحديث بطوله فى مسند أحمد.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: قَدَّم رسول اللَّه عليًا معه رايته وابتدر الناس.

وقال موسى بن عقبة: وخرج رسول اللَّه ﷺ فى أثر جبريل، فمر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول اللَّه ﷺ، فسألهم: مر عليكم فارس آنفًا؟ فقالوا: مر علينا دحية على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة من ديباج عليه اللأمة. قال: ذاك جبريل. وكان رسول اللَّه ﷺ يُشَبِّه دحية بجبريل. قال: ولما رأى على بن أبى طالب رسول اللَّه ﷺ مقبلاً تلقاه. وقال: ارجع يا رسول اللَّه، فإن اللَّه كافيك اليهود. وكان علىٌّ سمع منهم قولاً سيئًا لرسول اللَّه ﷺ وأزواجه. فكره علىٌّ أن يسمع ذلك، فقال: لمَ تأمرنى بالرجوع؟ فكتمه ما سمع منهم. فقال: أظنك سمعت لى منهم أذى؟ فامض فإن أعداء اللَّه لو قد رأونى لم يقولوا شيئًا مما سمعت.

فلما نزل رسول اللَّه ﷺ بحصنهم، وكانوا فى أعلاه، نادى بأعلى صوته نفرًا من أشرافها حتى أسمعهم فقال: أجيبونا يا معشر يهود يا إخوة القردة، لقد نزل بكم خزى اللَّه. فحاصرهم ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة، ورد اللَّه حيى بن أخطب حتى دخل حصنهم، وقذف اللَّه فى قلوبهم الرعب، واشتد عليهم الحصار، فصرخوا بأبى لبابة بن عبد المنذر وكانوا حلفاء الأنصار. فقال: لا آتيهم حتى يأذن لى رسول اللَّه ﷺ. فقال: قد أذنت لك. فأتاهم، فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لبابة، ماذا ترى، فأشار بيده إلى حلقه، يريهم أن ما يراد بكم القتل. فلما انصرف سقط فى يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة، فقال: واللَّه لا أنظر فى وجه رسول اللَّه ﷺ حتى أحدث للَّه توبة نصوحًا يعلمها اللَّه من نفسى. فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذع المسجد فزعموا أنه ارتبط قريبًا من عشرين ليلة.

فقال رسول اللَّه ﷺ، كما ذُكِرَ، حين راث عليه[٣٣٧] أبو لبابة: أما فرغ أبو لبابة من

---

(٣٣٧) راث عليه: أى أبطأ عليه.

حلفائه؟ قالوا: يا رسول اللَّه، قد واللَّه انصرف من عند الحصن وما ندرى أين سلك. فقال: قد حدث له أمر. فأقبل رجل فقال: يا رسول اللَّه، رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد. فقال رسول اللَّه ﷺ: لقد أصابته بعدى فتنة، ولو جاءنى لاستغفرت له. فإذ فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى اللَّه فيه ما شاء.

وقال ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة، فذكر نحو ما قص موسى بن عقبة، وعنده: فلبس رسول اللَّه ﷺ لأمته وأذَّنَ بالخروج، وأمرهم أن يأخذوا السلاح. ففزع الناس للحرب، وبعث عليًا على المقدمة ودفع إليه اللواء. ثم خرج رسول اللَّه ﷺ على آثارهم. ولم يقل بضع عشرة ليلة.

وقال يونس بن بُكَير، والبكَّائى- واللفظ له- عن ابن إسحاق، قال: حاصرهم رسول اللَّه ﷺ خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف اللَّه فى قلوبهم الرعب. وكان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأن رسول اللَّه ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثًا، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هى؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فواللَّه لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره. قال: فإذ أبيتم علىَّ هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه مُصْلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم اللَّه بيننا وبين محمد، فإن نَهْلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنتخذن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لَم يخف عليك من المسخ؟ قال: ما: بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا.

رواه يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، لكنه قال عن أبيه، عن معبد بن كعب بن مالك، فذكره وزاد فيه: ثم بعثوا يطلبون أبا لبابة، وذكر ربطه نفسه.

وزعم سعيد بن المسيب: أنه ارتباطه بسارية التوبة كان بعد تخلفه عن غزوة تبوك حين أعرض عنه رسول اللَّه ﷺ وهو عليه عاتب، بما فعل يوم قريظة، ثم تخلف عن غزوة تبوك فيمن تخلف. واللَّه أعلم.

وفى رواية على بن أبى طلحة، وعطية العوفى، عن ابن عباس فى ارتباطه حين تخلف عن تبوك ما يؤكد قول ابن المسيب. وقيل: نزلت هذه الآية فى أبى لبابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال البكائى، عن ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد اللَّه بن قُسَيط، أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول اللَّه ﷺ وهو فى بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: فسمعتُ رسول اللَّه ﷺ من السحر وهو يضحك، فقلت: مم تضحك؟ قال: تيب على أبى لبابة. قلت: أفلا أبشره؟ قال: إن شئت. قال: فقامتْ على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب اللَّه عليك. قالت: فثار إليه الناس ليطلقوه. فقال: لا واللَّه حتى يكون رسول اللَّه ﷺ هو الذى يطلقنى بيده. فلما مر عليه خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال عبد الملك بن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطًا بالجذع ست ليال: تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة تحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدثنى بعض أهل العلم. والآية التى نزلت فى توبته: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٢].

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من هدل، أسلموا تلك الليلة التى نزل فيها بنو قريظة على حكم رسول اللَّه ﷺ.

شعبة: أخبرنى سعد بن إبراهيم، قال: أبا أمامة بن سهل يحدث عن أبى سعيد قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ، فأتاه على حمار. فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول اللَّه ﷺ: قوموا إلى سيدكم، أو إلى خيركم فقال: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك، فقال: تُقْتَل مقاتلتُهم وتسبى ذريتهم. فقال: رسول اللَّه ﷺ: لقد حكمت عليهم بحكم اللَّه. وربما قال: بحكم الملك. متفق عليه (٣٣٨).

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق قال: قاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، قد ولاَّك رسول اللَّه ﷺ أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد: عليكم بذلك عهدُ اللَّه وميثاقه؟ قالوا:

---

(٣٣٨) صحيح على شرط الشيخين: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢ و٧١)، والبخارى (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١) و(٤٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨) (٦٤)، وأبو داود (٥٢١٥) و(٥٢١٦)، والنسائى فى «الفضائل» (١١٨)، وابن سعد (٣/ ٤٢٤)، والطبرانى (٥٣٢٣)، والبيهقى (٦/ ٥٧- ٥٨) و(٩/ ٦٣)، والبغوى (٢٧١٨) من طرق عن شعبة، به.

نعم. قال: وعلى من ها هنا من الناحية التي فيها النبي ﷺ ومن معه، وهو معرض عن رسول اللَّه ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: نعم. فقال سعد: أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى.

شعبة وغيره: عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظى، قال: كنت فى سبى قريظة، فأمر رسول اللَّه ﷺ بمن أنبت أن يقتل، فكنت فيمن لم ينبت.

موسى بن عقبة: قال رسول اللَّه ﷺ حين سألوه أن يُحكِّم فيهم رجلاً: اختاروا من شئتم من أصحابى؟ فاختارو سعد بن معاذ، فرضى بذلك رسول اللَّه ﷺ، فنزلوا على حكمه. فأمر - عليه السلام- بسلاحهم فَجُعل فى قُبَّته، وأمر بهم فكُتِّفوا وأوثقوا وجعلوا فى دار أسامة. وبعث رسول اللَّه ﷺ إلى سَعد، فأقبل على حمار أعرابى يزعمون أن وطاءه برذعة من ليف، واتبعه رجل من بنى عبد الأشهل، فجعل يمشى معه ويعظِّم حق بنى قريظة ويذكر حلفهم والذى أبلوه يوم بعاث، ويقول: اختاروك على من سواك رجاء رحمتك وتحننك عليهم، فاستبقهم فإنهم لك جمال وعدد. فأكثر ذلك الرجل، وسعد لا يَرجع إليه شيئًا، حتى دنوا، فقال الرجل: ألا ترجع إلىَّ فيما أكلمك فيه؟ فقال سعد: قد آن لى أن لا تأخذنى فى اللَّه لومة لائم. ففارقه الرجل، فأتى قومه فقالوا: ما وراءك؟ فأخبرهم أنه غير مستبقيهم، وأن رسول اللَّه ﷺ قتل مقاتلتهم، وكانوا فيما زعموا ست مائة مقاتل قتلوا عند دار أبى جهم بالبلاط، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التى كانت بالسوق، وسبى نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم بين من حضر من المسلمين. وكانت خيل المسلمين ستة وثلاثين فرسًا. وأخْرجَ حيى بن أخطب فقال له رسول اللَّه ﷺ: هل أخزاك اللَّه؟ قال له: لقد ظهرت علىَّ وما ألوِم إلا نفسى فى جهادك والشدة عليك. فأمر به فَضُرِبت عنقه. كل ذلك بعين سعد.

وكان عمرو بن سُعْدى اليهودى فى الأسرى. فلما قدموه ليقتلوه فقدوه فقيل: أين عمرو؟ قالوا: واللَّه ما نراه، وإن هذه لرمته التى كان فيها، فما ندرى كيف انفلت؟ فقال رسول اللَّه ﷺ أفلتنا بما علم اللَّه فى نفسه. وأقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: هب لى الزبير؛ يعنى ابن باطا وامرأته. فوهبهما له، فرجع ثابت إلى الزبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى- وكان الزبير يومئذ أعمى كبيرًا- قال: هل ينكر الرجل أخاه؟ قال ثابت: أردت أن أجزيك اليوم بيدك، قال: افعل، فإن الكريم يجزى الكريم، فأطلقه. فقال: ليس لى قائد، وقد أخذتم امرأتى وبَنَّى، فرجع ثابت إلى رسول اللَّه ﷺ فسأله

ذرية الزبير وامرأته، فوهبهم له، فرجع إليه فقال: قد رد إليك رسول اللَّه ﷺ امـرأتك وبنيك. قال الزبير: فحائط لى فيه أعذق ليس لى ولأهلى عيش إلا به. فوهبه له رسول اللَّه ﷺ. فقال له ثابت: أسلم، قال: ما فعل المجلسان؟ فذكر رجالاً من قومه بأسمائهم فقال ثابت: قد قتلوا وفرغ منهم، ولعل اللَّه أن يهديك. فقال الزبير: أسألك باللَّه وبيدى عندك إلا ما ألحقتنى بهم، فما فى العيش خير بعدهم. فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فأمر بالزبير فَقُتلَ.

وقال اللَّه- تعالى- فى بنى قريظة فى سياق أمر الأحزاب: ﴿ **وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم** ﴾ يعنى: الذين ظاهروا قريشًا: ﴿ **مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا** (٢٦) ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

وقال عروة فى قوله: ﴿ **وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا** ﴾ [الأحزاب: ٢٧]، هى خيبر.

وقال البكَّائى، عن ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثى، قال: قال رسول اللَّه ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم اللَّه من فوق سبعة أرقعة.

وقال البكَّائى، عن ابن إسحاق: فحبسهم رسول اللَّه ﷺ فى دار بنت الحارث النجَّارية، وخرج إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق. وفيهم حيى بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم. وهم ست مائة أو سبع مائة، والمكثر يقول: كانوا بين الثمان والتسع مائة. وقد قالوا لكعب وهو يذهب بهم إلى رسول اللَّه ﷺ أرسالا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفى كل موطن لا تعقلون. أما ترون الداعى لا ينزع، وأنه من ذهب منكم لا يرجع؟ هو واللَّه القتل. وأُتىَ بحيى بن أخطب وعليه حلة فُقَّاحية قد شقَّها من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسْلَبها، مجموعَة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول اللَّه ﷺ قال: أما واللَّه ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخذل اللَّه يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر اللَّه. كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى إسرائيل. ثم جلس فَضُرِبَت عنقه.

وقال ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عمه عروة، عن عائشة، قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، قالت: إنها واللَّه لعندى تحدث معى وتضحك ظهرًا وبطنًا، ورسول اللَّه ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف: يا بنت فلانة. قالت: أنا واللَّه. قلت: ويلك، ما لك؟ قالت: أقتل. قلت: ولِمَ؟ قالت: حدثٌ أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها.

قال عكرمة وغيره: صياصيهم: حصونهم.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: ثم بعث النبى ﷺ سعد بن زيد، أخا بنى عبد الأشهل بسبايا بنى قريظة إلى نجد، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحًا. وكان ﷺ قد اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خُنَافة، وكانت عنده حتى توفى وهى فى ملكه، وعرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول اللَّه بل تتركنى فى مالك فهو أخف عليك وعلىَّ. فتركها. وقد كانت أولاً توقفت عن الإسلام ثم أسلمت، فَسُرَّ النبى ﷺ بذلك، واللَّه أعلم.

■ **وفى ذى الحجة: وفاة سعد بن مُعَاذ من سنة خمس:**

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبَّان بن العَرِقة، رماه فى الأكحل، فضَرب عليه رسول اللَّه ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده مَن قريب. فَلما رجع من الخندق؛ وذكر الحديث، وفيه قالت عائشة: ثم إن كلمه تحجَّر للبُرْء فقال: اللَّهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلىَّ أن أجاهد فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللَّهم فإنى أظن أنك وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى لهم حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتى فيها. قال: فانفجر من لَبَّته، فلم يَرُعْهم- ومعهم فى المسجد أهل خيمة من بنى غفار- إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، هذا الذى يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد جرحه يغذو فمات منها. متفق عليه(٣٣٩).

وقال الليث: حدثنى أبو الزبير، عن جابر، قال: رُمِىَ سعد يوم الأحزاب فقطعوا أكحله، فحسمه رسول اللَّه ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدم فحسمه أخرى. فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: اللَّهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة. فاستمسك عرقه فما قطرت منه قطرة، حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ، فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربع مائة. فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه فمات. حديث صحيح(٣٤٠).

وقال ابن راهويه: حدثنا عمرو بن محمد القرشى، قال: حدثنا عبد اللَّه بن إدريس، عن

(٣٣٩) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) من طريق عبد اللَّه بن نُمير، عن هشام، به.

(٣٤٠) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠) وابن سعد (٣/ ٤٢٩) والترمذى (١٥٨٢)، والنسائى فى «الكبرى» (٧٦٧٩) والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٤/ ٣٢١)، من طرق عن الليث بن سعد، به.

عبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إن هذا الذى تحرك له العرش- يعنى سعد بن معاذ- وشيع جنازته سبعون ألف ملك، لقد ضُمَّ ضَمَّة ثم فُرِّجَ عنه.

وقال سليمان التيمى، عن الحسن: اهتز عرش الرحمن فرحًا بروحه.

وقال يزيد بن عبد اللَّه بن الهاد، عن معاذ بن رفاعة، عن جابر، قال: جاء جبريل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذى مات؛ فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ قال: فخرج رسول اللَّه ﷺ فإذا سعد بن معاذ، فجلس رسول اللَّه ﷺ على قبره وهو يدفن، فبينما هو جالس قال: سبحان اللَّه- مرتين- فسبح القوم. ثم قال: اللَّه أكبر اللَّه أكبر، فكبر القوم. فقال: عجبتُ لهذا العبد الصالح شُدِّد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فُرِّج له.

روى بعضه محمد بن إسحاق، عن معاذ بن رفاعة، قال: أخبرنى محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى، قال: أخبرنى من شئت من رجال قومى أن جبريل أتى النبى ﷺ فى جوف الليل معتجرًا بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فقام رسول اللَّه ﷺ يجر ثوبه مبادرًا إلى سعد بن معاذ فوجده قد قُبِضَ.

وقال البكَّائى، عن ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن الحسن البصرى، قال: كان سعد رجلاً بادنًا، فلما حمله الناس وجدوا له خفة. فقال رجال من المنافقين: واللَّه إن كان لبادنا وما حملنا سن جنازة أخف منه. فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: إن له حملة غيركم، والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثنى أمية بن عبد اللَّه أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول اللَّه ﷺ فى هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن ذلك فقال: كان يقصرِّ فى بعض الطهور من البول.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، قالت: خرجتُ يوم الخندق أقفوا آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض، تعنى حس الأرض، ورائى، فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجنَّه. فجلست، فمر سعد وهو يقول:

لَبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ   ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حانَ الأَجَلْ

قالت: وعليه درع قد خرجت منها أطرافه، فتخوَّفت على أطرافه، وكان من أطول الناس وأعظمهم. قالت: فاقتحمتُ حديقة، فإذا فيها نفر فيهم عمر، وفيهم رجل عليه مغفر. فقال لي عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون تحوُّزًا وبلاء. فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها. قالت: فرفع الرجل المغفر عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: ويحكَ، قد أكثرت وأين التحوز والفرار إلا إلى الله؟ قالت: ويرمي سعدًا رجلٌ من قريش، يقال له ابن العَرِقة، بسهم، فقال: خذها، وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله. فدعا الله سعد فقال: اللَّهم لاَ تمتني حتى تشفيني من قريظة. وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية. فرقأ كلمه وبعث الله الريح على المشركين. وساق الحديث بطوله. وفيه قالت: فانفجر كَلْمُه وقد كان برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص(٣٤١). ورجع إلى قبته. قالت: وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. فإني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله- تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: فقلت: ما كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عيناه لا تدمع على أحد ولكنه إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته.

وقال حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، أن بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأرسل إلى سعد بن معاذ فأتى به محمولاً على حمار وهو مضنى من جرحه، فقال له: أشر عليَّ في هؤلاء. فقال: إني أعلم أن الله قد أمرك فيهم بأمر أنت فاعله. قال: أجل، ولكن أشر عليَّ فيهم. فقال: لو وليت أمرهم قتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم وقسمت أموالهم. فقال: والذي نفسي بيده لقد أشرت عليَّ فيهم بالذي أمرني الله به(٣٤٢).

وقال محمد بن سعد: أخبرنا خالد بن مخلد. قال: حدثني محمد بن صالح التمار، عن سعد بن إبراهيم، سمع عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لما حكم سعد بن معاذ في قريظة أن

---

(٣٤١) الخُرْص: الحلقة الصغيرة من الحلي، وهو من حَلْي الأذُن.

(٣٤٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢ و٧١)، والبخاري (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١) و(٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨) (٦٤)، وأبو داود (٥٢١٥) (٥٢١٦) من حديث أبي سعيد الخدري، به.

وأخرجه أحمد (٦/ ١٤١- ١٤٢)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٠٨- ٤١١)، وابن سعد (٣/ ٤٢١- ٤٢٣) من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، به في حديث طويل.

يقتل من جرت عليه الموسى، قال رسول اللَّه ﷺ : لقد حكم فيهم بحكم اللَّه الذى حكم به من فوق سبع سماوات.

وقال ابن سعد : أخبرنا يزيد، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد، عن رجل من الأنصار، قال : لما قضى سعد فى قريظة ثم رجع انفجر جرحه، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فأتاه فأخذ رأسه فوضعه فى حجره، وسُجِّى بثوب أبيض إذا مُدَّ على وجهه بدت رجلاه، وكان رجلاً أبيض جسيمًا، فقال رسول اللَّه ﷺ : اللَّهم إن سعدًا قد جاهد فى سبيلك وصدق رسولك وقضى الذى عليه، فتقبل روحه بخير ما تقبَّلتَ روح رجل. فلما سمع سعد كلام رسول اللَّه ﷺ فتح عينيه، فقال : السلام عليك يا رسول اللَّه، أشهد أنك رسول اللَّه. قال : وأمه تبكى وتقول :

وَيْلُ أم سعد سعدا حَزَامَةً وَجِـــدّا

فقيل لها : أتقولين الشعر على سعد؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : دعوها فغيرها من الشعراء أكذب.

وقال عبد الرحمن بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال : لما أصيب أكحل سعد حَوَّلوه عند امرأة يقال لها رُفَيدة، وكانت تداوى الجرحى، قال : وكان النبى ﷺ إذا مر به يقول : كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال : كيف أصبحت؟ فيخبره، فذكر القصة. وقال : فأسرع النبى ﷺ المشى إلى سعد، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال : إنى أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة. فانتهى رسول اللَّه ﷺ إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول :

وَيْلُ أم سعد سعدا حَزَامَةً وَجِـــدّا

فقال رسول اللَّه ﷺ : كل نائحة تكذب إلا أم سعد. ثم خُرِجَ به فقالوا : ما حملنا ميتًا أخف منه. فقال النبى ﷺ : ما يمنعكم أن يخف عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط، قد حملوه معكم.

وقال شعبة : أخبرنى سماك بن حرب، قال : سمعت عبد اللَّه بن شداد يقول : دخل رسول اللَّه ﷺ على سعد بن معاذ وهو يكيد بنفسه(٣٤٣) فقال : جزاك اللَّه خيرًا من سيد قوم، فقد أنجزت اللَّه ما وعدته ولينجزنك اللَّه ما وعدك.

---

(٣٤٣) يكيد بنفسه : أى يجود بنفسه.

وقال ابن نُمَير : حدثنا عبيد اللَّه بن عمر ، عن نافع ، قال : بلغني أنه شهد سعدًا سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض .

رواه غيره : عن عبيد اللَّه ، عن نافع ، فقال : عن ابن عمر .

وقال شبابة : أخبرنا أبو معشر ، عن المقبرى ، قال : لما دفن رسول اللَّه ﷺ سعدًا قال : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضم ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول .

وقال يزيد بن هارون : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن محمد بن شُرَحبيل ، أن رجلاً أخذ قبضة من تراب قبر سعد يوم دفن ، ففتحها بعد فإذا هي مسك .

وقال محمد بن موسى الفطرى : أخبرنا معاذ بن رفاعة الزُّرقى ، قال : دُفِنَ سعد بن معاذ إلى أس دار عقيل بن أبى طالب .

قال محمد بن عمرو بن علقمة : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول اللَّه ﷺ استيقظ فجاءه جبريل ، أو قال : ملك فقال : من رجل من أمتك مات الليلة استبشر بموته أهل السماء؟ قال : لا أعلمه ، إلا أن سعد بن معاذ أمسى قريبًا ، ما فعل سعد؟ قالوا : يا رسول اللَّه قُبضَ وجاء قومه فاحتملوه إلى دراهم . فصلى رسول اللَّه ﷺ بالناس الصبح ، ثم خرج وخرج الناس مشيًا حتى إن شسوع نعالهم تقطع من أرجلهم وإن أرديتهم لتسقط من عواتقهم ، فقال قائل : يا رسول اللَّه قد بتتَّ الناس مشيًا ، قال : أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سبقتنا إلى حنظلة .

شعبة : حدثنا سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبى ﷺ ، قال : «**إن للقبر ضغطةً ، ولو كان أحد ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ**» .

شعبة : حدثنى أبو إسحاق ، عن عمرو بن شُرَحْبيل ، قال : لما انفجر جرح سعد بن معاذ التزمه رسول اللَّه ﷺ ، جعلت الدماء تسيل على النبى ﷺ ، فجاء أبو بكر فقال : واكسر ظهرناه ، فقال : مه يا أبا بكر . ثم جاء عمر فقال : إنا للَّه وإنا إليه راجعون .

روى عقبة بن مكرم : حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن صفية بنت أبى عبيد ، عن عائشة ، مرفوعًا : لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد . وقد تقدم هذا ، وما فيه صفية .

وليس هذا الضغط من عذاب القبر فى شىء ، بل هو من روعات المؤمن كنزع روحه ، وكألمه من بكاء حميمه عليه ، وكروعته من هجوم ملكى الامتحان عليه ، وكروعته يوم الموقف وساعة ورود جهنم ، ونحو ذلك . نسأل اللَّه أن يؤمِّنَ روعاتنا .

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبيه، عن جده، عن عائشة، قالت: ما كان أحد أشد فقدًا على المسلمين بعد رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه أو أحدهما من سعد بن معاذ.

وقال الواقدى: أخبرنا عتبة بن جَبيرة، عن الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: كان سعد بن معاذ أبيض طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن اللحية. فَرُمِيَ يوم الخندق سنة خمس فمات منها، وهو ابن سبع وثلاثين سنة. ودفن بالبقيع.

وقال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر، قال رسول اللَّه ﷺ: «**اهتز عرشُ اللَّهِ لموتِ سعدِ بن معاذ**».

وقال عوف، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد، قال رسول اللَّه ﷺ: «**اهتز العرشُ لموت سعدِ بن معاذ**».

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد، عن إسحاق بن راشد، عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت يزيد بن السكن، أن رسول اللَّه ﷺ قال لأم سعد بن معاذ: «**ألا يرقأ دمعُك ويذهب حزنُك بأن ابنك أول من ضحك اللَّه له واهتز له العرش؟**».

وقال يوسف بن الماجشون، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن جدته رُمَيثة أنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ - ولو أشاء أن أقبل الخاتم الذى بين كتفيه من قُربى منه لفعلت - يقول لسعد بن معاذ يوم مات: «**اهتز له عرشُ الرحمنِ**».

وقال محمد بن فُضَيل، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: اهتز العرش لحب لقاء اللَّه سعدًا. قال: إنما يعنى السرير. قال: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال: تفسخت أعواده. قال: ودخل رسول اللَّه ﷺ قبره فاحتُبس، فلما خرج قيل له: يا رسول اللَّه: ما حبسك؟ قال: ضُمَّ سعدٌ فى القبر ضَمَّةً فدعوت اللَّه يكشف عنه.

وقال الثورى وغيره، عن أبى إسحاق، عن البراء أن النبى ﷺ أتِىَ بثوب حرير، فجعل أصحابه يتعجبون من لينه فقال: «**إن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة ألين من هذا**». متفق على صحته.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عمرو، عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: دخلت على أنس بن مالك؛ وكان واقد من أعظم الناس وأطولهم؛ فقال لى: من أنت؟

قلت: أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ. فقال: إنك بسعد لشبيه، ثم بكى فأكثر البكاء. ثم قال: يرحم اللَّه سعدًا، كان من أعظم الناس وأطولهم. ثم قال: بعث رسول اللَّه ﷺ جيشًا إلى أُكَيْدر دُومة، فبعث إلى رسول اللَّه بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول اللَّـه ﷺ، فجعل الناس يمسحونها وينظرون إليها، فقال: أتعجبون من هذه الجبة؟ قالوا: يا رسول اللَّه ما رأينا ثوبًا قط أحسن منه، قال: فواللَّه لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون.

قلت: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو، ولقبه النبيت، ابن مالك بن الأوس؛ أخى الخزرج؛ وهما ابنا حارثة بن عمرو؛ ويدعى حارثة العنقاء؛ وإليه جماع الأوس والخزرج أنصار رسول اللَّه ﷺ. ويكنى سعد أبا عمرو، وأمه كبشة بنت رافع الأنصارى، من المبايعات. أسلم هو وأسيد بن الحضير على يد مصعب بن عمير، وكان مصعب قدم المدينة قبل العقبة الآخرة يدعو إلى الإسلام ويقرئ القرآن. فلما أسلم سعد لم يبق من بنى عبد الأشهل- عشيرة سعد- أحد إلا أسلم يومئذ. ثم كان مصعب فى دار سعد هو وأسعد بن زرارة، يدعوان إلى اللَّه. وكان سعد وأسعد ابنى خالة. وآخى النبى ﷺ بين سعد بن معاذ وأبى عبيدة بن الجراح. قاله ابن إسحاق.

وقال الواقدى، عن عبد اللَّه بن جعفر، عن سعد بن إبراهيم، وغيره: آخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن أبى وقاص.

شهد سعد بدرًا، وثبت مع رسول اللَّه ﷺ يوم أحد حين ولى الناس.

وقال أبو نعيم: حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدى: حدثنا أبو المتوكل، أن النبى ﷺ ذكر الحُمَّى، فقال: من كانت به فهى حظه من النار. فسألها سعد بن معاذ ربه، فلزمته فلم تفارقه حتى فارق الدنيا.

وكان لسعد من الولد: عمرو، وعبد اللَّه، وأمهما: عمة أسيد بن الحضير هند بنت سماك من بنى عبد الأشهل، صحابية. وكان تزوجها أوس بن معاذ أخو سعد- وقُتِلَ عبد اللَّه بن عمرو بن سعد- يوم الحرة.

وكان لعمرو من الولد: واقد بن عمرو، وجماعة قيل إنهم تسعة.

وقُتِلَ عمرو أخو سعد بن معاذ يوم أحد، وقُتِلَ ابن أخيهما الحارث بن أوس يومئذ شابًا،

وقد شهدوا بدراً، والحارث أصابه السيف ليلة قتلوا كعب بن الاشرف، واحتمله أصحابه. وشهد بعد ذلك أحداً.

روى عن سعد بن معاذ: عبد اللّه بن مسعود قصته بمكة مع أمية بن خلف، وذلك فى صحيح البخارى.

وحصن بنى قُريظة على أميال من المدينة، حاصرهم النبى ﷺ خمسًا وعشرين ليلة.

واستشهد من المسلمين: خلاد بن سويد الأنصارى الخزرجى، طُرِحَت عليه رحى، فَشَدَخَته.

ومات فى مدة الحصار أبو سنان بن محصن، بدرى مهاجرى، وهو أخو عكاشة بن محصن الأسدى. شهد هو وابنه سنان بدراً. ودُفِنَ بمقبرة بنى قريظة التى يتدافن بها من نزل دورهم من المسلمين، وعاش أربعين سنة، ومنهم مَن قال: بقى إلى أن بايع تحت الشجرة.

❊ ❊

• إسلام ابنى سَعْيَة وأسد بن عبيد •

قال يونس بن بكير، وجرير بن حازم، عن ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بنى قريظة، أنه قال: هل تدرى عم كان إسلام ثعلبة وأسد ابنى سعية، وأسد بن عبيد، نفر من هَدْل، لم يكونوا من بنى قريظة ولا نضير، كانوا فوق ذلك؟ قلت: لا. قال: إنه قدم علينا رجل من الشام يهودى، يقال له ابن الهَيْبَان، ما رأينا خيرًا منه. فكنا نقول إذا احتبس المطر: استسق لنا. فيقول: لا والله، حتى تخرجوا صدقة صاعًا من تمر أو مدًا من شعير. فنفعل، فيخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا. فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر بنا الشعاب تسيل. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين. فلما حضرته الوفاة، قال: يا معشر يهود؛ ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: أخرجنى نبى أتوقعه يبعث الآن فهذه البلدة مُهَاجره، وإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرية، فلا يمنعنكم ذلك منه ولا تسبقن إليه. ثم مات.

زاد يونس بن بكير فى حديثه: فلما كانت الليلة التى افتتحت فيها قريظة قال أولئك الثلاثة، وكانوا شبانًا أحداثًا: يا معشر يهود، هذا الذى كان ذكر لكم ابن الهيبان. قالوا: ما هو؟ فقالوا: بلى والله إنه لهو بصفته. ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأهلهم، وكانت فى الحصن، فلما فُتِحَ رُدَّ ذلك عليهم.

* * *

تم الجزء الأول ويليه: الجزء الثانى

وأوله: سنة ست من الهجرة

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المحقق.
١١٥	مخطوطة الكتاب.
١٤٣	ذكر نسب سيد البشر.
١٤٧	مولده المبارك ﷺ.
١٥١	أسماء النبى ﷺ وكنيته.
١٥٥	ذكر ما ورد فى قصة سطيح وخمود النيران ليلة المولد وانشقاق الإيوان.
١٥٩	باب: منه.
١٦٢	وأرضعته ثويبة.
١٦٢	ثم أرضعته حليمة السعدية.
١٦٣	شق الصدر.
١٦٥	وفاة والده.
١٦٥	وفاة أمه وكفالة جده وعمه.
١٦٧	وقد رعى الغنم.
١٦٨	سفره مع عمه إن صح.
١٧١	شأن خديجة- رضى اللَّه عنها.
١٧٢	بنيان الكعبة.
١٧٧	ما عصمه اللَّه به من أمر الجاهلية.
١٨١	ذكر زيد بن عمرو بن نفيل.
١٨٤	باب: [صفته ﷺ فى التوراة].
١٨٦	قصة سلمان الفارسى- رضى اللَّه عنه.
١٩٤	ذكر مبعثه ﷺ.
١٩٩	فأول من آمن به خديجة- رضى اللَّه عنها.
٢٠٠	من معجزاته الأول.
٢٠٥	إسلام السابقين الأولين.
٢٠٨	فصل: فى دعوة النبى ﷺ عشيرته إلى اللَّه وما لقى من قومه.
٢٢٠	إسلام أبى ذر- رضى اللَّه عنه.
٢٢٣	إسلام حمزة- رضى اللَّه عنه.
٢٢٤	إسلام عمر- رضى اللَّه عنه.
٢٣٠	الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية.

٢٣٩	إسلام ضماد.
٢٤٠	إسلام الجن.
٢٤٣	فصل: فيما ورد من هواتف الجان وأقوال الكهان.
٢٤٧	انشقاق القمر.
٢٤٩	باب: ويسألونك عن الروح.
٢٥١	ذكر أذية المشركين للنبى ﷺ وللمسلمين.
٢٥٥	ذكر شعب أبى طالب والصحيفة.
٢٥٧	باب: إنا كفيناك المستهزئين.
٢٥٨	دعاء رسول اللَّه ﷺ على قريش بالسنة.
٢٦٠	ذكر الروم.
٢٦٢	ثم توفى عمه أبو طالب وزوجته خديجة.
[illegible]	ذكر الإسراء برسول اللَّه ﷺ إلى المسجد الأقصى.
٢٧٥	ذكر معراج النبى ﷺ إلى السماء.
٢٨٩	زواجه ﷺ بعائشة وسودة أمىّ المؤمنين.
٢٩١	عرض نفسه ﷺ على القبائل.
٢٩٥	حديث يوم بعاث.
٢٩٦	ذكر مبدأ خبر الأنصار والعقبة الأولى.
٣٠١	العقبة الثانية.
٣٠٥	تسمية من شهد العقبة.
٣٠٨	ذكر أول من هاجر إلى المدينة.
٣١٢	سياق خروج النبى ﷺ إلى المدينة.
٣٢٤	السنة الأولى من الهجرة
٣٢٧	قصة إسلام ابن سلام.
٣٢٩	قصة بناء المسجد.
٣٣٤	سنة اثنتين من الهجرة
٣٣٤	غزوة الأبواء.
٣٣٤	بعث حمزة.
٣٣٤	بعث عُبيدة.
٣٣٤	غزوة بُواط.
٣٣٤	غزوة العشيرة.
٣٣٥	بدر الأولى.
٣٣٥	سرية سعد بن أبى وقاص.
٣٣٥	بعث عبد اللَّه بن جحش.
٣٣٦	غزوة بدر الكبرى من السيرة لابن إسحاق رواية البكائى.
٣٤٤	واستشهد يوم بدر.
٣٤٩	بقية أحاديث غزوة بدر.
٣٥٠	رؤيا عاتكة.
٣٦٥	ذكر غزوة بدر: من مغازى موسى بن عقبة.

٣٧١ غنائم بدر والأسرى.
٣٧٥ أسماء من شهد بدرًا.
٣٧٦ ذكر طائفة من أعيان البدريين.
٣٧٨ قصة النجاشي، من السيرة.
٣٨٣ سرية عمير بن عدى الخطمى.
٣٨٣ غزوة بنى سليم.
٣٨٣ سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك.
٣٨٣ غزوة السويق، فى ذى الحجة.
٣٨٦ ثم دخلت سنة ثلاث من الهجرة
٣٨٦ غزوة ذى أمر.
٣٨٦ غزوة بحران.
٣٨٦ غزوة بنى قينقاع.
٣٨٨ غزوة بنى النضير.
٣٩١ سرية زيد بن حارثة إلى القردة.
٣٩١ غزوة قرقرة الكدر.
٣٩٢ مقتل كعب بن الأشرف.
٣٩٦ غزوة أحد.
٤١٥ عدد الشهداء.
٤٢٦ غزوة حمراء الأسد.
٤٣٠ السنة الرابعة من الهجرة
٤٣٠ سرية أبى سلمة إلى قطن فى أولها.
٤٣٠ غزوة الرجيع.
٤٣٣ غزوة بئر معونة.
٤٣٧ ذكر الخلاف فى غزوة بنى النضير (وقد تقدمت فى سنة ثلاث).
٤٣٨ غزوة بنى لحيان.
٤٣٨ غزوة ذات الرقاع.
٤٤٠ غزوة بدر الموعد.
٤٤١ غزوة الخندق.
٤٤١ وقتل يوم بئر معونة.
٤٤٤ السنة الخامسة من الهجرة
٤٤٤ غزوة ذات الرقاع.
٤٤٤ غزوة دومة الجندل.
٤٤٤ غزوة المريسيع (غزوة بنى المصطلق).
٤٤٦ تزويج رسول اللَّه ﷺ بجويرية.
٤٤٩ حديث الإفك.
٤٥٦ غزوة الخندق (الأحزاب).
٤٦٩ واستشهد يوم الأحزاب.
٤٦٩ غزوة بنى قريظة.
٤٧٦ وفاة سعد بن معاذ- رضى اللَّه عنه.
٤٨٤ إسلام ابنى سعية وأسد بن عبيد.
٤٨٥ فهرس الموضوعات.

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة ت ٢٤٨٣٧٨٥١